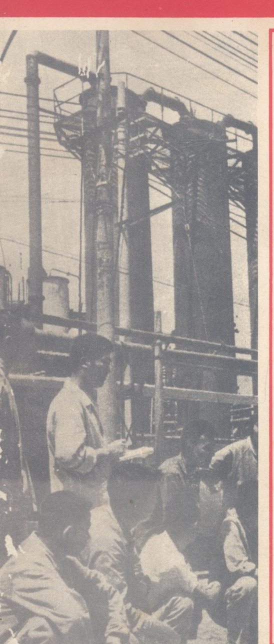
كتب مختارة ٣



چان أسمين

الثورة الثقافية الصينيّة

ترجمة : ذوقان قرقوط





كتب مختارة - ٣

الثورة الثقافيّة الصّينيّة

تأليف : جان أسمين

ترجمة : ذوقان قرقوط



١٩٧٣

تعريف بالكاتب والكتاب

ولد جان اسمين عام ١٩٢٣ وخدم ضابطا فى البحرية . وقد أجيز من مدرسة اللغات الشرقية وأصبح مساعدا للملحق البحرى فى اليابان من عام ١٩٥٣ الى ١٩٥٥ . ثم مديرا لشركة آلات بول للشرق الأقصى وهذا ما يسر له التجوال فى الصين . وعين ملحقا صحفيا فى بكين من ديسمبر ١٩٦٥ الى يونيو ١٩٦٨ فى أثناء الثورة الثقافية .

ولقد ساعدته معرفته للغة الصينية ووجوده فى بكين على متابعة تقلبات الثورة الثقافية المختلفة ، متجنبا التعلق بغرائب الأمور والمظاهر المسرحية التى تعلقت بها الصحافة الغربية فى تغطية أخبار الصين فى تلك الفترة ، ساعيا فى دراسته للنفاذ الى جوهر الأحداث باحثا ، تارة فى الدور الذى لعبه الكوادر السياسيون والعسكريون ، وطورا فى دور الفلاحين والعمال ثم فى دور المثقفين والطلاب واليساريين .. ذلك أنه كان للثورة الثقافية نفسها يساريوها المتطرفون .

كانت الصين تبدو ساكنة ، مستريحة تجمع جهدها فى تصحيح اخطائها من عام ١٩٥٨ الى ١٩٦٤ وهى فترة زادت فيها الأفواه ثمانين مليونا دون أن يزداد الدخل القومى كثيرا . وبدت فى نهاية ١٩٦٥ كانما ليس فيها مكان الا للجهد العقيم واستصلاح الأراضى المعقولة والحسابات والنظام. وفجأةانفجرت فيها الثورة الثقافية . فهل جاءت فجأة حقا . واذا لم تكن كذلك فما هى الظروف التى هيأت لها فى الداخل وما هو دور الأحداث الخارجية فيها ؟ وما هى حقيقة الصراع بين الخطين الرئيسيين فى سياسة البلاد : خط ماوتسى ـ تونغ وخط ليوتشاوشى ؟ وأبعاده وأيديولوجيته ؟

فبالغوص الى الأعماق فى خضم ذلك المحيط العجيب المزدحم بثمانمائة مليون وتلمس تناقضاته الاجتماعية والاقتصادية والايديولوجية واستشفاف مخاوفه وتطلعاته تمكن المؤلف من أن يعثر على عقلانية لهذه الصين التى مازالت فى أذهان الناس أقرب الى الأسطورة ، وذلك بنوع من البساطة المشرقة .

كان الذين أحدثوا هذه الثورة ورعوها ونظروا لها وجعلوا منها قفزة تاريخية الى الامام ومدعاة للتماسك ورص الصفوف بدلا من أن تؤدى بالصين الى التفكك ومزيد من التأخر ، قلة حول ماوتسى ـ تونغ ، لكن هذه القلة استطاعت بالاقناع وتحليل الواقع وادراك احتمالاته وديناميكيته ان تتغلب

وترجح بأن تحويل علاقات الانتاج هو دور الثوريين الأول وان الحزب لا يمكن أن يكون وسيطا بسيطا للسلطة المركزية بل له مهمة رئيسية هي : تعليم الشعب بأن يكون مسئولا ، وأن يكون هو المشرف الحقيقي على المؤسسات الاجتماعية .

ولا شك في أن التجربة التي استطاعت أن تنقل الصين ، من الفقر والعرى والتشرد والتفسخ . بل العفونة الى حياة انسانية تحس بالدفء والطمأنينة والثقة بالنفس والأمل بالمستقبل ، والتجربة التي استطاعت التحكم بالسيول والمجاعات والأوبئة التي كانت تذهب بملايين البشر .. تغرى حقا بالاطلاع وتثير العجب • ولكننا نحن العرب نجد فيها أمثلة أخرى كذلك حرية بالتأمل، ونحن نتلمس السبيل في التغلب على دواعي التفكك الى اعادة وحدتنا والى استجماع قوتنا. فقد كانت الصين عشرات الأقاليم المفككة التي يحكمها لوردات الحرب • وبذلك لم تصبح مطمعا لليابان فحسب ولكنها كانت مشاعا تتنافس عليه الدول • ومنذ أن أدركت ثورة الصين وهي لا تزال برعما ، ان قوتها في وحدة الصين وانها بمقدار ما تشد اليها هذه الوحدة تستطيع زعزعة الاستعمار واقتلاع جذوره ، وبالتالي بناء المستقبل الذي تتطلع اليه ، وضعت ايديولوجيتها في خدمة هذه الوحدة ، فلا عجب أن نجد هذه الوحدة هي المحور الذي دارت حوله جهود وتطلعات وأفكار الثورة الصينية منذ بدأ ماوتسي — تونغ مسيرته الكبرى . فالصين الآن التي يقدر الفارق الزمني بين طلوع الشمس أو مغيبها على طرفيها بأربع ساعات تتبع توقيتا واحدا هو توقيت بكين . ثم كان أهم أهداف الثورة الثقافية الوصول الى الوحدة والتماسك ورص الصفوف على جميع المستويات وتوحيد النظرة الى الأمور استعدادا لمواجهة الامبريالية الامريكية التي تهدد الصين في فيتنام . وبهذه الوحدة ، مصدر القوة الحقيقي، لا بالنزاعات والأفكار المتطرفة ، أرغمت الصين الامبريالية الامريكية على قلب خططها والمجيء اليها ..

القاهرة في ١٩٧٢/٣/٧ — ذوقان قرقوط

مقدمة المؤلف

ان صين اليوم بلاد بلا قوانين . تحكم المبادىء فيها سلوك الناس أكثر مما تحكمه الأنظمة . فلا يستطيع الانسان ، فى هذه الظروف ، أن يميز الا قليلا بين الادارة الأخلاقية والادارة السياسية . وعندما توزع صحافة الحزب نصائحها تكون لها قيمة الدروس فجميع الذين ينحنون للحكمة الخلقية يحاولون مطابقة أفعالهم وفق ما تقتضيه .

وفى الظروف العادية تكون الاستعلامات وقفا على السلطة المركزية حيث تهتم الصحافة الصينية بنقل التبليغات أكثر من عنايتها ببث مجموعة من المعلومات حول أخبار الساعة . وتجدها على العكس غنية بالتعليمات الأيديولوجية والتكتيكية . كما ينشر الحزب على كوادره الأمثلة التى يجب تعميمها على الشعب ، والارشادات التى يجب أن يطوروها .

وعندما انتشرت الثورة الثقافية ظهرت مصادر الاعلام الجديدة بجميع أنواعها . فكانت ذات قيمة متفاوتة ليس فى الامكان استخدامها دون تمحيص دقيق . وعلى حين كان الاشراف على القسم الذى تنشره الصحافة من النصوص ظاهرا ـ لا سيما من نصوص خطب القادة المركزيين مثلا ـ فان سائر ما تنشره كان جدليا . فان الملصقات والنشرات كان يجب أن تؤخذ بتحفظ شديد .

بيد أن أكثر مايهم فيها هو ذلك الطابع الواقعى فى جملته ، لهذه المعلومات المتممة الذى ينقص الصحافة الرسمية عادة .

فقد استطعت ـ بالنظر الى أن كل جانب من هذه المصادر كان يملأ نواقص الجانب الآخر ـ أن أعيد على وجه التقريب بناء تاريخ الوقائع وترتيب التواريخ والأفكار . واذا كانت الصحافة الرسمية غامضة فى بعض الأحيان واذا كانت زاخرة بمغاليق يجب تفسيرها فانها تظل الأساس لأكثر المراجع ثقة . لذلك تلقى مقارنتها بالمصادر الأخرى المزامنة لها ضوءا لا لبس فيه على معنى دروسها . فضلا عن أن للصحف نفسها قصتها ، اذ كانت موضع التنافس فى الكفاح من أجل السلطة .

كانت هذه المواقع المتقدمة من الصحافة ، هى « القواعد البارزة » التى ينطلق منها المثل والأخلاق ، تنتقل من يد الى يد . وكان جميلا جدا أن يرى الانسان معارك الرأى تمتد اليها : وقد حدث بعضها مع ذلك .

ان **الهيجان** الصينى هو المبالغة . فعندما كانت الملصقات تدعو الى «احراق وزارة البترول» فلا يجب الظن بأن الثوريين كانوا يحولون الستيرنات الى رماد . وعندما كانوا يريدون « سحق رأس الكلب » لأحد الوزراء فلم يكونوا يطالبون غالبا الا بتنحيته ، فقد قدم التاريخ مواقف غير متوقعة : رجال سياسة عزلوا من أحد الأجهزة ومع ذلك نجدهم بين المدعوين لحضور اجتماع أعضائه . وشخصيات كان يظن أنهم فقدوا اعتبارهم الى الأبد اذا بهم يعودون الى الظهور فى الاحتفالات فوق سدة تبين آن مين الى جانب ماوتسى - تونغ . وهكذا فتحت الثورة الطريق لوسائل الاستثناء ولكن النظام كان حريصا ، على غرار ارستيد Aristide (١) على الاحتفاظ بمعارضيه .

لقد دفع هذا الأسلوب فى العمل وطول اناة الزعماء على الرغم من الفوضى المتزايدة ، بعض الناس الى التفكير بأن الثورة الثقافية كانت حركة منظمة . وكان لا يزال تبنى هذه الفكرة ممكنا عندما كان النظام يتخذ احتياطاته لئلا تنتقل عدوى الطلاب الى العمال والفلاحين ، وعلى هذا فقد لا يكون مشروع الثورة الثقافية أكثر من بداية ثورة صغيرة . الا أن «القيادة بواسطة المبادىء» وجدت نفسها معزولة فى القمم القيادية ، عندما تسلمت الفصائل الثورية ، تحت أنوار يناير الباردة عام ١٩٦٧ ، زمام السلطة فى المدن .

فهل كانت القيادة تريد مع ذلك شيئا آخر غير يقظة الجماهير العميقة ؟. لقد أجاب المكلفون بالدعاية على الصينيين الذين كانوا يطرحون السؤال نفسه :

« هل تعيد هذه الحركة تنظيم الجماهير ؟

- انها لا تنظمهم . الجماهير ، تلك مسألة تربية ذاتية ، مسألة عون» (٢)

ليس ثمة أساسا آخر للجواب .. وكيف يمكن اظهار مافيه من فروق بغير هذا الوجه ؟ ذلك أن الثورة المنظمة ماكانت لتعلم شيئا للشعب . الا أنه كان يجب مساعدة الشعب للقيام بالثورة .

من ذا الذى كان يملك الوسائل ، فى الحقيقة لقيادة هذه الثورة بكاملها ؟ لقد فقد الحزب بسرعة ماله من الهيبة أو الاحترام . فعندما رفعت زوجة ليوتشاو - شي ، التى قدمت للمحاكمة علنا ، رأسها بافتخار واجابت بهذه الكلمات :

« بصفتى امرأة صينية ، امرأة شيوعية من الصين ، اننى حرة » رد المحقق :

---

(١) Aristide حوالى (٥٤٠ - أى حوالى٤٦٨ ق٠م) هو من رجال الدولة فى أثينا من استحق لقب العادل لأمانته واستقامته ، وخلد اسمه فى مارتون للدفاع عن وطنه ولكنه بتحريض من ثيموستوكل خصمه حكم عليه بالنفى من الوطن الذى أحبه (حوالى ٤٨٤) فغادر أثينا وهو يتمنى الازدهار لوطنه العقوق ، الا أن هذا الوطن ما لبث أن استدعاه للدفاع عنه فى وجه Xerxes الفارسى ، ثم شارك فى بناء الامبراطورية الأثينية الاستعمارية فى ديلوس ، وذهب موقفه من معارضيه مذهب المثل ، « المترجم »

(٢) « جوابا على المبادىء الخاطئة » مقابلة مع رجال الحرس الأحمر بقلم آن تسيه - جين ، محرر فى يومية الشعب ، ومع كوادر ثوريين آخرين ، ذكر ذلك رجال الحرس الأحمر من المدرسة الثانوية المرتبطة بجامعة بثينا فى ١٠ فبراير ١٩٦٧ .

« أى نوع من الشيوعيات أنت ؟ أنت نفاية طبقة ارتقت الى الحزب بواسطة ليوتشاو ـ شى » (١) ٠

وربما كان هذا المتهم ، ليس عضوا ، هو نفسه ، فى الحزب .

كان على ارستقراطية الحزب أن تتصارع لتجريد كل ما فيها من عجرفة . فقد تعلم أعيانها ، على حسابهم كيف تستطيع الجماهير ، دون شنق أو قتل ، ان توقع الموت السياسى . والمعركة ، التى قادها فى البداية عدد ضئيل جدا أثارت بسعيرها قسما من الصين ، الا أنه فى المدن خاصة ٠ كان لها غلاتها : فعن بعد تثير الانتباه حركة عبادة شخصية ماوتسى ـ تونغ . كما كان لها مفكروها الواقعيون : فقد توجه شواين لاى الى الشباب الثوريين قائلا :

« من أجل الاستيلاء على السلطة ، ليس فى وسع أحد كذلك ان يرفعكم من فوق حاجزها ، يجب عليكم أن تقفزوا القفزة الكبرى ٠ فاما أن تتبوءوا رئاسة الخدمة فى الحال والا فانكم سوف تخفقون» (٢) .

لكن ما يفاجىء هو أن عدد الذين برزوا الى مصاف الزعماء كان قليلا . فهل الرجال الذين ارادوا هذه المعركة واكملوها حتى النهاية ، وكانوا على الأغلب من المسنين ، فرضوا انفسهم دائما بتجربتهم ونشاطهم ، الى حد انهم حجبوا وراءهم من انضم اليهم من الشباب الأصغر منهم ؟ انه لمن الصعب أن نعتقد بأن الثورة الثقافية لم ترفع الى جانب ماوتسى ـ تونغ سوى بعض المخلصين القدامى والجنود وزوجته ورجلين أصغر سنا ، أحدهما صهره .

ويجب أن نلاحظ جيدا بأن الثورة الثقافية الصينية ليست «مطهرا» كما يتصورها البعض عادة . فقد أرادت أن تقدم الى بلادها حزبا مجددا بكوادر مشحوذة القوى . واعتنت بالمحافظة على جميع الذين يكون فى وسعهم أن يلتحقوا من جديد بالسياسة الماوية . وبالمقابل فانها اختتمت بمؤتمر رفع الى اللجنة المركزية ثلثين من الأعضاء الجدد ٠

---

(١) الأحداث الجارية جـ ٦ رقم (١٥ ابريل ١٩٦٨) ص ١٥ ٠

(٢) القادة المركزيون يتحدثون عن الاستيلاء على السلطة ، جريدة ثورية يولين فينغل عدد ١٠ فبراير ١٩٦٧ ـ كلمات شواين ـ لاى ٠

الفصل الأول

أفكار ماوتسي تونغ التي بنيت عليها الثورة الثقافية

١ ـ فكر ماو والتجربة التاريخية :

ان جملة ما ابتدعته الثورة الثقافية ، أسماء **الحرس الاحمر** وأسلحتهم أحيانا ، عندما كانوا يحملون حرابا مزركشة بأشرطة حمراء وتروسا وينتعلون صنادل مصنوعة من القش ، غالبا ماكان مقتبسا من تاريخ القواعد الثورية فى كيانغسى Kiangsi وقوكيان قبل خمسة وثلاثين عاما . وقد عاد اسم جبال شينغكانغشان chingkangshan حيث انسحب ماوتسي ـ تونغ بجيوشه فى سبتمبر ١٩٢٧ يكتسب من جديد شهرة خاصة . ولا شك فى أن هذا المكان المنعزل كان يتخذ قيمة الرمز ، الذى انطلق منه المقاتلون الثوريون لفتح عالم مستعص أو معاد ، يتم فى داخله تنظيم مجتمع جديد .

وكثيرا ما كان خطباء ١٩٦٦ و ١٩٦٧ و ١٩٦٨ والصحف وقادة **الحرس الأحمر** وغيرهم يستمدون أمثلتهم ونصائحهم من تجارب المناطق التى حكمتها السوفييتات الصينية ويدعون الى احياء العلاقات التى كانت موجودة حينئذ بين الأهالى والحزب والجيش فى الأراضى الشيوعية . فكانت هذه الرموز والاستشهادات ، فى الوقت الذى يتوج فيه **فكر ماوتسي ـ تونغ** تذكر بما لتجارب ماو الأولى ولقراراته الأولى كقائد ثورى من فضل فى هذا الفكر . كذلك كان قادة الثورة الجديدة يبحثون عن وسيلة للخروج مما هم فيه فى تجارب الأيام الماضية .

ذلك ان **فكر ماوتسي ـ تونغ** ما انفك باستمرار يرتكز الى الأفكار التى تكونت فى ذلك الزمن الذى اتخذ فيه المبادأة العسكرية ، وحيث تهيأ له أن يلعب دور زعيم ، سرعان ما أصبح الأهم ، لجماعة ثورية من الحزب الشيوعى الصينى ، كانت تبتغى الحصول على قاعدة أرضية وعلى نظام وعلى جيش .

عشرة أيام قلبت وجه العالم :

ثمة مقال صادر فى ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٧ (١) شرح باسهاب وهو

---

(١) مقتبس من شيهفا نغشون وينتى (**ادب وفن جيش التحرير**) ، ومذكور فى **الصيق فى طريق البناء** ، ديسمبر ١٩٦٧ .

يذكر بالأيام التى قرر أثنـاءها ماوتسى ــ تونغ سـحب جماعتـه الى جبـال شينغكانغشان ، عنوان كتاب جون ريد عن الثورة الروسية . كان مطلعه :

« نحن فى الثامن عشر من سبتمبر ١٩٢٧ ، بعد انتفاضة حصاد الخريف بعشرة أيام . . عشرة أيام قلبت وجه العالم » .

الا أن العالم لم يكترث بحادث عام ١٩٢٧ . كانت المصلحة عندئذ تتركز حول تغيرات الحكومة الوطنية بصورة خاصة .

ذلك أن حكومة ووهان wuhan (١) الوطنيـة ، التى أقيمت بعـد قيام القوى الشيوعية والكومنتانغ التى كانت لاتزال موحدة ، بهجومها المظفر ، سرعان ما وجدت نفسها ممزقة . فقد كان قسم من الشيوعيين يعون الأخطار التى كانت تضـغط عليهم . ومع ذلك كان المبعوثون السـوفييت فى ووهان ينصحون حزبهم بعدم ايجاد تنظيم مسلح .

بيد أن كثيرا من الفلاحين هبوا ثائرين ، أثناء الهجـوم الى الشـمال ، وتحرروا فى المقاطعات المحتلة وشـكلوا جمعيات . فانقسم الحزب الشـيوعى حينئذ الى اتجاهين حول مسألة الدعم الذى كان فى وسع جماعات الفـلاحين المسلحة أن تقدمه للثورة . وكان ماوتسى ــ تونغ مقتنعا بوجوب اعتماد الحزب الشيوعى على دعم الفلاحين وبأن الحركة سوف تربيهم فى نفس الوقت الذى كانت تحررهم فيه من الوصايات السلفية .

كانت انتفاضة حصاد الخريف هزيمة لأسلحة الثائرين ولاستراتيجييهم الشيوعيين (٢) . فقد زج هؤلاء بأربع مجموعات مقاتلة منفصلة الواحدة عن الأخرى ، شارك فيها الفلاحون بنصيب وافر . الا أن واحدة منها فقط لقيت نجاحا محليا لكنها انسحبت قبل بلوغ هدفها الرئيسى . وانتهى الأمر باخفاق كان يمكن ألا يخلف وراءه غير خيبة الأمل والقتلى . الا أن ماو ، مثل كاتون(٣) ، فانه وأن كان النصر أرضى الآلهة ، اختار القضية المهزومة . فجمع فى الثـامن عشر من سبتمبر شتات الثائرين المتقهقرين فى مركز وينشياشيه Wenchiashih وقرر السير بهم الى جبل شينغكانغشان «ذروة الآبار» فى القسم الأوسط من سلسلة جبال لوهسياوشان Lohsiaoshan العظيمة .

غير أن اللجنة المركزية للحزب وجهت لوما الى ماوتسى ــ تونغ على هـذا العمل فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٧ . وفقد لذلك مقعده فى اللجنة المركزية وعضويته فى المكتب السياسى ولكنه ظل متمسكا بأفكاره . وفى صيف ١٩٢٨ أعاد اليه المؤتمر السادس للحزب اعتبـاره الا أنه لم يقر حركات الفـلاحين الا

---

(١) انظر J. Guillermuz تاريخ الحزب الشيوعى الصينى ، بايوت ، باريس ، ١٩٦٨ ، وخاصة ص ١٥٧ وما يليها .

(٢) بدأت فى ٨ سبتمبر ١٩٦٧ فى هونان Hunan . ثمة كمين لم يحقق اغراضه ترك المجال لتسرب أخبار الحادث ، الذى قتل فيه كثيرون . انظر :

« هبة حصاد الخريف » فى فصلية الصين (اكتوبر ــ ديسمبر ١٩٦٧) .

(٣) Caton l'Ancien او القاضى ، من رجال الدولة فى روما . ولد فى توسكولوم (٢٣٤ ــ ١٤٩ ق.م) قاضى فى ١٨٤ ق.م بذل جهودا جبارة ضد البذخ الذى بدأ يفسد روما . واستمات فى القضاء على قرطاجة وكان يختم خطبه بلازمة : الا أننى اظن انه يجب تدمير قرطاجة .. « المترجم » .

بتحفظ . وقد كتب ماوتسي ـ تونغ بأن المؤتمر السادس لم يكن على وعى كاف « بأهمية القواعد فى الأرياف وبطابع الثورة الديموقراطية الدائم » (١) . انا نخال ، ونحن نسترجع طابع الثورة الديموقراطية الدائم ، بأنه كان يريد بها هذا العمل الجارى لتعليم الناس حكم أنفسهم بأنفسهم وادارة شئونهم بأنفسهم على أرض وضعت تحت تصرف الجماعة .

تجربة مجتمع جديد فى عالم مغلق

وحدة القيادة . النقد والنقد الذاتى

كان العمل الذى بوشر به صعبا جدا عندئذ ، لأنه قدم مع الرجال الذين يتحصنون بالفلاحين القلائل فى اقليم فقير، كثير ممن لا جذور لهم ومن النفايات بل ممن كانوا من قطاع الطرق . وقد شكلت فى البداية قاعدتان ألحقت بهما عصابتان من لصوص المنطقة تكادان أن تكونا غير قابلتين للاندماج فكان يجب تكوين جميع هؤلاء الرجال بفكر واحد وانقاص ما بينهم من فروق وتركيز فكرة الجماعة والحصول على أقصى ما يمكن من التعاون الارادى (٢) .

ذلك الاطناب الذى استعان بعنوان جوهن ريد لم يكن سببه نجاح عسكرى . ولكنه كان يمجد نظاما جديدا تراءى من وراء الهزيمة : تجربة مجتمع جديد قد لا يبنى على نطاق واسع الا أنه يقام بتمامه ودون تداخل ، بحماية قوة مسلحة .

لم يكن ماوتسي ـ تونغ وحده صاحب الفكرة القائلة بوجوب ايجاد جيش للحزب فهى تسود حيثما تتحقق الثورة السياسية على نطاق واسع . كما أنها تدين ببعض الاقتباس من تقليد صينى قديم لدى الثائرين (٣) . الا أن فكرة ماو الأصلية التى ربما تكون قد نشأت فى قصبة وينشياشيه ، كانت فكرته المتعلقة بالقواعد : خلق مجتمع صغير ، منعزل تمام الانعزال ويحميه الجيش ، يتكون الناس فيه على نحو يختلف عن تكوينهم فى أى مكان آخر ويحيون حياة مختلفة ومن ثم تصور أن هذا المجتمع يمكنه الدوام وأنه يوفر للناس فيه الحياة مدة طويلة جدا دونما احتكاك يذكر مع الخارج الا مباشرة المعارك .

ولمدة عشرين سنة بعد ذلك لم يغادر ماوتسي ـ تونغ هذا العالم الصغير الذى خلقه لرفاقه . وعلى حين كان كثير من الزعماء الشيوعيين يعيشون عيشة العصر فى شانفهاى وفى تينتسين أو فى أى مكان آخر ، معرضين للانحناء للمخاطر المحتملة ابقاء على حياتهم ، فان المسألة التى كانت تواجه ماوتسي ـ تونغ كانت أكثر بساطة : الدفاع بجيشه عن مجتمعه المثالى وتثقيف شعبه .

كان الحزب ضعيفا جدا فى القواعد من حيث العدد : فقد أصبح أعضاؤه الذين تبعوا الثائرين الى الجبال ، قليلين آخر المطاف . ولكى يتمكن من القيام بدوره بين الأهالى وجب على الحزب أن يجعل الجيش امتدادا له . موع وجوب بقاء هذا الجيش خاضعا للسلطة القائدة ، وأن يحترم « وحدة القيادة » . وكان الجيش ، وهو يحمى حدود القواعد ، يستخدم فى داخلها لحماية

---

(١) ماوتس ـ تونغ ، **مختارات** ج ٣ من الطبعة الصينية ص ٩٦١ .

(٢) انظر القانون الزراعى فى شينفكانفشان ، ديسمبر ١٩٢٨ فى **اجيا كيزاى جومبو** رقم ٧٣٢ طوكيو ١٩٦٨ ص ٢٥ و ٢٦ .

(٣) جماعات صغيرة خارجة عن القانون و « قطاع طرق بشرف » .

سوفييتات الفلاحين بتفويض من الحزب . ولكنه لم يكن يحكم البلاد : بل يمثل « وحدة القيادة » .

لقد أتاحت هذه الخاصية لجماعة قليلة العدد من القادة السياسيين ــ منبثقين من صميم الشعب ونادبين أنفسهم لتربية الشعب ــ أن يمدوا عمل حكومتهم الى الادارة المحلية ، حتى بحزب صغير العدد جدا . فهى الخاصية التى تحقق ما يسمى الناقلة فى الرياضيات . انها فى النظام المساوى وقف على الجيش ، الا أنه يمكن لمؤسسات أخرى أن تتميز بها . فمن المهم أن ندرك ، فيما بعد ، أن اللجان الثورية لا تملك السلطة القائدة ولكنها تجسد « وحدة القيادة » وأنه ينبغى لها أن تكون قابلة للتأثير من الأعلى . اذ أن التفسير المتحيز لانشائها ، الذى يطالب لهذه اللجان بالسلطة المطلقة أوشك أن يفقد الحزب الشيوعى العاقبة الملائمة للثورة الثقافية .

ذلك أن مخاطر انحراف السلطة أو سوء تفسير السياسة أو الاستبداد تكون مخاطر جسيمة عندما يتخذ الحزب وسطاء . فمن أجل أمن النظام يجب أن يطرق نقد المرءوسين أسماع الحاكمين . كما يجب كذلك على مأمورى التنفيذ أن يتمكنوا ، اذا اقترفوا الأخطاء ، من اصلاح أنفسهم ومن أن يعاد استخدامها مرة أخرى . وهذا ما يؤدى اليه النقد الذاتى .

ان النقد والنقد الذاتى هما وسيلتان لتربية الشعب دونما تبحر فى العلم ولتقويم الكوادر دونما عقاب وبالنسبة للقلة من قادة القمة السياسيين وسيلة لمعرفة كل شىء . فان أحد الأهداف التى يسعى اليها هو أن يكون المجتمع **شفافا** . ويجب الاقرار بأن الشفافية ، فضلا عن ذلك تسارع فى تقدم الوعى السياسى لدى الشعب وأن المسئولين يتعلمون ، بفضلها ، أن يظلوا نشيطين . وعلى هذا ينبغى « بصورة خاصة الاهتمام بنفض الغبار الذى يعمل على الانسلاخ عن الجماهير » (١) . فليس للنقد والنقد الذاتى من قيمة الا بمقدار مايظلان منهاجا حيا .

خط الجماهير والتربية الجماعية :

كذلك أثار المنهج الذى يدعو الجماهير الى النقد والذى يفضل « غسيل الملابس الوسخة » علنا ، على التطهير المقرر سرا ، العودة ، مؤخرا الى الجدل الماركسى حول **العفوية الثورية** . فمن المعروف أن لينين كان ينكر أن يكون لدى الجماهير عفوية معصومة من الخطأ فى قوة ايحائها ، مدخرة من التربية الممنوحة من المجتمع البورجوازى . الا أن روزا لوكسمبرغ ، على العكس كتبت تقول : « يجب أن يشارك جمهور الأهالى فى جملته ، والا فان جملة من المثقفين المجتمعين حول مائدة خضراء هى التى تمنح الاشتراكية وتصدر المراسيم بتطبيقها .. فالطريق الوحيد الذى يقود الى النهضة هو مدرسة الحياة العامة نفسها » (٢) .

---

(١) « اللجنة الثورية ، انها لأمر حسن ! » ، هونغشى فى ٣٠ مارس ١٩٦٨ : « على هيئة الموظفين كلها التى تشارك فى عمل اللجنة الثورية أن تطبق باصرار خط الرئيس ماو البروليتارى وأن تطبق توجيهاته بصورة نموذجية وأن تكون قاسية على نفسها ومستقيمة مع نفسها وتجاه الجماهير . ويجب القيام غالب الأحيان بالنقد والنقد الذاتى وأن تعير اهتماما خاصا لنفض الغبار الذى يعمل على الانسلاخ عن الجماهير » .

(٢) روزا لوكسمبورج ، مؤلفات جـ ٢ ماسبرو ، باريس .

ويخضع الميل الى أحد ذينك الاتجاهين للمزاج · فكل منهما يقدر ان « ممارسة الاشتراكية تتطلب انقلابا تاما في فكر الجماهير الذى أتلفته عصور سيطرة الطبقة البورجوازية » (١) · ولكن الفارق بينهما هو أن أحدهما ينبع من التفاؤل على عكس الآخر ·

على أنه كثيرا ما أشير الى أن ماوتسي ـ تونغ هو متفائل بصفة أساسية . فهو يؤكد ثقته فى الجماهير : ذلك انها بدخولها الى معترك الحياة السياسية سوف تكتشف السياسة الجيدة · أنه لا يخشى احداث الأزمات · « فللنهوض يضطر المرء للانحناء الى أقصى حد . واذا لم ينحن الى أقصى درجات الانحناء لا يمكنه بعد ذلك النهوض » (٢) وهو يؤثر دعوة الآخرين الى تنظيم أنفسهم بأنفسهم على أن يسن لهم قوانين ويضع الخطط .

غير أنه اذا كانت عفوية الجماهير، فى **فكر ماوتسي ـ تونغ** ، شرطا ضروريا فانها ليست شرطا كافيا · « يجب ألا يحسب رفاقنا بأن الجماهير لا تفقه شيئا مما لم يدركوه هم أنفسهم بعد » وبالمقابل « يجب ألا يحسب رفاقنا بأن كل ما يفهمونه تفهمه الجماهير العريضة كذلك » (٣) ولسوف يكون من **قبيل المغامرة** أن يرغب الانسان فى تحريك الجماهير عندما لاتكون قد «أصبحت واعية » بعد ، ولسوف تمنى بالاخفاق كل رغبة لاكراهها على أن تعمل شيئا ضد مشيئتها .

ان تقدير ما تفهمه الجماهير وما تريده ، قبل العمل، أمر جوهرى اذن . والوسيلة اليه هى الـ « بحث » ـ فنحن نعرف كيف أنشأ ماوتسي ـ تونغ نفسه فى مارس (آذار) ١٩٢٧ بحثا عن حركة الفلاحين فى هونان ، لوضع حد للجدل الدائر فى داخل الحزب حول المناسبة لتعبئة جماعات الفلاحين المسلحة ـ فالبحث يعمل على تصحيح أو تأخير الفعل عندما لا تكون العفوية الثورية يقظة ، والبحث يستطيع كذلك التعجيل بالفعل عندما يكشف عن أن الحزب لم يكن يرى ما قد أصبحت الجماهير تعيه ·

بيد أن للتفاؤل وجهه السيىء · ففى اختلال النظام الذى رافق الثورة الثقافية كان على جميع الصينيين أن يسيروا على هدى **فكر ماوتسي ـ تونغ** وحده ولكنهم لم يكونوا يدركون جميعهم دون شك الفكر . لذلك تخللتها تصفيات للحساب شخصية ، وتارات وانتهاكات بل وسباق الى الملذات ، فقد كلفت الدولة غاليا رحلات الصينيين بالملايين وتوقف العمل وعانت الكوادر كثيرا ، فلا يمكن أن يكون الحساب الختامى لكل هذا زهيدا (٤) · وبسبب غياب الخطة الواضحة فى الشهور الأولى من الثورة الثقافية لم يسلم ماوتسي ـ تونغ من حكم ناقد رماه به بعض أولئك الذين يرقبونه فى الخارج .

---

(١) المصدر نفسه ·

(٢) **تقرير عن التحقيق الذى جرى فى هونان بمناسبة الحركة الفلاحية** ، طبعة اللغات الأجنبية فى بكين لعام ١٩٦٠ ص ١٣ · انظر الملاحظة فى أسفل الصفحة ·

(٣) « فى حكومة التحالف » (٢٤ ابريل ١٩٤٥) **مختارات من مؤلفات ماوتسي ـ تونغ** جـ ٣ ·

(٤) أساهى شيمبون شوزا كينكيو سهيتسو ، **موتاكوتو نو شوزين** ، طوكيو ١٩٦٨ ص ١٧ ·

الممارسة والتقدم :

لقد أراد بعضهم أن يروا فى **فكر ماوتسى ـ تونغ** رسالة للنهوض بالتضحية وبالتقشف . وقد غدت هذه الفكرة شعارات رفعت مثل « بناء البلاد بسرعة واقتصاد » أو مثل « اعتماد الانسان على قواه الخاصة والكفاح بجلد » . وفى الحقيقة ان التوصية بالعمل « على كمال النفس » لتوفير التقدم العام للحزب ، لم تكن ، كما سنرى ، من مذهب فريق ماوتسى ـ تونغ ولكنها من مذهب منافسه ليونشاو ـ شى .

ان الماوية تقدم قليلا من الـ « وصفات » الأخلاقية لكنها تشجع الروح الـ « تجريبية العلمية » التى كانت أحد « الأعلام الحمراء الثلاثة » فى حملة التربية الاشتراكية عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ (١) . فليست المسألة أن نقول للشعب بأن التضحية تتيح له أن يتقبل شروط الحياة التى صاغها العصر للصينيين ، بل على العكس « العمل على أن يعرف تقدم العالم ومستقبله المشرق » (٢) . لذلك فان الأبحاث المتقنة بعناية والفكرة القائلة بأن « الممارسة هى الدرس » يجب أن تساعدا الكوادر على قيادة الجماهير فى الطريق الشاق اليوم ، الذى يقود الى مستقبل زاهر .

والاقتصاد فى الموارد هو أحد الشروط من أجل التقدم التى تعلمها الممارسة اليوم . و «اعتماد الانسان على قواه الخاصة» هو مرحلة فى التحويل الاشتراكى تقود نحو تلاشى الدولة .

ان العنصر الفكرى موجود : فهو يكمل ، كما سنرى فيما بعد ، المادية الديالكتيكية . ولكن دوره ليس فى أن يهيىء الانسان بصورة ملائمة بالنسبة للقوى المادية . وانما يجب أن يتيح للانسان التعجيل فى مجرى قواه . ففى المثل الذى يضربه ماوتسى ـ تونغ « كيف أزاح يوكونغ Yukung الجبال » يضع على لسان بطله ما يلى :

« مهما بلغت الجبال من العلو لن يكون فى وسعها أن تكبر ، فهى تنقص بمقدار كل ضربة معول فيها ، فلماذا اذن لا نتوصل الى تمهيدها ؟ » .

« ومضى يوكونغ ، وهو لايتزعزع ، يضرب بمعوله يوما بعد يوم . الأمر الذى هز السماء فأرسلت الى الأرض ملاكين حملا تلك الجبال على ظهريهما . كذلك ثمة جبلان ضخمان ، اليوم ينيخان بثقلهما على كاهل الشعب الصينى : أحدهما الامبريالية والآخر هو الاقطاع . وقد قرر الحزب الشيوعى الصينى منذ زمن طويل ازاحتهما . فيجب علينا أن نثبت فى مهمتنا وأن نعمل فيها دون انقطاع ولسوف نتوصل نحن أيضا الى تحريك السماء . الا أن سماءنا ليست سوى كتلة الشعب الصينى » (٣) .

٢ ـ فكر ماو . رفض المادية الميكانيكية . الصراع الطبقى :

الهزات المثارة :

ثمة فكرة فى **الكتاب الأحمر الصغير** ص ٢٤٥ من الطبعة الفرنسية ، تسترعى الانتباه لا محالة : « مع الاعتراف بأن المادى ، فى المجرى العام للنمو

(١) مع العلمين الأحمرين الآخرين : « صراع الطبقات » والـ « صراع من أجل الانتاج » .
(٢) « فى مفاوضات شونكينغ » (١٧ اكتوبر ١٩٤٥) مختارات من ماوتسى تونغ .
(٣) « كيف نقل يوكونغ الجبال » (١١ يونيو ١٩٤٥) مختارات من ماوتسى ـ تونغ .

التاريخي ، يحدد الروحي والكائن الاجتماعي يحدد الوعي الاجتماعي فاننا نعترف بل يجب أن نعترف بالمقابل بفعل الروحي على المادي والوعي الاجتماعي على الكائن الاجتماعي والبنية الفوقية على الأساس الاقتصادي . ونحن لا نناقض المادية ، والحالة هذه ، ولكننا بتجنبنا للوقوع في المادية المكنية نبقى باصرار في المادية الديالكتيكية » .

لقد كان أول تفسير متماسك يعطيه للثورة الثقافية « في التناقض » آب (أغسطس) ١٩٣٧ أولئك الذين كانوا يصفونها ، هو ضرورة نقل الثورة الى البنية الفوقية ـ ربما بسبب الأثر المقابل لهذه الأفعال التي يتحقق من مطابقتها ماوتسي ـ تونغ . فالبنية الفوقية هي جملة ما تقيمه الثقافة من بنى فوق الأساس الاقتصادي ، وهي في آن واحد المعلومات ، الحق المدون والعدالة ، التربية ، الفلسفة ، الآداب والفنون ، التسليات والشئون الاجتماعية ، انها مكان الوعي الاجتماعي ومجال المثقفين المفضل . ها هنا يستطيع أن يتحصن الفكر البورجوازي بعد أن تكون الثورة الاشتراكية قد أجريت في الاقتصاد عندما لم تكن البنية الفوقية نفسها قد تحولت بالثورة .

وهكذا يتابع عدد من الحركات الفكرية والبرامج المدرسية والجمعيات والفئات الاجتماعية ، تكوين الأجيال الصاعدة وفقا للافكار والمعارف القديمة الموروثة عن الرأسمالية والمبتدعة لكي يجرى التقدم بانتفاع بعض الجماعات المميزة . فاذا كانت ثمة أفعال راجعة ممكنة فان ثورة مضادة ما يمكنها أن تكون انطلاقا من هنا . وعلى العكس اذا كانت البنية الفوقية بأكملها أصبحت بؤرة الايديولوجية البروليتارية فان هذه الايديولوجية تعمل بالمقابل في المجتمع كله .

بيد أن ما سقناه من شرح هنا لم يكن هو الوجه الوحيد للفكرة التي أوردناها . فهي تنبيء في الحقيقة ، **بمادية مكنية** وتعطى لل « فكرى » بالنسبة لل « مادي » دورا قادرا على أن يعيد وضع النظرية على مائدة المادية الديالكتيكية . وهذا يظهر حرية في الفكر على درجة من الخطورة كافية لكي تستثير انتقادات حامية الوطيس من المنظرين للماركسية أكثر أكاديمية ، وعندما انتشرت الحركة من أجل الثورة الثقافية في الصين نظر بعض المنظرين السوفييت الى هذه الحركة على انها مرض من أمراض المادية .

وقد رغب عدد من **الحرس الأحمر** في الاجابة عليهم . انهم لم يتفوهوا **بفكر ماوتسي ــ تونغ** ولم يطمعوا ، دون شك الا في استلهامه ، لكن تفكيرهم يبحث عن تطبيق لحالات ملموسة ويمكنه أن يكون ذا دلالة وهكذا فان جماعة من ثوريي شانتونغ ، تدعى كهسوان ، دحضت مقالا كتبه نائب رئيس أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي ، فيدوسييف حول « ماركسية وماوية » . فقد كتبت (١) أن الظروف الاقتصادية ، وفقا لرأيه ، تحدد بالتحليل الأخير ، لمن يعود الحكم ، فالحث على القيام بالثورة بطريق العنف يرجع الى الجهل بالمتطلبات الاقتصادية . الا أن فيدوسييف لا يعلم أن الحرب تتيح حل التناقضات ولا يعرف التحولات المكتسبة بالانتقال من السلم الى الحرب وبالانتقال من الحرب الى السلم وهي التحولات التي حللها الرئيس ماو وعلميا .

---

(١) يومية الشعب في ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ .

ذلك ان الكفاح وتوقف الكفـاح يخلقـان انقطاعات فى الأنظمـة التى لولا ذلك لحددتها الظروف الاقتصادية .

فى هذا النص أدخل الماويون الفعل الثورى للبرهان على أن المادية يمكن أن تحول عن المجرى المكنى ولكنهم لم يقابلوا بعد العنصر الفكرى بالعنصر المادى لكى يختبروا كيف يتحدان فى المادية الجدلية . وقد أجرى هذا اللون الثـانى من المحاولة كذلك كما يدل المثل التالى المأخوذ من نشرة ملصقة (١) ، تنتقـد جريدة **الشعب اليومية** ، فى زمن كان يسـمح فيه بكل صيغة من صيغ الفـكر وبكل شكل من أشكال النقد ، حتى نقد الصحف الأكثر رسـمية ، لتكون أكثر اقترابا من فكر ماوتسى ـ تونغ (٢) .

ظل عنوان المقال المنوه عنه : « استلام زمام الثورة والارتقاء بالانتـاج » شعارا من أكثر شعارات الثـورة الثقافية دواما . فهو يعنى أنه يجب أن تدار المعركة السياسية لاعادة بناء المجتمع بصورة مطابقة **لفكر ماوتسى ـ تونغ** والجهد فى مراكز العمل بصورة متواقتة . وكان هذا المقال الافتتاحى فى نظر النقـاد الشباب « تحريفيا » بالفكر . اذ كانوا يعتبرون « تحريفيا » من يقول بأن بنـاء الاشتراكية فى الصين يجب أن يتابع على جبهتين مختلفتين :

ـ الجبهة الفكرية (اصلاح الأفكار القديمة لرفع وعى الشعب فى الثورة الاشتراكية) .

ـ الجبهة المادية (تغيير الطبيعة وتنمية الاقتصاد الاشتراكى) .

ربما كان كاتبو نشرة الحائط على حق ، مقدرين بأن **فكر ماوتسى ـ تونغ** يدحض كل ثنائيـــة مادية ـ فكرية وراغبين فى تطبيقـه على حالتهم . كانوا يطالبون بأن لا تشكل فرق منفصلة للثورة الثقافية وفرق للانتـاج ـ حتى وان كانت تحت ادارة موحدة . وكانوا يريدون أن يكون رجال الحـرس الأحمـر احرارا بالذهاب الى وسط العمال والفلاحين ليعملوا معهم على أصلاح عالمهم السياسى والاجتماعى وعلى احداث هزة يستغلها العمال والفلاحون انفسهم .

الصراع الطبقى :

كان ذهن الثوريين الذين رأيناهم يتحدثون ، قبل قليـل عن الانتقال من السلم الى الحرب ، لتعطيل مبدأ الحتم بالظروف الاقتصادية وحدها، ينصرف بصورة رئيسية ، الى المعركة الطبقية . هـذا الموضوع معروف : ان الصراع الطبقى هو المحرك الدائم للمعركة وهو لا يتوقف أبدا . الا أن الافعال المحكومة بالصراع الطبقى فى زمن القواعد الثورية ، كان ثمنها بصورة خاصـة أن يلحق بالشيوعيين ، عدد جديد من الفلاحين المصممين على الـكفاح ضـد المـلاكين العقاريين والادارة المحلية . ولكن بعـد مضى سـنوات تمرس أثنـاءها فقراء الشعب فى القواعد على الحياة وفقا لشريعة مجتمع جديد فان الصراع الطبقى قد بدل مقياسه وأهم ممثليه . والحقيقة ان الحزب الشيوعى قد ظفر بالنصر وغطى الأرض الصينية الهائلة بما لا يقاس مع مساحة القواعد ، فاذا بأعضـاء المجتمع الصغير المتجانس فى البـداية يجدون انفســهم أقليـة وسـط الكتلة الجديدة . وأظهر المزج الذى نتج عن ذلك خطورة « التناقضـات فى صـميم

(١) ملصقة تينستين ، مطلع ديسمبر ١٩٦٦ .

(٢) افتتاحية **يومية الشعب** بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٦٦ .

الشعب » الى حد ان أعضاء من الحزب صاروا ، بعد ذوبان مناطق رأسمالية واسعة ، يعانون هم أنفسهم تأثير مجتمع لم يكن قط مجتمعهم منذ زمن طويل .

ويحلو لصحافة هذه الأيام أن تروى بأن ماوتسى ــ تونغ قد صاح فى اجتماع اللجنة المركزية بهيئتها الكاملة ، عام ١٩٦٢ قائلا « لا تنسوا الصراع الطبقى ! » كان يريد أن يقول بصفة خاصة لرفاقه انهم اذا فقدوا مجتمعا متأثرا بقوى الملكية ، فان العالم المثالى الصغير الذى بنى فيما مضى خصيصا لهم لا يمكن أن يعاد تشييده ابدا مرة أخرى .

التنمية الاقتصادية :

ان عدم القاء السلاح ابدا فى الصراع الطبقى ، والاعتماد على أفعال تعود الى الأساس الاقتصادى ، هما من المواقف التى تقود الى نظرة للتطور طويلة المدى لا ترتضى بالأفكار العادية التى يبديها الاقتصاديون المحترفون فى التنمية، حقيقة ان المخططين الوطنيين يعرفون جيدا انه اذا كان يجب أخذ التحريض الثورى الذى يمكن أن يحدث أثناء احدى الممارسات بعين الاعتبار ، فانه لابد من ان يعاد النظر فى هبوط عدد معين من عوامل الخطط ، انهم لا يرفضون مباشرة عمل ذلك ولكن بما ان الاضطراب الاجتماعى لا يمكن توقعه على وجه العموم ، وانه يكون من قبيل التحكم تقدير نسبة التأخر عن اللحاق الناجمة عن التوقعات فى العمل أو عن الامدادات بفعل الصراعات الاجتماعية فى حقبة من خمس أو ست سنوات ، ب ١٠ ٪ أو ٢٠ ٪ ، فانهم يفضلون وضع خطة بدون احتمالات . فالاتجاه الأبسط بالنسبة لهم هو اذن أن يتوقعوا نموا مستمرا : فهم يبدون متفائلين لأسباب تكنيكية .

ان الزعيم السياسى الذى يحتفظ بصراع الطبقات تحت تصرفه فى ترسانة الاجراءات ، يرفض بصورة طبيعية فرضية نمو مستمر . فقد أراد بويى ــ بو Poyi-Po ، نائب رئيس الوزراء ورئيس اللجنة الاقتصادية فى الدولة ، فى عام ١٩٦٠ على العكس ، « طرح السياسة الخاطئة للنمو المستمر » (١) الا أنه انتقد بموجب أفكار ماوتسى ــ تونغ . فأظهرت ادانته ان الفكر الماوى لا يدع مجالا « لأولوية العنصر السياسى على الاقتصادى » ، حتى من أجل التنمية لأجل طويل . والاقرار بأن العنصر الاقتصادى ، يمكن أن يبرمج كما لو كان يجب ألا يجتزأ من الحوادث ، يعود الى خلق استعدادات يصبح العقل السياسى انطلاقا منها مهددا بأن يكون محدودا .

وفضلا عن ذلك اتهم بويى ــ بو بأنه أراد تطبيق «المكافآت حسب العمل» وبأنه عارض أمنية ماوتسى ــ تونغ بانقاص الفوارق بين الأجور . فقد ضل السبيل الى المثل الأعلى فى الاقتصاد وفى الحياة البسيطة الذى جعل من القواعد الثورية ، ذلك العالم الصغير الذى ما زالت تبصر فيه خاطرات الذكرى العصر الذهبى .

فالفكر يستهدف جعل جميع فئات السكان مدنيين وريفيين وعمالا وفلاحين وجنودا يحيون حياة متشابهة . وهو يوصى الجماعات المحلية ، فى الوقت الحاضر ، أن تقلل فى انفاق مال الدولة وأن تتعلم تدبير أمورها بوسائلها

---

(١) « جرائم بويى ــ بو المائة والثلاثون » دراسة نشرتها جريدة كيشى هونغشى ، (العلم الأحمر للعلوم والتكنولوجيا) ، ١٨ فبراير ١٩٦٧ .

الخاصة . وعلى هذا تتفق روح التوفير مع الحرص على مطابقة الخدمات العامة لحاجات الجماهير الحقيقية ، بكمية لا حدود لها ولكن بكيفية دارجة :

« ان أحد أسباب الصحة السيئة للكوادر القديمة هى أنهم يحظون بعناية زائدة من جهة اللباس والغذاء والمسكن والنقل . فتأميننا ضد المرض منقول طبق الأصل عن الاتحاد السوفييتى وثمة أطباء اخصائيون يستخدمون أطباء عاديين فقط . انه لسيىء بالنسبة لهم أن لا يروا جميع أنواع الأمراض غالب الأحيان » (١) .

واذ كان ماوتسى ـ تونغ منشغلا بالعمل على تثقيف الجماهير وتنظيمهم فى وحدات انتاج جماعية لكى يزداد مردود العمل فانه لم يهتم بضخامة عددهم ولا بنموهم الاحصائى . فهل كان يمكن مباشرة الثورة الثقافية باحتراس أكثر لو كان انشغاله أشد بهذا الوضع ؟ انه لا يبدو محتملا . فقد كتب ماو فى الحقيقة عام ١٩٥٨ يقول : « فضلا عن ادارة الحزب فان هناك عاملا حاسما هو سكان بلادنا البالغ عددهم ستمائة مليون نسمة فكلما زاد عدد الناس كلما تعددت المناقشات وكلما توفر النشاط والطاقة . فلم تكن الجماهير فى يوم من الأيام متحمسة الى هذا الحد ولم تكن روحهم القتالية والمعنوية مرتفعة الى هذا الحد فى يوم من الأيام » (٢) .

ومن جهة أخرى فان صراع الطبقات لا يمكن أن يوضع على الرف . فالاضطراب ليس أمرا مفزعا ويجب أن ينجم عنه خير . وخاصة ، انه يجب تحويل بنى الانتاج **قبل** تنمية قوى الانتاج : انه أحد تعاليم اللينينية .

٣ ـ الكومونات وتنظيم الدفاع :

الفائدة فى الابداع حيث لم يكن ثمة من شىء :

لقد توجه بخطى ثابتة وهو يفيض حيوية ويتألق صحة الى الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين من الشريحة الدنيا الذين كانوا يقومون بتسوية الحقول . فصافح كلا منهم ويده كلها طين واستمع الى الفلاحين والى الكوادر يتحدثون عن عملهم ، وهكذا علم بأنهم كانوا يقومون بمشروع ضم تعاونياتهم الزراعية فى مزرعة كبيرة . وفى هذه اللحظة كذلك برهن الرئيس ماو على بصيرة ثاقبة عندما قال : « من الأفضل اقامة الكومونة الشعبية . حيث يمكن أن تنظم الصناعة والزراعة والتجارة والتربية والشئون العسكرية ، ويصبح العمل الادارى فيها أكثر سهولة . هذه هى فائدتها » (٣) .

لقد جرى هذا الحادث فى بييوان **Peiyuan** من مقاطعة شانتونغ بتاريخ ٩ اغسطس (آب) ١٩٥٨ . فهو يشير الى أن ماوتسى ـ تونغ يمتدح تجميع الوظائف الاقتصادية والتربوية والعسكرية على مستوى الخلية الابتدائية للارياف . فحول هذه الخلية سوف يثار بأقصى ما يمكن من الشدة تبادل الحجج وأكثر المجادلات بين المحافظين والراديكاليين قبيل اندلاع الثورة الثقافية .

---

(١) « شرح ماوتسى تونغ لزائرين فيتناميين » ٢٤ يونيو ١٩٦٤ .

(٢) « تقديم تعاونية » **مختارات** ألطبعة الصينية ج ١ ص ٥١٨ ـ ٥١٩ .

(٣) **انباء بكين** ١٩٦٨ رقم ٣٧ (١٦ سبتمبر ١٩٦٨) ص ٢٤ ، ٢٥ .

كان الزعيم يقيم دائما على الوحدة الزراعية الأولية كثيرا من المشاريع . فقد أبدى رأيه فى ذلك بصورة بليغة فى نص بعثته الحوادث الجارية من رقاده عندما أعيد نشره بأحرف كبيرة فى الصفحة الأولى من احدى الجرائد التى لعبت فى مناسبات عديدة دور الصحيفة الرائدة للثورة الثقافية (١) .

انه رسالة موجهة الى تعاونية زراعية فى هونان ، كانت قد تميزت بروحها الثورية فى مطلع عام ١٩٥٨ فجعل منها ماوتسى ـ تونغ مثلا يقتدى للبلاد :

« ان الطبقة المتأخرة فى صميم الجماهير قد نهضت بتصميم وهى تبذل وسعها للحاق بالطبقة المتقدمة ، وهذا الواقع يدلنا على أن ثورة بلادنا الاقتصادية الاشتراكية (بالنسبة لهذا الجزء من علاقات الانتاج الذى لم يكن قد تحول بعد تمام التحول) وثورتها السياسية والثورة الايديولوجية والثورة التكنيكية والثورة الثقافية (٢) ، تسير سيرا حثيثا الى الأمام .. فان الفقر والعوز هما أول ما يطالع المرء من صفات صين الستمائة مليون الخاصة . انه لأمر سيىء فى الظاهر ولكنه حسن فى الحقيقة . اذ أن الفقر يدفع الى التغيير والى الفعل والى الثورة . فكل شيء يكون ممكنا على ورقة بيضاء ، فمن الممكن أن يكتب فيها ويرسم أجد ماهنالك وأجمله . » (فى تقديم تعاونية) ١٥ ابريل ـ نيسان ـ ١٩٥٨ .

انه لامتياز أن يكون الانطلاق من الصفر . ومع ذلك هل يمكن أن يخطر على البال كم خطت رسوم وشطبت على أوراق بيضاء ؟

الاستقلال الذاتى التام للكومونات
من أجل الاسراع بالتربية الاشتراكية

فى عام ١٩٥٨ بدأت سلسلة طويلة من تبادل الغمزات واللمزات عندما أسفر مؤتمر رأسه ماوتسى ـ تونغ عن « وجهات نظر حول مسألة الميكنة الزراعية » . لذا فان التوسع فى شرح هذه المسألة هام لأن جميع ضروب السياسات فصلت عليها ، ليس مايتعلق منها بالأعمال الزراعية واستثمارات الدولة وتربية الجماهير التكنيكية ومركزية الحزب والادارة أو لا مركزيتهما فحسب وانما سياسات أخرى كذلك تتعلق بسرعة النمو الاقتصادى وتوزيعه بين المدن والأرياف وبالاستعداد للدفاع .

لقد أوصى هذا المؤتمر المنعقد فى شينغتو Chengtu أن « تعتمد التعاونيات بصفة أساسية على قواها الخاصة لتحقيق الميكنة الزراعية » . واقترح خاصة أن :

« تشترى التعاونيات الآلات الزراعية للاستعمال العام والتراكتورات الصغيرة من أجل استعمالها الخاص ، على حين تقدم التراكتورات متوسطة

---

(١) خصصت وينهوى باو الصادرة فى شانغهاى صفحتها الأولى كلها ل « تقديم تعاونية » فى ١٥ ابريل ١٩٦٨ بمناسبة مرور عشر سنوات على هذه الرسالة .

(٢) لفت النظر من جانبنا .

الحجم للتعاونيات للاستغلال أما كملك لها أو يحتفظ بها ملكا للدولة وموضوعة تحت تصرف التعاونيات أو انها تستغل بصفة مشتركة » (١) .

بعد مضي تسع سنوات كتب **المتمردون الثوريون** من الوزارة (٢) الثامنة للصناعة الميكانيكية منتقدين السياسة التى تلت ذلك ، ان خط ماوتسى - تونغ فى الميكنة الزراعية المقر فى مؤتمر شينغتو قد خربه « خروتشوف الصينى » وفريقه الذين كانوا يريدون تشكيل محطات للدولة من الآلات الزراعية أو تجمعات متخصصة تدار تحت اشرافهم الخاص (٣) . فعلى اثر قرار شينغتو أعطيت الآلات عمليا للكومونات . وكان ٧٠٪ من مجموع عدد تراكتورات البلاد الاجمالى قد أصبح بنهاية عام ١٩٥٨ ملكا لها وفقا لتقصى **المتمردين الثوريين** . ولكن « خروتشوف الصينى » وأتباعه ، بالغوا عن سوء نية فى وصف أخطاء النظام التى لم يكن مبعثها الا عدم تجربة الكومونات فى الصيانة والاستخدام . فاستردوا الآلات من بعض الكومونات بهدف خلق مراكز رائدة ، بل انهم سلبوا فيما بعد ادارة هذه المراكز من الادارات المحلية فى وزارة الزراعة ليسندوها الى تنظيمات ثلاثية تابعة للوزارات المركزية .

كانوا بالطبع يشددون على التكنيك وعلى النمو الذى يمكن تحقيقه فى المردود عندما أوكلت الآلات لهيئة متخصصة وعلى صيانة المعدات التى تجرى بصورة أفضل اذا ما تمت تحت اشراف وزارة صناعية . الا اننا اذا أحسنا تفسير فكرة **المتمردين الثوريين** فى الوزارة الثامنة ، نرى بخاصة ، انهم كانوا يريدون أن يكون النظام مندمجا فى الادارة ، تشرف عليه مؤسسات الحزب ، فى حين كان ماوتسي - تونغ يريد أكبر قدر من الاستقلال للجماعيات الزراعية . وانتهى الأمر بمحطات التراكتورات نفسها الى أن عوملت كأنها مشروعات حقيقية . ومضى الناقدون فى نقدهم يقولون :

«وفى أغسطس (آب) عام ١٩٦٣ ، اقترح المنفذون فى الخط الشورى البورجوازى فى ادارات الزراعة والمياه والغابات أن تحل فى مهلة سنتين محطات التراكتورات التى لم تكن قد استطاعت تعويض خسائرها ولا تزال فى عجز ، بينما تستمر فى نموها المحطات التى كان استغلالها مجزيا » (٤) .

فما دامت المسألة محدودة فى مجال الميكنة الزراعية الخاص فانها تبدو مجرد مسألة تكوين مهنى واستثمارات .

يقال من جهة ماوتسى - تونغ بأن الناس يجيدون التعلم أكثر اذا هم أصبحوا مسئولين حقيقة عن كل ما يخدم عملهم وحياتهم وان الفلاحين اذا عاشوا الحياة الكاملة للعمال والاداريين والمزارعين ، يرفعون بذلك فحسب من حالتهم ليتساووا مع سكان المدن . أما من جهة ليوتشاوشى فيقال بأن الصين

---

(١) **نونغييه شيهسييه** (تكنيك الآلات الزراعية) ١٩٦٧ رقم ٥ (٨ اغسطس ١٩٦٧) « التصفية الكاملة لجرائم خروتشوف الصين وشركاه الحقودة فى التآمر الميكنة الزراعية » تعليقات هيئة تحرير المجلة .

(٢) وزارة الآلات من أجل الزراعة .

(٣) نونغييه شيهسييه شيسو (ذكر سابقا) ١٩٦٧ رقم ٦ (١٨ سبتمبر ١٩٦٧) « كنس احتكار الدولة وترقية المكنة بالاعتماد على قوانا الخاصة » بقلم الفرقة المتحدة فى ٧ مايو من اللجنة المتحدة **للمتردين الثوريين** فى وزارة الصناعة الميكانيكية الثامنة .

(٤) **نونغييه شيهسييه شينسو** ، ١٩٦٧ رقم ٥ ذكر سابقا .

ليست على درجة كافية من الغنى لتقدم الآلات للجميع وان التجارب الفاشلة ضارة للأرياف . غير أن ليوتشاو ــ شي منوف يهاجم فى المبادىء :

« هكذا فانه لكى يدعم من الناحية النظرية معارضته لحركة التعاون الزراعية نبش من الترسانة التحريفية التى خلفها سابقوه أمثال برنشتاين وكاوتسكى وبوخارين ، ذلك السلاح البالى الذى يدعونه : « نظرية القوى المنتجة » . فقد زعم أنه لا يمكن امتلاك القدرة على تقديم أكبر عدد من الآلات للفلاحين واجراء التأميم وتحويل الزراعة الى ملكية جماعية الا بعد تأميم الصناعة » (١) .

كان ليو يخشى من أن يتحقق تحويل وسائل الانتاج والتبادل الى ملكية جماعية ، وهى العملية المنظورة لمرحلة الزراعة الميكنة ، قبل بلوغ هذه المرحلة ومن أن يؤدى الجهد الهائل المطلوب من الفلاحين لزيادة الانتاج فى شروط العمل الجماعى ، الى تنفيرهم قبل الأوان من تحويل وسائل الانتاج والتبادل الى العمل الجماعى . وهذا ماكان يسميه «تقاطع التناقضات بيننا وبين أعدائنا من جهة وتقاطع التناقضات فى صميم الشعب من جهة أخرى» .

فمن وجهة نظر التنمية الاقتصادية ، كما يمكن أن يراها خبير غربى ، ليس ثمة ما يربح فى مضاعفة الاستثمارات بالآلات اذا كانت الهيئة العاملة التى تستخدمها لا تعرف كيف تصونها واذا لم يكن لهـا من أمل البقاء الا حياة قصيرة . كذلك لا يعود توزيع الاستثمارات بين جميع الكومونات الا بربح قليل . وعلى العكس يكون الربح كل الربح فى ادخارها لمراكز صناعية أو لتجمعات متخصصة . وبعبارات أخرى فان التنمية تصبح أسرع اذا وضع أكثر ما يمكن من الرهان على مراكز تنمية رائدة .

ويعتقد ماوتسى ــ تونغ وجماعته أن مثل هذه السياسة تحريفية تغفل النظر فى هدف رئيسى هو انقاص الفوارق بين المدن والأرياف ولذلك فهم يفضلون عليها تنمية أبطأ ولكنها موزعة بالتساوى. وهى سياسة سيئة بخاصة لأننا بالعمل على تركيز الاستثمارات نكف عن تعليم الجماعات الاشتراكية الريفية لأن تتشكل فى خلايا صغيرة قادرة على تموين نفسها بنفسها وادارة نفسها وتصنيع نفسها من أجل حاجاتها فى السلم والحرب وللدفاع عن نفسها .

ما يقال فى الفكر العسكرى :

لابد من أن نشير بداية ان ماوتسى ــ تونغ قال قبل الثورة الثقافية ان الميكنة الزراعية مرتبطة بالاستعداد للحرب .

ففى مطلع عام ١٩٦٦ وفى الوقت الذى كان يجب على الصين فيه أن تعتمد خطة خمسية ثالثة ، كانت قيادة الحزب منقسمة حول مواضيع عديدة . واذ كان الرئيس ماو يطوف فى الأرياف فقد وجه أحاديثه الى مسئولين محليين وبالنظر الى الذين كان يلتفت اليهم ، كان يجب الظن أن ثمة حوادث توشك أن تقع .

---

(١) « الصراع بين الطريقين فى الأرياف الصينية » افتتاحية يومية الشعب ، هونغتشى ويومية جيش التحرير الشعبى بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ . والافتتاحية تذكر تدخلا فى مؤتمر العمل للدعاية بتاريخ ٧ مايو ١٩٥١ .

لقد ذكر ثوريو وزارة الصناعة الميكنة الثامنة أن «الرئيس ماوتسى ـ تونغ زار فى فبراير (شباط) ١٩٦٦ عدة محافظات ومديريات ومناطق ليرسى قواعد خطـة لخمس أو سبع أو عشر سنوات قائمة على لا مركزية الجهـود » (١) • وكانت الفكرة المتبعة هى « نشر الانجازات تدريجيا بالانطلاق من عدد صغير من المواقع التجريبية وتحقيق ميكنة الزراعة اجمالا فى حقبة خمسـة وعشرين عاما»

ففى رسالة تنقل تعليمات ملموسـة حول المنهـاج الذى يجب أن يتبع للميكنة «بلا مركزية الجهود» ، وجهها الرئيس ماو فى شهر مارس (آذار) ، لفت الانتباه الى أن « هذا الموضوع يجب أن يكون مرتبطا **بالاسـتعداد للحرب** وبالمجـاعة كما يرتبط بالشعب والا فانه لن يتحقق بجماسة حتى حيثما تكون الشروط الضرورية مجتمعة» (٢) .

ان مسـألة الميكنة الزراعية هى اذن أهم أيضا من مشـاكل المركزية وتربية الجماهير والتنمية الاقتصادية التى تتضمنها . ففى نظر الرئيس الذى يبحث بأية وسيلة يعطى للخطة الخمسية الجديدة سمات مثيرة ، أن متطلبات الدفاع الظاهرة تتقدم على متطلبات التنمية .

هل يكون الكلام فى الدفاع المنتشر تقدما ؟ كلا اذ انه يعنى تنظيم الأرياف للمقـاومة • فقد كتبت **جريدة الجيش اليـومية تقول** : « لا يجب فحسب اعداد جيش نظامى قوى بل المهم اعداد الميليشيا . وبذلك يجد العدو نفسـه مفتقرا لأية مسـاعدة اذا ما وطئت قدماه أرض بلادنا •• » (٣) وقد أعـادت فكرة التعاون مع العدو ، التى كان يجب تلافى احتمال وقوعها ، شبحى وانغ شينغ ـ ويى وشـين كونغ ـ بو الى الذاكرة ، وهمـا اللذان وقفـا الى جانب الكومنتانغ والحزب الشيوعى أيام الكفاح الأولى ثم أصبحا قائدين ، عميلين ، خاضعين لليابانيين أثناء الاحتلال •

ففى أكثر من مناسبة أعلن القادة الصينيون ، أثناء الثـورة الثقافية ، سواء **للحرس الأحمـر** أو حتى لزائرين أجانب ، مخـاوفهم من ظهـور وانغ شينغ ـ ويى جديد اذا ما اجتاحت القوى الأجنبية الصين • وتجنبا لاستسلام مقاطعات وأقاليم كاملة للتعاون ـ وهو خطر ينبغى النظر اليه نظرة الجـد فى الأرياف التى يكون فيها الوعى السياسى أقل تقدما ـ يجب تسـليحها فكريا واعطاؤها فضلا عن ذلك وسائل تنظيم المقاومة •

واذا كانت البلاد قائمة على مركزية صارمة ، ترتبط فيهـا الكومونات ارتباطا وثيقا بمراكز المقاطعات والاقسام بأكبر المدن فان احتلال العدو لمراكز الادارة الحساسة يوقع المناطق الاقليمية زمنا فى ارتباك حتى تتمكن من تدبير امورها . وعلى العكس ، اذا كانت البلاد بأكملها تتكون من خلايا مستقلة ترخى فى العلاقات مابينها حيث تمر جيوش الاحتلال . وانما لكل منها بؤرة متينة ولا تتكل الا على قواها الخـاصة فى تموين نفسها وصناعة أسلحتها الخاصة ومناوشة العدو فى مكامنه واظهار عجزه عن الاحتفاظ باحتلاله ، فان البـلاد

---

(١) العبارة الصينية كثيرا ما تترجم بـ « اعتماد الانسان على قواه الخاصة » •

(٢) تونغيبه شيهسينيه سينسنو ، ١٩٦٧ رقم ٦ ذكر سابقا •

(٣) يومية جيش التحرير الشعبى ، باب خاص للميليشيا ، افتتاحية بتاريخ أول اغسطس ١٩٦٧ •

عندئذ تكون قادرة على مقـــاومة طويلة الأمـــد (١) • لذلك فان اللامـركزية والتصنيع المنتشر حيثما كان بالتساوى على ادنى مستوى ، والتربية التكنيكية للجماعات الاشتراكية الزراعية الصغيرة ـ وهى تلك التربية الجيدة التى تكتسب من تعلم اصلاح الآلات الزراعية ـ تشكل اذن عناصر تأهب للمقاومة •

« فى حرب عدوان امبريالى ، ليس المهم فى المعركة مايستعمله العدو من أسلحة ، فاننا سوف نملك أقصى المبادأة ، عاملين على الاستفادة من نقاطنا القرية ومن ميزاتنا ، لاجئين الى طرائق متنوعة لكى نكيل له الضربات ولسوف نذلل بشدة على قوة الحرب الشعبية السحرية ، بحيث لانســمح أبدا بكل تأكيد للمعتدين ، أن يعودوا أحياء من بلادنا • » (٢) •

يجب ألا يخشى الشــعب أسلحة العدو • فقد احبط ماوتسى ـ تونغ الفـكر الاستراتيجى السـائد ، القائم منذ عـام ١٩٤٩ ، على توازن الردع ، برفضه للخوف من القنبلة الذرية . اذ أنه يؤكد ، موافقا لكلوزفتز تفـوق الأوضاع الدفاعية بالنسبة للأوضاع الهجومية (٣) •

لقد مجدت الثورة الثقافية فكر ماوتسى ـ تونغ العسكرى وبصـورة خاصة بعد الاحتفال بمرور اربعين عاما على تأسيس جيش التحرير الشعبى . فى أول أغسطس (آب) ١٩٦٧ . حيث قيل ان الماركسـية حظيت بماركس كمفكر قدم للعقيدة أساسها وأفكارها الاقتصادية وبلينين الذى أعطاها أفكارها السياسية وأخيرا بماوتسى ـ تونغ الذى قدم للماركسية أفكارها العسكرية فى الوقت الرئيسى الذى يوشك فيه الكفاح بين الرأسمالية والاشتراكية أن ينمو فى شكل حرب واسعة .

ومـع ذلك لم يكن فكر ماو العســكرى هو المذهب المطلق للحزب قبل الثورة . ويمكن قياس الاختلافات التى كانت موجودة عندما تبحث المواقـع المتخذة فى مسائل لامركزية القيادة وخلق القوى الاقليمية . كان ليوتشاو ـ شى يريد أن يمنع العدو من التقدم فقد كان يقول : « انه لأمر سيىء أن ينفذ العدو الى داخل البلاد » (٤) وكان رئيس الأركان العامة لوجوى ـ شينغ ، الذى كان حينئذ على رأس عمله، يرى أن الاسلوب الواجب اتباعه هو «الوقوف سدا فى وجهه » (٥) •

ولكن الكلام على **فكر ماوتسى ـ تونغ** كقمة من قمم الفـكر العسـكرى الحالى لايخلو من بعض المفاجأة بالنسبة لنا نحن الغربيين . اذ يبدو لنا أن

---

(١) فى مطلع الثورة الثقافية عرض فيلم حرب **الانفاق** ، دالا كيف كان السـكان أثناء الحرب ضد اليابان يلجأون الى تحت الأرض لينظموا انفسهم سرا ويخدعوا العدو ويلاحقوه من الخلف • وكان هذا الشريط السينمائى أحد الأفلام التخيلية النادرة ـ ربما كان عددها لا يتجاوز الاثنى عشر ـ الذى استمر عرضه طيلة الحركة كلها •

(٢) **مجلة بكين** ١٩٦٧ رقم ٤٨ (٢٤ نوفمبر ١٩٦٧) « الفوارق الأســاسية بين الخطين العسكريين البروليتارى والبورجوازى » ص ١٥ •

(٣) انظر اندريه غلوكسمان : **خطبة الحرب** ، الهرن ، باريس ١٩٦٨ •

(٤) **مجلة بكين** ١٩٦٧ رقم ٢٤ « الفوارق الأسـاسية بين الخطين العسـكريين البروليتارى والبورجوازى » ص ١٤ ذكر سابقا •

(٥) المصدر السابق ص ١٥ •

فكر ماوتسي ــ تونغ ليس مناسبا لشروط دفاع الدول المندمجة في القرن العشرين . فكلما كانت الامة متخصصة فى أجزائها وفى مراكزها المنجمية وفى موانئها وفى وحداتها الصناعية المركبة المتصلة بعضها ببعض وفى مناطقها المؤهلة للامتياز وفى أقاليمها المتخصصة بنوع واحد من الزراعة وفى مراكزها الادارية ، كانت متعلقة من أجل حياتها بالصلات بين هذه المركبات وهذه المراكز . وكلما كان لديها عدد من الاجهزة مندمجة وقليلة الثبات ، وجب أن يبعد عنها فعل أسلحتها الدفاعية ضد الهجمات التى يمكن أن تأتيها من بعيدلتضرب صلات هذه الأجهزة وتشلها . لذلك فان الامم المتكونة على هذه الشاكلة تحتاط من أجل دفاعها بشبكات من الاسلحة وباستعدادات استراتيجية معقدة ، متشابكة تهدف الى تأمين الحماية البعيدة .

يبدو أن ماوتسي ــ تونغ لا ينظر مجرد النظر الى المشكلة من هذه الزاوية فقد سبق أن رأينا أنه استبعد ، لاسباب سياسية واجتماعية اسلوب مراكز التنمية الرائدة . واذا كان فضلا عن ذلك يصعب الدفاع عن الاجهزة المندمجة الممتدة فوق مسافات واسعة فان الابسط بلاشك يكون فى انقاص عددها وتضييق اتساعها . ومع هذه البساطة يمكن ارجاع المشكلة الى تدبير المقاومة فى وحدات اجتماعية صغيرة يمكنها فى حالة الغزو الاكتفاء على نفسها وتنظيم أمورها للبقاء . فهى تحس بمرور نيران الدمار وتنزل بها الخسائر ولكنها لن تسلم أبدا .

ولاعداد استراتيجية الدفاع التى ترتكز على هذا النسيج من الخلايا يجب احلال اللامركزية فى الصناعات فى الارياف . فقد قدمت فيتنام الشمالية المثل على ذلك . الا أنها لم تكن بعد قد تلقت ، فى الفترة التى سبقت مباشرة الثورة الثقافية ، الغارات الامريكية الكبرى ولكنها فيما بعد ، سوف تبتدع ماتسميه satanisation اى نقل معدات صناعية من المدن الى خارجها فى المغاور أو فى ملاجىء مؤقتة . وبذلك تلافت مافى مختلف أشكال التموين من نواقص وعوضت عن المواصلات المقطوعة .

أجهزة المشاركة الجماهيرية فى الشئون المحلية

كان المنطق يقضى بأن يطابق لتنظيم أقليمى يبتدع على هذه الصورة من أجل الدفاع تنظيم سياسى أدنى من الحزب . وكان هذا التنظيم موجودا فى فكر ماوتسي ــ تونغ على مستوى الجمعيات الفلاحية . وكل شىء يبدو أنه يشير الى أن الثورة قد باشرت اليوم تحقيقه .

الا ان اللجان الثورية المنبثقة من المدن هى التى شغلت ، بين مؤسسات الثورة الثقافية ، مسرح الحوادث أطول زمن . ففى البداية تركت الثورة آثارها على أطراف الارياف اما أنها كانت هجوما بالغ العنف عليها فصدته الجماهير أو ادانه الزعماء الاشداء أو أن الادارة قد استخدمت كل سلطتها لتحول بينها وبين الوصول الى قلب الارياف . مما جعل اذن ظهور اللجان الثورية المحلية أكثر احترازا من لجان المدن ولكنها أصبحت موضوعا للدعاية فى مارس (آذار) ١٩٦٨ (١) .

(١) ربما بعد أن كان موضوعا للمناقشة فى المؤتمرات التى توالى عقدها من ٢٠ الى ٢٧ فبراير ١٩٦٨ .

فقد صرفت الصحافة ذهنها حينئذ الى ابراز ماكان فى الصيغة الجديدة للادارة من جديد : ان رجال النظام ليسوا رجالا قادمين من بعيد ، فهم يلتصقون بالحقول ويجب عليهم أن يجعلوها فى حالة ملائمة للتنمية الاقتصادية وللاستعداد للحرب (١) . وقد شكلت هذه اللجان الثورية المحلية من عناصر ثلاثة : الفلاحين والشباب الثوريين والكوادر الذين كسبتهم الثورة الى جانبها (وهي صيغة لتحالف ثلاثي من دون الجيش اذ انه لم يكن ممثلا على هذا المستوى ، فقد نابت عنه الميليشيا ولم يكن الميليشيون جنودا) .

وكان من الممكن أن تشكل هذه اللجان الثورية لو أن مشكلة جميع العناصر الضرورية تقدمت لتشارك فيها . ولكن المشاركة العديدة من الجماهير الثورية كان يصعب الحصول عليها . فقد شكا من ذلك شواين ـ لاى نفسه فى خطاب القاه فى ٢ فبراير (شباط) ١٩٦٨ على ممثلى لجان مختلف قطاعات الادارة .

بيد أن ماوتسى ـ تونغ ، لكى يحصل على تمثيل الجماهير الثورية فى المؤسسات المحلية ، قد باشر هذه المهمة منذ عام ١٩٦٤ بالعمل على احياء فكرة جمعيات الفلاحين التى ترجع الى هجمات عام ١٩٢٧ . وكانت **جمعيات الفلاحين الفقراء والفلاحين الاقل من المتوسطين** ، المشكلة فى أماكن معينة وفقا لمشروع توجيهات اللجنة المركزية فى يونيو (حزيران) ١٩٦٤ ، يجب أن تكون بداية ، منظمات مستقلة عن الحزب وعن الادارة .

وبحسب المادة ٣ من المشروع كان فى وسع جميع المزارعين من الشريحة الفقيرة ومن المستوى الادنى من الشريحة المتوسطة ، أعضاء الكومونات الشعبية الريفية ، أن يصبحوا أعضاء فى هذه الجمعيات بعد موافقة الجمعية العامة لفريق الانتاج التابعين له . اذن كان ذلك يجرى من باب التطوع . وكان أعضاء الجمعيات يملكون الحقوق الكاملة فى الانتخاب او العزل من المنظمات الممثلة لمستواهم أو المنظمات من مستوى أعلى ، وفضلا عن ذلك الحق فى ممارسة انتقاداتهم «حتى لمعايب أو أخطاء أى كان من أعضاء القيادة» (قد يحسب الانسان أنه يقرأ نصا كتب بعد عامين من الزمن الذى أرادت فيه شانغهاى وبكين أن تمنحا نفسيهما «كومونات» على غرار كومونة باريس) . «فان ضربوا عقابا على انتقاداتهم بشأن فعالية الفرق أو فصائل الكومونات الشعبية أو بشأن قادتهم يكون لهم حق اللجوء فى ذلك الى جميع المنظمات التى تكون جزءا من البنى » .

لقد كان دور الجمعيات ، بصفة خاصة أن : «تضرب المثل بتطبيق سياسة الحزب والدولة ونظمها بصورة نموذجية بغية أن تلبى بحمية نداءات الحزب والرئيس ماو وتثبت بحزم للاتجاه الاشتراكى » (٢) .

كان ينبغى على الجمعيات الفلاحية اذن أن تشكل نظاما اضافيا لأنظمة الحزب والادارة بل فضلا عن هدف الاشراف على تقدم ملكية وسائل الانتاج ، يكاد أن يقال بأن هدفها كان اعداد نفسها لتلبية نداءات الرئيس ماو ولتنفيذ فكره . الا أن كل شيء يشير الى أن تلك التوجيهات الصادرة فى يونيو (حزيران)

---

(١) انظر خاصة **لجنة بينفكو الثورية** فى برقية بتاريخ٦ ابريل ١٩٦٨ لوكالة الصين الجديدة .

(٢)النص الكامل موجود فى **اجيا كيزاى جومبو** رقم ٦٨١ طوكيو ١٩٦٧ ص ٢٤ وما يليها .

١٩٦٤ **لم تتخط مرحلة المشروع** ولم تتشكل جمعيات على غرار ذلك النموذج الا فى بعض الامكنة وخاصة فى مقاطعات الجنوب . ولم يكن ذلك يجرى دائما بالروح التى ابتدعت فيه .

ومما يحير وجود الشبه بين عدد معين من أحكام هذا المشروع الصادر فى عام ١٩٦٤ ونصوص الدعاية المذاعة فى مطلع الثورة الثقافية (ان البرامج التى تلت الثورة كانت متأثرة بال «تناقضات» التى نمت فى صميم الشعب أثناء مسيرة هذه الثورة يمكن القول ان المشروع الذى كان عليه أن يفضى الى **جمعيات الفلاحين الفقراء والفلاحين الاقل من المتوسطين** كان مماثلا للثورة الثقافية بأهدافه العضوية والاجتماعية مع هذا الفارق الهام وهو أن العملية كان يجب أن تجرى دون نزاع مع الحزب بل لنقل بالاتفاق معه . فهل يمكن الافتراض أن الاتفاق كان يمكن الا يتم وانه عندئذ كان يجب تحدى الحزب .

الفصل الثانى

الحزب الشيوعى المنقسم بين قطبين

ان الحقبة الممتدة من عام ١٩٦٩ الى وقت اندلاع الثورة الثقافية هى حقبة مناوشات فى الحـزب الشيوعى وصراعات مكتومة تتخللهـا نداءات الى الرأى العام • فمن قادة الحزب من يريد اعتبار الأحكام التى بحث موضوعها من جهات عليا ولم تتم الموافقـة عليها تماما بعد ، على الأقل فى شـكلها الذى قدمت به ولا يمكن نشرها الا على شكل مشـاريع قرارات نافذة • بينما يريد الآخـرون العمل على التباطؤ فى نشر المشاريع التى ترمى الى اعادة تسيير برامج قديمة فى وضع وسائل الانتاج والتبادل للخدمة الجماعية أو فى تحويل اشتراكى متزايد ، أو يجتزئون هذه المشاريع لكى لا ينشروا على الدرجات الدنيا الا الأجزاء التى تتسم بطابع ثورى ، أو ينقحون النصوص ، معتبرين ولا شك ان هذا العمل من حقهم طالما انها لم تزل مشاريع • فيغتاظ الأولون عندئذ ويسعون الى اعلام القاعدة بوجهة نظرهم التى بترت ، ولكن هـذا الضرب من الدعاية مخالف للانضباط فى الحزب •

كان تبادل الأسلحة السياسية يجرى دائما وفقا لمخطط مماثل • ويلعب أتباع السلطة فى جهاز الحزب دور المحافظين • بينما يلعب اشـياع الخـط الجماهيرى دور الراديكاليين •

فالراديكاليون هجوميون • يعملون على اسماع أفكارهم بصوت عال عند ما يقدرون على ذلك ، وينتقدون دون ما مراعاة لأصدقائهم ولأعدائهم على حد سواء ويفضلون اظهار عواطفهم على السعى لتوسيع دائرة صـلاتهم ، لا يبـدو عليهم الاكتراث للقوى الضائعة ولا للتحالفات المورطة . أما المحـافظون فيعتصمون بتكتيك المقاومة السلبية وعندما كان يجبرهم احترام الشكل أو ضغط جزء من الرأى العام الذى أثير بحملات الراديكاليين على القيام بعمل ما فانهم يتحركون ولكنهم لايجدون غالبية للقيام بتحولات اشتراكية جديدة .

ذلك ان الغالبية قد تقدر باخلاص ان الانتقال الى الاشتراكية تم فى جوهره وعندما تأخذ بعين الاعتبار مشروعات الراديكاليين ، تقلـل من شأنها فتجعلها اصلاحات صغيرة ما زالت فى مرحلة المشروعات • فيحاول الراديكاليون عندئذ

تعبئة الرأى العام • فاذا تناولت المناقشات التمليك الجماعي لوسائل الانتاج والتبادل والدور السياسى للفلاحين الفقراء فهم يزورون الأرياف اذن • واذا تناولت دخول انتهازيى اليمين الى حومة السياسة ؛ يوجه الراديكاليون الى هؤلاء الانتهازيين بما انهم يحتلون المراكز الرئيسية فى الفنون والآداب ، النقد الأدبى الماركسي ، مستخدمين على أفضل وجه حرية الصحافة التى يتمتعون بها ويسعون الى اتخاذ مواقع فى عالم الصحافة •

فهل يجدى القول بأن جميع المسائل التى تفصل بين الاتجاهين هى مسائل هامة لا يستطيع الشيوعيون تجنب اتخاذ المواقع فيها وأن الانقسام يكتسح شيئا فشيئا الحزب كله ؟

تنظيم الحزب وعمله :

لا يضم الحزب الشيوعي عددا ضخما • فهو يطابق لنسبة ٢٥ الى ٣٠ بالألف من مجموع عدد السكان ولا تزال هذه النسبة أقل كثيرا فى الأرياف منها فى المدن • فليس من النادر ألا يكون فى لواء انتاج مؤلف من ١٫٥٠٠ شخص، سوى ثلاثة الى خمسة أعضاء من الحزب • وهذا عدد قليل لتحريك الجماهير ، لا سيما اذا اعتبرنا عدد وحجم المهام المطلوب القيام بها • ولعل هذا هو الذى دعا ممثلى الحزب فى الجماعيات الصغيرة الى المبالغة فى سلطتهم الشخصية •

ان بنية الحزب تشبه بنية الاحزاب الشيوعية جميعها ويرتكز سير المؤسسات فيه على مبدأ **المركزية الديموقراطية** وينبغى أن تطرح القرارات الهامة على ممثلى القاعدة المباشرين أو غير المباشرين وأن تكون السلطات المكلفة بالتنفيذ منتدبة من قبلها ومسئولة أمامها • والقرارات الحائزة على الموافقة يجب أن تنفذ بدقة •

ان اللجنة المركزية هى الجهاز التنفيذى الأعلى فى الحزب ، تنتخب مبدئيا لمدة خمس سنوات من قبل مؤتمر الحزب • ولكن اللجنة المركزية التى كانت تعمل أثناء الثورة الثقافية كانت توالى انتدابها منذ عشر سنوات تقريبا • ان عليها أن تجتمع بكامل أعضائها مرتين فى العام على الأقل ، بمقتضى نظام الحزب واعادة انتخاب أعضائها الاداريين : المكتب السياسى ورئيسه وسكرتيره • وقد قادت بعض الانقسامات فى الحزب ، عمليا ، الى استدعاء «مؤتمرات عمل» ، الى العدد المختار ، بدلا من استدعاء كامل الأعضاء للاجتماع •

وترتكز الادارة المحلية والحكومة على نظام من المجالس الشعبية ومن « لجان الشعب » ، موازية لنظام الحزب • ومع ذلك تقود لجان الحزب « لجان الشعب » التى تكون فى نفس درجتها أو نفس مستواها • ونحن نعثر على هذا الترتيب نفسه على مستوى مجلس الوزراء أو « مجلس شئون الدولة » اذ يوجد فى مكاتب اللجنة المركزية **ادارات** متخصصة تقود الوزارات • فالهيئات والتكوينات (١) الهامة فى البلاد : الوزارات وهيئات الاركان العامة أو وحدات الجيش والمكاتب والمصانع والبنوك والصحف ••• تقاد اذن عمليا من قبل لجنة

---

(١) « الجهاز » هو جملة المصالح المتعلقة بنفس الادارة السياسية والتكنيكية على مدى البلاد كلها : من صناعة ومواصلات ومالية وتجارة وزراعة وغابات وشئون خارجية ••• الخ •

الحزب المعينة فيها ـ ويقال لجنة الحزب في ال « وحدة » (١) ـ ولكن هــذا يعني بالطبع ادارة جماعية ·

بيد ان الشخصيات الأكثر نفوذا تحتل على وجه العموم ، مركزين هامين من نفس الدرجة في لجنة الحزب وفي « لجنة الشعب » · وفي كل لجنه يوجد مجلس دائم أو جمـاعه مركزية (يسمى في المكتب السياسي للجنه المركزية البريزيدوم) وسكرتيرية يناط بها القيام بأعباء العمل اليومي تحت ادارة المكتب الدائم . ولوظيفة سكرتير اللجنة أهمية رئيسية . اذ يلح ماوتسي ـ تونغ دائما على تكوين الرجال الذين يشغلونها : « يتراوح عدد أعضاء لجنة الحزب من عشرة الى عشرين فهي تشبه جماعة في الجيش وسكرتيرها هو ك « قائد الجماعة » ولكي تنجز مهمتها التي هي القيادة يجب على لجنة الحزب الاعتماد على الرجال من « الجماعة » وتجعلهم قادرين على القيام بدورهم تمام القيام وعلى السـكرتير اذا أراد أن يكون قائدا جيدا للجماعة أن يدرس دون انقطاع وأن يمحص المسائل بعمق ..» (طرائق عمل لجان الحزب في ١٣ مارس (آذار) ١٩٤٩) ·

وما يصح من أجل سكرتير لجنة الوحدة فمن باب أولى أنه يصح من أجل سكرتير اللجنة المركزية · فقـد كان السكرتير العـام تينغ هسـياو ـ بينغ والسكرتير رقم ٢ بينغ شين يملكان سلطة هائلة · كان يدخل في وظائف رقم٢ بصورة خاصة ، اقرار شرعية تخصيص الكوادر لمراكز الحزب · وهكذا كان لبينغ شين من وسائل النفوذ والعمـل ما يتجاوز كثير مسئولياته كرئيس لبلدية بكين ·

واتاحة لتصحيح الأخطاء نظرت أنظمة الحزب في عقوبات محتملة تنزل بالأعضاء · وهـذه العقوبات تبدأ من توجيـه الانذار الى العفو الى توقيفه عن العمل في الوظيفة التي يحتلها في تنظيمات الحزب · ويمكن وضع العضو المتهم في فترة امتحان لا تتعدى السنتين · ويدعى للدفاع عن نفسه · ويمكن في النهاية أن يطرد من الحزب · ولـكن القرارات المتعلقة به لا يمكن اتخـاذها الا باجراءات عليا من الحزب . وليس للجماهير صفة للحكم .

وتفسير قرارات تجميد العضوية وذات الصفة الاختبارية التي يمكن أن تكون لمدة قصيرة كعشرة أو خمسة عشر يوما مثـلا عودة بعض الشخصيات الى الظهور بعد غياب كان قد أثار الشكوك أثناء الثورة الثقافية ·

كان متوسط سن القادة في عام ١٩٦٦ عاليا · اذ كان يتجاوز ســن الستين بالنسبة لأعضاء اللجنة المركزية ولا ينزل عن ذلك قليلا الا بالنسبة للأعضاء المتممين · وكان بعـض الرجال الأقل سـنا ، الديناميكيين ، يبدون قادرين على أن يحلوا محل القادة التاريخيين عند اللزوم : مثل تينغ هسياو ـ بينغ وبينغ شين وتاومشو · فلم تستبق الأحداث واحدا منهم ·

كان الأجنبي يعتبر القادة **المركزيين** كأنهم متحدون ـ فعلى هذا النحو تسمى اللجنة المركزية ، باختصار ، مـع لجـانها وأقسامها المركزية · فضلا عن أن **الكوتيديان دي بوبل (يومية الشعب)** كانت في سـبتمبر (أيلول) ١٩٦٤

---

(١) فالمصنع والمتجر الكبير والوكالة والكومونة الشعبية ·· هي وحدات ·

تقدم ليوشاو ــ شى وشواين ــ لاى وتينغ هسياو ــ بينغ وبينغ شين مع نين بياو على أنهم أقرب رفاق سلاح للرئيس ماوتسى ــ تونغ . ولكن هذه الصفة لا يبدو انها تضفى قط الا على لين بياو .

● **الحملات السابقة للثورة الثقافية :**

● **القفزة الكبرى الى الأمام :**

● **الكومونات الشعبية وسياسة « اعادة الضبط » :**

ان أشهر حملة تقويم أجريت لاخضاع الحزب لـ « تلاحم مع الجماهير » هى حملة عام ١٩٤٢ . فقد قرر ماوتسى ــ تونغ تقويم جميع تصرفات الكوادر السيئة التى دعيت بصورة غريبة « اتجاه الاقدام الثمانية فى الحزب » وهى : النزعة السلطوية ، والمذهبوية والادعاء والخداع والحماقة واللامفهومية والانقطاع عن الجماهير . وحدثت حركات أخرى فى عام ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ وكذلك عام ١٩٥٠ لتشجيع غير الشيوعيين لشرح تفكيرهم فى عمل الحزب من أجل تحريك **الجبهة المتحدة** بين الشيوعيين وغير الشيوعيين .

وفى عام ١٩٥٦ وهو عام على جانب عظيم من الأهمية بما أنه عام المؤتمر الثامن ، جرت عملية كبرى من نوع عملية « بيت من الزجاج » . وحدثت جملة من الاصلاحات فى أجهزة الاستعلامات . ودعت الدعاية الصينيين الى توضيح ملاحظاتهم . فكانت هذه العملية هى معركة المائة زهرة . تكلم فيها المثقفون على نحو خاص ولكن هذه الحملة كانت موجهة الى العمال كما هى الى الفلاحين على حد سواء .

ومع ذلك فان الحركة التى كانت تطلق الحرية للنقد تلقت ضربة توقيف مفاجئة . ربما كانت غالبية الحزب ترغب بالعمل على الكف عن النقد . واستغلت على كل حال خطابا كان قد القاه ماوتسى ــ تونغ ، بتفسيره على طريقتها الخاصة . فقد رأى ادجار فور (١) منذ عام ١٩٥٧ الصفة الدورية للحركات التى من نمط الثورة الثقافية فأشار الى ذريعتها التكتيكية . وثمة مقطع من التقرير الموضوع عن الحل الصحيح للتناقضات فى صميم الشعب خضع للتنقيح قبل أن يقدم للنشر فى افتتاحية يومية الشعب Quotidien du peuple فى ١٤ ابريل (نيسان) .

ذلك أن نظرية التناقضات قد ادمجت فى هذا المقطع بحملة تقويم أسلوب العمل . وهكذا غدت مبتذلة . فعلى حين كانت تؤكد بأن صراع الطبقات فى الشعب لم ينته بعد تماما جعلت كما يلى : « ان صراع الطبقات الذى جرى بيننا وبين أعدائنا على نطاق واسع قد انتهى فى جوهره » وان ما يبقى بالتالى هى التناقضات فى صميم الشعب وأعظمها هو عدم الفهم المتبادل بين الشعب والقادة . فعلى الحزب اذن أن يصلح نفسه وهذا لا يعنى أحدا غيره . « هل وقع منذ هذه اللحظة نزاع فى الاتجاهات ، تنازل من جانب ما أو مجرد تفاهم عام من أجل اللجوء الى صيغة أقرت من قبل ، أى الى «شاهد جيد» اعلانى(٢) ؟

---

(١) ادجارفور : الأفعى والسلحفاة ، جوليار ، باريس ١٩٥٧ ص ١١٠ و ١١١ .

(٢) ادجارفور ــ نفس المصدر .

وعلى كل حال لم يترك السكرتير العام للحزب تينغ هيساو ـ بينغ ـ مجالا لتفسير مادة اللوائح الجديدة التي تعالج الخلافات : « لحق الاختلاف دوره في المسائل اليومية ولكن لا أثر له البتة على المبادىء بل على الفعاليات في المسائل العملية ۰ فقاعدة الحزب هي الايديولوجية الموحدة (١) ۰

وفجأة ، في ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٥٧ ، ربما على أثر وقوع حادث يتسم بشيء من الخطورة يوم ١٢ في مركز الحزب الشيوعي في هانيانغ(٢) بمقاطعة هوبي ، فكان مناسبة لذلك ، أصبحت حركةالنقد الذاتي والانصياع للحزب الذي كان لا يزال يعمل بعد على استرداد ما فقده في المائة زهرة حملة ضارية جدا موجهة ضد منحرفي اليمين ۰

ثمة خطة خمسية جديدة وضعت اعتبارا من عام ١٩٥٨ موضع التطبيق فتزايد النظر أكثر فأكثر الى القضايا انسياسية من خلال خلفية التنمية الاقتصادية ۰ وفي الجلسة الثانية للمؤتمر ، في شهر مايو (آيار) طلب ليو تشاو ـ شي تركيز الجهود على التصنيع السريع وعلى التحديث ۰ فتبنى المؤتمر **الخط العام** لبناء الاشتراكية لبلوغ نتائج » أعظم وأسرع وأفضل وأكثر اقتصادا » ۰ وهكذا كانت القفزة الى الأمام توشك أن تبدأ في المشروعات الا أن نظرات ماوتسي ـ تونغ كانت موجهة أكثر من أي وقت مضى الى الارياف ، لقد حسب بلا شك أن الحالة الذهنية اللازمة للتقدم الاقتصادي يمكن أن تستخدم في زيادة الاسراع بتحويل وسائل الانتاج والتبادل للخدمة العامة في المناطق الريفية ۰

تشكلت الكومونات الشعبية الأولى بمبادرة من تعاونيات لياوينغ وهونان الزراعية ۰ وما لبث مؤتمر العمل الذي عقدته اللجنة المركزية أن عمم التجربة بصورة تشوبها المفاجأة وذلك بتبنيه ، في بيتايهو Peitaho في يوم ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٥٨ قرارا بانشاء الكومونات الشعبية ۰ وشرحت الصحافة العقائدية هذا القرار في عدد من المقالات الأساسية (٣) رمت الى تعميقه ، ولكن مجمل النصوص التي حصلت لم تستطع أن تخفي الجانب الارتجالي في اعدادها خلافا لما حدث في قرار التعاونيات الزراعية الذي اتخذ في نهاية الجلسة الأولى للمؤتمر الثامن للحزب (٤) ذلك أن مسائل هامة مثل عدد البيوت اللازمة لتشكيل كومونة وحيازة الملكية الخاصة على شكل قطع فردية والمساكن الجماعية ومواعيد التنفيذ لم تعالج فيها الا بصورةغير دقيقة، بحيثيخرج

---

(١) روبير غيان Robert Guillain « لتتفتح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة » في جريدة لوموند ٧ مارس (اذار) ١٩٥٧ ۰

(٢) ضاحية صناعية حديثة تابعة لمدينة ووهان Wuhan

(٣) ان نص القرار ، الذي صدر في افتتاحيتين من **يومية الشعب** Quotidien du peuple وثلاث افتتاحيات من **هونغشي** Hungehi (فيما بين اغسطس واكتوبر ـ آب وتشرين أول ـ ١٩٥٨) قد نشر مع لائحة الكومونة الشعبية سبوتنيك في كراسة من منشورات اللغات الأجنبية في بكين تحت عنوان : **كومونات الشعب في الصين** ۰

(٤) كان نتيجة لتقرير قدمه ماوتسي ـ تونغ في ٣١ يوليو ـ تموز ـ ١٩٥٥ استخدم فيه ما لديه من براعة وقدرة على الاقناع ، ولكنه ظل حتى ١١ اكتوبر (تشرين أول) دون أن ينشر (انظر جيلبرت ايتين ـ طريق الصين باريس ١٩٦٢ الفصل العاشر والتاسع عشر) ۰

المرء منها بانطباع وهو ان القرار الحائز على الموافقة هو بصورة خاصة : الاتفاق على تعميم مثل لذلك هو بالفصل مثل كومونة ويهسينغ Weihsing (أى سبوتنك) • وفيما بعد علمنا من تعليقات الصحافة الرسمية أثناء الثورة الثقافية الموقف الذى اتخذه ليوتشاوشى ومؤيدوه من تحويل وسائل الانتاج والتبادل الزراعية للخدمة العامة واذا منحهم الانسان ثقته التامة فلا ينبغى أن يعجب مما كان فى عام ١٩٥٨ من صعوبة للحصول على أغلبية فى اللجنة المركزية من أجل مشاريع ماوتسى ـ تونغ الثورية • فالمقطع التالى ، المختار من مقال فى عام ١٩٦٧ يتعلق بملاحظات كان ليوتشاوشى قد قدمها قبل تلك الفترة بمناسبة قرار شانسى Shansi حول **زمر المساعدة** المتبادلة •

وفى غضون ذلك كتب خروشوف الصين ـ دون علم من الرئيس ماوتسى ـ تونغ ، بلهجة حاقدة على هامش أحد التقارير : « عندما يكون الاصلاح الزراعى قد تحقق وتكون التنمية الاقتصادية تمت تبدأ الاتجاهات الى الرأسمالية والى تمييز الطبقات فى الظهور فى الريف • فقد وجد من الرفاق ، فى داخل الحزب ، من يشعر بازاء بروز هذه الاتجاهات العفوية الى الرأسمالية وأمام هذا التمييز الطبقى بالمخاوف ويسعى الى التحذير من وقوعها والحيلولة دون نمو هذه الظاهرة • هؤلاء الرفاق يحسبون انهم قادرون على استخدام زمر التعاون المتبادل وتعاونيات التسويق والبيع لهذه الغاية » بل أبان بعضهم الرأى التالى : « يجب زعزعة الملكية الخاصة بالتدريج واضعافها وازالتها وتحويل جماعات التساعد (المساعدة المتبادلة) فى الانتاج الزراعى الى تعاونيات انتاج زراعى فعلى هذا النحو سوف تظهر قوى جديدة قادرة على التغلب على العوامل التى تولد الاتجاه العفوى لدى الفلاحين الى الرأسمالية » • تلك هى وجهة النظر الخاطئة ، الخطرة ، الطوباوية (١) ، المتعلقة بالزراعة •

هذا النص من شأنه التأكيد على أن هؤلاء وأولئك من القادة كانوا يسعون الى وسائل عمل مختلفة وان كان ذلك انطلاقا من تشخيص واحد •

فالموافقة على الكومونات الشعبية ك «شكل للامركزية الاقتصادية والادارية والثقافية والعسكرية •• تجربة لحكم الشعب نفسه بنفسه وللتنظيم المحلى لجميع أوجه الحياة الاجتماعية » ، تمت مع هذا فى اجتماع اللجنة المركزية بكامل أعضائها التى تلت (٢٨ نوفمبر (تشرين الثانى) ـ ١٠ ديسمبر (كانون الأول) ، فى ووهان) • ولكن اللجنة أرجأت « حقبة الانتقال بين الملكية الجماعية وملكية الشعب بأكمله » الى خمس عشرة أو عشرين سنة ان لم يكن أكثر ، بدلا من ثلاث سنين أو عشر سنين (Peitaiho) • وأخيرا قبلت أمرا لا مثيل لأهميته ، وهو اقتراح ماوتسى ـ تونغ ، التخلى عن رئاسة الجمهورية والاحتفاظ برئاسة الحزب •

أما الكومونات الشعبية فقد وجب مرور زمن طويل كذلك حتى تأتى النصوص المنظمة لتؤيد انشاءها ، وعلى الرغم من أن عددا هائلا تماما من

---

(١) يومية الشعب وهونغشى (٢٣ نوفمبر ـ تشرين الثانى ١٩٦٧) : « الصراع بين الطريقين فى الأرياف الصينية » • فالنص الذى أعلنه ليوتشاوشى هو بحسب هذا المقال قرار لجنة الحزب الشيوعى فى مقاطعة شانسى Shansi تحت عنوان : « نقل زمر التعاون المتبادل فى الاقليم القديم المحرر الى مرحلة جديدة » •

الكومونات قد تكون فى الانطلاقة الأولى (١) لم تظهر النصوص المنظمة لها ـ حتى انها كانت لا تزال مؤقتة ولم تصحبها القوانين ، الا فى عام ١٩٦١ بعد تغيير السياسة الاقتصادية والاجتماعية التى دعيت ب « اعادة الضبط » ويجب ألا نعجب في هذه الظروف من أن هذه النصوص التي ظهرت على شكل ثلاثة مشروعات وثلاثة مشروعات مضادة (٢) . ثم نشرت ثلاث مرات متتالية ، لم تستطع التعبير عن الالهام الراديكالى الدافع للأفكار الاولى .

وفى تلك الأثناء حصل اجتماع جديد للجنة المركزية بكامل هيئتها فى لوشان ، فى أغسطس (آب) ١٩٥٩ وهو الذى حدد بعض التفاصيل فى تنظيم الكومونات الشعبية (٣) ، وحيث نوقشت بعمق رسالة موجهة من وزير الدفاع بينغ تيه ـ هوى تنتقد الأخطاء المرتكبة فى القفزة الكبيرة الى الأمام وسياسة تحويل وسائل الانتاج والتبادل للخدمة العامة . وقد ادين بينغ تيه ـ هوى وشخصيات أخرى بأنهم انتهازيو اليسار وهو ما كان يرمى الى اعادة وحدة الحزب ولكنه ربما كان على المدى الطويل يتفاقم انقسامه .

ولم يكن ليوتشاوشى مقتنعا بأن موقف بينغ تيه ـ هوى كان يبرر تبريرا كافيا ادانته : كان يمكنه أن يقول : « لقد جعلتنا القفزة الكبيرة الى الامام عام ١٩٥٨ وعام ١٩٥٩ أن نزيد فى الكم فحسب وأن نضيع الوقت (٤) . وأن ماوتسى ـ تونغ على هذا النحو قد وصف بانتهازى اليسار شخصا لم يكن على اتفاق مع القفزة الى الأمام » .

فشواين ـ لاى نفسه ساوره بعض التردد كما اعترف فيما بعد قائلا : « كانت لى أنا نفسى مسئولية فى مقاومة القفزة الى الأمام عام ١٩٥٦ ولكننى نقدت نفسى » (٥) .

وفى النهاية دافع عن « القفزة » حتى بعد أن دخل مأزقا صعبا : « ففى تقريره الى اللجنة الدائمة للمجلس الوطنى الشعبى (ابريل ـ نيسان ـ ١٩٥٩) أعلن شواين ـ لاى أنه يجب علينا « الامتناع عن اظهار أدنى استخفاف بالحملة الجماهيرية التى أطلقت العام الماضى من أجل انتاج الحديد والصلب أو عدم الاعتراف بالأهمية الكبرى التى تقدمها مجموعات صغيرة من الأفران العالية للانتاج المقبل من الحديد والصلب .. » (٦)

---

(١) « حتى نجند ٩٠٪ من الأهالى الريفيين فى نهاية عام ١٩٥٨ » ـ مارتا اينجيلبوبورفس ـ بيرتلز ورنيه ديكيرز : جمهورية الصين الشعبية ، كوادر تأسيسية وانجازات ـ جزء أول ص ٢١ .

(٢) مايو ـ آيار ـ ١٩٦١ (مشروع ، يونيو ـ حزيران ـ ١٩٦١) (مشروع منقح) سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٦٢ (مشروع منقح) ان نص المشروع الثانى موجود فى اجياكيزاى جومبو Ajya Keizai Gumpo رقم ٦٩١ وما يليه طوكيو ١٩٦٧ ص ٢٢ .

(٣) تأكيد مستويات الانتاج الثلاثة : زمرة انتاج ، لواء انتاج ، كومونة شعبية . فزمرة الانتاج تطابق جماعة من الأسر أو غربة . ويضم لواء الانتاج حوالى ألف شخص أو أكثر بقليل .

(٤)موتاكو تونو شوزين Matakuts No Chasen طوكيو ١٩٦٨ ، ص ١١٩ ـ ذكر سابقا .

(٥) هسينفهوا شانتوتوى Hainghua Chantautui من الكلية الثانية فى جامعة الهندسة ببكين، وقد ذكر فى اعلان حائط مؤرخ فى ١٢ ابريل ـ نيسان ـ ١٩٦٧ مؤتمرا لرئيس مجلس الدولة مع اللجنة الوطنية الاقتصادية ولجنة التخطيط الوطنية فى ٦ ابريل ـ نيسان ـ ١٩٦٧ فى بكين .

(٦) « صناعة التعدين الصينية » ، وثائق رئاسة المجلس ، باريس ، ١٢ نوفمبر ـ تشرين الثانى ١٩٥٩ ـ ملاحظات ودراسات فى الوثائق رقم ٢٥٩١ ص ٢٢ .

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ عقدت الجلسة التاسعة للجنة المركزية الثامنة بكامل هيئتها وتحققت من الفشل النسبي الذي منيت به تجارب القفزة الى الأمام في عدد معين من المجالات • وقررت انقاص مستوى البناء الأساسي و « اعادة ضبط » وتيرة النمو الاقتصادي (١) •

ويكاد يكون من المؤكد ان هذه القرارات قد اتخذت تحت ادارة ليوتشاو – شي • ويقال ان ماوتسي – تونغ لم يشهد هذا الاجتماع • وعلى أثر ذلك تبنت الادارة سياسة اقتصادية فقدمت اعتبارات الحالة الانتاجية على غيرها وفضلت مكافآت الانتاج وجعلت امتيازات للفلاحين ومن قبيل مقاومة الاتجاه الى اللامركزية الذي تميزت به الحقبة السابقة ، عززت الـ « ادارة العمودية» وعندما قام الثوريون فيما بعد بتحقيقاتهم عن حوادث هذه الفترة كان المؤتمر الذي دعي بـ «مؤتمر البناية الغربية» بصورة خاصة هو موضع غضبهم(٢) •

في هذا الاجتماع ، الذي ربما حدث في بكين في مطلع عام ١٩٦٢ ، كان حاضرا ليوتشاوشي وتينغ هسياو – بينغ وشين يون عضو كالاوايْن ، في رئاسة المكتب السياسي وخبير المسائل الاقتصادية وكذلك حضر بو يي – بو • ومن الممكن أن يكون تقرير شين يون قد قضى بنفاد المواد المخزنة وسوء نظام المصانع وبالافراط في اليد العاملة وبالتكلفة المرتفعة للانتاج وبالتالي بتضخم العملة الذي أحدث ارتدادا في النقود الى الأرياف وبالخطر الناجم عن فقدان مايشتريه الفلاحون بنقودهم . ونتيجة لذلك فمن الممكن أن يكون المؤتمر قد تبنى بصورة خاصة نظام «الشغيلة» المؤقتين و «الشغيلة» بعقود – مع تقرير حافز انتاجي على شكل مكافآت «للشغيلة المؤقتين» – وزيادة عدد التقنيين «دون مراعاة للخط الجماهيري » وتعزيز رقابة اللجنة المركزية المباشرة •

وفي غضون ذلك أعيدت ملكية بعض الأراضي للفلاحين في الأرياف على شكل أحكار فردية – ونعلم فيما بعد أنه جرى ذلك على هذا النحو الى حد اعادة توزيع ثلث مساحة الأرض في بعض الأماكن • وأعيد فتح الأسواق الحرة في كل مكان تقريبا • وتمت الموافقة على تحديد معايير الانتاج على قاعدة الأسرة • وهذا هو زمن « ثلاث حريات وخطيئة واحدة » Santzuyipas فبالنسبة للحريات هي : الحكر والسوق والحق في مشروع خاص صغير ، والمقاولة هي تسليم المنتجات الزراعية الى الهيئة الجماعية • ومن جهة أخرى ظهر المشروع الأخير لقاعدة العمل في الكومونات الشعبية في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ ووزع هذا القانون المتكون من ستين مادة على اللجان المحلية • وكان يجعل من زمرة الانتاج أصغر وحدة مستقلة في قرارها الاداري وكان يرسم بالمقابل أنه ليس في الوسع تغيير هذا النظام طيلة الثلاثين سنة القادمة •

---

(١) **هونغشي** ١٩٦١ عدد ٣ وعدد ٤ •

(٢) أكدت ذلك على الأقل صحيفتان من صحف **الحرس الأحمر** هما Tungponghung التابعة للقيادة العامة الثانية **للحرس الأحمر** عدد ٢٧ يناير – كانون الثاني – ١٩٦٧ ، وذلك في مقال كتبه رجال **الحرس الأحمر** من معهد الملاحة الجوية في بكين ، وجريدة Shoutu Hung Weiping التابعة للقيادة العامة الثالثة **للحرس الأحمر** عدد ٧ يناير – كانون الثاني – ١٩٦٧ في مقال كتبه رجال **الحرس الأحمر** من المعهد المركزي للمالية والتسليف •

تكاد زمرة الانتاج أن تكون هي «العزبة» على أن انتاج الاشخاص العاملين في مزرعة واحدة في جماعات صغيرة أو اقتنائهم معا ، كزمرة محراثاً واحداً أو اشتراكهم في دراجة واحدة ، هو بالنسبة للفلاحين الصينيين الذين عرفوا دائما أشكالا من التعاون بين سكان العزبة والحي ، عادة موروثة . فباحياء عادات ملكية جماعية بالتأكيد على هذا النحو ، لكنها كذلك قريبة بقدر الامكان من الجماعة الأسروية وبضمان دخول خاصة للفلاحين بفضل نظام **نقط العمل** بمبيعاتهم وبشروط الصناعة ، فانما كان يراد بذلك ممارسة سياسة سلم اجتماعي ، باغماض العين عن الفوارق الطبقية .

بعد الاجتماع العاشر الموسع للجنة المركزية :

عقد الاجتماع العاشر للجنة المركزية بكامل أعضائها في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ . ونحسب أن اهتمام ليوتشاو ـ شي وأصدقاءه السياسيين الرئيسي كان في ذلك الوقت توثيق الروابط بين صفوف الحزب وان ماوتسي ـ تونغ وأصحابه استمروا في كفاحهم للعمل على تبني أفكارهم . فجميع الاشارات التي قيلت عن هذا الاجتماع تدل على أنه كان مأساويا .

فعندما أطلق فيه ماوتسي ـ تونغ نداءه : « لا تنسوا أبدا صراع الطبقات» تبينا ، على حد قول أحد المعلقين ان ثمة صراعا كان يجرى وانه «سوف ينعكس لا محالة على الحزب » . ولربما نوى الشطران اللذان كانا يتعارضان ، منذ ذلك الحين انه لابد من التطهير : أحدهما من أجل الاطاحة بالآخر وهذا من أجل تدعيم السلطة في الحزب .

وبعد ذلك بوقت قصير جدا رسم القادة : «حركة التربية الاشتراكية» فكانت حملة سوف يعمل كل شطر على جر الفائدة اليه طيلة السنوات التي تليها اذ رأى البعض فيها خطوة الى الأمام نحو الكومونات الشعبية وحكم الجماهير ورآها الآخرون وسيلة لتعزيز الحزب . ومن المحتمل أن هذه الحركة في مطلع عام ١٩٦٣ لم تكن بعد أخذت اسمها ولا شعاراتها النهائية وانما أهدافها فقط فالشعارات سوف تقتبس من تعليق لماوتسي ـ تونغ على «الوثائق السبع لمقاطعة شيكيانغ التي أحسنت كتابتها والمتعلقة بمشاركة الكوادر في العمل اليدوي » ، المؤرخة في ٩ (آيار) ١٩٦٣ (١) . وهي **صراع الطبقات والكفاح من أجل الانتاج والتجريبية العلمية** . أما اسم الحركة فهو نفس الاسم الذي اتخذته حركة أخرى عام ١٩٥٧ كانت لها شعارات تعليمية أكثر(٢) . وفي الشهور التالية ثمة وقت ثمين بدأ ينقضي وبدا ان سكرتيرية اللجنة المركزية لاتحرك ساكنا . كما أن ماوتسي ـ تونغ وقد تناول مشروعا لجماعته من أجل تطبيق الحركة الاشتراكية في المناطق الريفية ، ربما كان معدا لأول ابريل (نيسان) ١٩٦٣ ، فأعاد كتابته بنفسه وسجله في اجتماع لقادة اللجنة المركزية في ظروف غير معروفة تماما ، في ٢٠ مايو (آيار) ١٩٦٣ وهذه الوثيقة تدعى : « قرار اللجنة المركزية المتعلقة ببعض المسائل عن العمل

---

(١) انظر Pekin information ـ انبـاء بكين ١٩٦٨ رقم ٥١ ـ نقلا عن **هونغشي** ١٩٥٨ رقم ٥ : « الخبراء الفلاحون والثورة في التعليم الزراعي » .

(٢) « احترام القوانين ، فهم العلاقات بين العمال والفلاحين ، فهم العلاقات بين الفرد والجمهور . » انظر **اجياكيزاي جومبو** رقم ٦٩٢ طوكيو ١٩٦٧ ص ١ .

في الأرياف في الوقت الحاضر (مشروع) » ولكن كثيرا ما يرجع اليه كما يرجع الى « التوجيهات العشرة الأولى » (١) • وسوف لا تقره اللجنة المركزية رسميا الا في أغسطس (آب) ١٩٦٦ في جلستها الحادية عشرة وهي بكامل عددها ، تحت نيران الثورة الثقافية • وبذلك يكون قد اقتضى الأمر ثمانية وثلاثين شهرا لفرض ما فيها من أفكار على أكثرية الجهاز الأعلى للحزب •

لكنه وجب ظهور ثلاث روايات متتالية للتوجيهات العشرة • فهل غير جهاز الحزب حقيقة وجهة الهدف الايديولوجي ليضعه على صعيد الأخلاق الاجتماعية دون انتفات الى اتجاه البرامج التي اتفق عليها القادة في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ لتحقيق التربية الاشتراكية ؟ فثمة تنويه خاص بحركة الأمور الأربعة وهذه الأمور الأربعة التي يجب جعلها جيدة كانت في الأصل هي دفاتر السجلات (٢) والثروات ونظام الأجور الزراعية على أساس نقط العمل وادارة المستودعات الجماعية • وفيما بعد جرى تبيان هذه القطاعات على هذا النحو : السياسة والاقتصاد والتنظيم والايديونوجية وهو ما يطابق بصورة أفضل السياسة من أجل الكوادر • وقد اتهم ليوتشاو ـ شي انه يعمل على مراقبة الكوادر بمخبرين بحجة أنه ليس في الوسع حل التناقض بين الأمور الأربعة الحسنة والأربعة السيئة دون تمحيص سري (٣) ، وهو ما كان يعني اعطاء الأولوية لتطهير الحزب ، لا جعل الحزب صحيا بالصراع الطبقي المعلن •

الا أنه يبدو هكذا مضمرا اذ « أستجرت الكوادر الآن وامتحنت وفقا لاختبارات مهيأة » ان تجربة أولى لتطبيق التوجيهات العشرة ، معتبرة ذلك مدخلا اليها ، قد أتاحت تحسين تلك التوجيهات ـ فظهرت ترجمة ثانية لهذه التوجيهات العشرة في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ (٤) • ولم تكن تعد سوى مشروع ولكن كان لابد من أنه لم يوافق أيضا على هذه الترجمة الثانية ، طالما ان ترجمة ثالثة نشرت بعد عام وهي التي يمكن أن تكون قد أعدت من قبل بينغ شين بطلب من ليوتشاوشي • وعلى هذه الترجمة الثالثة انهالت بعد عامين أحد انتقادات الثوريين •

ويمكن أن نلاحظ مثلا ، ان الترجمة الثالثة بدلا من توحيد ٩٥٪ من الكوادر والجماهير لكي يكون الصراع الطبقي مطابقا لما يفهمه الشعب ، كانت تطمع بـ « توحيد ٩٥٪ من الكوادر و ٩٥٪ من الجماهير » كأنها تجعل من أحدهما شرطا للثاني • وبصورة عكسية كانت كذلك تنادي بحل مسألة الأمور الأربعة غير الصحيحة كبداية في وسط الكوادر • ويبدو أن هذه السلسلة

---

(١) انظر المصدر السابق رقم ٢/٧٠١ طوكيو ١٩٦٧ • ص ١٩ و ٣٤ بالنسبة للنص وللبيانات •

(٢) ومما تجدر ملاحظته أن الدائنين كانوا أحيانا يحتفظون بدفاتر الحسابات القديمة بنية استخدامها كمستندات للملكية الخاصة •

(٣) اجياكيزاي جومبو رقم ٦٩٢ طوكيو ١٩٦٧ ص ٢ •

(٤) نفس المصدر ص ٨ والنصان الثاني والثالث لهذه التوجيهات موجودان في نفس المصدر أيضا رقم ٢/٧٠١ •

الثانية من التوجيهات كانت تريد تناول المسألة برمتها كأنها مشكلة تقـــويم وتعزيز للحزب • فقد كتبت **يومية الشعب** ، تنتقد ليوتشاو ـ شي في مقـال صادر في مايو (آيار) ١٩٦٧ ، ما يلي : « لقـد نقل عمدا المحتـوى الطبقي الى الصراع داخل الحزب » (١) •

وفي الفاتح من يناير (كانون ثاني) ١٩٦٥ دعا ماوتسي ـ تونغ الى مؤتمر عمل من المكتب السياسي ورأسه وانتقد ليوتشاو ـ شي • ووضـــع حدا للمســألة باستبدال مجمـــوعات **التوجيهات العشرة** كلهــا **بالمواد الثلاث والعشرين** • فالوثيقة النهـــائية (٢) التي درج وصفهــا على هـــذا النـحو ، ليست مشروعا ، وانما « ملخص لدقائق مؤتمر العمل من المكتب السـياسي للجنة المركزية » • فقد أعيد اليه مفهوم التناقضات بين الاشتراكية والرأسمالية في داخل الحزب وداخل الجماهير التي شطبته النصوص السابقة لكي تشدد على اعتبارات التنظيم •

نجد في المعارضة بين الهـدف الايديولوجي المطابق ل « خط ماوتسي ـ تونغ » وهدف التنظيم المطابق ل « خط ليوتشاو ـ شي » ، موضوع النقـــد الأساسي ، الذي سوف يوجه الى كتاب ليوتشاو ـ شي : **لكي تصبح شيوعيـــا جيدا** وهو الكتاب الذي يعطى عادة في صحافة الثورة الثقافية عنـــوان : **كتاب في استكمال الذات** •

وقد لاحظ المحققون في الحقبة التالية أن ليوتشاو ـ شي عمل على ازالة كل اشارة الى الصراع الطبقي من طبعة الكتاب لعام ١٩٦٢ • وتبينوا وهم ماضون في نقدهم بأنه يضع أعضاء الحزب على هامش تنازع المصالح بين الطبقـــات وانه كان يقول : « ان طرائق أعضاء الحزب المختلفة في مواجهة المشاكل تقود الى حلها بمناهج مختلفة وتعمل على ابراز اختلافات في وجهات النظر وفي الآراء في داخل الحزب • » (٣) • وكان موقفهم على حـــدة يجب أن يعوض باستكمال الذات • ولكن هل كان لأعضـــاء الحزب اذا ما تحـــاشوا التدخل في المعركة من أجل الاشتراكية ، الحق في أن يلعبوا دورا في المؤسســـات المنتدبة من الجماهير لقيادتها وهل يكون في وسعهم أن يصبحوا هؤلاء القـادة المميزين الذين يعبرون عن ارادة الجماهير ليصيغوا منها أوامر ؟

وفي ١٢ فبراير (شباط) عام ١٩٦٦ ، وفي لحظة خطرة من انفصال الحزب الى مركزين ، أعلن قرار ماوي انه كان يجب « تنمية التربية الاشتراكية والعمل على افهام الجماهير بأنه يجب تطبيق المركزية الديموقراطية بعمق وان

---

(١) « ان الصراع الطبقي أمر جوهري بالنســـبة لحزب شـــيوعي » ، **الصين الجديدة** رقم ٥١٢١٩ • لعام ١٩٦٧ (سلسلة في اللغة الفرنسية) •

(٢) « بعض المشاكل التي تطرح نفسها الآن في حركة التربية الاشتراكية في الأرياف » (١٤ يناير ـ كانون الثاني ١٩٦٥) والنص موجود في **آجيا كيزاي جومبو** رقم ٢/٧٠١ طوكيو ١٩٦٧ ص ٦٧ وما يليها •

(٣) الصين الجديدة رقم ٥١٢١٩ • لعام ١٩٦٧ مصدر ذكر سابقا •

جميع انحرافات **المركزية الديموقراطيه** هي اتجاهات سيئة » (١) • وكان يفهم منه أن القادة الذين صيغ نموذج الكمال لديهم من التلميذ والسلطة يخالفون مبدأ المركزية الديموقراطية • ثم لفت الانتباه انعقاد مؤتمرات للعمل حول **المركزية الديموقراطية** فى الوزارات والأجهزة فى شهرى مارس (آذار) وابريل (نيسان) عام ١٩٦٦ • ومن الممكن لتحليل متعمق بعض الشيء أن يبين ان الأمر كان تنازعا .

غير أن مؤلفات ليوتشاو ـ شى كانت موزعة على نطاق أوسع من مؤلفات ماوتسى ـ تونغ • اذ كانت قد ظهرت فى أغسطس (آب) عام ١٩٦٢ طبعة جديدة منقحة أى بعد وقت قليل من الشروع فى تطبيق سياسة التقويم ومن سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ الى يوليو (تموز) ١٩٦٦ طبع ١٤ر٨٩٩ر٥٠٠ نسخة من أعمال ليوتشاو ـ شى مقابل ٦ر٢٦١ر٠٠٠ نسخة من الأعمال المختارة لماوتسى ـ تونغ ، فى الحقبة نفسها (٢) • ربما كان لدى كل عضو فى الحزب نسخة من ليو ، لكن كل فرد منه لم يكن يملك نسخة من ماو •

وقد شجع التقويم كتابا آخرين ، كانوا ، هم ، يسعون الى رجم النظام • فكان تينغ توو ، على سبيل المثال ، يكتب ملتجئا الى النادرة التاريخية :

«كانت حكومة السونغ تحت حكم الامبراطورة الارملة مينغ سون تزداد فسادا يوما بعد يوم • فلم يكن لها على رأسها رئيس وزارة ذكى وقادر ، له تحت تصرفه مساعدون يتمتعون بحس المسئولية للقيام بأعباء هيئة الادارة بحيث كان الموظفون المحليون فى المستويات الدنيا يعملون ما يحلو لهم • وقد نجم عن ذلك ان هذه الحالة اتسعت اتساعا لا حدود له وتعقدت » •

وكان على جهاز الحزب أن يقاتل فى جبهتين : ضد اللامؤمنين وفى نفس الوقت ضد الراديكاليين (٣) واذ وضع فى هذه الظروف اختار ليس فحسب أن يصلح نفسه بالانتظام بل بتعزيز قاعدته كذلك • وهكذا لاحظ المراقبون من خارجه بدهشة ، فى نهاية عام ١٩٦٤ ومدة عام ١٩٦٥ كلها ، ان المكاتب السياسية كانت قد عينت حديثا لمساعدة الادارة فى قطاعات مختلفة كثيرا مثل الصناعة والزراعة والتجارة والمالية .

وكانت الرغبة شديدة فى أن يرى فيها امتدادا للمفوضين السياسيين من الجيش ،كما لو كان لم يعد فى الوسع بعدئذ أن يكون ثمة من خدمة حسنة لبنك أو لمشغل جيد فى مصنع دون مرب سياسى • وشجعت المقارنة بالمفوضين السياسيين كذلك بهذا الواقع وهو ان جزءا من القادمين الجدد كانوا من الجنود المسرحين من الخدمة • فكانوا يبثون **فكر ماوتسى ـ تونغ** كما علم

---

(١) ذكر فى Kechi Champao تاريخ ٢ يونيو ـ حزيران ـ ١٩٦٧ ، ذكر سابقا وهذا المقطع مقتبس من تنبيه صادر عن اللجنة المركزية يتعلق بنشر خطاب ماوتسى ـ تونغ فى مؤتمر العمل الموسع المنعقد فى ٣٠ يناير ـ كانون الثانى ـ ١٩٦٢ • والتنبيه نفسه مؤرخ فى ١٢ فبراير ـ شباط ـ ١٩٦٦ •

(٢) انظر **اجيا كينزاى جومبو** رقم ٦٨٣ طوكيو ١٩٦٧ •

(٣) لقد سبق لنا أن رأينا كيف كان عليه أن يتصرف على الجبهتين المتداخلتين : فعلى الجبهة الداخلية بالمقال المؤرخ فى ١٤ ابريل ـ نيسان ـ ١٩٥٧ الصادر فى فترة **المائة زهرة** ، وعلى الشانئين الذين يرشقونه بنقدهم رد بقرارات مؤتمر البناية الغربية فى مطلع حركة **التقويم** •

انفرد منهم فى الجيش أن يفعل · غير أن هـــذا لم يكن ينطوى على أنهم كانوا قد تغلغلوا فى الادارة من قبل الجيش لبثه : ففى ذلك الزمن لم يكن قد صار فى وسع أحد بعد ، أن يمتنع عن اجلال فكر ماوتسى ــ تونغ ·

واليكم كيف استقبلت صحيفة تاكونغ باو ذات يوم قـــدوم الجنـــود القدماء : « لقد رحب ملايين المستخدمين و « الشغيلة » من التجـــارة والمالية بمقدم الرفاق من الجيش · فكثيرون منهم لا يبالون بالسياسة ولا ينتظرون منها أى خير · وانه لأمر حسن أن يكون بعضهم ضد السياســـة لأنه يمكن تقـديمهم كمثـــل سيىء · فالقادمون الجدد من الجيش لا يعرفون بالطبع كثيرا من الأمور فى التجارة · لذلك قيل لماذا غيروا مهنتهم اذ أن كل شىء جـــديد بالنسبة لهم وما عملوه فيما مضى لا يفيدهم فى شىء · لكنها عاطفة غريبة ، ان الشىء الوحيد الذى يملكونه هو فكر ماوتسى ــ تونغ · وهم يتشبثـــون به بقوة · ولكنهم فى الواقع لم يغـــيروا مهنتهم · لقد ذهبوا فحسب الى مركز جديد · وعليهم الآن أن يعملوا فى الشـــئون التجـارية والشئون المالية وأن يتعلموا سياسة **المركز** ومجلس الوزراء المالية » (١) ·

يكشف المرء هنا وخزة من السخرية · فلا شك فى أنه كان هنـــاك أناس يسرهم أن يقع القادمون الجدد تحت تأثير غالبية جهاز الحزب · فهل كان ذلك يعنى ، من جهة أخرى تسرب أعضاء عاملين أو خطة للمركزية تقـوم على اغراق الجهاز ؟ ويبدو لنا أنه من الممكن استخلاص الجواب من نســـبة العسكريين القدامى التى أدخلت الى الكوادر السياسية الجديدة ·

فوفقا لتاكونغ باو ، (٢) ٥٤٪ من المربين والموجهين السياسيين الجدد كانوا من سكرتيرى الخلايا القدامى و ١٠٪ كانوا قادمين من الادارة و ٣٢٪ فقط من الجيش ·· فالغالبية فى صالح الجهاز كثيرة ويبدو فى هذه الشروط ان الأقرب هو أن تكون فرضية تعزيز رقابات مركزية هى الجيدة ·

ولقد أقيمت خدمات من هـــذا النوع حتى فى المدن **والهسيين** hsiem من أجل تأطير الفعاليات التجارية والمالية · ولكن هذا التعزيز لم يكن محدودا بالوحدات الدنيا فقد وصل الى ادارات اللجنة المركزية ، هذه الأشكال الشبيهة بالوزارات السياسية التى تسيطر على عدد من الأجهزة · وهكذا أضيفت الى أقسام الزراعة والصناعة والمواصلات والتجارة والمالية التى كانت موجـــودة من قبل « ادارة سياسية » لكل منها · وكان هذا الاجراء يحدد النية فى العمل على الحاق الخدمات السياسية الجديدة فى الاقتصاد بجهاز مركزى خاص ·

يشبه هذا كله تطبيق قرارات مؤتمر البناية الغربيـــة ، ان لم تخرج عن حدود الاقتصاد · وهكذا فان الحزب تبعا لدراسة بنياته كان منشغلا فحسب بتقوية نفسه ·

السياسة الثقافية :

كان بعض المثقفين ، فى غضون حملات النقد الدورية الموجهة ضـــد المثقفين المتمسكين كثيرا بأساليب التفكير القديمة ، يسعون الى الانعتاق من

---

(١) تاكونغ باو فى ١٠ مايو ــ آيار ــ ١٩٦٥ ــ نقلته **تحليل اخبار الصين** رقم ٥٨١ بتاريخ ١٧ سبتمبر ــ ايلول ــ ١٩٦٥ ــ يحسن الاطلاع عليها فى هذه المسألة ·

(٢) تاكونغ باو فى ١٦ يونيو ــ حزيران ــ ١٩٦٥ ·

ضغوط الدعاية . فأشدهم فردية كانوا يؤلفون ما يبحث فى الشخصيات المعاصرة ولكن بصورة مموهة مستبدلين بظرف الحاضر أحوالا مماثلة مقتبسة من التاريخ أو من الأسطورة أو مستعينين بالنوادر التى تحمل معنيين . كانوا يطلقون لأنفسهم العنان بازاء الأخلاق الاشتراكية . وعندما تم تبنى سياسة **التقويم** كانوا يتجاسرون على كتابة موضوعات أكثر تهورا .

كان من بينهم ، ووهان Wu Han ، مساعد عمدة مدينة بكين وهو مؤرخ وكاتب مسرحى فى المناسبات ، وتيين هان Tienhan رئيس جمعية المسرحيين فى الصين .

لقد كتب ووهان مسرحية دعيت **اسقاط هاى جوى** كانت تروى كيف أن سيدا من عصر المينغ Ming كلف أحد كبار موظفيه هاى جوى باصلاح الأضرار التى لحقت بالفلاحين الذين جردهم « الاشراف gentry » من أراضيهم ، ثم عزله تحت ضغط مصالح الملاكين المتحالفة . ولما كان هاى جوى قد أولى قضية الفلاحين عنايته كثيرا فانه أصبح خطرا . وعيب المسرحية ـ على حد ما حكم فيما بعد ـ كان فى تأليف شخصية انسان لا واعى بأصوله الطبقية الى ذلك الحد الذى كان يبدو فيه أنه يدخل باخلاص فى خدمة أعدائه الطبقيين . كان ووهان يصف واحدا من الماندران (١) مستعدا للتضحية بنفسه عن تبصر من أجل الفلاحين ، وهذا ما كان وهما أدبيا .

ولم يكن يكفى من جانب آخر أن نحكم على العمل الأدبى على الصعيد الاكاديمى . فقد كانت مسرحية ووهان تخفى أفكارا سياسية خفية . والمسألة على درجة من الجدية بحيث كانت شخصية هاى جوى تمت بالصلات لشخصية بنغ تيه ـ هوى «انتهازى من اليسار» كان قد هاجم الحزب والكومونات الشعبية بزعم الدفاع عن الفلاحين . وكان يبدو على ووهان أنه يرافع عن اعادة اعتبار اليساريين المدانين فى عام ١٩٥٩ . وكان يبدو أنه يؤيد تيارا من الرأى العام كان لابد من أن يؤدى الى عودتهم الى السياسة الفعالة .

وفى أثناء ذلك عمل ووهان على نشر مسرحيته فى **مجلة الآداب والفنون** ببكين فى شهر يناير (كانون الثانى) ١٩٦١ ، أى فى نفس الزمن الذى انعقد فيه الاجتماع التاسع للهيئة الكاملة للجنة المركزية الذى كرس فشل الجهود من أجل القفزة الى الأمام ، وذلك جهلا من ووهان بالانتقادات التى كانت ستوجه بل ربما مقتحما غمارها سلفا . وكان ذلك يكفى المرء ليرى فيه فعلا من أفعال التحدى .

على حين كان كتاب آخرون يقنعون باقتباس مواضيعهم وشخصياتهم من الماضى . وهكذا «عادت الى الظهور على مسرح أوبرا بكين (٢) جمهرة من قصص الاشباح الماضية وتمثيليات مخربة أخرى» ، على نحوماكان يعبر لو تينغ ـ ايى Lu Ting-yi ، مدير قلم الدعاية فى اللجنة المركزية ، حينئذ ، والذى لم يكن يبحث عن أى كلمة لاذعة وهو يتكلم عن قصص الأشباح . فقد جرى الكلام

---

(١) Mandarins هم فئة الموظفين المثقفين فى عهود الصين القديمة .

« المترجم » .

(٢) خطاب لوتينغ ـ ايى فى افتتاح مهرجان الأوبرا فى بكين حول قضايا معاصرة (٥ يونيو ـ حزيران ـ ١٩٦٤) انظر **ثورة كبرى على الجبهة الثقافية** ـ دار النشر باللغات الأجنبية فى بكين ـ ١٩٦٥ ـ .

كثيرا في الصين من عام ١٩٦١ الى ١٩٦٦ عن الأشباح · واللا « أشباح » ، هؤلاء كانوا أبطال الأدب الاقطاعي والبورجوازي المفضلين · أباطرة وجنرالات وموظفين كبارا وأدباء وهم شخصيات غير نافعة اليوم لأنهم « أموات سنياسيا » ومضى ماوتسي ـ تونغ الى أكثر من تطبيق القول على مواضيع المسرح بما انـه أعلن أن عددا كبيرا من الادارات المتعلقة بالثقـافة كان لا يزال بعد في أيدي الأموات (١) ·

وثمة كاتب من الشانئين لم يتردد مع ذلك عن وضع قصة في أغسطس (آب) ١٩٦١ بعنوان « الأشباح لا يؤذون » (٢) نشرها في جريدة بكين المساء وهذا الرجل كان هولياومو ـ شا رئيس قسم الجبهة المتحدة في اللجنـــة البلدية للحزب في بكين · وكان يكتب بالاشتراك مع تينغ توو عضو سكرتارية لجنة البلدية هذه (٣) ، ومع ووهان نبذا على شكل أقاصيص أخلاقية باســم مستعار كان يستتر وراءه المؤلفون الثلاثة (٤) ·

وقد ظهرت هذه النصوص تحت اسم «الأخبار اليوميــة لقرية العائلات الثلاث» (٥) في مجلة لجنة الحزب للبلدية (٦) ، فيما بين أكتوبر (تشرين أول) ١٩٦١ ويوليو (تموز) ١٩٦٤ ، وكان لابد لأسلوب صياغتهـا القارص بعض الشيء ، والذي اكتسب شعبية بسهولة في أوساط المستائين ، من أن يثير عليها ردود الفعل حتى في صميم لجان الحزب المشرفة على عمل التحرير وبعد سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ بدلت «قرية الثلاثة» أسلوبها قليلا ، فقـد تلت القصص القديمة المصاغة بأسلوب طريف ، والشروح الأخلاقية والتربوية والفنية ، مقالات في الشجاعة مثل « أنشودة البترول » تمجيداً لأحد انجازات النظام الـكبرى ، وهو حوض البترول في تاشينغ · وقد قيل فيما بعد : ان « قرية الثلاثة » جنحت الى « تغطية تراجعها » ·

كان تينغ توو ، الذي كان رئيس تحرير يومية الشعب وما زال له دور

---

(١) في « تعليمات الى أوساط الثقافة في ديسـمبر ـ كانون أول ـ ١٩٦٣ » مذكور في Peiching Hungse Hsuan chuanping في ١٠ من مايو ـ ايار ١٩٦٧ ·

(٢) نص مترجم في : اينزان ياوا : مايتشي شيمبونت ياكوبين Enzam yawa, Mainichi Shimbunsha yacauben طوكيو ، سبتمبر ـ ايلول ـ ١٩٦٦ ·

(٣) وعضو متمم لمكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الصين الشمالية · وفي نهاية عام ١٩٦١ كان بينغ شين ، بتشجيع من ليوتشاوشي قد باشر باعادة النظر في توجيهات اللجنة المركزية وفي خطب ماوتسي ـ تونغ المكتوبة فيما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٠ ليخرج منها بـ «قائمة الأخطاء» في ٢٩ بندا ·

ويطلق على هذا الحادث اسم مسألة شانغ كوان ـ لو · وربما كان تينغ توو قد لعب دور الـ « نيابة العامة » أثناء جلســة النقد التي كان يمـكن أن تجرى في هـذه المناســبة (انظر موتاكوتو نو شوزين ص ١٢٨ ذكر سابقا) ·

(٤) الاسم المستعار لوونان ـ هسينغ ·

(٥) اشارة الى قصيدة لوايو (عصر السونغ)

(٦) شيين هسيين (الـ « جبهة ») ·

فى الصحافة ، يكتب منفردا أيضا أبحاثا وأساطير (١) ، كانت تظهر منذ مارس (آذار) ١٩٦١ فى بكين المساء . ولم تدم هذه المساهمة الا الى سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ ، عندما حصل الايضاح القاسى بين القادة فى الاجتماع العاشر لكامل أعضاء اللجنة المركزية .

بيد أنه نشر فى هذه الفترة القصيرة ثلاثا وخمسين «مقالة صغيرة» أطلقت فيما بعد لعنات ياو وين ـ يوان ، اذ انها « كانت تستخدم الماضى لتهجو الحاضر » ولنحكم عليها بداية من هذه النبذة المقتطفة من قصة ، نذكرها هنا فى النص الذى انتقدها فى الأيام الأولى من الثورة الثقافية مع التعليق الغاضب الذى أبداه المتمردون فى الثقافة .

« **فى نوادر آيى تسو الجديدة** يحكى لو شوو الذى عاش فى ظل أسرة المنيغ **حالة فريدة من حالات فقدان الذاكرة** : « كان أحد رجال مملكة شى يبلغ به النسيان حدا بحيث انه كان اذا ما طفق يمشى ينسى الوقوف واذا ما نام مره ينسى النهوض . وكانت زوجته شديدة القلق عليه . فأسرت له قائلة : لقد سمعت من يقول بأن آيى تسو رجل روحانى وماهر ، وأنه يستطيع شفاء الأمراض المستعصية . فلماذا لا تذهب لاستشارته ؟ وأجاب الرجل حسنا جدا ، ومضى ممتطيا جواده متمنطقا قوسه وسهامه ، وما أن قطع مسافة قصيرة حتى استبدت به حاجة ملحة فترجل وغرز سهامه فى الأرض ، وربط جواده الى شجرة ، وبعد قضاء حاجته تلفت شمالا واذ بصر بالسهام ، صاح : أيتها السماء لقد نجوت منها ! فمن أين جاءت اذن هذه السهام ؟ انها كادت تصيبنى ! ثم نظر الى اليمين ولدى رؤية الحصان صرخ مسرورا : لقد انتابنى خوف شديد ولكننى ربحت جوادا . وكان قد داس فى غائطه فضرب برجله وتذمر . يا للطاعون . لقد دست فى براز كلب ولطخت حذائى . فساط جواده وسلك طريق العودة ، واذ صار بباب منزله تردد متسائلا : أين أنا ؟ فهل هذا هو منزل آيى تسو المبجل ؟ واذ أبصرت زوجته حيرته أدركت انه فقد الذاكرة مرة أخرى فوبخته فأجاب الرجل وقد أخذه العجب : اننا لا يعرف أحدنا الآخر يا سيدتى فلماذا تشتميننى ؟ فقد بين هذا الرجل ، ظاهريا عن حالة خطيرة من مرض فقد الذاكرة . **لم يكن القول ممكنا بعد على وجه التأكيد ، الى أية وجهة ينقلب المرض عندما يتطور الى منتهاه : فمن المحتمل أن يصبر جنونا أو عتها .**

« .. ان أحد أسباب فقدان الذاكرة ، بحسب الكتب القديمة فى الطب الصينى ، لا بد من أن يرجع الى عمل ما يسمى بنسمة الحياة ؛ لذلك فان المريض لا يكون مصابا بفقدان الذاكرة فحسب وانما يغدو شيئا فشيئا **متقلب الاطوار** ، ويعانى صعوبة كبيرة فى نطق العبارات ويصبح **نزقا ، غبيا ومجنونا هائجا** . وثمة سبب آخر هو لوثة فى الدماغ . ومن وقت لآخر يصاب المريض بالخبل ويصعد الدم الى رأسه فيحدث أحيانا نوبات من الاغماء . واذا لم يعمل على علاج نفسه فى الوقت المناسب يصير أحمق ، **وعلى من** يكتشف فيه هذه الأعراض أو تلك **أن يلجأ فى الحال الى الراحة التامة** ،

---

(١) كانت تظهر بعنوان : « أحاديث المساء فى اينشان Yenshan » (اسم للسلسلة الصغيرة من الجبال تقع فى الشمال الغربى من العاصمة فى منطقة سور الصين العظيم وهى لابد من أن تذكر الصينيين جميعا ببكين) وكان تينغ توو يكتبها باسم مستعار هو ماونان ـ تون .

ويكف عن الكلام ويمتنع عن القيام بأية فاعلية ، ذلك أنه اذا أصر على الكلام وعلى الحركة يعجل فى حلول المصيبة ·

« ألا يمكن أن توجد طريقة فعالة لشفاء هذا المرض ؟ توجد بكل تأكيد ، فعلى سبيل المثال .. فى لحظة الأزمة **تناولوا اناء طافحا من دم الكلب فصبوه على رأس المريض ثم سكبوا عليه ماء باردا لكى تصبح الأفكار لديه أكثر وضوحا** .. أما وفقا للطب الغربى فثمة طريقة تقوم على **ضربه على رأســـه بدبوس مصنوع على نحو خاص لايقاعه فى حالة من الصدمة ثم اعادته لنفسه** » ·

« معالجة خاصة لمرض فقدان الذاكرة » Chien Hsien نمرة ١٤ ــ ١٩٦٢

التعليق : « تشهد الهجمات التى يتضمنها هذا المقال بجلاء على حقـــــد قاتل على حزبنا العظيم ، فكتب الطب تشير فى أى مكان على أنه من اعراض مرض فقـــدان الذاكرة « أن يرجـــع المريض بكلامه وألا يفى بوعوده » وانه يكون « متقلب الاطوار » ، « غبيا » أو « مجنونا هائجا » · كذلك ليس فيها ما يطرى العلاج بدم الكلب أو بضربات الدبوس ، لذلك فان **نوادر آيى تسو الجديدة** التى كتبها لو شوو تحت أسرة المينغ تمت الى الكتب السياسية الهجائية ولا علاقة لها بالطب ، وتينغ توو يعالج هنا السياسة ولا يعــالج البتة الطب ، فلا مراء فى هذا أبدا » (١) ·

بل ان النص بدا أكثر فجرا وأكثر شينا كذلك ، لأن الاشاعات المتعلقة بصحة ماوتسى ــ تونغ كانت تخطر ببال القارىء ·

من المحتمل أن يكون لياومو ــ شاو تينغ توو وهو الذى قام بنقد ذاتى من أجل الموضوع الذى سماه « حكمة كونفوشيوس يمكن أن تقـــدم بعض الخدمات »(٢) قد وبخا ، فقـــد ألزمتهما لجنة الحزب فى بكينَ بمزيد من ضبط النفس وهو ما يشير الى توقيف نشر المقالات فى سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ · لكنه يكاد أن يكون من المستحيل اضرام سواخط النقد الرسمى ضد شخصيات ذات مقام عال دون ما احداث دوامات خطرة · فقد أغمض الحزب ، فى حملته عينيه ، مما عزز المتباهين بالكفر ، فى حين كان رجـــال **التقويم** يبـــدءون بالتراجع ·

لا يبدو أن ماوتسى ــ تونغ قد شغل نفسه بالمسائل الثقافية الصرفة بنفس القدر من المثابرة فى العمل على انتصار أفكاره فى مسألة الفلاحين ، وعلى الجملة فان أهاجى تينغ توو قد رفعت من السوق بعد أن كتبت بزمن طويل جدا · وقد لوحظ فى بيان شيانغ شينغ عام ١٩٦٧ أنه كان يجب وفقـــا لرأى زوجة الرئيس ماو ترك ووهان لينشر ما كتب قبل الشروع فى نقده (٣) ·

كان الراديكاليون اذن يردون بانتقادات متباعدة على حركة الآراء المعارضة

---

(١) ﺫ ــ أحاديث المساء فى اينشـــــان ــ لتينغ توو ، مجموعة تضمر عداء الحزب وعداء الاشتراكية » قد نشرت لأول مرة فى ١٠ من مايو ــ آيار ــ ١٩٦٦ فى **وينهوى باو** Wenhui Pao و**فى يومية الجيش** ــ دار النشر باللغات الأجنبية بكين ، ١٩٦٦ ·

(٢) اينزان اياوا ، مايفينشى شيمبونشا اياكوبن ، طوكيو ، سبتمبر ــ ايلول ــ ١٩٦٦ ص ٤٠ وما يليها ·

(٣) خطاب شيانغ شينغ فى ١٢ من ابريل ــ نيســان ــ ١٩٦٧ فى الاجتماع الموسع للجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية نشرة الحرس الأحمر لشهر ابريل ــ نيسان ــ ١٩٦٧ ·

بانتقاداتهم ، ولـكن كذلك بالمثـل الذى يضربونه ، فقـد حدث أول مهرجان للأوبرات الجديدة التى تقـدم موضوعات حديثـة فى بكين أثنـاء شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٦٠ (١) ولا بد من القول بأن أوبرا بكين كانت تتمتع بشعبية فى الصين دائما ، فصينيو الشمال ـ وخاصة سكان العاصمة ـ يعبدون هذه التسلية . وكان الفاء هذا الفن يمكن أن يكون دليـلا على قلة الفطنة حتى ان كان شكله يصدم العقل الشورى بتصنعه وبتقليده ، وأفضل ما كان يجب أن يعمل هو «طرد الأشباح» والمضى أكثر فأكثر فى كتابة المسرحيات ذات الموضوع الحديث واقتباس موضوعاته من الحروب الثورية ، «الصراع الطبقى ، الانتاج والبناء منذ التحرير » وادخال التربية الاشـتراكية اليه ، كان يجب ما أمكن الحيلولة بين أوبرا بكين وبين أن تصبح المكان الذى يلجأ اليه للبحث عن ذكرى حياة أخرى ٠

كانت مهمة « العاملين فى الأدب والفن»خلق أوبرات جديدة فىموضوعات الحياة الاشتراكية٠وهكذا صار منها ما يدور حول القفزة الى الامام فى الأرياف، وحول حرب فيتنام وحول الامتناع عن استهلاك فائض الغـلات فى المآدب وحول البط الخاص الذى يسرح فى الأراضى ، ولكن كان هناك كذلك « المصباح الأحمر » وال « شاشيا بانغ » التى أمكن تقديمها كنماذج ٠ لقد أزف الوقت٠٠ فان العاملين فى الفن وهم يخرجون مؤلفات بحسب الطلب تتناول موضوعات عادية لم يكونوا فيها مساقين للسعى وراء الالهام ، قد أنتجوا كثيرا ممـا لا قيمة له لتمتع جمهور صعب وساخر ٠

لقد تكلم ماوتسى ـ تونغ نفسـه مرتين ، فأعطى توجيهـاته فى الأولى فى ديسـمبر ـ كانون الأول ـ عـام ١٩٦٣ (٢) وتكلم لثـانى مرة فى يونيو (حزيران) ١٩٦٤ ، وفى أعقاب المرة الأولى اجتمع ليوتشاوشى وتينغ هسياو ـ بينغ وبينغ شين وشو يانغ (٣) فى اليـوم الثـالث من شهر ينـاير (كانون الثانى) فوافقوا على ايجاد أدب ومسرح اشتراكيين منذ ذلك الحين ، وانمـا بحبالاحتفاظ بالمسرح التاريخى، والقيام بالتمثيل فيه مواز للمسرحالحديث(٤) وبذلك قللوا حجم الاخفاقات ، ليس من دون أن يدعوا فيها بعض التحدى ، وابقوا على المسرح الكلاسيكى ٠

أما توجيه ماوتسى ـ تونغ الثانى فقد جاء مطابقا لفترة احتفال أوبرات بكين بالموضوعات المعاصرة الذى بدأ فى ٥ من يونيو (حزيران) ، فأدان الاتجاه الجارى وقال : بأن سياسة الحزب لم تكن قد طبقت طوال الخمس عشرة سنة الأخيرة ٠

لعلنا نذكر أن ماوتسى ـ تونغ قد عرض بصورة نهائية مبـادىء سياسته فى الأمور الأدبيـة والفنيـة فى تدخـلات بينان ، فى ذلك الحين وجب على ماو

---

(١) انظر ـ The attitude of the cammunist Party to w ards china's cultural legacy par André Travert, Hong Kong, Université Press, Septembre 1961.

(٢) وهو تدخل سبقت الاشارة اليه ٠

(٣) مدير مساعد لادارة الدعاية فى اللجنة المركزية ٠ وقد اعتبر شويانغ زمنا طويلا بما يشبه جدانوف فى الصين ٠

(٤) بيتشينغ هو نفس هسوانبينغ ، ١٠ من مايو ـ آيار ـ ١٩٦٧ ، ذكر سابقا ٠

أن يغضب لسوء استلهام بينان ولقلة الاستشهاد بها كذلك . الا أنه مما تسول له النفس كذلك أن نلاحظ بأن زوجته شيانغ شينغ وهي ممثلة قديمة ، قد عاودت نشاطها بالقيام بنفسها بأعباء اخراج الفرقة نمرة ٢ في أوبرا بكين وأنه كان لابد لماوتسي ـ تونغ من أن يزداد تأثرا باختلافات وجهات النظر في الأوساط الثقافية .

على أنه كانت لدى شيانغ شينغ أشياء يجب أن تقولها ، ذلك أن الفرقة الاولى في أوبرا بكين لم تكن تريد تغيير أسلوبها في التمثيل : فوجب عليها أن تنصرف عنها الى الفرقة الثانية . وعندما أرادت اقتباس **الشرارة في الغاب** لتعمل منها مسرحية اشتراكية حقيقة ، لا تهادن في الصراع الطبقي ـ وهي المسرحية التي تأخذ اسم شاشيانغ ـ لم يصغ اليها (١) .

ما زالت لدى أصدقاء ماوتسي ـ تونغ ضروب عديدة من الملاحظات يبدونها في حالة الفكر السياسية في أوساط الفن والتربية ، فهم يقولون : ان العمال الشباب والفلاحين يخضعون للتمييز في الجامعات . والمدارس التي نصفها دراسة ونصفها عمل ، المطبقة على طريقة الحزب ليست كافية العدد ولا ملائمة تماما لتربية الجماهير ، على حين كان يجب تثقيف أولئك الذين لا يتوقفون أبدا تماما عن العمل في الحقول أو في المصنع ، والهدف الذي يبدو أنه قد حدد ، لا يعدو مزج العمل اليدوي بالدراسة لصالح الطلاب الذين يظلون في كوادر الحزب أطول زمن ممكن ، ومن جهة أخرى فان المدارس التي تقدم كنموذج من قبل لو تينغ ـ يئي وهي : شيا وتونغ ومدرسة البوليتكنيك في هاربن ، ليست سوى نمط رأسمالي أو تحريفي سوفييتي (٢) . وفي السينما تبذر الآراء السامة ولا يعلم **فكر ماوتسي ـ تونغ** تعليما صحيحا ، بل يذكر أن وولينغ ـ هسي ، في يومية الشعب يصدر تعليمات سرية خاصة للتضييق من نشر **فكر ماوتسي ـ تونغ** (٣) .

أما الجيش فانه لم يكن يبذل جهوده لتوسيع الحركة الرامية الى نشر فكر ماوتسي ـ تونغ ، الذي كان هذا الجيش مهدها ، فكانت يومية جيش **التحرير الشعبي** تقود الصحف الأخرى الى تمجيده الى حد كان يبدو في اعين الأجانب أنه يتدفق بلا سدود ، وكان أبطال فكر ماوتسي ـ تونغ يبرزون بعضهم أثر بعض ، فهم : شباب مخلصون ، متواضعون مثابرون على الدرس ، مستعدون للتضحية ، وكانت الدعاية تنظم حملات وطنية لتجنيدهم في الجيش وفي صفوف الشعب . فتاريخهم بسيط جدا : أنهم من أصول بروليتارية وقرءوا

---

(١) انظر في موضوع شيانغ شينغ كوسيئي شودين Kosei Shoden في شوؤكوروون Shuokoran ديسمبر ـ كانون أول ١٩٦٧ وينـاير ـ كانون الثـاني ـ ١٩٦٨ ، شووكورون طوكيو .

(٢) انظر **هونغشي** رقم ٣ لعام ١٩٦٨ « تحقيق في الطريق الذي سلكه مصنع الآلات الميكانيكية في شانغهاي » **انباء بكين** رقم ٣٧ لعام ١٩٦٨ ص ١٦ .

(٣) « حديث موجه الى ادارات نقل الأخبار وفي نظرية جينمين . جيهباولامبريل ـ مايو (نيسان ـ ايار) ١٩٦٤ » عن الافتتاحية المشتركة الصادرة في أول سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ في صحيفتي **هونغشي** و**يومية الشعب** . وولينغ ـ هسي هو رئيس تحرير**يومية الشعب** ومدير **وكالة الصين الجديدة** .

مؤلفات ماوتسي – تونغ وحدهم ، وتقبلوا القيام بأي لون من ألوان الخدمة للآخرين وقد قتلوا أو أصيبوا بجراح خطرة ليجنبوا رفاقهم أو أطفالا صغارا خطر الموت .

يكادون دائما أن يكونوا ضحايا لآلة أو لجهاز تكنيكي وهو ما يرمز الى التقدم ، ويمكن أن يكون سيارة شحن أو بئر بترول مشتعل أو شحنة صواريخ ، وغالبا ماتكون هذه الآلة قاطرة ، فالعالم الحديث يقبل عليهم ثم يقلبهم ويستمر في سيره بلا رحمة بعد المأساة التي جنبت الوقوع في كارثة . ويمكن القول بأن الدرس الذي يجب استخلاصه هو أن الجيل الحالي يجب ألا يتوقع أية فائدة لذاتها من بناء الاشتراكية ، ويجب الا يأمل الاستفادة في السلم من ثمرة جهوده وعليه أن يضحي بنفسه من أجل أولئك الذين يأتون بعده .

وثمة عدد من أبطال هذا النمط يتراوح بين خمسة عشر وعشرين طوال الحقبة الممتدة من عام ١٩٦٥ الى منتصف عام ١٩٦٨ ، أي من ليئي فينغ الى مين هو . وأكثريتهم عسكريون ، الا أن بطلا واحدا يختلف عن الآخرين هو سكرتير لجنة في دائرة فقيرة ، ومريض بالسرطان ، فقد بذل جهوده الى آخرها في مساعدة مرءوسيه على حماية حقولهم من الفيضانات وعلى أخصاب الأراضي القاحلة . ذلك البطل قرأ في نفس الوقت مؤلفات ماوتسي – تونغ وليو تشاو – شي ، وهو يدعى شياو ايو – لو ، ولربما كان ردا على نمط الأبطال الآخرين ، ابتدعه جهاز الحزب ليبرهن على أنه كان من الممكن وجود نماذج أخرى ، أقل سياسة وأكثر اهتماما بالانتاج ، غير أن حظوته تعرضت للخسوف ثم استعادها بعد عام من الثورة الثقافية .

وفيما كانت الدعاية تطلق الأبطال في مداراتهم صار جانب منها يبحث ، في الوقت نفسه ، في مؤلفات ماوتسي – تونغ عن مجالات أخرى يستطيع الناس الأقل ثقافة الاستفادة من قراءتها . وعلى هذا صدرت التوصيات بقراءة « **النصوص الثلاثة القديمة** » : « خدمة الشعب » (يمكننا أن نعيش حياة تكون بأكملها في خدمة الآخرين) ، « ايو كونغ ينقل الجبال » (كن في عون نفسك تكن السماء في عونك) و « في ذكرى نورمان بثون » (من يأتي من الخارج يمكنه أيضا أن يكون صادقا وطيبا) ، ولكن الساخرين لم يوفروا من سخريتهم حتى هذه القيم الأولية . أو لم يقل شينغ تيين – هسيانغ (١) أثناء اجتماع « لجنة البلدية القديمة لمدينة بكين » ان جماعة من العمال في حرفة من حرف النقل كانوا يعبئون سيارة شحن فحما وهم يتلون معا عن ظهر قلب أمام كتلة الفحم قصة : « أيو كونغ ينقل الجبال » ف « بدلا من أن تجعلهم أكثر نشاطا جعلتهم يتباطئون » (٢) .

وعلى الرغم من أن ماوتسي – تونغ كان أكثر عناية بالمسائل المتعلقة بالكومونات وبالتربية الاشتراكية ، فانه في النهاية قد ترك الثورة تنطلق على صعيد الثقافة .

---

(١) عضو سكرتارية لجنة الحزب لبلدية بكين .

(٢) كيشي هونغشي Kechi Hungehi في ١٨ من فبراير – شباط – ١٩٦٧ – ذكر سابقا .

ففى سبتمبر ــ أكتوبر (ايلول ــ تشرين الأول) من عام ١٩٦٥ انعقد مؤتمر موسع لرياسة المكتب السياسى مع مشاركة من قيادات مكاتب اللجنة المركزية لأقاليم الصين الكبرى (١) . لقد اجتمع من أجل دراسة المسألة الفيتنامية وختم أعماله بهذه النقطة الرئيسية ألا وهى أنه كان يجب رفض العمل المشترك للبلدان الاشتراكية من أجل مساعدة فيتنام فى الحرب(٢) . ولكن هذا المؤتمر كان عاصفا جدا : وحالما انفض انسحب ماوتسى ــ تونغ الى شانغهاى ، تاركا المركز ، ويمكننا أن نقرأ فى الـ «تقرير» الذى ينقله عن أحد أعضاء لجنة شانغهاى الثورية ، جون روبنسون الاقتصادى الذى زار الصين بعد عامين ، فى كتابه **الثورة الثقافية فى الصين** ، ما يلى : « أن الرئيس طالب فى عام ١٩٦٥ بادانة ووهان ، نائب عمدة بكين .. » (٣) ويبدو أنه لم يحصل على ذلك .

وفى ١٠ من نوفمبر تشرين الثانى نشر أياو وين ــ ايوان مقالا انتقد فيه بحدة ووهان ، فى احدى صحف شانغهاى وهى **وينهوى باو** التى تصبح فى فترات عديدة فيما بعد صحيفة الثورة الثقافية . وكتب شى بين ــ أيو بعد ذلك وهو خطيب آخر من خطباء الثورة أن : « الثوريين البروليتاريين فى شانغهاى باشروا ــ تحت قيادة الرفيقة شيانغ شينغ ــ نقد اسقاط هاى جوى ... » (٤) ، مؤيدا أن اياو وين ــ ايوان لم يكن يعمل وحده ، وانما فى فريق مع شيانغ شينغ وزمرة قليلة من الراديكاليين .

كان الهجوم موجها ، بصورة علنية ضد بلدية بكين . فاستشاط عمدة بكين بينغ شين غضبا ، وصرح لاياو وين ــ ايوان بقوله : « لماذا لم تخبر عن نشر هذا النص ؟ فماذا فعلت بروح الحزب ؟ » . وكان يمكنه أن يضيف : « لا شك فى أن هذا النقد صادر من الرئيس . فماذا سيقدم هذا ؟ ولكن الجميع متساوون أمام الحقيقة » (٥) .

لماذا تسلم زمام المبادرة فى تلك اللحظة ولماذا قام بها على هذا الصعيد الخاص ؟ فقد قدم أحد الأسباب أياو وين ــ ايوان نفسه الذى كتب أن الخصوم « كانوا يهاجمون بوحشية فريدة ، وقد عملوا على نقل مركز الثقل من العنصر السياسى الى التنظيمى» (١) ربما كان الخصوم فى نظر الماويين قد عززوا تشكيلاتهم الى ذلك الحد الذى سوف لا يمكن معه الابقاء على الصراع على صعيد الأفكار وحده دون المخاطرة بسلامتهم الخاصة ، أما السبب فى اختيار الصعيد

---

(١) نشرة صادرة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى ١٦ من مايو ــ ايار ــ ١٩٦٦ .

(٢) أساهى شيمبون فى ٤ من اغسطس ــ آب ــ ١٩٦٧ طبعة الصباح ص ٣ .

(٣) جون روبنسن : الثورة الثقافية فى الصين ، بينغين ١٩٦٨ ص ٥٠ .

(٤) شى بين ــ ايو . حديث بشأن العيد الخامس والعشرين للتدخلات فى أحاديث بينان مذكورا فى الصين الجديدة رقم ٥٢٤١٧ الطبعة الفرنسية فى ٢٤ من مايو ــ ايار ــ ١٩٦٧ .

(٥) **شينغكانغشان** التابعة **للحرس الاحمر** فى جامعة شينغهوا ببكين ، عدد ٢٧ من مايو ــ ايار ــ ١٩٦٧ ذكر ذلك كونو فى بكين كونو اشينين ، شنبهان شوبانت ، طوكيو ، ١٩٦٨ ص ٣١ .

الثقافى للهجوم فيرجع فى ظاهره كثيرا الى أن ووهان وتينغ توو ولياو مو ـ شا كانوا يجســدون بلدية بكين ، تلك « المملــكة المستقلة » حيث كان الدخول اليها قد أصبح مستحيلا .

انقسام الحزب الى مركزين :

كان عام ١٩٦٦ يبتدىء بانشقاق جماعة القيادة فى الحزب ، ففى مؤتمر العمل الأخير كان أعلى المســئولين قد ناقشوا مســاعدة فيتنــام وهى مسالة سوف تظهر فيما بعد فى زمن زيارة وفد الحزب الشيوعى اليابانى ، فوجدوا أنفسهم على خلاف فى الموقف الواجب اتخاذه بازاء السوفييت بالنظر للقيــام بعمل مشترك ، ومن المعقول أن يكونوا قــد تكلموا كذلك فى الخطة الخمسية الجديدة التى كان يجب أن تبدأ بعام ١٩٦٦ ، واذا ألح قسم منهم من أجل قفزة جديدة الى الأمام فى الأرياف وألح الآخرون من أجل تنمية الصناعات على نطاق واسع ـ ومع الأخذ بعين الاعتبار أن مواقف الطرفين ازدادت تصلبا فان الاتفاق على هذه المسألة كان قد أصبح بدوره شبه مستحيل .

لم يكتب فى أى مكان كان أن الخطة الخمسية الثالثة قد أقرت . فقد أشارت الصحافة أحيانا بأن الصناعة أو الزراعة أو الاقتصاد كانت تكمل الآن السنة الثالثة من الخطة ، لكن هذا لايعنى تماما نفس الأمر ، فلاشك فى أن الوحدات اقترحت كالعادة ، خطة للعام ، تم اقرارهــــا بتعديلات أو بدون تعديلات من قبل مكاتب الحزب : الا أن هذا لا يعادل ما يصنع خطة خمسية، برمجة اقتصادية ذات أجل طويل مشروطة بوجهات نظر سياسية .

فكما كان لدى الراديكاليين نماذج بالنسبة للناس : هم الأبطال ، كذلك كان لديهم نماذج للاقتصاد ، وكانت هذه النماذج بصورة أساســية هى : **تاشينغ وتاشاى** ، اما تاشــينغ فمركز تنقيب لانتــاج وتــكرير البترول فى الشمال الغربى من هاربن ، واقعة فى سهل كثير المستنقعات وغير مطروق ، نما بوسائل قليلة وبكثير من الشجاعة فى البداية ، فهى لذلك أحد مفاخر النظام. يشتغل فيها مايقرب من أربعين ألف شخص ، على ضفاف بحيرات ضحلة ، مالحة ، يقيمون فى مســاكن ريفية ، خشنة جدا ، كثيرون منهم جاءوا اليها من مدن كبرى ، فكانت الحركة الى تاشينغ تشجيعا كذلك لاستغلال الأراضى البكر .

وكان تاشاى لواء انتاج فى الجنوب الشرقى من مقاطعة شانسى تمكن ، بكفاح ضد طبيعة صعبة ، من ترويض التربة وزراعة السفوح بتسويتهــــا فى سطوح متصاعدة ، واذ كانت تحل **بتاشاى** أمطار جارفة بصــورة دورية ويصيبها جفاف ممتد ، فانها كانت دائما تتدبر أمورها بوسائلها الخاصــــة بتحميل الدولة أقل ما يمكن من التكلفة ، عاملة على تحسين أحوالهـــا دون انقطاع بالتجربة . فضلا عن أن **تاشاى** نجحت فى تطبيق نظام مكافآت جماعية

---

(١) اياو وين ـ ايوان ، « بمناسبة قرية الثلاثة » ، الثورة الثقافية الاشتراكية فى الصين ، كرسى رقم ١ ، دار النشر فى اللغات الأجنبية فى بكين ١٩٦٦ .

يمنح فيه الفرد نفسه ما يقدر أنه ربحه . فغدت تاشاى بهذا مثلا لتبسيط الأعمال الادارية ونموذجا من أجل بناء الاشتراكية فى الزراعة ، ولم تنشأ **تاشينغ ولا تاشاى** فى العام المنصرم ، ولكن الدعاية استحوذت عليهما ومازوج عنهما من اعلانات قد عوض فى الرأى العام عن غياب الخطة الخمسية .

وعلى الرغم من انقسام المركز الى مركزين لم تكن ظروف العمل فى الحزب فاسدة بصورة حتمية ، وبما أن الخدمات المركزية لا تزال متجمعة فى بكين ، الاأن مناخ العمل بين رفاق الحزب كان لابد من أن يسوء لأنه كان لا مفر من أن الخلافات الموجودة فى القمة . فحتى فى بكين « المملكة المستقلة » كان لابد لبعض الراديكاليين الماويين من القيام بمناورات مقلقة لخصومهم أو بالعمل لجمع الأنصار ، وكان جهاز الحزب من جانبه يجمد تطبيق تعليمات ماوتسى ــ تونغ التى لم تكن تتفق مع أفكاره . فلننظر ــ وفقا لتحقيق لاحق ــ كيف سدت المنافذ فى بكين فى وجه دراسة حظيت برضا ماوتسى ــ تونغ فى فبراير (شباط) ١٩٦٦ ،متعلقة بانجاز الميكنة الزراعية التدريجى :

« كان خروشوف الصينى ، فى ذلك الزمن لا يزال يقاوم بعناد وقد تبنى تكتيكات مختلفة للحصار من أجل مقاطعة توجيهات الرئيس ماو ، فقد طلب بداية من بعض الأقسام ومن كلابه للصيد « دراسة واعداد بعض الآراء » وقد جرى هذا « بعد ذلك بأيام بقصد الدعوة الى اجتماع اللجنة المركزية لمناقشة هذه المسألة » . وبعد ايقاف توجيهات الرئيس ماو مدة عشرين يوما طرح الاقتراح الجديد وهو أن يقوم قسم معين من اللجنة المركزية « فى البداية بدراسة الظروف المختلفة العائدة على هذه المسألة من زوايا متعددة ويعرض خطة تكون خاضعة لمناقشة اللجنة المركزية » ، وفى النهاية قرر بالاعتماد على سلطته الخاصة أن « هذه الوثيقة من لجنة مقاطعة هوبى يجب ألا توزع على الأقاليم فى الوقت الحاضر » (١)

كان الشيوعيون اليابانيون هم أول من تبين من الأجانب أن ثمه شيئا لم يكن يسير سيره الطبيعى . فغادرت بعثة من الحزب الشيوعى اليابانى يرأسها السكرتير العام ميبا وموتو ، شخصيا ، طوكيو فى ٧ من فبراير (شباط) قاصدة الى فيتنام الشمالية والصين ثم الى كوريا الشمالية والعودة منها الى الصين ، وفيما عدا قصده باجراء محادثات متعمقة مع الحزب الشيوعى الصينى كان هذا الوفد يريد التدخل لتنسيق مساعدة الأمم الاشتراكية لجمهورية فيتنام الشمالية ، برضا الحزب الفيتنامى . وقد نشرت **الاكاهاتا** قبل سفره مباشرة افتتاحية جاء فيها : « بقصد تعزيز الجبهة المتحدة للعمل الدولى الموحد ، من أجل الوقوف فى وجه الامبريالية الامريكية . »(٢)

فى بكين استقبل بينغ شين المندوبين اليابانيين لدى عودتهم اليها وأعلنهم فى خطابه أنه « فى نفس الوقت الذى يجب فيه الوقوف فى وجه

---

(١) انظر نونجييه شيهسييه شيشو (تكنيك الآلات الزراعية) ١٩٦٧ رقم ٥ ، ذكر سابقا .

(٢) أكاهاتا ، جريدة مركزية تابعة للحزب الشيوعى اليابانى ، ٤ من فبراير ــ شباط ــ ١٩٦٦ .

التحريفية الحديثة تجب معارضة العقائدية الحديثة » (١) . فأثار هذا المقطع قلقا .

كان الشيوعيون الصينيون يبدون كثيرا من الحجج فى معارضة العمل المشترك الذى كان يقترح عليهم مبدؤه ،بل يبدو أنهم كانوا لدى مرور اليابانيين الأول ، متحفظين جدا ، وفى هذه الأثناء أمكن حتى نهاية مارس (آذا) احراز تقدم وتم الاتفاق على بيان مشترك مع وفد العمل الصينى الموضوع تحت مسئولية شواين ـ لاى . وكان ليوتشاو ـ شى فى الخارج ، بينما كان تينغ هسياو ـ بينغ يقوم بجولة فى الصين ، وقد بنى البيان الذى كان يسكت عن ذكر نقاط الخلاف فلا يذكر الا نقاط الاتفاق ، على أساس مشروع صينى ، موقع من الطرفين واقيمت مأدبة احتفالا به .

كان فى وسع الوفد اليابانى أن يعود الى اليابان راضيا ، ولكنه طلب زيارة للرئيس ماوتسى ـ تونغ فاستقبله يوم ٢٨ من مارس (آذار) فى هانكاو(٢) ورغب ماوتسى فى أن يضاف الى البيان ، الذى كان قد حظى مع ذلك بموافقة الحزبين رسميا ، ان الجبهة المشتركة المعنية فى ذلك كانت « جبهة مشتركة دولية ضد الأمريكان وضد السوفييت » ، الا أن الوفد اليابانى رفض فوضع ماوتسى ـ تونغ الفيتو على نشر البيان (٣) .

كان هذا يجرى فى نفس الوقت الذى كان ماوتسى ـ تونغ يقدم فيه على تعنيف بينغ شين بسبب ما انتهى اليه فريق العمل التابع له من نتائج فى حالة ووهان . وبعد المؤشرات التى رأيناها ونشر مقاله اياو وين ـ ايوان فى شنغهاى ، أعلن ماوتسى ـ تونغ ـ على مايظهر ـ أن «محور المسرحية هو العزل . فهاى جوى هو بينغ ته ـ هواى » (٤) ، ولكن المؤلف ووهان نقد نفسه نقدا ضعيفا بعض الشىء ، فتشكل فريق عمل للبت فى الحال ولينطق عند الحاجة بالأحكام الضرورية ، وكان هذا الفريق أول « جماعة فى الثورة الثقافية من اللجنة المركزية » . دعيت فيما بعد « جماعة الخمسة » (٥) . وكان عملها الوحيد ابراز المبادىء التى عرفت فيما بعد باسم موضوعات فبراير (شباط) .

---

(١) شوغوكو بوندا دايكاكومى وو دو ميرو كا ، شنيهان شوبان ، طوكيو ١٩٦٨ ص ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٠ .

(٣) انظر كونو : بكينغ كونو اشينين ص ٢٠ ـ ٢١ ـ ذكر سابقا .

(٤) نفس المصدر .

(٥) يبدو أن بينغ شين كانغ شين هما اللذان شكلا هذه الجماعة وانها قد ضمت بالاضافة اليهما لوتينغ ـ أيى ووولينغ ـ هسى وربما شو ايانغ . الا أنهم كانوا قد أخذوا معهم ، فيما يتعلق باجتماع ٣ من فبراير ـ شباط ، الذى كان سيدقق نص ال «مبادىء المقترحة للصحافة من قبل جماعة صغيرة مؤلفة من خمسة أشخاص من الثورة الثقافية بمناسبة الخلافات الأكاديمية الحاضرة» ، واجتماع ٧ من فبراير ـ شباط الذى تبناها (انظر شو نفسويه هو نغويبسنغ ٢٠ من مايو ـ ايار ـ ١٩٦٧) ست شخصيات أخرى منها ليوجين وشينغ تين ـ هسيانغ ، عاملين بذلك على تقوية مشاركة لجنة البلدية للحزب فى بكين .

فان كان شينغ ، المكلف بالعلاقات الدولية فى الحزب ، العضو المتمم فى المكتب السياسى ، هو اليوم رقم ٥٠٠ .

اما ليوجين فمفوض سياسى حينئذ للقوى المسلحة فى منطقة بكين وسكرتير ثان فى سكرتارية اللجنة البلدية للحزب فى بكين .

بيد أن هذه **القضايا** أدينت لمحتواها ولكيفية تداولها وفي مستويات الحزب ، ففيما يتعلق بمحتواها كان الكلام فيه يدور على « تطهير المجال الأكاديمي من كل فكر بورجوازي وهي مسألة لم تحل لا في الاتحاد السوفييتي ولا في الدول الاشتراكية الأخرى» . وتلك **القضايا** ، بالمقابل ، تقلل من قيمة البرنامج الثقافي الماوي الذي يجب على « الشغيلة » ، تبعا له ، أن يشيدوا لهم معرفة بأنفسهم ومن أجل أنفسهم ، تكون مرتبطة بالممارسة · فهي تعد فحسب بـ « عصر تاريخي جديد **يملك** فيه العمال والفلاحون والجنود بأنفسهم الأسلحة النظرية للماركسية ـ اللينينية **وفكر ماوتسي ـ تونغ** وكذلك العلم والثقافة » (١) ·

وعلى أي حال كانت هذه الموضوعات حذرة ، بطلبها لأكبر قدر من التبصر في مادة النقد بواسطة الصحافة وبمنعها لنشر أسماء الأشخاص الذين يوجه اليهم النقد · وكانت تظل خاضعة للحزب ملتمسة ، من أجل كل نقد ، موافقة الأجهزة المختصة .

وهذا ما يدفع الى الشك بأن هذه المبادىء لم يكن التداول بها يجري بانتظام في كل حال بصورة تنطبق مع القواعد المرعية بالنسبة لوثيقة من هذا النوع · فقد هوجم بينغ شين لانه عمل على اذاعتها باسم اللجنة المركزية قبل أن تنال شرعيتها · وفي أثناء حقبة الانقسام الى مركزين تجنب كل معسكر المناقشات التي كان يمكنها أن تدعو الى ضرورة اجتماع اللجنة المركزية بكامل هيئتها · عارفا بأن هذه المناقشات لن تفضي الى شيء ، ويكاد أن يكون من المؤكد في كل حال ، ان **المبادىء** قد اطلع عليها ماوتسي ـ تونغ قبل اذاعتها أو على الأقل في نفس الوقت · فقد استنتج كونو (٢) Konno الذي درس هذه المسألة أن ماوتسي ـ تونغ لم يمنع اذاعة **المبادىء** ·

واذا صح اذن ، ما قالته صحيفة من صحف رجال **الحرس الأحمر**(٣) يمكننا أن نثق بها على وجه العموم ، من أن ماوتسي ـ تونغ قد اطلع على التقرير في ٢٨ من فبراير (شباط) ، فان غضبه لم يكن مباشرا · والحقيقة أنه كان من المتوقع أن ينفجر في ٢٨ من مارس (آذار) ، فقد أمكن تلك الصحيفة أن تقول :

« لقد قرر الاجتماع الموسع العاشر للجنة المركزية الصراع الطبقي ، فهل تساءل لم كتب ووهان أهاجي ثورية في الحزب على هذا النحو ؟ أفلا تبالي بذلك الادارة الثقافية اذن (التابعة للجنة المركزية) ؟ لماذا تركت قرار المركز ليصبح ميتا ؟ ·· » « ان عصبة الجامعيين الكبيرة هي التي تدحض كتابات اليسار وتستر العناصر المثقفة المعادية للشيوعية ، فادارة الدعاية (التابعة للجنة المركزية) انه قصر اله الجحيم ، لذلك يجب هدمه وتحرير الشبيبة ، ولسوف أدعو الى التمرد في المقاطعات ولسوف أدعو الى الهجوم على المركز ، يجب العمل على انهاض صون وو ـ كونغ (٤) لا حصر لهم في كل مكان ليسير بعضهم تلو بعض

(١) وفقا للنص الذي نشرته بكينغ جنتا سانهونغ التابعة لجامعة الشعب في بكين ، في مايو ـ ايار ـ ١٩٦٧ ·

(٢) كونو في بكينغ كونو اشينين ، طوكيو ص ٣١ ، ذكر سابقا ·

(٣) هي شينغانغشان التابعة لجامعة شينغهوا في ٢٧ من مايو ـ ايار ـ ١٩٦٧ ، ذكر سابقا ·

(٤) اشارة الى **رحلة الى الغرب** قصة خيالية من القرن السادس عشر بقلم ووشينغ ـ ين ، تعرف كذلك باسم « قرد سائح » · ولما كان صون ـ القرد قد قد من صخرة فانه يملك القدرة على =

ويجتاحوا القصر السماوى ٠٠ » « ففى مؤتمر سبتمبر (أيلول) ، العام الماضى ، ذهبت لرؤية الرفاق من جميع الأقاليم وقلت لهم : « اذا كانت التحريفية أعلنت عن نفسها فى المركز فماذا تصنعون ؟ فمن الممكن جدا أن تظهر ٠ انه لخطر هائل» (١) .

وتبين فيما بعد أن **جماعة** أخرى **من الثورة الثقافية** كانت فى ذلك الزمن تقريبا آخذة فى التشكل على اثر مبادرات لين بياو وشيانغ شينغ وأصحابهما ٠ ولكن هذه الجماعة كانت ماوية ٠ ومن ٢ الى ٢٠ من فبراير (شباط) دارت فى شانغهاى « مناقشات فى الفعاليات الأدبية والفنية فى الجيش » برئاسة شيانغ شينغ ٠ فنقل لين بياو رسالة (٢) الى أعضاء اللجنة العسكرية فى اللجنة المركزية بتاريخ ٢٠ من مارس (آذار) خلاصة مركزة لتلك المناقشات، من الممكن أن يكون ماوتسى ـ تونغ نفسه قد شارك فى كتابتها فى ثلاث مرات ٠ وبعد أربعة أيام نشرت **الهونغشى** مجلة الحزب العقائدية ، مقالا نقديا ضد المؤرخين (٣) بتوقيع شين بين ـ أيو (٤) وايين شانغ ـ كويتى ولين بياو نفسه ، ينبغى أن يضاف اليه مقال آخر بتوقيع فينغ (٥) ظهر فى **يومية الشعب** يوم ١٩ من مارس (آذار) ٠ وسوف يصبح شى بين ـ ايو وكوان فينغ عضوين فى الجماعة المقبلة من الثورة الثقافية المتكونة من اللجنة المركزية وهى جهاز هام فى الادارة المتمردة ٠

كانت لدى الرجال الذين فرضوا مقالاتهم للنشر على الرغم من تعليمات **جماعة الخمسة** ، شجاعة بلا شك بالنظر للقوة التى يتمتع بها الجهاز ، ولكن من المحتمل أنهم كانوا قد صاروا مشكلين فى جماعة فى تلك اللحظة ٠

وما ان انتقل الخصام الى صفحات الصحف حتى كانت الجرائد ورجال

= اثنين وسبعين تقمصا ، وقطع مائة وثمانية آلاف لى بـ «شقلباظ» واحد ، وانحدر الى قصر الملك دراغون الواقع فى أعماق المحيط الشرقى حيث استلزم اعطاءه قضيبا سحريا ـ القضيب الذهبى فى قصيدة ماوتسى ـ تونغ ـ ثم انطلق الى جهنم وشطب اسمه من سجل الوفيات ، وانزعج امبراطور الجاد ، الموحود فى السماء ، الى حد أنه أسرع فى ارسال الجيوش لاخضاع سون وو ـ ال ـ قرد اليه بدعوته الى السماء وقلده عبء القيام بأمور الاصطبلات وبمنحه لقب الاعجوبى العظيم المعادل للسماء ٠

ان عنوان قصيدة ماوتسى ـ تونغ ، التى اتخذت هذه القصة موضوعا لها هو « رد على الرفيق كوومو ـ جو » (١٧ من نوفمبر ـ تشرين الثانى ـ ١٩٦١) ٠ وقد اشتهر من هذه القصيدة بيتان ـ شهرة خاصة

لوح القرد الذهبى بقضيبه الأسطورى

فنظف قصر الجاد من الغبار

(١) شيننغا نغشان من جامعة شينغهوا فى ٢٧ من مايو ـ ايار ـ ١٩٦٧ ذكر سابقا ٠

(٢) انظر شوغوكو بونكا ديكا كومى وو دو ميرو كا ، شنيهان شوبانت ، طوكيو ، ١٦٩٨ ص ٢٠٨ ٠

(٣) « يجب نقد تاريخ الرفيق شيين بو ـ تسان » ، هونغشى فى ٢٤ من مارس ـ آذار ـ ١٩٦٦ ٠

(٤) شى بين ـ ايو ، مؤرخ طارت شهرته بأبحاثه عن تاريخ التايبنغ ، ومحرر هونغشى ٠ كوان فينغ هو محرر يومية الشعب ٠ وربما كان شانغ ـ كويتى اسما مستعارا ٠

(٥) ما تا كوتو نوشوزين ، طوكيو ص ٢٦ ذكر سابقا ٠

الأدب المعرضون للشبهة مساقين للقيام بالنقد الذاتي بل قد يكون ذلك بطلب من قادة الدعاية والثقافة الذين كانوا يريدون الاحتفاظ ، بحرية المناورة . كان هذا هو التكتيك الذى افتضح أمره فيما بعد باسم : « التضحية بالفارس من أجل حماية الملكة » . وسعت صحف بكين التى نشرت شينغ توو ولياومو ــ شا الى الابتعاد قليلا ما أمكن عن النقاش الأكاديمى ، ولكنها أدرجت مع ذلك فى لمحة من النقد الذاتى لتحريرها ، فى ١٦ من ابريل (نيسان) .

واعترف ووهان بأخطائه فى ال تاكونغ باو يوم ٢٣ من ابريل (نيسان). وأثنـــاء ذلك قام كوو موجو ، المؤرخ الشـــهير ، رفيق شين بو ــ تا على رأس أكاديمية العلوم ، بتقديم نقده الذاتى يوم ١٤ من ابريل (نيسان) الى اللجنة الدائمة للجمعية الوطنية ، ولم يخل من فخار ، قائلا : ان جميع مؤلفاته يمكن أن تلقى فى النار وانه سوف ينخرط فى مدرسة العمال والفلاحين والجنود .

وكان يوم ٢٤ من ابريل (نيسان) أخيرا هو اليوم الذى هوجمت فيه بلدية بكين فى الحزب ، ان قيادة اللجنة البلدية كان «يخترقها من جهة الى أخرى خط أسود » كما ستقول الهونغشى (١) . ووجد ليوتشاوشى نفسه مكرها على التخلى عن حماية بينغ شين . وفى ٧ من ابريل حاول ليوجين وهو رجل هام من جماعة البلدية اذ كان ، مفوضا سياسيا للقوى المسلحة فى بكين ، تنظيم الدفاع ، ولكن دون جدوى (٢) فقد وجد نفسه معزولا فى الوقت الذى عزل فيه بينغ شين ، ومساقا معه بنفس الحكم العام فى الأيام الأولى من شهر يونيو (حزيران) .

ومنذ شهر يناير (كانون الثانى) ألزم الجيش حدوده وأخضع لانضباط مشدد تنفيذا لأوامر لين بياو الذى استن حالة الطوارىء توقعا للحرب (٣) ، ومن المحتمل أن يكون بينغ شين وليوجين قد التمسا مساعدة الجيش ولو من أجل الدخول الى حرم الجامعات التى كانت تضطرب فى آخر مايو (آيار) ؛ لذلك كان ابعاد ليوجين . تكتيكيا ، ضروريا .

لم يكن للثورة الثقافية بعد برنامج . فحصلت عليه فى ٧ من مايو (آيار) وربما كان هذا البرنامج ، من بين جميع البرامج التى صيغت فى هذه الحقبة المضطربة التى كانت تبدأ ، أكثرها طموحا .

انه رسالة موجهة من ماوتسى ــ تونغ الى لين بياو ، تكاد أن تكون وثيقة خاصة ، توجيها من المفكر الى المنفذ ، مصاغا دون ما مراعاة لجهاز الحزب .

ان جوهر هذا التوجيه هو أنه يجب ألا يكون أبدا ثمة من تخصص ولا تفرد فى أى مجال من مجالات النشاط ، فعلى الجنود أن يتعلموا السياسة وزرع الأرض والانكباب على الصناعة ، وعلى العمال والفلاحين والطلاب كذلك مضاعفة أنشطتهم فى المجالات المختلفة ، شأن جميع أولئك الذين يشتغلون فى التجارة والخدمات

---

(١) افتتاحية هونغشى ١٩٦٦ عدد ٨ « تحيا الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى » . وأعادت دار النشر باللغات الأجنبية فى بكين نشرها فى كراسة حملت كذلك عنوان : « الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى » . كراس رقم ٤ .

(٢) انظر فرناند جيجون : حياة وموت الثورة الثقافية ، فلماريون ، باريس ١٩٦٦ ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

(٣) مقال هسيياوهووا فى يومية الشعب ، ١٩ من يناير ــ كانون الثانى ــ ١٩٦٦ انظر شو غوكوبونكا دايكاكومى وو دو ميرو كا ، طوكيو ١٩٦٨ ص ٢٠٨ ذكر سابقا .

العـامة والحزب وفى الادارة ، فلا جرم أن العمال يذهبون الى المشغل ويزرع الفلاحون الأرض : تلك هى مهمتهم الأولى ، ولكنهم بانكبابهم كذلك على أعمال ثانوية ، خارج مجالهم المعتاد ، يسقطون الحواجز بين الريف والمدينة ، بين العمال والمثقفين ، لذا ينبغى أن يتـوفر لكل الناس نضج شامل منفتح على الوعى السياسى البروليتارى الذى يجعل من كل واحد شـيوعيا جديدا . ولم تنشر رسالة ماوتسى ـ تونغ ـ الى لين بياو فى الصحافة الا فى آخر يوليو (تموز) .

ان الرجل الذى اختاره ماوتسى ـ تونغ على هذا النحو ليكون منفذه الأعظم ، وهو الرجل الذى سوف يدعى بعد ذلك « أخلص رفيق سـلاح له » ، يكن له اعجابا بلا حدود وتحركه أعظم ثقة فى المستقبل . ففى ١٨ من مايو (آيار) فى مؤتمر موسع للمكتب السياسى تكلم لين بياو على النحو التالى :

« ان ماوتسى ـ تونغ هو أعظم قائد لحزبنا وجميع كلماته هى المعـايير لحركتنا ، فمن تسول له نفسه معارضته لسوف يسوى الحزب بأكمله معه الحساب ، والحزب بأكمله سينتقده . ذلك أن ماوتسى ـ تونغ قد سـوى من الأمور أكثر من ماركس ولينين وانجلز ، فهم لم يقودوا شخصيا أورة بروليتارية وهم لا يشبهون ماوتسى ـ تونغ على حين أنه هو يا للدور العظيم الذى قام به على جبهة الكفاحات السياسية وأى دور عظيم ذلك الذى أداه فى المعارك العسكرية ! ولم يدم لينين طويلا كماوتسى ـ تونغ . وعدد سكان الصين عشر مرات أكثر من عدد سكان المانيا وثلاث مرات أكثر من روسيا فان تجارب ماوتسى ـ تونغ لذلك أخصب . فان الصين متفوقة فى كل شىء . وفى البلاد جمعاء وفى العالم .. ان ماوتسى ـ تونغ هو أعظم رجل » (١) .

فى هذا الاجتماع الذى عقده المكتب السياسى تم اخضاع الجماعة الجديدة للثورة المنبثقة عن اللجنة المركزية ووضع حد لنشاط جماعة الخمسة التى أدينت بأفحش صورة بال «نشرة الدورية الصادرة عن اللجنة المركزية فى ١٦ من مايو (آيار) » (٢) ولم يكتف هذا الاجتماع وهذه النشرة باسقاط مسئوليى بكين(٣). وانما بسطا تهديدهما على جميع «ممثلى البورجوازية المندسين فى الحزب والحكومة والجيش والأوساط الثقافية » .. وأضافا :

« بعض هؤلاء الناس قد كشفناهم بأنفسنا ، وبعضهم الآخر لم يكتشف بعد ، وثمة فريق ثالث أيضا كالأشخاص الذين من نوع خروشوف مثلا ، يتمتعون الآن بثقتنا ، لقد كونوا ليخلفونا وهم موجودون الآن بيننا ... » .

ففى مايو (آيار) كان لا بد لجميع أولئـك الذين أمكنهم أن يقرءوا هذه النشرة ، أعنى رجال الحزب ، من أن يتأكدوا أن الرئيس قد حول الروح الثورية ضد الحزب وأنه فى الظروف السـائدة حينئذ قد أعلن تحديه لقيادته .

---

(١) كيشى شامباو ، جريدة المتمردين الثوريين من جهاز لجنة الدولة للعلوم والتكنولوجيا ، ٣ من يونيو ـ حزيران ـ ١٩٦٧ ذكر سابقا .

(٢) نشرت فى ١٦ من مايو ـ ايار ـ ١٩٦٧ فحسب .

(٣) لم يعلن اسقاط بينغ شين وليوجين الا فى ٣ من يونيو ـ حزيران ـ بالراديو . فأحدث النبأ مواكب عديدة أتت تقدم تحية الجماهير ، فى جلبة هائلة من جوقاتها الموسيقية ، الى صورة ضخمة لماوتسى ـ تونغ منتصبة أمام مجلس لجنة البلدية .

لم تكن **جماعة الثورة الثقافية من اللجنة المركزية** ، الخاضعة مباشرة لرئاسة المكتب السياسى ، قد حصلت بعد على أدواتها للدعاية ولكنها سرعان ما امتلكتها ٠ فقد ظهر أيضا مقال ياو وين ـ ايوان الصاعق المؤرخ ١٠ من مايو (آيار) حول : « قرية الأسر الثلاث » فى **وينهوى باو** الصادرة فى شانغهاى وفى **يومية الجيش** ٠ ولكن **يومية الجيش** هذه انتقدت منذ ١٨ من مايو (آيار) **يومية الشعب** فأثارت فيها دوامات عميقة من الاضطرابات وفى ٢٠ من مايو (آيار) أذاع الراديو تحية الى ماوتسى ـ تونغ ذات أسلوب جديد ٠

فى تلك اللحظة لم تكن الثورة بعد سوى ثورة **ثقافية** : فقد قيل : انها كانت « ثورة فى البنية الفوقية » ٠ ولكن الصحافة سوف لن تتأخر عن التذكير بأن « المسألة الأساسية فى الثورة هى مسألة السلطة » (١) ٠

---

(١) « فلنكنس جميع العقول المؤذية » ٠ افتتاحية يومية الشعب فى أول يونيو ـ حزيران ١٩٦٦ ٠

الفصل الثالث

الجيش حتى نهاية صياده

لقد لعب الجيش دورا هاما جدا في الثورة الثقـافية ، اذ كان اعداده الأيديولوجي يجعل منه القوة التي كان ماوتسي ـ تونغ يستطيع الاعتماد عليها بصورة رئيسية لمواجهة الحزب الذي لم يكن يتوفر له كسب جهازه ، أما الفلاحون والعمال فكانوا قد انزلقوا قليلا خارج حلبة السياسة اذ مازالت يقظة الأولين غير كافية بعد للحياة السـياسية وكان الآخرون موضوع سياسـة أقرب الى الانتهـازية .

كان في وسع ماوتسي ـ تونغ الاعتماد على الجيش كوسيلة للتخويف بازاء « سلطات » الحزب والادارة ، مثلا اللذان كانا لا يريدان أن تفهم أفكاره يرفضان المشاركة فيها ويظلان متشبثين بالنظام القديم ، وكان في وسعه الاعتماد عليه ليحول دون شلل البلاد اذا استفحلت الاضطرابات . كما كان في وسعه الاحتفاظ به احتياطا بينما يعمل الطلاب .

ماكان للجيش بلاشك ان يحشر نفسه في الثورة الثقافية وكان يحسن به أن يتجنبها خشية أن تفسد ردود فعل الحوادث وحدته ، ليس فحسب لأنه كان يمكن أن يدعى لتحمل أعباء الخدمات العامة في حالة تعثر الاقتصاد أو أخطار الحرب الأهلية ، وانما كذلك لأن حرب فيتنام كانت تتفاقم ولأن التصعيد كان يهدد الصين .

في البداية لم يكن الجيش بحاجة لاندلاع ثورة في صفوفه ، لأنه كان قد تشكل على حدة في ظل مثل أعلى لخـدمة الشعب ، جاهلا لتمحكات سياسـة اللجـان .

ومن المحتمل أنه لهذه الأسباب كلهـا ، قد سبق ما جرى في الجيش ، الانقلاب السـياسي الشـامل الأول ، الذي شكلت فيه الشـبيبة الطلابية قوة الصدمة ، ثم تلا ذلك . فقد كان الانطباع عنه أثناء تدفق **الحرس الأحمر** أنه قد تجنب الاضطراب وملك زمام نفسه تماما ، أما قبل ذلك فلابد من أن يكون ثمة أمر قد جرى في صفوفه سواء بفعل بعض التطهيرات التي رئي أنها ضرورية لتسلم زمام قيادته جيدا قبل بداية الاضطرابات المتوقعة ، أم لأن الوجه الذي اتخذته الحرب في فيتنام ، وهو الأرجح ، قد عمل على تفجير اختلافات في وجهات النظر حول دور هذا الجيش في زمن الأزمة .

وبعد الانقلاب السياسي العام الأول ، كل شيء تغير . فقد وجب اللجوء الى الجيش من أجل عمليات الاشراف أو اقرار النظام ، وبهذا وجد نفسه شيئا فشيئا مندمجا بالثورة الثقافية لصالح الماويين وان كانت وحدته قد ارتكزت على تفاهم بين زعمائه ، اقتضى بقاءه بعيدا عن الصراعات . فما ان نقض هذا المبدأ حتى تصادمت آراء سياسية مختلفة وبات من الصعب جدا تضييق ساحة الاضطراب في داخل الجيش نفسه .

ومن جهة أخرى لم تكن الثورة الثقافية تجرى فى المقاطعات مثلها في بكين . فالحركة الثورية ، التى أغرقتها موجة من المجاهرات العقائدية المتدفقة من جميع الجهات حيث كان جميع الناس حتى معارضيها ، يزعمون انهم ماويون ، لم يكن يحسن فهمها عدد كبير من الصينيين بسبب نواقصها التنظيمية . ويجب القول : انها كانت تسعى للوصول الى جماهير لم تكن قد عرفت ، مدة زمن طويل الا حملات الحزب الدعائية ، وكان يمكنها أن تجد صعوبة في ادراك ثورة لم تكن في هذه المرة ، حركة موجهة .

كان في وسع القادة العسكريين فى الأقاليم يمكنهم أن يصابوا بالذعر لأخبار الثورة في بكين ، ففى نظر كثيرين منهم كان الشباب المحرضون ينتهكون المقدسات . فلا شك فى أن أولئك القادة قد فكروا فى صيانة النظام والمحافظة على مكاسب الحزب بقمع الفتنة في مكانها . ولكنهم بذلك كانوا يجرون على الجيش انتقادات الثوريين ويعجلون في امتداد الثورة الثقافية الى الجيش .

جيش من الفلاحين يبحث عن طرازه الحديث بعد حرب كوريا

ان الجيش الصيني هو ، بصفة أساسية ، جيش من الفلاحين . وهو من جهة أخرى لم يرشح « للعمل العسكرى » أى للاعداد للمعركة المسلحة فحسب . وانما كذلك لل «عمل الايديولوجى» و لل «عمل الانتاجى» . ويمكن لمنبته الفلاحي أن يكفى لتفسير مايبديه رجاله من تعاطف مع الحركة الماوية .

وفى عام ١٩٣٠ كان الجيش الياباني كذلك جيشا من الفلاحين وكان ضباطه ، وأغلبهم من طينة الجنود نفسها ، في ردود فعلهم أمام مشاكل السياسة الداخلية يفعلون كما يفعل الناس في الارياف ، فحياة المدن كانت تبدو لهم فاسدة . وكانت الأحزاب السياسية فى نظرهم تشكل : اما عوامل انحراف فى الروح اليابانية كالماركسية، واما أحزاب أصابها الفساد كالليبرالية. وقدتدخل الجيش الياباني في مرات عديدة كما هو معروف . وقادته سلسلة من مزايدات زعمائه الى القيام بأعباء السلطة وبتلك الصورة التى نسيت فيها مصالح الفلاحين الحقيقية . ولكن كانت هناك في بداية الانطلاق ، مصلحة فعالة من أجل حالة الأرياف التى أصابتها باضرارها أزمات ما بعد الحرب وبعض الحقد على المدن حيث لم يكن التوسع يفيد الا سكانها أنفسهم .

قد لا نجد ما يسوغ اسقاط هذا الوضع على الصين ، اذ عندما تكون حالة الفلاحين متخلفة فى أى مكان كانوا بينما تنعم المدن بالحياة الحديثة وبالسياسة على منوال القرن العشرين فان من يرسل منهم الى الخدمة في حاميات المدن يتأثر تأثرا عميقا بما يلمسه من الفوارق ، فمن الطبيعي أن تنال الحركة التى تقوم لصالح التقشف تأييدهم ، وقد يصير أن تتخذ هذه الحركة منحى النقد لطباع

المدن السياسية ، ومن هذه الوجهة تقتضى التنمية الاقتصادية بنظام الاستقطاب ، اطلاق ردود فعل الجماهير التى تزعزع السلطة ، وهذه الظاهرة تبدو أنها مؤكدة فى البلدان التى كان للفلاحين فيها ـ زمنا طويلا ـ مكان أعلى فى المجتمع من مكان الطبقات الكادحة الأخرى .

لم تسن الصين الخدمة العسكرية قبل عام ١٩٥٥ · فقد اجتاز الجيش الصينى امتحان الحرب الكورية بأعداد من المتطوعين وبتنظيم موروث من **حروب التحرير** ، حيث كانت لجان الحزب فى الجيش تناقش الستراتيجية كما تناقش تنفيذ الأعمال على حد سواء ولم يكن ثمة من رتب مميزة بالنسبة للضباط ولا بالنسبة لصف الضباط ، ودون ما تغيير كبير منذ **اعادة التنظيم فى سانوان** (١) كان نظام لجان الحزب فى الجيش مبنيا على قاعدة لجنة لكل كتيبة وخلية حزبية لكل سرية · فما زال **الكتيب الأحمر** يذكر اليوم أنه :

« اذا كان الجيش قد تمكن من أن يقاتل فى ظروف قاسية الى ذلك الحد دون أن يتمزق فأحد الأسباب الهامة فى ذلك هو أن خلية الحزب قد نظمت على قاعدة السرية ·

فى عام ١٩٥٥ أنشأت سلسلة من الاصلاحات الهامة (٢) طرقا جديدة للتجنيد وللتأطير · وبدأ الجيش حينئذ باتخاذ بنية حديثة ، وربما كان ثمة من اشارات تدل على أن المجال المتسع فى داخله لمناقشات اللجان الأساسية أصبح أضيق · غير ان الاصلاحات لم تكن تقتضى بالضرورة تغييرا فى الحالة الفكرية وهذا ما يعلل بلا شك امكانية العثور على تسوية بين أعوان لجان الحزب فى الجيش واتباع سلطة هيئات الأركان العامة .

لكنه ظهر أن هناك خلافات قد برزت بسرعة بين راديكاليى الحزب والقادة الذين كانوا يقومون بأعباء التنظيم فى الجيش فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ · ذلك أن هؤلاء القادة الملتفين حول المارشال بينغ ـ تيه ـ هواى ، وزير الدفاع ، قد تلقوا لدى انعقاد المؤتمر الثامن الموسع ، صدمة نقد اللجنة المركزية (لوشان ، سبتمبر ١٩٥٩) · وفيما بعد قال الراديكاليون : ان أخطاء بينغ تيه ـ هواى هى التى جعلتهم يقررون التصحيح :

« لقد أعطى الأولوية للتكنيك العسكرى وأنكر أن يكون العمل السياسى هو العامل الرئيسى فى الروح القتالية لجيشنا · وحاول الغاء قيادة الحزب المطلقة للجيش ونظام القيادة الجماعية للجنة الحزب فى الجيش وتطبيق نظام « قيادة زعيم واحد » ·· ان بينغ تيه ـ هواى عارض مبدأ استراتيجية

---

(١) ٤ من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٢٧ فى آخر انتفاضة الحصاد فى الخريف ، انظر جمين شوغوكو ، نوفمبر ـ تشرين ثانى ـ ١٩٦٧ ص ٤٠ ، ٤١ ·

(٢) تتضمن نصوص عام ١٩٥٥ بصفة خاصة قانونا فى الخدمة العسكرية ولائحة فى خدمة الأنصار فى جيش التحرير الشعبى ونظاما من مجلس شئون الدولة حول استبدال البوليس الشعبى المسلح بقوى أمن من **الهسيين** Hsien ومن مراكز خاصة · وانشئت أربع عشرة رتبة للضباط وثلاث رتب لصف الضباط ، وعمل على أن يستتبع الانتقال من نظام التطوع فى الجندية الى الخدمة تبدلات فى العلاقات بين الكوادر ورجال الصف وانه اذا يراد ، فيما عدا ذلك ، الحصول على اختصاص للأسلحة الحديثة ، فسوف يكون من المستحسن منحهم بعض الامتيازات · (انظر : **شوغوكو كينكييو جيبو** رقم ٢٤٢ طوكيو ، ابريل ـ نيسان ـ ٩٦٨ ص ٢٥) ·

الدفاع الفعال المقدم من الرئيس ماو وقابل الاستعدادات ضد عدوان الامبريالية الأمريكية بتبنى موقف سلبي تماما ، ولم يكن ما تبناه جزءا من الاعداد للمعركة ضد حرب محتملة ، بل على العكس تبنى الموقف الانتهازى الذى تلخصه هذه الكلمات : الحرب مستحيلة أو غير محتملة الوقوع » (١) ٠

لقد فقد بينغ تيه ــ هواى وعدد آخر من القادة العسكريين وظائفهم على رأس الجيش ولكنهم لم يفقدوا مقاعدهم كأعضاء متممين فى اللجنة المركزية (٢) ٠ فالاجماع لم يتحقق ضدهم ٠ اذ ظلت بعض أفكارهم مقبولة لدى عدد من أعضاء الحزب وظلوا يحتفظون بأتباع فى الجيش ٠ أطلق عليهم اسم أتباع **نظرية الأولوية للتسليح** ٠

ثم باشر لين بياو ــ وقد سمى وزيرا للدفاع ــ أصلاح الجيش .

وكانت الدراسة النظامية لمؤلفات ماوتسى ــ تونغ ، على ما يبدو ، تباشر منذ عام ١٩٥٨ فى بعض الوحدات ، وفى الفترة التى أدين فيها بينغ تيه هواى تناول ماوتسى ــ تونغ نفسه القلم وعبر عن وجهة نظره مرات ثلاثا (٣) . وكانت الحركة التى تم اختيارها لمداولة الانحراف فى النزعة العسكرية هى الحركة التى تم تعميمها والتشديد عليها من أجل **فكر ماوتسى ــ تونغ** ، تدور بصفة خاصة حول « الأولويات الأربع » وحول « القواعد الثلاث ــ النقاط الثمان » (٤) ، المقتبسة من شعارات قديمة قدمت **للجيش الأحمر المشكل من العمال والفلاحين** ٠

---

(١) لى حسين ــ كونغ «تصفية الحساب مع بينغ تيه ــ هوارى» ٠٠ **انباء بكين** ١٩٦٧ رقم ٣٦ فى ٤ من سبتمبر ــ ايلول ــ ١٩٦٧ ص ١٥ و ١٦ ، ذكر سابقا ٠

(٢) قرار الجلسة الثامنة بكامل هيئتها للمؤتمر الثامن للحزب الشيوعى المتعلق بالعصبة المعادية للحزب التى يقودها بينغ تيه ــ هواى ، **انباء بكين** ، ١٩٦٧ رقم ٣٤ (١٨ من اغسطس ــ آب ــ ١٩٦٧) ٠

(٣) « كيف يحسن تطبيق الماركسية ، تطبيقا صحيحا ، على حركات الجماهير الثورية » (١٥ من اغسطس ١٩٥٩) ، « تاريخ المدفع الرشاش والهاون ومواضيع أخرى » (١٦ من اغسطس ١٩٥٩) ، « رسالتان موجهتان الى ادارة تحرير الطبعات الشعرية » (أول سبتمبر ــ ايلول ــ ١٩٥٩) انظر : **شوغوكو كينكيو جيبو** رقم ٢٤٤ طوكيو ١٩٦٨ ص ١٣ ، ذكر سابقا ٠

(٤) ال «أوليات الأربع» : أولوية الانسان على الأدوات والعمل السياسى فى علاقاته مع النشاطات الأخرى والعمل الايديولوجى على أوجه العمل السياسى الأخرى ، والأفكار الحية على الأفكار الكتبية فى العمل الايديولوجى ٠ وكانت ال «قواعد الثلاث الكبرى» فى الأصل : «اطاعة الأوامر ، عدم أخذ أى شىء من الجماهير ولو كان خيطا وابرة ، اعادة الأشياء المصادرة الى السلطات» وكانت «نقاط الانتباه الثمانى» هى : «تكلم بأدب ، كن محقا فى مشترياتك ، رد كل ما تستدينه ، عوض عن الاضرار التى اقترفتها ، لا تضرب الناس ولا تشتمهم ، لا تتلف المحاصيل، لا تزعج النساء ، لا تسىء معاملة السجناء » (انظر غيير ماز : **تاريخ الحزب الشيوعى الصينى** ص ١٨٨ ، ذكر سابقا) ٠

وفيما بعد تبنت الحركة من أجل فكر ماوتسى ــ تونغ ، أسلوب ٣ ــ ٨ الذى صيغ فى نقاط ثلاث وثمانى صفحات ، كتبها ماوتسى ــ تونغ وهى توصى بصفة خاصة بالصلابة فى الأفكار والجمية والبساطة والمرونة فى الستراتيجية والتكتيك والوحدة والديناميكية والجد والنشاط ٠

ولقد اقتصرت دراسة فكر **ماوتسي ـ تونغ** حتى عـام ١٩٥٨ على أفكاره العسكرية • وبعدئذ أصبح موضوع الدراسة يشمل فكره برمته ، ففى الطريق الذى فتحته هذه الحركة نفذت مؤسسة « السلطة المطلقة **لفكر ماوتسي ـ تونغ**» الى داخل الجيش • فعمل الجيش على أن ينمى فيه مغزى نموذجيا وانضباطا صارما والزاما بالتقشف غير مألوف وعاطفة قوية برسالته •

قد يحـــدث لهيئة ما ، يدفعها تكوينها للحماسة لشكل معين من أشكال الفكر ، أن تبتعد عن سائر الشعب الذى لا يعتنق نفس المبادىء القاسية ولا يعرف لنفسه رسالة • فيصرف المسئولون عنها همهم كله ليصونوها من أخطار العدوى• الا أنه عندما انتشرت الثورة الثقافية ، ثم فرز عدد من العسكريين الى لجـــان ثورية مزودين بمسئولية جديدة • وكلف عدد آخر بالاشراف على العمل فى المصانع . فتلقى بعضهم تأثير شكوكية المدنيين أو أنهم شاركوا فى منازعاتهم المصلحية ، ناسين بذلك رسالتهم .

هذا النوع من الخطر أحست به الكوادر السياسية ،اذ أن «الجيش ليس فى الفراغ »(١) فعندما كان بعض الجنود يغادرون وحداتهم ، فلا بد من أنهم كانوا يشكلون مدار انتباه خاص من جانب المفوضين السياسيين من وحداتهم ومن جانب رفاقهم ، اذ كانت احدى وحدات الجيش فى كانتون (٢) تنصـــح بأن «يكون المقاتلون على علم بالمشاكل التى يمكن أن تنشأ فى أسرهم» ، وهكذا كان الجيش يتابع طريقه ، دليله **فكر ماوتسي ـ تونغ** ، ولكنه لم يكن فى ملاذ من المؤثرات التى تأتيه من قاعدة الشعب ، كما كان يتلقى ، ولا سيما فى قيادته ، تأثير جهاز الحزب ، ذلك أن الحزب فى الجيش والحزب لدى المدنيين هما شيء واحد ونفس الحزب الا أنه يأخذ فى الجيش سيماء مختلفة بعض الاختلاف .

نقد أبعد بينغ تيه ـ هواى وأتباع نظرية الأولوية للتسلح من قيادة الجيش ولكن مقاومتهم طالت بتدعيم من الجهاز • وهو ما سيمكن ليوتشاو ـ شى من أن يقول ، فى أثناء مؤتمر للعمل **موسع** من اللجنة المركزية ، فى يناير (كانون الثانى) ١٩٦٢ ، ان الكفاح ضد جماعة بينغ تيه ـ هواى كان مبالغا فيه • كذلك وضع الوزير المعزول فى يونيو (حزيران) التالى مذكرة من أربعة وعشرين ألف حرف ليطالب باعادة النظر فى حالته (٣) •

التوارى ، ثم رد فعل أشياع التسلح :

كان لين بياو ، وزير الدفاع منذ عام ١٩٥٩ ، مقتنعا من جانبه أنه لابد للأقلية الماوية من أن تبدأ العمل بدعوة الجماهير لاسقاط جهاز الحزب ، فهذا هو القانون كما كان يقول :

« تشير الأمور الصحيحة وغير الصحيحة جميعها الى أنه : اذا لم تهاجموهم أنتم لسوف يهاجمونكم هم ، واذا لم تضربوهم ســـوف يضربونكم ، واذا لم تعززوا المقاومة ضدهم فانهم سوف يعززون المقاومة

---

(١) انظر يومية **جيش التحرير الشعبى** (١٦ من ابريل ـ نيسان ـ ١٩٦٦) الافتتاحية •

(٢) يومية **الشعب** (٨ من نوفمبر ـ تشرين الثانى ـ ١٩٦٦) : «ما العمل للحصول على الأفكار الحية ؟» •

(٣) انظر : **شوغوكوكيتكييو جيبو** رقم ٢٤٢ طوكيو ١٩٦٨ ص ١٧ ذكر سابقا •

ضدكم • وبالتالى يجب تعبئة الجماهير للكفاح • فاذا لم نكافح ، يخشى علينا أن نتفرق ولن تكون الوحدة مضمونة بعد ذلك » (١) •

وعلى هذا أعاد لين بياو تنظيم اللجنة العسكرية المفرزة الى اللجنة المركزية التى كان النائب الأول لرئيسها ، ومما يظن أن ماوتسى ـ تونغ نفسه قد استمر يتحمل فيها أعباء الرئاسة حتى بعد المؤتمر الموسع الذى عقد فى ووهان ، وسوف لا نعجب اذن أن يعود فيما بعد الى الحكم بواسطة اللجنة العسكرية ، ذلك أن اللجنة العسكرية الجديدة ، التى اجتمعت ثلاث مرات فى عام ١٩٦٠ هى التى تبنت أثناء انعقادها الثالث ، فى سبتمبر وأكتوبر « الدعاية المكثفة والمكررة والموسعة » **لفكر ماوتسى ـ تونغ** والعمل بـ « خط الجماهير » وبـ « توسيع الديموقراطية » (٢) •

وقد عين لين بياو فى قيادة عمليات الجيش لوجوى ـ شينغ مكان رئيس الأركان العامة هوانغ كى ـ شينغ الذى نحى فى نفس الوقت مع بينغ تيه ـ هواى • وقد رأينا ان ماوتسى ـ تونغ على أثر مؤتمر لوشان الموسع عام ١٩٦٢ ، قد انطلق لاسترداد ما فقده ، وكان ظهيره الجيش الذى كافح ، بتعليم **الفكر** نظرية الأولوية للتسلح وعزز وحدته حول لين بياو • وحينئذ بدأت « حركة التربية الاشتراكية » فى الأرياف فامتدت فيما بعد الى جميع الأوساط والى البلاد بأسرها تحت شكل حملة «للتعلم من الجيش» وذلك بعد فبراير (شباط) ١٩٦٤ ، وهكذا كان الجيش يضع نفسه فى طليعة الحزب ، ليس فحسب من أجل مجرد حركة أيديولوجية ، بل من أجل حملة سياسية • وثمة صراع خفى عارض الاتجاه الراديكالى المستند الى الجيش بالاتجاه المستبعد فى جهاز الحزب ، الا أن الاتجاه الراديكالى تفوق بنشر « المقالات الثلاث والعشرين » المتعلقة بتطبيق حركة التربية الاشتراكية فى الأرياف •

بيد أن الكوادر المطيعة لجهاز الحزب هى التى كانت تؤمن تنفيذ الحركة فى المناطق الريفية ، اذ لم يكن فى وسع الجيش أن ينشغل بها بنفسه ، فقد كان يوزع الارشادات ويحصل على النماذج وينسق الحملات حول بعض الأبطال مثل ليئى فينغ ولكن الصراعات الطبقية التى كان يرغب فيها الراديكاليون لم تكن تنمو على مستوى كبير وكان « أصحاب السلطة » فى الحزب يحتفظون بسلطتهم فى الأرياف ، وعلى هذا كانت الفجوة تتسع بين جهاز الحزب والجيش ، اذ لم تكن جميع القوى فى صفوف هذا الجيش قد تم انتزاعها من أشياع نظرية التسلح وهو ما كان يوجب أن يدفعه الى تطهير نفسه أيضا •

ثمة نصوص ، نشرت فيما بعد ، أظهرت أن رد فعل أصحاب النزعة العسكرية قد بدأ منذ عام ١٩٦٤ حتى قبل التصاعد الكبير فى الحرب الفيتنامية • اذ كان يمكننا أن نقرأ فى ذلك العام فى **يومية الشعب** المؤرخة فى ٣٠ من مايو

---

(١) تونغنا نغهون ، ويى جنمين شانتوتوى من جامعة بكين للهندسة ، ٢٣ من فبراير ١٩٦٧ خطاب لين بياو فى اجتماع الكوادر العليا لجموع الجيش فى فبراير ١٩٦٧ •

نجد فى هذا النص المسائل الكبرى لوحدة الأضداد وال « واحد ينقسم الى اثنين » وللفعالية ، وهى الأمور التى ستصبح أساسا للتكتيك لدى الماويين أثناء الثورة الثقافية كلها •

(٢) انظر : **سياسات الجيش الأحمر الصينى** ، طبعة شيستر شينغ **معهد هوفر** ، ستانفورد ١٩٦٦ •

(آيار) ١٩٦٨ أن « لوجوى ـ شينغ قد شكل الخطة لقلب القيادة الموافق عليها من أجل بناء جيشنا» (١) . وعلى طريقته المعتادة قاوم لين بياو ذلك الفعل بسرعة :

« فى نهاية عام ١٩٦٤ أعطى نائب الرئيس لين بياو ، من أجل منح الأولوية للسياسة البروليتارية ، توجيها هاما بتعزيز العمل الأيديولوجى والسياسى ... فسقطت تدابير لوجوى ـ شينغ العسكرية الكبرى فى الماء » (٢) .

وصدرت الأوامر باجراء « تصحيحات صغيرة » اى بتطهير محدود ، لكن « لوجوى ـ شينغ كان ينهى عن نشر تجربة التصحيحات الصغيرة » (٣) .

لقد اجتاز الجيش اذن حقبة مضطربة كان وزير الدفاع ورئيس أركان حربه قد صارا أثناءها يعارضان مسألة التطهيرات . وعندما انقضت الغارات الجوية على فيتنام الشمالية حسب كثيرون من الصينيين أن الحرب قد تمتد الى بلادهم . فكتب هان سويئين ذلك قائلا :

« ان الصين نفسها تتوقع أن يكون **الحزام الوقائى** من التهديد والاثارة ، فى السنوات السبع عشرة الأخيرة ، والذى أصبح الآن يتجاوز الحد بالوجود الأمريكى فى فيتنام وبنصف مليون من الجيوش وبأسطول ضخم يفوق الحاجات المحلية ، على أبواب الصين ، هو الدليل على هجوم عليها ، فهى قد قبلت هذا التحدى» (٤) .

فى حالة الانذار بخطر الحرب ، التى تسبق نزاعا محتمل الوقوع يتزايد حق العسكريين فى الكلام ، ونجد نظرية الأولوية للتسلح الوسيلة للافصاح عنها. فقد ذكر لوجوى ـ شينغ وهو يتكلم أثناء الاجتماعات للاحتفال بذكرى انتهاء الحرب ضد ألمانيا واليابان ، بضرورة « دفاع فعال » وبان هذا الرأى هو الصحيح الا انه أضاف انه لم يكن يجب الانتظار حتى يقع الهجوم على الصين .

فرد لين بياو فى ٣ من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٥ بمقال شهير: «تحيا الحرب الشعبية المظفرة ! » ، ومعناه أنه لا ينبغى تقديم أى تنازل للامبريالية الأمريكية ، ولكن الطريقة التى يجب بها الوقوف فى وجهها ليست القبول بالنزاع معها مواجهة . لم يذكر أن الجيوش سوف ترسل الى فيتنام ، ولم يذكر أنه ينبغى الدخول سريعا جدا فى حرب ضد أمريكا ، انما المقصود هو استخدام استراتيجية فعالة ضدها ،معبئة لكفاح جميع البلدان النامية وجميع الشعوب المضطهدة..
كان الجدال بين لوجوى ـ شينغ ولين بياو لا شك جدال الحرب الحديثة ضد الحرب الشعبية ، جدال العمل المشترك مع الاتحاد السوفييتى ضد العمل المستقل .

وبسبب من نقصان نفسيرات أصحاب النزعة العسكرية لمواقعهم نضطر

---

(١) يومية الشعب (٣٠ من مايو ١٩٦٨) . «مين هو ، كادرجيد مخلص بلا حدود لفكر الرئيس ماو» .

(٢) «السرية التاسعة الحمراء» ، **الصين الجديدة** رقم ٥٠٩٠٧ ، لعام ١٩٦٨ (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٣) نفس المصدر .

(٤) هان سويين : **الصين فى عام ٢٠٠١** بازيك بوكس ، نيويورك ١٩٦٧ .

الى الاكتفــــاء بالتخمينات حول الأســــباب التى كانت تحركهم ، وهناك لذلك فرضيتان يمكننا أن نسوقهما ، والملاحظ أنهما ، كلاهما ، يقود الى أخـوة السلاح مع الاتحاد السوفييتى ، ففى طريقة أولى للنظر كان يمكن لاتباع نظرية التسلح ، المتحالفين معجهاز الحزب ،أن يلحوا على اقتراب الخطر وعلى أسباب الانتقال الى الهجوم بهدف خلق توتر فيزيولوجى ملائم لحالة الطوارىء أو على الأقل لتسلم القادة العسكريين المسئوليات ، ولما كان هؤلاء يفكرون بأنه آن الأوان لتعزيز تجهيزات الجيش بالوسائل وبالمعدات الثقيلة وبالطائرات ، فقد كان من الممكن أن يكونوا مستعدين للعمل المشترك مع الاتحاد السوفييتى .

أما الفرضية الثانية فهى أنه كلما كان التوتر مع أمريكا يتفاقم ، فان ثمة تحليلا عسكريا للموقف كان يؤيد أتبـاع نظـرية الأولوية للتسلح فى حذرهم . ففى نفس الوقت الذى كانوا يميلون فيه الى تهدئة سياسة الصـين بازاء الولايات المتحدة كانوا يلتمسون التعاون مع الاتحاد السوفييتى كحماية أخيرة فى حالة الضرورة . وبحسب ما نعلم فان هذه المحاكمة الأخيرة يمكن أن تكون أقرب الىتفكير لوجوى ــ شينغ وأن تكون الثانية منتفكير بينغ‌تيه‌ـهواى. اذ أن هذا الأخير قد انتقد ، لأنه كان يقول بأن الحرب غير محتملة الوقوع ، بينما جرى انتقاد لوجوى ــ شينغ لانه كان يذهب بعيدا فى ذلك ، ومع ذلك فان هذا الموقف وذاك كانا يقودان الى التقرب من الاتحاد السوفييتى ، لأسباب القوة فى حالة ، ولأسباب الحذر ، فى الحالة الثانية .

ويجوز لنا الظن ــ والحالة هذه ، فى أن سياسة ماوتسى ــ تونغ ولين بياو كانت تقودهما الى الانضمام الى جانب فيتنام بتصميم أكثر من سياسة اتباع نظرية التسلح .

عودة السيطرة على الجيش
واعــــادته عــلى حالتــــه

انها ظاهرة ترمز لسياسة : فقد عمل لين بياو على الغاء شارات الرتب فى يونيو ١٩٦٥ . واختـــــار مرة أخرى التصفية ، ولكنها لم يكن من السهل اجراؤها بســــبب خطر الحرب الذى كان يضع الجيش على أتم أهبته . ومنذ ١٨ من نوفمبر ١٩٦٥ أصدر «تعليماته من أجل العمل فى الجيش فى عام ١٩٦٦». فكانت تنطبق على الحرب الشعبية وتتناسب مع وضع كانت فيه الصين ، وقد رأت نفسها محاطة من كل جانب ، تنتظر هجوم القوى الامبريالية على أرضها .

وفيما بين الأيام الأخيرة من عام ١٩٦٥ واليوم العشرين من يناير فى العام التالى تم انعقاد مؤتمر عام للعمل السياسى فى الجيش . فمنح هذا المؤتمر الذى كان يحركه المسئول الرئيسى عن الادارة السياسية فى جيش التحرير الشعبى هسياوهوا ، الـ « أولوية للسياسة » وحدد هدفا هو «سحق الخط البورجوازى والنظريات البورجوازية فى الجيش» ، وطالب بـ «تطهير الجيش فى مجالات : السياسة والأيديولوجيا والتنظيم » . على أن لهذه النقاط الأخيرة دلالتها فى التطهير ، فعندما لا تعنى ضربة المكنسة الا التنظيم ، يكون المقصود اجراء تغيير فى الادارة فحسب، ولكناذا اقتضى الأمر وضع كل واحد فى غربال الأيديولوجية فان الأمر يعنى امتحانا خطيرا يجرى اعداده .

ان تفاصيل التصفية التى كان يجب عليها أن تخدم غـــرض استعادة

السيطرة على الجيش ، لم تعرف بعد لكنه من المسلم به على وجه العموم أن هـذه التصفية هي التي قادت الى الحادث المعروف باسم « انقلاب فبراير » ٠

فانقلاب فبراير هو عملية كان في وسع رئيس الأركان العامة لوجوي-شينغ أن يقوم بها في فبراير ١٩٦٦ لاجلاس المخلصين اليه في قيادات الجيش الكبرى ٠ على أن رجال الحرس الأحمر ، في جامعة بيئيتا وفي جامعة الشعب في بكين جنتا(١) Jenta, Peita الذين زعموا في تحقيقاتهم تقديم الأدلة الأولى على هذا «الانقلاب» ، قد ألحوا بصورة خاصة على أنه كان بامكان « سلطات » بكين أن تأخذ أهبتهـا بالعمل على استقدام الجنـــد من المقاطعة لتزويد عـدد الحامية ولتعمل على أن يعسكروا في الجامعات ، وكان في وسع ليوجين سكرتير لجنة الحزب في بكين والمفوض السياسي للمنطقة العسكرية ، أن ينقل الجيوش من شانسي وهانكاو(٢) وتينستين ، رغبة منه في أن تكون تحت تصرفه في بكين ٠

ان قصد رجال الحرس الأحمر الذين كانوا يبحثون عن هذه المعلومات وهذه النتائج كان بوضـــوح اماطة اللثام عن جريمـــة مجلس بكين البلدى القـــديم ، والحقيقة أن الجماعات الثورية التى استولت على السلطة فى لجنة البلدية وفى أجهزة الحزب البلدية فى بكين ، بعد ما كشفته فى أواخر يناير ١٩٦٧ ، هى التى تناولت المسألة من جديد فى شهر ابريل ، ولكن للسير فى التحقيق هذه المرة الى آخر مداه فى داخل المصالح التى رأستها ٠ وبذلك دفعوا الأمور حتى الاتهام العام ، على شاكلة الاجتماعات العـامة الثـورية للعصر الذى تلا الاستيلاء على السـلطة ٠

« نحن ، هيئة العدالة ، بعد أن قمنا بفحص خط انقلاب فبراير المعد من ليو ، تينغ ، لو ، لو ويانغ (٣) ، نطالب بأن يعاقبوا بالموت على جريمتهم » .

كانت ملصقاتهم تنتهى بهذه الخاتمة ٠ ولكن ثمة ملصقات منافسة ذكرت بأن هاتفا من قبل جماعة الثورة الثقافية للجنة المركزية قد أمر بأن تغطى جميع الملصقات المتعلقة **بانقلاب فبراير** ، فكان ذلك شكلا من التنصل .

كان شهر فبراير ، كيوليو وأغسطس فى جميع السنوات أثنـــاء الثورة الثقافية ، شهرا مضطربا ، فقد كان الرجوع الى فبراير يزيد كل مرة ، عار رد الفعل : تقرير **جماعة الخمسة وانقلاب فبراير** فى عام ١٩٦٦ ، « ضد ــ تيار فبراير » عام ١٩٦٧ وعام ١٩٦٨ ٠ فثمة التباسات يمكن وقوعها بين جميع هذه المسائل ، وفيما بعد لن تتكلم الصحافة الرسمية الا عن « خطة تقرير فبراير » من أجـل حوادث فبراير ١٩٦٦ (٤) ، متسترة بهـذا الشكل بمسألة جماعة بينغ شين الخمسة ، على قصة الانقلاب التى أنكر شواين ــ لاى نفسه وجوده ٠

---

(١) بيئيتا Peita وجنتا Jenta اسمان مختصران لجامعة بكين الوطنية وجامعة الشعب ٠

(٢) انظر كونو فى : **بيكينغ كوتو اشينين** ، شينيهون شوبانت ، طوكيو ١٩٦٨ ذكر سابقا ــ وربما كان المقصود من نانكو Nanku مركزا يقع فى أسفل الممر الى السور الظيم ، لأن هانكو لم تكن من الأراضى التابعة لليوجين Liu Jen

(٣) ليوشاو ــ شى ، تينغ هسياو ــ بينغ ، بينغ شين ، لوتينغ ــ ايبى ، لوجوى ــ شينغ وبانغ شانغ ــ كوف ، ومصدر هذا الاستشهاد ملصقات وضعتها «القيادة الموحدة لتحطيم القديمة» فى تنظيمات اللجنة البلدية للحزب ابتداء من ١٧ من ابريل ١٩٦٧ فى بكين ٠

(٤) انظر أنباء بكين رقم ٣٧ (١٦ من سبتمبر ١٩٦٨) ص ٢٦ ٠

ومهما يكن من الأمر فان مسألة الانقلاب المزعوم ، اقتضى نزاعا بين القادة العسكريين ومن هنا جاءت التصفية ، واذا نحن اقتصرنا على تحقيق جماعة الثوريين الذين ذكرنا حكمهم فيمكننا تفصيل القول بأن بينغ شين وجماعته قد أثاروا ، في عام ١٩٦٥ ومطلع عام ١٩٦٦ ، حملة رأى في الصين بأكملها ، قائلين بأن الحرب وشيكة الوقوع في الحال وأنه ينبغي الاستعداد لها ٠

« ابتداء من مارس ١٩٦٥ ومدة الخريف ، أحرقوا كثيرا من الوثائق بحجة الاستعداد للحرب وتمونوا لزمن الحرب ونظموا منطقة المؤخرات وكدسوا مواد من أجل الأبنية الاستراتيجية والمصانع الحربية ، واذ كانوا يتوقعون أن تكون بكين قاعدة الانقلاب فقد عززوا التدريب العسكري فيها واختاروا أكثر من ستين مجازا من المدارس الابتدائية والثانوية ودربوهم على اذاعات الراديو ووزعوا الذخيرة بكميات على الميليشيا ٠ وشكلوا وحدات عسكرية في الجامعات والمدارس العليا ٠٠ وفي أكتوبر ١٩٦٥ رتب فيها ليوجين ، الذى وضع ثقته في بلاد أجنبية ، خطا ثالثا وقام باعدادات لتدبير العون الأجنبي في حالة امكان انقلاب الأمور الى الأسوأ ٠٠٠ » (١) ٠

وفضلا عن ذلك ، ووفقا لملصقة سابقة كانت قد رغبت في فضح « عصبة لوجوى ــ شينغ(٢) العسكرية الكبرى » ، فانه كان في وسع لوجوى ــ شينغ أن يتآمر مع جنرالات عديدين للاستيلاء على السلطة في قيادات الجيش الكبرى ٠ بل كان في مكنته أن يضع في جيش الجو « العناصر المعادية للحزب » ليوشين وشانغ تينغ ــ با (٣) ، متجاسرا على القول للين بياو باخلاء المكان ٠

هل كانت هناك مؤامرة حقيقة ؟ ففي فبراير ١٩٦٧ كان رجال **الحرس الأحمر** يذكرون باصدار ــ تأكيدا لذلك ــ تصريحات منسوبة للين بياو ولكانغ شينغ (٤) ٠ ورأى شواين ــ لاى أنه من المفيد ضبط هذا الأمر وعدم رؤية المؤامرات في كل مكان (٥) ٠ فالاستعدادات العسكرية التى لوحظت في مطلع عام ١٩٦٦ لم تكن على علاقة بانقلاب ما واذا كان ثمة انتقاد يوجه الى لوجوى ــ شينغ فانه لم يكن هذا ، ويبقى أن لوجوى ــ شينغ قد حاول الانتحار بالقاء نفسه من النافذة في ١٨ من مارس وانه أدين في ٣ من ابريل ١٩٦٦ (٦) من قبل المركز أو من قبل اللجنة العسكرية في اللجنة المركزية ، ثم تمت الموافقة على القرار الصادر بحقه في يوم ١٦ من مايو (آيار) ١٩٦٦ ، فهو يوم رئيسى اذن ، ليس فحسب بالنسبة لتولى جماعة الثورة الثقافية الجديدة فىاللجنة المركزية ، وانما كذلك بالنسبة للجيش ٠

---

(١) «القيادة الموحدة لتحطيم القديمة» (١٧ من ابريل ١٩٦٧) ذكر سابقا ٠

(٢) اعلان حائط من ملصقات **الحرس الأحمر في هسين بيئيتا** (٢٨ من يناير ١٩٦٧) ٠

(٣) مساعدان ، فيما مضى لرئيس أركان حرب الطيران ٠

(٤) متمردون ثوريون في مصنع الآلات رقم ١ في بكين ، ذكر ذلك كونو ، **بيكينغ ايشينين** ، طوكيو ١٩٦٨ ذكر سابقا ٠

(٥) انظر **هسين بيئيتا** (٧ من مايو ١٩٦٧) ٠

(٦) انظر : شوغوكو كينيكيو جيبو رقم ٢٤٢ طوكيو ١٩٦٨ ص ١٧ «ان التقرير المقدم من جماعة صغيرة للعمل في اللجنة المركزية حول مسألة أخطاء لوجوى ــ شينغ» ، قد تمت الموافقة عليه في ٣ من ابريل ١٩٦٦ ومن المحتمل أنه صودق عليه رسميا من مركز الشرق ٠

لم تكن الاستعدادات للحرب التى أفسحت المجال لأقاويل مقلقة وربما كانت سببا فى ضياع رجال **الحرس الأحمر** فى جامعتى بيتا وجنتا ، مما لا يلفت نظر الزائرين الأجانب الذين شاهدوا الميليشيا فى شتاء ذلك العام تتدرب فى الحقول بل أحيانا فى شـوارع بكين عند الفجر ، وعلمنا كذلك أن عددا من المصـانع قد تلقت من التعليمات مايرمى الى تعبئة الكوادر فيها وأن لجنة الشعب فى بكين قد أنشأت عـام ١٩٦٥ « مكتبا ثالثا » ، يقع الى شمال المدينة (١) أجلى بعض التموينات وأنشأ مستودعات للمهمات فى الضواحى ٠

كانت ادانة لوجوى ـ شينغ نجاحا عظيما فى انقاص القوى المستعصية على تطبيق أفكار لين بياو ، ويمكن القول بأنه جنب قيادة الجيش من الانقسام الى مركزين ، وبذلك أقام القـادة العسـكريون الراديكاليون سلطتهم فى بكين على قدر ما كانت تقريبا فى شنغهاى أو فى هانكاو ٠

ولقد كان كل شىء فى اللجنة العسكرية لدى اللجنة المركزية يدل على أن المارشالات المسنين قبلوا بلين بياو وهسياو هوا ، فلا شك فى أنهم كانوا يقدرون بأن الموقف المتخذ فى مسألة حرب فيتنام كان الأوفق فى الوقت الحاضر ، عندما سلم لين بياو ، كذلك الى اللجنة ماسمى فيما بعد ب «قضايا(٢) شيانغ شينغ» ـ بالتعارض مع « قضايا فبراير » ـ فانها اعتبرتها كوثيقة من الجنس ووثيقة سياسية عامة فى آن واحد باسم الحزب بأكمله (٣) وهكذا جرت العادة بالتوجه الى اللجنة العســكرية فى اللجنة المركزية بدلا من الأجهزة الأخرى العليا فى الحزب (المكتب السياسى ، ورئاسته) التى أصبحت منذ ذلك الحين على غيروفاق٠

وقادت **يومية الجيش** ، كما رأينا ، الهجوم فى الرأى العام ، بالاتحاد مع **جماعة الثورة الثقافية للجنة المركزية** لكى تشدد المناقشات الأكاديمية المرتبطة بحـالة ووهان وتينغ توو وعدد من المؤرخين الصراعات السـياسية ، وفتحت « قذائف الصحافة » ، التى انهالت على « المعاقل العامة للبورجوازية » ، ثغرة للانتقال الى المرحلة العنيفة من الثورة الثقافية ، وبعد التصفية التى أجريت فى الجيش ثم اقرار آفكار ماوتسى ـ تونغ ولين بياو عن الحرب فى تلك الظروف ، دون ما معارض، فقدأكدت افتتاحية **يوميةالجيش** فى الفاتح من مايو عدم فعالية الأسلحة العصرية المتقدمة جدا ضد الرجل المزود بوعى سياسى رفيع وهى فكرة لا تنفصل ، « فى السياسة » (أى فى تنظيم الجماهير ، فى الأساس) عن اعتقاد الصين بانها تملك « تفوقا مطلقا » (٤) ٠

الجيش أثنـاء تدفق الحرس الأحمر

لقد أتاحت وحدة الجيش ، المصانة بثمن غال ، للحركة الطلابية أن تنطلق فى ظل قوة احتياطية قادرة على اخافة أولئك الذين قد يريدون اللجوء الى القوة

---

(١) وفقا لصحيفة ثوريى معهد الصلب (١٢ من ابريل ١٩٦٧) ٠

(٢) ملخص لأصول مناقشات المشتغلين بالأدب والفن فى الجيش٠انظر : **هنتاكولو توشوزيق** ص ٢٦ ذكر سابقا ٠

(٣) لكن الصحف لم تتطرق لذلك قبل اسقاط نخبة بلدية بكين ٠ ترجع أولى استشهاداتها بال «مناقشات» الى ٣٠ من يونيو ١٩٦٦ عندما قدمت **يومية الشعب** عرضا لمؤتمر العمل لكل الجيش حول الخلق الأدبى والفنى ، الذى دعى من قبل ادارة السياسة العامة لجيش التحرير الشعبى ٠

(٤) وتاكونغ باو فى ١٩ من فبراير ١٩٦٦ ، نقلا عن **يومية الجيش** ٠

للدفاع عن جهاز الحزب المهدد . ومن يوليو الى ديسمبر (كانون الأول) ظل الجيش قويا وهادئا بارزا للعيان ولكنه غير مرتبط ، بل مستعدا للتدخل ، فى البلاد ، لحفظ النظام مثلما هو مستعد للتدخل فى الخارج اذا كان الفيتيناميون يطـلبونه .

وبعد اسقاط لجنة بلدية بكين الذى حدث في مطلع يونيو ، جاءت حقبة **جماعات العمل** ، وقد عورضت فيما بعد ، وهى التى كانت قد عينت من قبل الحزب لتأديب الثورة الثقافية فى الجامعات والمكاتب ، ثم عاد ماوتسى ــ تونغ الى بكين فتحرك الطلاب ضد جماعات العمل وتم انعقاد الدورة الحادية عشرة للجنة المركزية بكامل هيئتها ، وشهدت لدى تدفق الحرس الأحمر جميع اجتماعات جماهير الطـلاب من الأول الى الثـامن الذى حصل فى آخر نوفمبر ل « رؤية الرئيس عن قرب » .

وفى غضون جميع هذه الأحداث عمل « قادة الجيش الشـعبى للتحرير ومقاتلوه » ، على حد تعبير الصحافة الرسـمية نفسـها « على تأمين خدمات الحراسة لحماية شباب **الحرس الأحمر** عنـدما انطلقوا فى المجتمع ... وأمن وجودهم لمئـات الملايين من الثـوريين الحق النضـالى فى القيـام بمجـادلات وانتقادات ثورية جماهيرية سواء فى المدن أو فى الأقاليم الريفية » (١) .

كان الجيش حاضرا دون أسلحة ، وكان يقوم بتأطير الشباب المتظاهرين فى الاجتماعات وينقلهم عندما تقع المزاحمات الداميـة ، حيث كان عديمو الصبر يختنقون من أجل رؤية الرئيس ، وكان عدد من فصائل الجنـود يرقبون عن كثب عندما كان رجال **الحرس الأحمر** ينفذون عمليات مطارداتهم للبورجوازيين .

ان الاشارة الوحيدة لعمل محدد في استخدام الجيوش للوصول الى قرار سياسى ، قد صدرت عن أعضاء الحزب الشيوعي اليابانى بعد تحليله للثـورة الثقافية الصينية فى شهر ابريل ١٩٦٧ . ففى رأيهم أن لين بياو استعان بالجيش ليحول دون حضور عدد من أعضاء اللجنة المركزية اجتماع الدورة الحادية عشرة بكامل أعضائها وللعمل على حضور عدد من الطلبة اليها ، لم يكن لديهم صفة الحضـــور (٢) .

فالشخصيات العسكرية ، الأهم بالنظر لدورها السياسى كانت تحتل مراكز مرموقة جدا فى الاجتماعات ، لقد ركب ايانغ شين وو وهسييه فو ــ شيه (٣) مع ماوتسى ــ تونغ فى السيارة الأولى فى موكب ١٨ من أكتوبر ، وكأن هسييـاو هوا وايه شين ــ اينغ مع لين بيـاو ، فى الثانيـة . وبالمقـابل كان ماوتسى ــ تونغ وجميع القادة السياسيين الكبار تقريبا يرتدون البزة العسكرية فى الاجتماعات

---

(١) « مسـاهمة جديدة لجيش التحرير الشـعبى فى خدمة الشعب » **انباء بكين** رقم ٣٦ (٤ من سبتمبر ١٩٦٧) ص ٦ و ٧ .

(٢) انظر بصورة خاصة عدد مايو ١٩٦٧ من مجلة زينيى Zenci والاكاكاتا Akahata فى ٢٩ من ابريل ١٩٦٧ .

(٣) يانغ شين ــ وو هو : رئيس الأركان العامة بالوكالة بعد عزل لوجوى ــ شينغ . وبحسب بعض الأقوال كان موتسى ــ تونغ مدينا له بالامساك بالنظام فى بكين فى فترة عودته الى العاصمة فى يوم ١٨ أو ١٩ من يوليو ــ هسييه فو ــ شيه : وزير الأمن العام وفيما بعد رئيس اللجنة الثورية فى بكين .

الكبرى دون استثناء ليوشاو ـ شيَ وتينغ هسيياو ـ بينغ ، وكان يسعى بجميع أنواع الدلائل الى اعطاء **الحرس الأحمر** مثال من يقوم بمهمة ، ومثال الانضباط في الجيش •

صحيح انه كان في وسع الجيش أن يساعد الثورة الثقافية مع بقائه على حدة نسبيا، فالحركة قد تلقت عددا من التوجيهات هي: قراراللجنة المركزية ، المؤلف من ستة عشر بندا في ٨ أغسطس ، ولم يكن يبدو موجها الا ضد «السلطات» في جهاز الحزب وفي الحكومة وفي الادارة وفي التعليم ، كذلك جاء تبليغ رسمي مستعجل من اللجنة العسكرية ، في الأول من أكتوبر (١) يؤكد الأمر بعدم حشر الجيش في الثورة الثقافية في الوسط المدني •

غير انه كان من المستحيل أن يمر كل شيء دون ما حوادث بين الجنود ، ومن المحتمل أن يكون قد حدث بعضها في الكليات العسكرية ، وقد كانت أكثر النقاط حساسية بالنسبة للجيش ؛ اذ بعد التشجيع الذي أعطي للطلاب ابان النزاع ، لم يكن في وسع طلاب ومدرسي تلك الكليات أن يظلوا بمنأى عن عدوى الجامعات • وقد تكلم هولونغ (٢) في ١٣ من نوفمبر موجها اليهم الخطاب بلهجة حازمة جدا فقال :

« علينا ألا نشارك في الثورة الثقافية في مكانها ولا أن نتداخل معها ، وعلينا ألا ننضم الى الأعمال المحلية من قصف المعاقل العامة (يعني الخاصة بالبورجوازية) وتمرد ومصادرة الملكية الخاصة ولا الى الاستعراضات » (٣) •

بيد أن التحذير من الحوادث لم يعد يكفي البتة وانما كان يجب وضع حد لتلك التي حدثت، فان بعض الكليات الحربية قد عانت من تدخل جماعاتالعمل التابعة للحزب بعد حوادث يونيو (٤) • وذلك أن عدداً من المجادلين نهضوا يسمعون صوتهم في هذه الكليات ، فلوحقوا ووصموا بأنهم « الأقلية المعارضة » أو بأنهم «يمينيون» ، لأنهم كانوا يعارضون زعماء **جماعات العمل** ، ثم حاولوا بالطبع في الحقبة اللاحقة الثأر لأنفسهم بطريق القوة • وللعمل على انهاء المخاصمات اختارت اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية اصدار نوع من العفو العام •

ولقد دعيت « **جماعات العمل** ولجان الحزب في المدارس والتجمعات الأساسية الأخرى » القديمة الى اتلاف جميع ملفات النقد التي كان يمكنها اعطاء مادة لادامة الصراعات :

---

(١) انظر : كوتو ، بكينغ كونو اشينسين ذكر سابقا ، ص ١٢١ • وفي ٣١ من يناير ١٩٦٧ اتهم ليوشيه ـ شيين المدير المساعد لادارة السياسة العامة للجيش ، انه أضاف هذا المقطع الى التبليغ المستعجل بناء على سلطته الخاصة •

(٢) هولونغ ، نائب رئيس اللجنة العسكرية في اللجنة المركزية ، مكلف بمسائل التربية العسكرية وباللجان الرياضية •

(٣) خطاب هولونغ في اجتماع الأساتذة والطلاب والكوادر الثورية في مختلف المدارس الحربية لجموع جيش التحرير الشعبي ، قدموا الى بكين بقصد المبادلات الثورية ، وقد أذيع في بكين على شكل نشرة •

(٤) في موضوع : ارسال جماعات العمل الى الجامعات لضبط الطلاب وللعمل على تنفيذ ثورة ثقافية لا تعرقل الانضباط في الحزب ، انظر فصل ٤ : «الطلاب» •

« يجب أن تعتبر باطلة جميع الملفات التى أثبتت ضد الجماهير (ضد جميع أولئك الذين قدموا انتقاداتهم دون أن يكونوا من الحزب) وصنفت أثناء الثورة الثقافية فى المدارس والجامعات ، وأن تحرق بحضور الجماهير ... تحت اشراف زعماء المنظمات القائدة وممثلى طلاب المدارس المعنية » .

ان الدوسيهات التى صفيت والتى لم تصف على حد سواء يجب اتلافها . فلا يسمح بالاحتفاظ بنسخ منها ولا التصرف بها بصورة خاصة ، « والا فان ذلك يمكنه أن يؤصل الأخطاء بعمق » . الا ان المخاصمات التى نجمت عن تلك الوثائق تستوجب تسويتها بمشاورات متبادلة بما يطابق روح القرار ذى النقاط الست عشرة . فالمناقشة وحدها هى المقبولة فى ذلك وليس العنف ، أما الكوادر القيادية التى ارتكبت أخطاء أبعدتها عن الخط أثناء الثورة الثقافية فيجب أن تعامل بما يتلاءم مع سياسةالرئيس حولالمعالجة الصحيحة للتناقضات فى صميم الشعب . « يجب ايضاح الوجه الأيديولوجى واعادة تجميع الرفاق » (١) .

نتساءل ونحن نقرأ هذا النص ، فى أكتوبر ١٩٦٦ ، ما اذا كانت اللجنة العسكرية ، المنتدبة ، لم تعتبر أن الثورة الثقافية قد تقدمت بما فيه الكفاية نحو أهدافها ، لكى يحين الوقت ، لتصفية المشاكل ، مدار التنازع والعودة الى سير المؤسسات الطبيعى .

الا أنه لم يكن من الممكن احتواء طلاب الكليات العسكرية احتواء كافيا لتجنب تدخلهم هم أنفسهم ، على منوال الحرس الأحمر ، فى العمل الثورى ضد الزعماء المنتقدين ، لذلك ما لبث أن قام سبعة وعشرون تنظيما فى المعاهد العسكرية بتوقيف لوجوى ــ شينغ ، فى يوم ٢٠ من ديسمبر (٢) ، لاخضاعه لاتهامات علنية . وبعد قليل انخرطت عناصر نظامية معينة من الجيش على طريق المتمردين ، فقد نقلت جريدة مائنيشى Mainichi فى ١٤ من يناير أن وحدة من جيش التحرير الشعبى أكرهت على التسليم جماعة من «معارضى الثوريين» ، اطاعة لأوامر ليوشيه ــ شيين المديرالمساعد للادارة السياسية العامة للجيش. كما أن هذه الوحدة قد احتجزت عددا كبيرا من الوثائق(٣) .

وفضلا عن ذلك فقد ساور القلق قادة الجيش على مصانع التسلح وعلى المصانع الخاضعة للاشراف العسكرى ، اذ عندما أقر **المركز** الثوريين العمال ، تشكل عدد من المنظمات فى الوزارات التابعة لها هذه المصانع (٤) . وابتداء من يوم ٢٤ من ديسمبر شل اضراب طويل الأمد الوزارة السابعة للصناعة

---

(١) توجيه عاجل من اللجنة العسكرية ومن ادارة السياسة العامة لجيش التحرير الشعبى، منقح من قبل اللجنة المركزية فى ٥ من اكتوبر ١٩٦٦ . انظر : **انباء وكالة تانجونغ** (١٧ من نوفمبر ١٩٦٧) .

(٢) انظر **هسين بئيتا** (٢٠ من يناير ١٩٦٧) .

(٣) المقصود هى الوحدة رقم ٧٥٠ (لان) . كان ليوشيه ــ شيين قد اتهم باضافة مقطع الى التبليغ العاجل الصادر عن اللجنة العسكرية فى أول اكتوبر ، كان يجب على الجيش بموجبه ألا يتدخل فى الثورة الثقافية فى الوسط المدنى .

(٤) بل ان بعضا منها كان قد شكل قبل ذلك . كان التنظيمان ٩١٥ و ٩١٦ التابعان لوزارة الصناعة الميكانيكية السابعة (للبناء الجوى) قد منحا نفسيهما هذين الرقمين للتذكير بتاريخ ١٥ و ١٦ من سبتمبر ١٩٦٦ .

الميكانيكية . (حيث دامت المنافسة بين الجماعتين الثوريتين الرئيسيتين اللتين تشكلتا فيها ، عاما كاملا) • مما اضطر **المركز** الى التدخل ليمنع مشاركة العناصر من الخارج في الثورة الجارية في وزارة الصناعة الميكانيكية (١) •

وفي ديسمبر (كانون أول) عملت العناصر الأكثر راديكالية في الثورة الثقافية على مفاقمة ضغطها، ولسوف نرى بأن منظمات **المتمردين الثوريين** العمال قد تسلمت الاشراف على المركز النقابي بدءا من يوم ٢٧ (٢) • وكان التكتيك نفسه ــ بلاشك ــ يقود الى تأمين الاشراف على عدد معين من مكاتب الأمن العام الذي يتولى القيام بوظائف البوليس في المدن وبمهام مماثلة لمهام رجال الشرطة عندنا في الأرياف ، وفي ديسمبر عومل كثيرون من كوادر الأمن العام على أنهم «سود» واستبدلوا بعسكريين (٣) ، بل كان في مكنة شيانغ شينغ أن يطلب ، أثناء اجتماع للقادة ، يوم ١٨ من ديسمبر بوضع البوليس بأكمله تحت رقابة الجيش وكان من الممكن قبول وزير السلامة العامة هسييه فو ــ شيه (٤) لفكرته •

ولكن لكل شيء وجهه الآخر ، واذ كان على رجال البوليس ردع الثوريين في حوادث عديدة ، فقد وجد هؤلاء الثوريون أنفسهم امام عقبة مماثلة ، ذات قرابة مع الجيش ، وعلى هذا كان العسكريون يتدخلون اذن في الثورة الثقافية وانما في الاتجاه السيىء في نظر الثوريين ، اذ عندما أراد هؤلاء على سبيل المثال السيطرة على شخص شينغ تيسين ــ هسيانغ لتقديمه الى محكمة النقد ولم يتمكنوا من اقتحام باب منزله ، طلبوا من الأمن العام تسليمهم اياه (٥) ولكنهم اصطدموا بالرفض ، وهكذا اصبح بوليس بكين في رأيهم منذ أن يعطى علما باقامة اجتماع عام ، يعارض فيه ، وكان هذا النقد في نهاية الأمر يرتد ، قليلا أو كثيرا ضد الجيش •

وكانت بعض الاضرابات قد حدثت في بكين منذ منتصف أكتوبر(٦) ربما للاحتجاج ضد تعديات **الحرس الأحمر** على أماكن العمل ، وكان على قوى الأمن العام أحيانا أن تتدخل ، ففي ٣٠ من يناير ضغطت على جماعة من العمال في المصنع الكبير للصلب في شينفكانفشان . فأثار الحادث هيجانا هائلا في العاصمة . عندئذ وضع رجال الأمن والجنود ملصقات في كل مكان مطالبين فيها بالنظام وباحترام قوى الأمن العام .

وهكذا على الرغم من أن الجيش ادخر نفسه للحرب فان بعضا من ذوي البزات العسكرية كانوا قد انساقوا في الثورة في بكين ، أما في الأقاليم حيث كان الطلاب الذين يعودون من بكين بعد اجرائهم لـ «تبادلات الثورية» ، يلقنون

---

(١) راديو شانغهاي ، ٢٥ من يناير ١٩٦٧ •

(٢) **شوغوكوبونكا كاكوميئى دو ميروكا** ، شينيسهون شوبانشا ، طوكيو ١٩٦٨ ص ٢١٧ ذكر سابقا • انظر كذلك في **فصيلة الصين** رقم ٣ الاجتماع الذي وافقت فيه شيانغ شينغ وشين بو ــ تا على ذلك في ٢٦ •

(٣) لي بات لو ، مجلة اقتصاد الشرق الأقصى ، ١٧ من أغسطس ١٩٦٧ •

(٤) نبأ من وكالة الصحافة الهنغارية • انظر كذلك « يوميات الثورة الثقافية » ، أساهي ايفننغ نيوز ، طوكيو ، مايو ١٩٦٧ ص ٢٠ •

(٥) قضية في ٦ من يناير ١٩٦٧ • انظر كذلك أساهي شينبون ، الطبعة اليابانية في ١٠ من يناير •

(٦) كان أولها في ١٥ من اكتوبر في مصنع غزل القطن رقم ١ (« يوميات الثورة الثقافية » ذكر سابقا ص ٤) ووقع اضراب آخر في منجم وانغ بينغ تون في نهاية شهر نوفمبر •

عن القيام بالثورة بنقد « سلطات » الحكم ، فان الجيش ، فى بعض الأماكن كان يلعب دورا رادعا • ويجب القول : ان ما كنا نعرفه عن حوادث بكين كان لابد من أن يبدو مشينا فى كثير من الأوساط .

ففى الأقاليم نصف الآهلة ، ذات السكان المبعثرين ، وظروف الحياة الصعبة ، حيث تعتبر نفسها الادارة والحزب والجيش كأنها فى حملة لصيانة الدفاع الاستراتيجى وتأمين النقل والعمل على احياء روح « الاقدام » فى سينكيانغ وشينغهاى والتيبت ، فان القادة كانوا يقبلون بأن تجرى بعض الأمور فى بكين ، ولكنهم لم يكونوا يرون عندهم ما يجب تغييره •

كان لابد للروح المعنوية من أن تكون على نفس المنوال فى زيشوان التى يعتبرها الجيش قاعدة ظهير للتيبت ، اذ شكا الثوريون القادمون من بكين من أن الجيش كبح جماحهم (١) وفى كانتون لم يكن فى وسع زعيم **جماعة الثورة الثقافية للمنطقة العسكرية** ادراك دوره على أحسن وجه اذ انه أراد منع الثوريين من التفتيش وأوقف فى وجههم الجيش المسلح . فسقط بعض الجرحى، وحدثت فى كيانغسى ، الأقرب الى **المركز** اصطدامات عنيفة من ٩ الى ١٢ من يناير بين عدد من التنظيمات الثورية ، راح ضحيتها ، بصورة خاصة ، عدد من رجال الحرس الأحمر القادم من بكين . وفى نانشانغ لم يشترك الجيش بنفسه ولكن التنظيم الذى كان يلعب دورا محافظا كان يتألف من جماعة المحاربين القدماء ومن العسكريين المسرحين من الخدمة (٢) •

ووفقا لبعض الملصقات دخل عدد من العمال المحافظين القادمين من شانغهاى ومن وو هشى الى مدينة نانكين بالتواطؤ مع قسم من الجيش ليقاتلوا فيها الثوريين ، فسقط عدد من القتلى والجرحى :

« لقد استخدمت عصبة تاوشو الجيش وقوى الأمن العام لتفتيش المنازل » (٣) •

ولقد أحدثت مسألة نانكين هذه بالاشتراك مع اضراب السكك الحديدية فى شانغهاى ، فى مطلع يناير ايقاف المواصلات بالخطوط الحديدية بين شمال الصين وجنوبها مدة أيام .

حتى فى شانغهاى حيث أتيح لشانغ شون ــ شياو القيام بعملية ناجحة ، بالعمل على احتلال جامعة فوتان عسكريا للتخلص من جماعة محافظة (٤) ، ربما لم يكن الجيش يكن للثورة الثقافية كل العطف الذى كان يتوقعه منه لين بياو • وفى الحقيقة كتبت **يومية الجيش** انه « يجب على قادة الجيش الاستفادة من

---

(١) « فى كانغتينغ ولوتينغ ، من أعمال كانغتزيشو فى الجنوب الغربى ، اضطهد الجيش المتمردين الثوريين » كان هذا هو نداء بروليتاريا المنطقة المستقلة ذاتيا فى التيبت ، القيادة الرئيسية للمتمردين الثوريين (٢٢ من يناير ١٩٦٧) •

(٢) راديو نانشانغ فى ٢٢ من يناير وملصقة فى بكين بتاريخ ٢٣ ذكرت فى أساهى شيمبون (الطبعة اليابانية) • والمقصود هى جماعة المقاتلين لأول أغسطس من العسكريين المسرحين والمستخدمين فى وظائف مدنية فى مدينة نانشانغ •

(٣) « يوميات الثورة الثقافية » ذكر سابقا ص ٢٨ •

(٤) شانغ شون ــ شياو ، سكرتير لجنة البلدية للحزب فى شانغهاى وعضو **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ــ انظر نيل هونتر « اتجاهات الثائرين جميعها » ، **مجلة اقتصاد الشرق الأقصى** • (٣ من أغسطس ١٩٦٧) •

دروس الجماعات الشـورية المتمردة فى شـانغهاى » (١٤ يناير ١٩٦٧) . وهو قول نلمس فيه النصح للجيش بالتصحيح ليزداد شبها بتلك الجماعات .
وهكذا تعرض الجيش فى كثير من القطاعات للثورة الثقافية قبل أن تكون قيادة التمرد قد أمرته بالتدخل فى كل مكان ، كان يجب فيه تدعيم اليسار . ففى يناير كانت الصين بأكملها فريسة للصراعات . وفى ١٥ من يناير نشرت المجلة العقائدية هونغشى مقالا تحرض فيه الثوريين على تسلم السلطة فى كل مكان (١)، وفى ٢٣ من يناير أعلنت وكالة الصين الجديدة عن أن ثمة معارك من أجل السلطة كانت تتزايد فى شانتونغ وكيانغسو وشيكيانغ وفوكيان وكيانغسى وفى الآنهوئى Anhwei . ومع ذلك فيجب ألا نظن أن الاهتـمام الأولى بالنظـام العام كان الدافع الوحيد لوحـدات الجيش دون أن تدخل فى اعتبارها المسالك التى تسلكها الثورة . وهكذا ، فان تمكن « اللجنة الثورية المتمردة » الجـديدة فى تسينغتاو Tsing-tao من أن تتشكل (٢) وأن تقوم بتصفية اللجان القديمة ، كان بفضل مبادرة بعض العسكريين .

توحيد القيادة الثورية :

كان الجيش، فى محنة تلك الأيام المضطربة الطويلة ، حتى قبل أن يتلقى الأمر للقيام بدور سياسى ، قد جند فى بعض الأماكن لمهمات سياسية : حراسة سجون ومستودعات حبوب ومستودعات بضائع ، وحراسة بنوك (٣) والاشراف على محطات راديو . وكانت حراسة السجون والمستودعات المنظمة فى ١٩ من يناير أحـد القرارات الأولى التى نجدها ممهورة بتوقيع مشـترك من اللجنة المركزية واللجنة العسكرية ومجلس شئون الدولة **وجماعة الثورة الثقافية فى اللجنـة المركزية** ، ويكاد أن يكون كذلك مزامنا لقرار توحيد القيادة الثورية الذى سنتكلم عنه . وقد عرفت مسئولية حراسة السجون فى شانغهاى بأمر تسليم مفاتيح السجون الى الجيش (٤) وهذا يعنى القول بأن الأمر كان يسترد من الثـوريين جانبا رمزيا من السلطة التى كانوا قد تولوها . وأتاح الاشراف على محطـات الراديو ، فى بعض الأمكنة المجال لاعتراضات حادة من جانبهم ، ولم يفسر القرار حيثما كان بنفس التفسير بما أن راديو لهاسا Lhassa فى التيبت قد استولى عليه المتمردون الثوريون يوم ١٦ من يناير .
وثمة قرار هام تم اتخاذه مباشرة بعد القرار الذى أوكل الى العسكريين الاشراف على محطات الاذاعة ، وضمن سلسلة الاجراءات نفسها بلاشك ، هو القرار الذى أخضع الجيش بأسره لقيادة ثورية موحدة ، وهو قرار أثار عددا معينا من الزعماء العسكريين وهو وحدة الجيش ، فقد علمنا فى البـداية بأن الجماعة الصغيرة للثورة الثقافية من الجيش أعيـد تنظيمها (٥) وأنها أصبحت

---

(١) ونجم عن ذلك اصطدامات جديدة غير مباشرة حيثما أراد الثوريون تسلم الاشراف على مكاتب الأمن العام . وكانت المسألة حامية على نحو خاص فى شانغشون (كيرين) فى يومى ٢٠ و ٢١ من يناير . انظر « يوميات الثورة الثقافية » ذكر سابقا ص ٤٢ .
(٢) ٢٣ من يناير ١٩٦٧ .
(٣) قرار اللجنة المركزية فى ١٦ من يناير . نبأ من احدى الوكالات فى (١٧ من يناير ١٩٦٧) .
(٤) ثم اذيع من راديو شانغهاى .
(٥) ١٢ من يناير ١٩٦٧ .

منذ ذلك الحين تابعة **لجماعة الثورة الثقافية من اللجنــة المركزية** وللجنــة العسكرية المنتدبة فى آن واحد .

وثمة جماعة من الثورة الثقافية العسكرية كانت قد وجدت نفسها حقيقة ، بالنسبة للجيش ، حتى ذلك الحين فى موقع مماثل لموقع جماعة اللجنة المركزية بالنسبة لسائر الادارة والحزب ، وكانت قد احتفظت لنفسها بلاشك ببعض الاستقلال بسبب مهام الجيش الخاصة ونظرا لتهـديد الحرب ، وكان المكان الجديد الذى تحتله هذه الجماعة فى الرسم الاجمالى للتنظيم العام ينتزع منها المبادأة فى التقرير الى أية درجة كان فى مكنة الثورة الثقافية أن تنفذ الى داخل الجيش .

لقد عملت الأحداث الثورية ، وخاصة تلك التى جرت فى شانغهاى، على اظهار الضرورة الملحة لتنظيم قيادة وحيدة ، مركزية للثــورة ولجميع شــئون البلاد . وهكذا تم جمع رئاسة اللجنة المركزية التى كانت عنــدئذ منقســمة واللجنة العسكرية التى لم تكن لها وحدها صفة تمثيل **المركز وجماعة الثــورة الثقافيــة من اللجنــة المركزية** التى كانت قد أصــبحت مؤقتا هى الجهــاز الايديولوجى على رأس الحزب .

وصار التغيير فى التنظيم ملموسا عندما عمل شواين لاى فى ٢٢ من يناير على ارسال التعليمات الى جمــاعة الثورة الثقافية من الجيش بواســطة شين بو ــ تا(١) وشيانغ شينغ أى بواســطة قادة من الجماعة المركزية . وتفسيرا لهذا الأمر أضاف هسييه تانغ ــ جونغ ، المكلف بالنقل :

« تأتى التعليمات ــ لعدد من ملايين الجنود ، مباشرة من قيادة الدفاع وتنبثق تعليمات الرئيس ماو ونائب الرئيس لين من المصدر نفسه .. فعلى رفاق الدفاع الوطنى أن يعملوا باتباع تعليمات شــيانغ شينغ وشين بو ــ تا »(٢) .

وبذلك كان يلفت الانتباه الى أن القيادة كانت قد صارت منذ ذلك الحين متحدة تماما بما فى ذلك الدفاع . الا أن مســئولى الجيش فى الأقاليم لم يتأكدوا من ذلك دائما تمام التأكد ، فقد حسب بعض الزعماء أنهم قادرون على تبرير عدم الاطاعة الحرفية لأوامر **جماعة المركز** بالقول أنهــا لم تكن سوى مؤسســة متخصصة :

« عندما قال رئيس الوزراء شو ورئيس الأركان العامة بى ــ ايانغ فى ٢٦ سبتمبر : ان الجماعة المركزية للثورة الثقافية كانت أركان قيادة الرئيس ماو فانهما خصاها بوظائف السكرتيرية ، فالقيادة العسكرية لم تقل لنا (ماذا تكون حقيقة S.E.) ولم ننظر الى جماعة الثورة الثقافية من اللجنة المركزية بما هى أهله » (٣) .

---

(١) تعليمات لتنظيم اجتماع من ممثلى « محطات الارتباط » الثورية فى الوحدات بالأقاليم بواسطة جماعة الثورة الثقافية من الجيش فى بكين .

وقد ظل شين بو ــ تا ، العضو المتمم فى المكتب السياسى ، والمسئول الرئيسى **لجماعة الثورة الثقافية** التابعة للجنة المركزية ، زمنا طويلا سكرتيرا لماوتسى ــ تونغ .

(٢) انظر نشرة المتمردين الحمر فى وحدة جيش التحرير الشعبى رقم ١٦٠ (تسونغ) بتاريخ ٢٣ من يناير ١٩٦٧ ، اذيعت على شكل كراسة .

(٣) تصريح تساى بينغ ــ شين بعد نقله الى بكين مع تشين تساى ــ تاو ، على أثر مسألة ووهان فى يوليو ١٩٦٧ .

لقد جلب تغيير اللائحة الأساسية لجماعة الثورة الثقافية من الجيش ، جلها اذ وقف قادتها الرئيسيون هسيا و هوا ولوشيه ـ شيين موقفا ضد هذه العملية ، ووصلت معارضتهما الى علم منظمات ثورية أخرى فرغبت فى تفتيش منزليهما وكذلك تفتيش هولونغ الذى يحتمل أنه يكون فى اللجنة العسكرية قد صوت كذلك .

لذلك سعى الثوريون للعمل على تقديمهم الى محاكمة علنية ، ولكن قادة المركز عارضوا فى ذلك :

« فى اجتماع موسع تعقده اللجنة العسكرية ، يتعاون الجميع فيما بينهم ، وعلى كل حال ، طالما لم يكن الرئيس ماو ونائب الرئيس لين قد صاغا النتائج ، فان المسائل تظل مفتوحة .. لذلك يجب تأمين طمأنينة هسياو هوا » (١) هذا ما قاله شواين ـ لاى .

ذلك انه «من الناس الذين يقدمون الوثائق ضد هولونغ ، من هم شرفاء ولكن الآخرين يريدون بذر الفوضى فى الجيش » (٢) .

« ليس المقصود أن نعرف ما اذا كان هسياو هوا شخصيا يلتحم بالحركة كلية ، فلا تزال هذه التناقضات داخلية يجب عدم توسيع المسألة وعدم اعطائها مجالا رحبا » (٣) .

كان المركز ينظر بعين الجد الى الخطر الذى يخيم على وحدة الجيش . ولكنه جمد السياسة التى علقت الحركة فيه وأمر بعدم تجنيده فى الثورة الثقافية فى الوسط المدنى (٤) .

ان يوم ٢٣ من يناير ١٩٦٧ (٥) هو اليوم الذى تبنى فيه المركز القرار الرئيسى باستخدام الجيش الى جانب العناصر الثورية حينما قد تطلب هذه العناصر مساندته ، وقد سبق لنا أن رأينا كيف كان يساء أحيانا استقبال

---

(١) شواين ـ لاى ، فى التعليمات التى نقلها هسيبه تانغ ـ جونغ فى ٢٢ من يناير ، نشرة المتمردين الحمر فى وحدة جيش التحرير الشعبى رقم ١٦٠ ذكر سابقا .

(٢) ذكر فى **اوراج دى بوست** عدد ١٢ من فبراير ١٩٦٧ .

(٣) كراس ٢٢ من يناير ١٩٦٧ ، بكين : « توجيهات من شواين ـ لاى وشيانغ شينغ سلمت فى ٢٢ من يناير فى الساعة الثانية صباحا » .

(٤) انتقد ليوشيه ـ شيين من أجل التبليغ المستعجل الصادر عن اللجنة العسكرية فى أول اكتوبر ١٩٦٧ (انظر ماتقدم بهذا الشأن) . ففقد وظائفه فى جماعة الثورة الثقافية فى الجيش التى أصبح على رأسها منذ ذلك الحين هسو هسيانغ ـ شيين تساعده شيانغ شينغ وكوان فينغ ـ وهو صحفى لم فى **يومية الشعب** فى شهر مارس ١٩٦٦ ـ وقد صار كلاهما من أعضاء جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية . وسمى هسياو هوا نائبا لرئيس اللجنة العسكرية ـ انظر موتاموتو نو شوزين ، طوكيو ١٩٦٧ ص ٢٢١ ذكر سابقا ، أما تأليف الجماعة الجديدة فقد ذكرته يومية الشعب فى ٣ من يناير . ـ وفيما يتعلق بكوانغ فينغ انظر « يوميات الثورة الثقافية » ص ٤٤ ، ذكر سابقا .

(٥) كذلك وجدت فى بكين ملصقات تؤرخ لهذا القرار فى ٢٠ من يناير . وثمة خطاب لشواين ـ لاى فى ٢١ من يناير فى قصر المؤتمرات ، ورد فى اساهى شيمبون (طبعة يابانية) جعل الناس يتوقعون هذا القرار ، اما نص القرار ففى كونو (ص ٢٢٧ ، ٢٢٨) ذكر سابقا .

الثوريين فى الأقاليم ، ولم يعد ذلك يعنى قط الآن ، بالنسبة للجيش ، أن يبقى على الحياد فحسب بازائهم ، بل كان لابد له من مساعدتهم عندما لا تكون لهم الغلبة ، فقد كان القرار يبيح للجيش سلطة استخدام سلاحه لقتال العناصر المعادية للثوريين ، ويحرره من واجب الطاعة تجاه جميع الـ « سلطات » السياسية التى سلكت الطريق الرأسمالى .

وقد قدم جيش بكين المثل لذلك منذ ٢٢ من يناير باحتلال مقاعد الحزب والأمن العام والادارة فى فانغشان (١) ، وباقامة قيادة فيها متحالفة مع التنظيمات الثورية ، وكانت الجماعات التى عاضدها هى جماعات الشباب الثوريين فى مختبر الطاقة وفى مدرسة التسيير الكهربائى فى ليوكومشى .

وظل ما يجب شرحه للشعب هو أن الجيش لم يكن مصدر تهديد ، وان تتخذ الاجراءات لئلا ينمو النقد الثورى فى داخل الجيش الى حد اضعاف صفوفه ، كما كان يجب ، على الصعيد الايديولوجى التقليل من التنقضات الداخلية التى أوشكت على افساد وحدة القيادة فى ١١ وفى ١٢ من يناير . وأخيرا فان الأقاليم الواقعة على الحدود التى تقدر قيادتها المحلية بأن استخدام الجيش باتجاه الداخل قد يخشى من ورائه فتح ثغرة فى الدفاع الخارجى للبلاد، كانت تطرح حالات خاصة .

فعلى المسألتين الأوليين رد توجيه من الأعضاء الأربعة المركزيين (٢) يأمر بألا تخرج الثورة الثقافية ، فى الجيش عن حدود الوحدات أى أنها يجب ألا تضع اطاعة القيادة التسلسلية موضع الاتهام ، وهو يحرم على الجنود القاء القبض على الأشخاص وتحريضهم بارتداء قبعات الخجل ، والتفتيش والاستيلاء على الثروات ، عاملا هكذا على تطمين الجماهير حول الموقف الذى قد يتخذه الجيش رغما عن استخدامه الجديد .

وفى ٣١ (٣) من يناير بدأ العمل بفحص المواقع التى تبناها بعض القادة العسكريين طيلة الشهر فانتقد لبوشيه ــ شين ، الامر الذى لابد من أن يتبح حل التناقض الناجم بين مختلف قرارات أول أكتوبر ١٩٦٦ و٢٣ من يناير ١٩٦٧ من أجل دخول الجيش فى الثورة الثقافية فى وسط مدنى وضد هذا الدخول .

وأخيرا بعد مضى خمسة عشر يوما (٤) علمنا أن ماوتسى ــ تونغ قرر تأجيل الثورة الثقافية فى المراكز العسكرية التى كانت تظهر فيها بعض الصعوبات ، مضيفا الى ذلك أن الثورة يجب ألا تصل الى كل مكان فى الجيش فى آن واحد وانما يجب أن تتحقق على مراحل .

---

(١) على مسافة خمسين كيلو مترا فى جنوب غرب بكين ، نقلا عن كراسة صادرة عن جماعة دفاع تونغنا نغهونغ فى معمل الطاقة الكهربائية التابع لوزارة المياه والطاقة .

(٢) انظر .A.F.P بكين بتاريخ ٢٨ من يناير ١٩٦٧ .

(٣) فى فندق شينغهسى فى بكين . انظر كونو ص ١٢١ . وقد انتقد مع ليو شيه ــ شين كذلك يانغ ايونغ القائد الأعلى لمركز بكين ولياو هانغ ــ شينغ المفوض السياسى لهذه الجيوش .

(٤) بواسطة ملصقة بتاريخ ١٥ من فبراير .

وكان قرار الأجهزة المركزية يتعلق بوضـوح بسـيكيانغ والتيبت ومونغوليا الداخلية وكوانغسي وفوكيان ، ومن جانب آخر يعزى الى احدى الملصقات انهـا كانت تذكر توجيها آخر من ماوتسي ـ تونغ الى الجيش يدعوه فيه الى تعزيز استعداداته الحربية فى الأقاليم المحاذية للاتحاد السوفييتي .

كان الجيش يحصل على موازنة التزاماته فى الداخل وفى الخارج . بيد أنه كانت لديه فى الداخل مسئولية جديدة وخطيرة : وهى أن يتبين من هم الثوريون الجيدون من بين جميع أولئك الذين قد يطلبون مساعدته ، وهى مهمة لم يكن فى وسعه القيام بها دون مساعدة مكاتب «استخبارات» **المركز** .

الفصل الرابع

طلاب وحرس أحمر

سعى الراديكاليون الماويون ، كأقلية فى الحزب ، طيلة سنوات ، للعمل على تبنى أفكارهم بالوسائل النظامية : المناقشة ، الاقناع ، المثل . ثم قرروا الانتقال الى شكل آخر من العمل ، لأنهم كانوا يقدرون بأن خصومهم تفوقوا عليهم على الصعيد التنظيمى ، فكان لابد لتكتيكهم من أن يكون مطابقا لأفكار ماوتسى ـ تونغ : فالاحتكام فى ذلك الى الجماهير كان يتكشف لهم عن عدد معين من الحالات اللاذعة . وقد تثير سخطها فتقف فى وجه الأقلية الساعية الى الحصول على تجميد وظائف القادة المعرضين للنقد . ولم يظهر من الضرورى من أجل ذلك تعبئة الجماهير بأكملها ، بما أن الهدف كان فحسب نقد عدد قليل من القادة ، يحدد جزافا بنسبة ٥٪ فى الجهاز الأعلى .

كان فى مقدور الطلاب أن يكفوا الأمر مؤنته . فضلا عن أن جماهير العمال والفلاحين لم تكن قد تنبهت مايكفى للسياسة فى ظل نظام الحزب والعمل على تحريكها يمكن أن يستغرق وقتا طويلا . وكان من الممكن النظر فى أن مشاركتها تصبح ضرورية فيما بعد ، ولكن هذه المشاركة كانت تظهر المخاطرة فى أن تقود الى اختلالات عظيمة . ولا شك أن هناك عددا من الحجج كانت ترى من باب أولى العمل على اثارة اهتمام هذه الجماهير فى النزاع باشراك قوى فيه تكون أساس قيادا من الجماهير العريضة ، لتضرب لها المثل .

ومن جانب آخر كان الماويون يحددون منذ زمن طويل هدفا آخر هو : العمل على أن يصبح الجيل الثالث من الشيوعيين «أحمر» وان يظل كذلك . فمنذ ١٩٦٣ أمكننا أن نقرأ فى **يومية الشعب** (١) ان الشبيبة الصينية كانت موضوعا لتقديرات خطيرة من جانب العالم الامبريالى الذى كان يتكل على «تغيير سلمى» فى العالم الشيوعى فى زمن الجيل الثالث . وقد اعتنى ماوتسى تونغ شخصيا بالأمر ، وفيما يلى ما كتبه روبير غيان : Robert Guillain عام ١٩٦٤ مايؤيد ذلك :

---

(١) افتتاحية **يومية الشعب** بتاريخ ٤ من مايو ١٩٦٣ .

« يشاع .. بأن ماوتسي ـ تونغ الذى لم ينشر كتابات سياسية هامة، منذ بعض الوقت ، قد قدم لتوه الى اللجنة المركزية للحزب وثيقة على جانب كبير من الأهمية : خطة من أجل الشبيبة الصينية ، فهى لم تنشر ولكن بحسب العادة أعطيت عنها خلاصات أولية . فقد حلل الرئيس فيها طبيعة الشبيبة ودورها ، وحدد الأساليب الواجب توفرها لكسبها الى جانب الاشتراكية ، وأعطى تعليماته المفصلة من أجل تكوينها تكوينا أصلب لغرض المعركة الثورية .

«وأخيرا فان النبأ الذى كان له الدوى الأكبر، هو أن أوامر ماوتسي ـ تونغ هـذه سوف يجب أن تطبق ليس على الجيل الآتى فحسب ، بل على جميع الاجيال التى تليه : من خمسة الى ستة أجيال أو أزيد ، كما أعلنت اللجنة المركزية للاتحاد ، وهـذه المدة ستكون هى الحقبة اللازمة للانتقال الى الشيوعية» . (١) فى عام ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ لم يكن الاتحاد وهو أحد تنظيمات الحزب الخاصة بالشبيبة الشيوعيين ، قد حقق جميع الآمال المعلقة عليه ، كان يعانى بصفة خاصة أزمة فى كسب الشباب وتجنيدهم فى صفوفه ، ومن السهل والحالة هذه ، أن نظن بأن تعبئة الطلاب لنقد الـ «سلطات» كان من شأنها تحقيق هدفين فى آن واحد : العمل الجماهيرى وتعريض الشبيبة لصدمة تكونها ، وهكذا كان الطلاب يصرفون من مدارسهم ويطلقون للعمل السياسى . وكان يمكن تجربة القيام بـ « بؤرة ثورة صغيرة » بتحديد الجماهير الثورية بالجماهير الطلابية ومرماها عند ٥٪ من الكوادر القائدة للحزب .

ولكن هل من الممكن النجاح بالاكتفاء عند هذا الحد وتحديد الاختلال الناجم عن العملية على هذا النحو ؟ فقد طلب من الطلاب أن يعبروا عن أنفسهم وأن يوجهوا لومهم بالدرجة الأولى الى القادة الجامعيين الذين كان يبدو من الممكن تقدمهم . وتجاوز نمو العمل الطلابى فى هـذا الطور جميع الآمال بسبب الاخطاء التى اقترفها مبعوثو الحزب فى مؤسسات التعليم لتسلم زمام الثورة الثقافية فيها باسم **جماعة العمل** ، وعلى أثر ذلك طلب الى الطلاب توجيه لومهم خارج مؤسساتهم ، الى قادة الحزب الذين كانوا يستحقون النقد .

ومنذ نهاية الدورة الحادية عشرة لاجتماع اللجنة المركزية الموسع نزل جميع الطلبة الى الشارع ، وكان رجال الحرس الأحمر هم أولئك الطلاب الذين كانوا قد نظموا أنفسهم فهم يتطلعون الى القيام بدور سياسى منظم ويعتبرون أنفسهم متممين للحزب أو للجيش ، ولكن جمهور الطلاب برمته هو الذى كان مدعوا الى ايقاظ جمهور الشعب .

ان منظمات **الحرس الاحمر** بمعناها الدقيق ، صغيرة جدا ، على وجه العموم ، وهناك منها من جميع الأشكال : بعضها يلتهب بالمثل الأعلى للفكر الحر، بينما تجد بعضها الآخر مصمما ـ على العكس ـ على التمسك بما يفرض عليه فى الحزب ، وجميع هذه الاتجاهات تنتسب ـ على كل حال ـ الى فكر ماوتسى ـ تونغ وعلى هذا تستظل براية الماوية منظمات تقاوم المنظمات التقدمية بمقدار ماتستظل بها هذه المنظمات التقدمية نفسها . الا انه لم يكن فى المستطاع ابقاء الثورة فى حدود بؤرة ثورية صغيرة . من جهة بسبب المجرى الذى اتخذته الاحداث فى الأقاليم ـ فقد حدثت ظاهرة مماثلة لما رأيناه بالنسبة للجيش ـ ،

---

(١) روبير غيان «الصين الجديدة ، عام ١٥» ، **لوموند** ، باريس ١٩٦٤ ص ٤٥ ـ ٤٦ .

ومن جهة أخرى لان أهداف بعض الراديكاليين كانت أكثر طموحا من مجرد منازعة السلطات التى كان فى وسعها مع ذلك أن تتيح تغيير الغالبية فى الحزب .

وشأن كثير من الثورات التي تطول كان تقدم هذه الثورة على شكل قفزات ، فالطلاب المتطوعون فى البداية كانوا يجدون أنفسهم قائدين لحركة كانت تتغير دون أن يفهموها ، والعناصر التى كانت مرتاحة في طور اذا بها تفاجأ بالاحداث وقد تجاوزتها . مما نجم عنه اختلافات جديدة بين الجماعات المرتبطة بتاريخ الحركة . ويجب القول كذلك أن الطلاب الفعالين كان لابد لهم من أن يعانوا فى البداية من عداوة العمال والفلاحين ، وهكذا حدثت احتكاكات بينهم فى سبتمبر .

كان الطلاب منذ ذلك الحين مسوسين ، ولكن قادة الثورة الثقافية ، المنقسمين حول ملاءمة ايجاد قوة سياسية طلابية ، كانوا يقاسون صعوبات لجمعهم فى وحدات ملتحمة . فعن **الحرس الاحمر** كان الكلام يدور بصورة خاصة حول عدد صغير من جماعات الصدمة أكثر هياجا من الآخرين . ومع ذلك كان يجب على الطلاب أن يقدموا مثل الجماهير المستعدة لتدعيم تجديد الحزب وأن ينشئوا هم أنفسهم ، كبداية فى منظماتهم الجامعية ، المؤسسات الوقتية للثورة .

على أنهم وقعوا ضحايا الصفات الخاصة التى تميزهم عن الجماهير العمالية والفلاحية . ولم يكن للطلاب أصل طبقي واضح ـ فغالبا ماتخاصموا فى الاهمية الواجب تعليقها على منبت رفاقهم الاجتماعى . وهم يعرفون أضرار أصلهم الثقافي ويعى كثيرون منهم أن ثمة اتجاهات بورجوازية صغيرة على جانب خاص من القوة فى وسطهم . وقد طالب هؤلاء بأن تندمج زمر الثورة الثقافية بالعمال والفلاحين اندماجا كاملا فى وحدات انتاج . الآ أن قادة الثورة الثقافية لم يوافقوهم على ذلك ربما بسبب التحفظات التىكان يظهرها العمال والفلاحون ازاء الطلبة .

ان الثورة الثقافية التى نعرفها ظلت ظاهرة مدينية ، من ظواهر المدن هناك ، حيث لم يكن ثمة مايضايق الطلاب فى عملهم الثورى ، ويحملهم أسلوب عقلهم المثقف على اشاعة الرقة فى مناقشاتهم النظرية . الا أن الاتجاه البورجوازى الصغير قد ساعد على وجود تيار يسارى متطرف كان سببا فيما بعد ، فى عدد من الصعوبات .

الأشكال الأولى لليقظة السياسية

رأينا عام ١٩٦٤ أن ماوتسى ـ تونغ قدم الى اللجنة المركزية وثيقة حول تكوين الشبيبة . ولم يكن فى وسع خصومه فى جهاز الحزب أن يدعوا له التطرق لهذا الموضوع دون أن يعالجوه بأنفسهم . فقد قرأنا بعد عام فى جريدة **كوانغمين جيهباو** (١) ان كلا من الرئيسين ماو وليو قد أعطى توجيهات هامة فى التربية لعام ١٩٦٤ (٢) ونحن لانعرف على وجه الدقة ماذا كانت توجيهات ليوتشاو ـ شي ،ان لم يكن انها كانت تنظر فى أصلاح مزدوج : من جهة فى

(١) يومية الأوساط المثقفة .

(٢) ١٩ من اغسطس ١٩٦٥ .

المدارس ذات الدوام الكامل ، حيث كان العمل اليدوى يجب أن يختلط بالدروس، ومن جهة أخرى فى المدارس التى ينقسم فيها الوقت الى نصف دراسة ونصف عمل (١) ٠

وفى غضون ذلك كان قادة بكين ، بالتأكيد يبيحون لأنفسهم القول فى **فكر ماوتسى ـ تونغ** . فكانت مجلة لجنة البلدية من الحزب تكتب حقيقة وهى تعلق على الموضوع مايلى :

«فى الظروف العادية يجب أن يكون هناك من التعليم أكثر من الفعاليات السياسية ، وفى المدارس ذات الدوام الكامل يجب على المعلمين أن يقضوا ساعات الدرس فى التعليم . وقد قال الرفيق ماو فى عام ١٩٥٠ ان المدارس من النمط القديم كان لابد لها من أن تتبدل ولكن دون افراط فى السرعة وليس بصورة مفاجئة ومتعجلة » ٠ (٢)

ولقد تبنت المدارس توزيعا للوقت أقل شدة فكان فيه مجال أكبر للفعاليات غير المدرسية ووقت أكثر للذهاب الى المكتبة وتسليات أكثر ٠ ف « عبء الطلاب » قد خفف اذن ٠ وربما لم تكن شعبية بينغ شين فى بكين بحاجة لمزيد ولكن اتحاد الشبيبة الشيوعية كان لابد له من ألا يهمل العناية بشعبيته هو . والحقيقة أن علاقاته كانت منذ بعض الوقت تشير الى وجود أزمة فى كسب الاعضاء .

ففى منظمة يتراوح سن أعضائها بين خمس عشرة سنة وعشرين ، كانوا يكتبون قائلين : انه « يوجد قليل تحت سن العشرين وقليل من البنات » (٣) ٠ و «تمثل المشاركة من القرى ١٣٪ فقط من عدد الشباب ، و ١٠٪ من الوية الانتاج لاتعد عضوا واحدا بين أعضائها ، ولايوجد فى ٣٠٪ منها سوى واحد أو اثنين » (٤) ٠ ثم جاء بعد قليل ما يلى : « اذا لم ينضم كل عام الى الاتحاد عدد مناسب من الاعضاء الجدد فلسوف ينجم عن ذلك ثلاث نتائج : ان الاتحاد اذ يصبح عدد أعضائه الجدد أقل من عدد الخارجين منه ، سوف ينحدر ويضعف تنظيمه ، واذا وجد فيه كثيرون من الكبار سنا فان الاتحاد لن يكون تنظيما للشبيبة ، وقد يحدث فى مصنع أو كومونة أو هسيسين Hsien أو حتى فى دائرة أوسع أن يشكل الاكثرية من كبار السن «الا أن الاتحاد كان من أوائل التنظيمات التى قاست من بوادر الثورة الثقافية . فقد لوحظ حقيقة أن مجلة **الشبيبة الصينية** أعلنت ابتداء من أغسطس (آب) ١٩٦٥ عن نشر سلسلة من المقالات حول تكوين الاتحاد كان يجب أن تمتد الى ١١ عددا ولكنها توقفت فى شهر نوفمبر أى حالما تم انقسام الحزب الى مركزين .

على الرغم من أن توجيهات الرئيس ماو حول الشبيبة وتوجيهات الرئيس ليو حول التعليم كانت مختلفة فى روحها فثمة حركة كانت قد ولدت لمنح الطلاب مشاركة أكبر فى الحياة الاجتماعية ووسائل أكثر للتعبير . وساهم فى ذلك الاستعداد للدفاع الوطنى الى جانب تدريب الميليشيا ولكن طلاب المدن الكبرى

---

(١) انظر **يومية الشعب** بتاريخ ٢١ من ديسمبر ١٩٦٤ : تقرير شواين ـ لاى الى مؤتمر الشعب ٠

(٢) **الجبهة** ، بكين ١٩٦٥ رقم ٨ ، نقلتها كوانغمينغ جيهباو (١٠ من مايو ١٩٦٥) ٠

(٣) **الشبيبة الصينية** ، نصف شهرية لعام ١٩٦٤ رقم ١٤ ص ٢٣ ٠

(٤) **يومية الشبيبة الصينية** فى ٢ من ابريل ١٩٦٤ ٠ الافتتاحية ٠

دعوا – فضلا عن ذلك – الى المشاركة بين الفلاحين فى حركة التربية الاشتراكية. اذ أرسل عدد معين من بينهم الى القرى منذ عام ١٩٦٤ للمشاركة فى الأمور الأربعة الصالحة .

لو أن هذه الحملة أجريت فى كثير من الأماكن كعملية توطيد للحزب اذن لوجب على الطلاب المفرزين لها أن يشعروا بأنهم يعاملون ككوادر مقبلة وبذلك يكون الحزب قد كسب فيها مشايعين . فجميع طلاب السنتين : الثالثة والرابعة فى الجامعات والمدارس العليا فى بكين وعديد من المدن الاخرى عبئوا على هذه الشاكلة فى سبتمبر ١٩٦٥ وأرسلوا الى الارياف ولحق بهم طلاب السنة الخامسة فى نوفمبر . وفيما بعد اتهم الطلاب الثوريون السلطات الجامعية بأنها رغبت ، على هذا النحو ، فى التخلص من أشد المخاصمين لها بينهم ، اذ قدروا أنه قد يكون ثمة مايجب الاضطلاع به فى جامعاتهم من العمل السياسى أكثر مما قد يقومون به حيث أرسلوا . الا أن هذا الاحتكاك الاول بعدد من الحقائق السياسية كان بالنسبة لكثير من شباب المدن ، حتى تحت قيادة الحزب ، حافزا للعمل .

كانت المناقشات فى قيمة التعليم الدغماتى (العقائدى) ومباداة الطلاب فى العمل وفى استخدام الساعات الحرة والمشاركة فى الاتحاد أو فى أشكال أفضل من الفعالية السياسية وفى دور الطلاب فى السياسة وخاصة فى **حركة التربية الاشتراكية** ، قد أثارت الاضطراب فى المنشآت المدرسية عندما وصلت الى الجامعات أخبار مؤتمر الحزب فى مايو وبصورة خاصة النشرة الدورية المؤرخة ١٦ من مايو ١٩٦٦ . اذ كان الأمر قدصدر «بنقد الافكار الرجعية البورجوازية فى الأوساط الأكاديمية ، جميعها نقدا شاملا .. ولهذه الغاية يجب فى نفس الوقت توجيه النقد الى ممثلى البورجوازية ، المندسين فى الحزب والحكومة والجيش والاوساط الثقافية» .

وفى ٢٥ من مايو أطلق سبعة من طلاب جامعة بئيتا هجوما على سكرتير اللجنة المركزية الاول ، عميد الجامعة لوبينغ وعلى سكرتيرة مساعدة فى اللجنة هى بينغ بيئى – ايون . وألصقوا على حوائط الجامعة أول اعلان حائطى فى النقد يكتب بأحرف كبيرة tatzupao يصدر عن الثورة الثقافية ، موقع باسمائهم السبعة (١) . وهذا ما أكسبهم الشهرة ، اذ نعتهم القادة والصحافة بأنهم « المبادرون » فى الثورة . كانت نييه ايوان – تسو على رأسهم وهى أستاذة مساعدة فى كلية الفلسفة وسكرتيرة الحزب فيها . وبعد صراع قصير فى الجامعة أذيع **التاتزوباو** الذى الصقوه من الراديو فى أول يونيو (حزيران) بقرار شخصى من ماوتسى – تونغ ، على نحو ماخبرناه فيما بعد (٢) وقدم مثلا للبلاد بأسرها (٣) .

لقد كرست لجنة الحزب الجديدة لبلدية بكين التى كان لى هسويه – فبنغ (٤) فيها يحل محل بينغ شين ، انتصار الطلاب الثوريين فى بئيتا : وكانت

---

(١) علم به الجمهور بالطريق الرسمى من **يومية الشعب** الصادرة فى ٢ من يونيو ١٩٦٦ .

(٢) افتتاحية مشتركة فى **هونغسى** وفى **يومية الشعب** بتاريخ أول يناير ١٩٦٧ . انظر أنباء بكين ١٩٦٧ رقم ١ (٢ من يناير ١٩٦٧) ص ٨ .

(٣) **يومية الشعب** (٢ من يونيو ١٩٦٦) : « لنهلل لجريدة بأحرف كبيرة من جامعة بكين » .

(٤) سكرتير أول لمكتب اللجنة المركزية فى الصين الشمالية .

القرارات الاولى الصادرة عن اللجنة الجديدة هي اقالة لوبينغ وبينغ بيئى ـ ايون واعادة تنظيم لجنة الحزب في الجامعة وارسال **جماعة عمل** اليها .

وفى جامعات أخرى ، فى بكين وفى الاقاليم تظاهر عدد من الطلاب على غرار طلاب بئيتا . فأرسلت اليها كذلك **جماعة عمل** . وفى ١٦ من يونيو كتبت **يومية** الشبيبة تقول : «منذ ماقبل الاول من يونيو استجاب المدرسون والطلاب فى جامعة نانكين لنداء **المركز** والرئيس ماو وانطلقوا فى كفاح الثـورة الثقافيـة الكبرى » . اذ ألصق التاتنروباو الأول فى نانكين فى ٢ من يونيو (١) . وفى جامعة شباووتا Chiaota (٢) فى سيان فرضت احـــدى **جماعات العمل** فى اليوم الثالث من يونيو .

كان تكتيك **جماعات العمل** مألوفا لدى الحزب منذ أن وضعت **حـركة التربية الاشتراكية** موضع التطبيق . فقد كان الحزب يرسل فى مهمات بعض الزمر التى تتضمن عدداً من الكوادر الموثوق بها الى الـ « وحدات » التى كان يجب فيها القيام بالتحقيقات والبحث عن الذنوب وفرض تغييرات أو اقتراح جزاءات . والطريقة المفضلة لدى هـذه الجماعات كانت فى التحقيق السرى وتقديم التقرير المكتوم . فلم تكن لهذه الجماعات أية شعبية . كما كانت من جانب آخر لاتعتمد الا فى النادر على الجماهير بما أن تأليف **جماعات العمل** كان مقررا من الاعلى .

بيد أن هذا لايعنى القول أن مبدأ **جماعات العمل** كان يحمل دائما ، من جانب الماويين محملا سيئا فى أساسه ، ذلك أن محتوى عملها فى مؤسسات التعليم هو الذى أثار ثائرة الراديكاليين ـ وشكل أخطر ضرر جوزى من أجله ليوشاو ـ شى فى نظر أولئك الذين أدانوه . اذ كان ليو ـ وهو قائد التنظيمات المركزية فى بكين ـ المسئول الأول عن **جماعات العمل** .

لقد وجدت هذه الجماعات فى الجـامعات وفى المدارس ، فى المكاتب وفى المصالح العامة مثلما وجدت فى البنوك والصحف الكبرى بل فى بعض الوزارات، ولما كانت مضطرة للعمل بسرعة وفى وضع سياسى لم تكن تفهمه تمـام الفهم ومكلفة لاجراء تطهير باسم ثورة ثقافية لم يكن جهاز الحزب قد بين لها مغاليقها، فانها تولت ذلك التطهير كما لو كان «تصحيحا» . فبدلا من التقرب الى الطلاب والاصغاء اليهم ودفعهم الى الكلام ظلت تلك الجماعات فى منصة السلطة فى نظر الطلاب ، اللهم الا بعض جلسات الاتهامات العلنية .

وفيما بعد نشرت مجلة هونغشى دراسة حول فعل **جماعة العمل** المفرزة فى ٩ من يونيو الى جامعة شينغهوا Chinghua ختمتها بقولها : ان الجماعة اعتبرت من « السـود المدنسين » ـ الا عـددا ضئيلا شملته بحمايتها (٣) ،

---

(١) علقه تلاميذ مدرسة ثانوية مرتبطة بالجامعة ضد كوانغ ايا ـ مينغ سكرتير أول وعميد جامعة نانكين . وقد اتهمه الطلاب بعد ذلك بوقت قصير بانه وصف بال « رجعيين » أولئك الذين كانوا يتحيزون **ليومية الجيش** فى نزاع المراكز . انظر **يومية الشعب** بتاريخ ١٦ من يونيو ١٩٦٦ .

(٢) شياو تونغ تاهسويه ، هى مدرسة عليا للنقل والمواصلات ، كانت المركز الرئيسى لتحريك الطلاب فى مقاطعة شانسى .

(٣) ذكر فى **موتاكوتو نو شوزين** ، اساهى شيمبون شوزا كينكييو شيتسو ، طوكيو ١٩٦٧ ص ٣٤ ذكر سابقا .

المدرسين فى هذه المؤسسة وكوادر الحزب فيها ، على حين يكاد المرء ألا يجد ما يأخذه عليهم • مما أثار بلبلة بين الطلاب وبصفة خاصة بين طلاب جامعة بثيتا حيث أذهل طابع العقوبات الشبيبة بالارهاب ، التى طالبت بها جماعة العمل، جميع الناس • اذ ذكر أنها تقصت بصورة خاصة عن مسئولين عن حوادث جرت فى المخبر وقعت قبل هذه الاحداث بكثير ، وأرادت ادانتهم بعقوبة الموت .

ان كوادر منظمات الشباب ومسئولى الفصول عزفوا فى بداية الأمر عن الفهم وظلوا متحفظين ، فى حين كان الطلاب التقدميون يرفعون الصوت ليقولوا : ان الحركة كانت تسير سيرا معكوسا . وهكذا فضحوا استغلال النفوذ لدى **جماعة العمل** فأصبحوا عندئذ مرمى جديدا لها ، ولكنهم جميعهم ـ سواء من الكوادر الشابة أو من التقدميين ـ كانوا يكتبون ، دون انقطاع ، الملصقات الا أن قسما منها كان يتم بالامر ، وكان يبدو أنه لابد لكل واحد من أن يستهلك جراية معينة من الحبر والورق كل أسبوع . وكانت جماعة العمل تسهر على ذلك وتعاقب بشدة فيما بعد . وعندما غدا ماكان يسهل الوصول اليه من حوائط الجامعة مغطى بالتاتزوباو قضى الأمر بأن يسمح بتعليقها فى الغرف والابهاء . فعلق بعضها فى الاروقة حتى كنت تجد عددا لا حصر له من الاعلانات المتدلية كالغسيل المعلق بالحبال ، تشكل ممرات داخلية .

ان اللجوء الى جماعات العمل يبدو عملا مرتجلا للاحتفاظ بالثورةالثقافية قريبة بقدر الامكان من المخاصمات الاكاديمية ، تديره الكوادر التى كانت تعتمد على تضامن الجهاز لكى تتحاشى أن تضعف اضطرابات الحزب ، بل ان زعماء مثل لى هسويه ـ فينغ ، ممن كرسوا أنفسهم فيما بعد للثورة الثقافيةناشدوا فى تلك الفترة سلطة الحزب بأكملها لحماية **جماعات العمل** ، فقد قال لى هسويه ـ فينغ : « من عارض **جماعات العمل** فقد عارض المركز (١) ويجب القول أن ماوتسى ـ تونغ لم يكن قد رجع بعد فى ذلك التاريخ الى بكين حيث لم يكن هناك سوى مركز واحد من مركزى الحزب وقليل من الموثوقين من الثانى . ونادرون هم القادة المحليون الذين كان فى وسعهم أن يلمحوا كيف اجتياز العقبة واستخدام جمهور الطلبة .

وفى غضون ذلك لم يكن للطلاب التقدميين ، الذين كبح جماح اندفاعهم لتطبيق نشرة ١٦ من مايو ـ الحق ، فى سيان على سبيل المثال ، أن يعلقوا ملصقات أو صورا هزلية فى الشارع ولا أن يقوموا باستعراضات فى المدينة ، كان عليهم أن يقتصروا على نقد «قرية الاسر الثلاث» (٢) ـ فطفقوا فى مناقشة ماكان يمكن أن يكون عليه اصلاح التعليم .

---

(١) لقد فضح **قرار الستة عشر بندا** الصادر عن اللجنة المركزية فى **اجتماعها الحادى عشر الموسع** خطأ ذلك الوضع صراحة فى ٨ من أغسطس : « حتى لقد رفع عدد من المسئولين شعارات تعتبر من يعارض المسئولين عن تنظيم أو عن جماعة عمل يكون معارضا للجنة المركزية للحزب وبالتالى يكون معارضا للحزب وللاشتراكية •• ان ذلك لخطأ فى التوجيه وخطأ فى الخط •• » ، دون ذكر لى هسويه ـ فينغ مع ذلك •

(٢) توجيهات هوو شيه ـ لين ، سكرتير أول للحزب لمقاطعة شينهى ، فى ٤ من يونيو ١٩٦٦ (ذكرها أ • واطس : مجلة اقتصاد الشرق الأقصى ، ٢٠ من ابريل ١٩٦٧ •

واذ أدانت جماعات عديدة منهم الانظمة القديمة (١) فى جملتها ، فانهـا كتبت الى اللجنة المركزية والى الرئيس ماو ، بمشروعاتها للاصلاح (٢) ، متخطية بذلك **جماعات العمل** . وقد انطـوت رسالة سبعة طلاب من جامعة الشـعب جنتا (٣) Jenta على واحـد من أشهر تلك المشروعات ، طالبا أن تختار الجامعات طلابها من الآن فصاعدا من التلاميذ الذين انخرطوا فى حركة الثورة الثقافية والذين أظهروا فيها مزاياهم . لم تكن تنظيمات **الحرس الاحمر** قد تمت بعد حقيقة فى الجامعات والمدارس . بل الاصح أن ما تكون منها لم يصبح من الممكن رؤيته من الخارج .

كانت المرة الأولى التى مهر فيهـا **الحرس الأحمر** وثيقة بتوقيعه هى عندما وجهت جماعة من تلاميذ المدرسة الثانوية فى **شينفهوا** (٤) رسالة مفتوحة . وتاريخ هذه الوثيقة يحددها بعد عودة ماوتسى ـ تونغ الى بكين (٥) بيومين ، ولكن بخمسة عشر يوما ، قبل تلك الايام التى كثيرا ما شاء بعضهم أن يرى فيها « جيلا عفويا من **الحرس الاحمر** » .

لقد عاد ماوتسى ـ تونغ الى بكين فى ١٨ من يوليو وكان هذا اليوم تمردا حقيقيا ضد **جماعات العمل** . فشيانغ شينغ نفسـها جاءت الى بئيتا لتشجيع التقدميين ، وانتحل الطلاب لأنفسهم حق اقامة جمعية وألغيت جماعات العمل نهائيا فى ٢٤ من يوليو (٦) .

كان من المنطقى أن يكون الطلاب التقدميون أول المستفيدين من اسقاط **جماعات العمل** وكسب حريات جديدة . ومع ذلك فان أولاد الكوادر العليا ، فى كثير من الاماكن هم الذين ، بعد أن قاموا بدور فعال الى جانب **جماعات العمل** لقلب القيادات الجامعية المنتمية للخط الاكاديمى ، رأسـوا الحركة الطلابية فى عدد من التنظيمات التى أنشئوها ، ففى جامعة شينغهوا أحيا خمسة طلاب ينتمون لأسر تتبوأ مناصب عالية فى الحزب منهم ابنة ليو تشاو ـ شى وابن هولونغ ،

---

(١) « قرار متعلق برفع مستوى توعية التعليم فى المدارس الثانوية والابتدائية » تم اعداده باشراف بينغ شين فى عام ١٩٥٤ ـ انظر **بكين جيهباو** (٢٤ من ابريل ١٩٦٧) : « قماش وقارب من الورق أشعلت النار فى السماء » بقلم جماعة شينفكانغشان من دار المعلمين العليا فى بكين .

(٢) مدرسة ثانوية للبنات رقم ١ فى بكين . مدرسة ثانوية رقم ٤ فى بكين . انظر **انباء بكين** ١٩٦٦ رقم ٢٦ .

(٣) **يومية الشعب** (١٢ من يونيو ١٩٦٦) . كان المشروع يطلب ، فضلا عن انقاص تعميم استخدام مؤلفات ماوتسى ـ تونغ كنصوص للدراسة وأن يزاد فى القراءات الجماعية والمناقشات بين الجماعة .

(٤) **تحليل اخبار الصين** رقم ٦٣٤ ، هونغ كونغ (٢٨ من اكتوبر ١٩٦٦) ص ٥ .

(٥) انظر مقال « جماعة الأحد عشر » من تنظيم **شينفكانغشان** التابع لجامعة شينغهوا ، فى **الصين التى تبنى** رقم ٧ لعام ١٩٦٨ .

(٦) انظر أول نقد ذاتى أجراه ليوتشاو ـ شى .

ال « لجنة التحضيرية المؤقتة » (١) ، التي ارتبطت بها ال « القيادة العامة المؤقتة للحرس الأحمر في شينغهوا » وهؤلاء الطلاب هم الذين اجتذبوا اليهم ـ لمدة حقبة قصيرة ـ عدداً من الرفاق ونظموهم ٠

ان ذلك الذى سيصبح فيما بعد أشهر من فى **الحرس الأحمر** فى جامعة شنغهوا نفسها ألا وهو كواى تا ـ فو قد ظهر حينئذ أقرب الى المعارض المنعزل منه الى المنظم . فقد سعى بلا كلل لرفع الاصوات ضد **جماعة العمل** واستفزها فى مناقشات جرى منعها واشتهر برسائل الى العميد ايه لين ، كان الطلبة يتداولون نسخا عنها وأراد أن يلجأ فى ذلك الى اللجنة المركزية وسجن فى الجامعة واضرب عن الطعام ، وفيما بعد ، فى مطلع شهر أغسطس كتب نقده الذاتى معترفا فيه بأنه لم يسع الى توحيد العدد الاكبر وانه ارتضى بالعدد القليل من أولئك الذين كانوا يشاركونه آراءه .

كذلك عندما أنشأ أبناء أصحاب المقامات الرفيعة فى الحزب ، لاملاء الفراغ الذى خلفته جماعة العمل المحكوم عليها بالانسحاب ، **اللجنة التحضيرية والحرس الاحمر** فى شينغهوا حول كواى تا ـ فو اليهم هجماته المتزايدة ، فأثار الشك فى الصفة التمثيلية للجنة التحضيرية . وطالب باجراء انتخابات دون ابطاء (٢) ، وألح على وجوب استشارة جمهور الطلبة لكى يقدموا هم لأنفسهم قادتهم الخاصين بهم .

كانت لكواى تا ـ فو أفكار سياسية فساهم نشر كتاباته كما ساهم نشر

---

(١) يبدو أن **جماعة العمل** فى جامعة شينغهوا كانت تستلهم من وانغ جين ـ شسونغ ، الذى يظل بعض الوقت مديرا مساعدا **لجماعة الثورة الثقافية فى اللجنة المركزية** على حين كان نيوشاو ـ شى وزوجته وانغ كوانغ ـ يثى يتطوعان كمستشارين لجماعة العمل ، وكانت تكوينات الحرس الأحمر الأولى من خلق أبناء هؤلاء القادة ٠ وتبقى جامعة شينغهوا حالة فريدة تخلب اللب فى الثورة الثقافية فى نهاية حقبة **جماعات العمل** ٠ ومن أولاد القادة كانت هناك : ليوتاو ، ابنة ليوتشاو ـ شى ، طالبة فى قسم التسيير الذاتى ، كانت مسئولة عن البريزيديوم المؤقت ل « لجنة التحضيرية المؤقتة » ٠

هوبينغ ـ فيئى ، بن هولونغ ، طالب فى قسم الميكانيكا الصناعية ، مسئول القيادة العامة المؤقتة للحرس الاحمر فى شينغهوا لدى البريزيديوم المؤقت ل « لجنة التحضيرية المؤقتة» (الثلاثة المؤقتة) .

لى لى ـ فينغ ، بن لى شينغ ـ شوان (سكرتير أول لمكتب اللجنة المركزية لمنطقة الجنوب الغربى من الصين) طالب فى قسم العلوم الفيزيائية فى الهندسة ، مساعد هوبينغ ـ فيئى فى « الثلاثة المؤقتة » ٠

ليوشو ـ فين ، بن ليونينغ ـ ايى (اسكرتير اللجنة المركزية) طالب فى قسم التسيير الذاتى « القائد الأعلى **للحرس الأحمر** فى شينغهوا ٠

وانغ هسيا ـ هو ، ابن وانغ جين ـ شونغ (سبقت تسميته) ، فضلا عن أنه سكرتير اللجنة المركزية للمركز ـ جنوب) طالب فى قسم الراديو ـ كهرباء ، مسئول ال «قيادة العامة المؤقتة للحرس الاحمر فى شينغهوا» ومؤسس ال «**حرس الاحمر** فى هونغسى» .

انظر مقال نوغامى Nogami فى الاساهى شيمبون (١٠ من ديسمبر ١٩٦٧) طبعة نهارية ٠

(٢) كواى تا ـ فو ، « ثمانى مسائل يجب حلها فى الوقت الحاضر » ٤ من أغسطس ١٩٦٦ ٠

كتابات أخرى (١) ، كانت تشبهها ، فى يقظة الطلاب الآخرين السياسية ، أما أولاد المقامات الرفيعة فى الحزب فقد كانوا يعملون باسلوب آبائهم فيؤطرون جمهور الطلاب بصورة تقودهم الى حلول مهيأة . وبالتالي — وهل كان ذلك عن وعى تام منهم — فانهم كانوا يعملون من أجل آبائهم .

ان **اللجنة التحضيرية** وقد فقدت حظوتها فى نظر الاكثرية لارتباطها من حيث المنشأ **بجماعة العمل** ، لم تعمر طويلا . ومضى أعضاؤها وأولاد قادة آخرين يزيدون فى أعداد تكوينات أخرى أكثر شبها بالشرذمات التى كانت تنشأ بعد ذلك فى كل مكان . ويعثر الانسان على كثير منها فى تلك التى اتخذت لنفسها اسم « مصلحة نظام **الحرس الأحمر** »(٢) ومنها « مصلحة نظام غربى المدينة » التى قدمت شريطا للنزاع الى ماوتسى — تونغ فى تين آن مين يوم ٣١ من أغسطس .

وعندما رأى هؤلاء الطلاب ، الذين كانوا يحسبون أنفسهم من صناع الثورة الثقافية ، أن آباءهم كانوا يتعرضون للنقد بوصفهم المدافعين عن الـ « خط البورجوازى » ، افضى بهم الامر الى الشك فى جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية . فانخرط بعضهم فى صفوف «لجنة العمل المتحالفة» ، وهى تشكيل اشتهر بأنه رجعى ولسوف نسمع عنه فيما بعد ، ثم أوقفوا فى مطلع عام ١٩٦٧ ، وهكذا فان رجال **الحرس الاحمر** الأوائل ، أولاد الزعماء لم يقطعوا سوى مسافة قصيرة الى جانب الثوريين .

فيما يفيد الحرس الأحمر

كان انسحاب جماعات العمل مناسبة لعدد من مظاهرات الابتهاج التى أتاحت لمدشنى الثورة الثقافية أن يتخذوا المبادأة فيعبئوا الطلاب بأعداد ضخمة . وحدثت الاجتماعات الكبرى الاولى فى الجامعات ولاسيما فى جامعة بئيتا فى يومى ٢٥ و ٢٦ من يوليو (تموز) حيث جاء شين بو — تا **زعيم جماعة الثورة الثقافية فى اللجنة المركزية** بنفسه يتحدث الى الطلبة (٣) ثم دعا الطلاب الى اظهار قوتهم فى المدينة نفسها . ولكن الامر آل بالحزب باتجاهيه ، وقد عاكسا جهود الطلبة ، الى اضفاء طابع مبهم على مظاهرة ٣١ من يوليو الكبرى : اذ كان الراديكاليون يحتفلون بنهاية **جماعات العمل** ووجود ماوتسى — تونغ فى بكين وانتصار «خط الجماهير» (٤) ، وكان جهاز الحزب يدعو الى التظاهر ضد الامبريالية الامريكية بسبب الغارات على المدن الكبرى فى فيتنام الشمالية . فعمل على قدوم وفود من الفلاحين الى المدينة ، اختلطت بالطلاب . ثم جاء وقت انعقاد الدورة الحادية عشرة للجنة المركزية بكامل هيئتها .

---

(١) كان تان لى — فو ، وهو أول من اتهم بالتروتسكين فيما بعد ولوحق ، ابن أحد كبار الكوادر . **وقد وزعت طبعات من الاستشهادات باقوال بالآلاف** . انظر **اساهى شيمبون** طبعة يابانية ، نوغامى ، ١٠ من ديسمبر ١٩٦٧ .

(٢) شيوشا توى chiu cha Tui

(٣) انظر **شوغوكو بونكا دايكاكومى وودوميرو** ، شنيسهون شوبا نشا ، طوكيو ١٩٦٨ ص ٢١٤ ذكر سابقا .

(٤) افتتاحية هونغشى فى ٣ من يوليو ١٩٦٦ : «الثقة بالجماهير ، الاعتماد على الجماهير» .

وفي ١٠ من أغسطس ، نزل ماوتسي ـ تونغ الى الجماهير • ومما يذكر أنه لم يخطر بهذه المبادرة سكرتير الحزب ولا مكاتب الدعاية بل ولا الصحافة ، خلافا للعادات • فأطلق ظهوره عاصفة من الحماسة ، وجرى الاحتفال بعد ذلك بوجوده في شوانغ نان هاى (١) بأمواج لاتنقطع من المتظاهرين الذين كانوا يأتون نهارا وليلا ، للطواف بالأسوار الخارجية في انفجار من الفرح ، المولد للوحدة • وكان الطلبة يستقرون في المدينة وتتأخر وفودهم مع الوفود الاخرى في هذا المهرجان الهائل وسط قرع الطبول والدفوف ابتهاجا بعودة الرئيس مكللا بمجده • وأخيرا حدث اجتماع هائل للشباب في تيين آن مين قدم ماوتسي ـ تونغ أثناءه **الحرس الاحمر** •

كانت المهمة التي سيتولى اعباءها رجال الحرس الاحمر مستخلصة من شعار اطلقته **يومية الجيش** يرجع تاريخه الى قبل عشرة أسابيع خلت . ذلك أن القيادة بواسطة أدوات الصحافة مسالك مسدودة بعض الشيء وسيرا بطيئا خاصة عندما توجه التعليمات الى الجماهير . فيجب أن تمر اليهما النصوص المجردة بالشرح وأن يقوم بتفسير المقاطع المعدة للعمل أولئك الذين يكونون على اطلاع بالتكتيك • ففي ٧ من يونيو كتبت **يومية الجيش** أن « مهمة الثورة الثقافية الاساسية» سوف تكون «هدم الفكر والثقافة والاخلاق والعادات القديمة رأسا على عقب » (٢) وكان الطلاب يهمون بأن يتكفلوا بهدم أربعة الامور القديمة أو كما كتبت أحيانا ، ال « أربعة العتاق » •

كان القرار في ست عشرة نقطة ، الذى تبنته اللجنة المركزية في ٨ من أغسطس قد أنشأ من قبل شرطا لا غنى عنه لئلا ينحط هذا المشروع الى معركة مشكوك فيها : منح الطلاب الحماية الضرورية ضد ملاحقات الجهاز وضد أعمال القمع عندما ينقلون الثورة الى الشارع . فقد كانت النقطة السابعة تقول :

« يجب عدم اتخاذ أى اجراء ضد طلاب وتلاميذ الجامعات والمعاهد والمدارس الثانوية والابتدائية بمناسبة مايبرز بينهم من مشاكل أثناء الحركة .. وليس من المسموح بأية دعوى كانت ، تحريض قسم من الجماهير على الكفاح ضد قسم آخر منها وجماعة من الطلاب ضد جماعة أخرى ، حتى اذا كان المقصود عناصر حقيقية من اليمين فان مشاكلهم يجب أن تسوى وفقا للحالة التى انتهت اليها في المرحلة الاخيرة من الحركة» .

فالحقيقة أن الجماعات الفعالة الأولى قد انتشرت في شوارع بكين في ٢٠ من أغسطس على الصعيد المهيأ على هذا النحو وطفقت تغير أسماء الشوارع

---

(١) تقع مكاتب اللجنة المركزية وبيوت زعماء الحزب والدولة داخل سور على ضفاف بحيرات الوسط والجنوب (شونغ نان هاى chung Nan Hai) التى تشكل جزءا في سلسلة أحواض المياه التى تمتد غرب المدينة المحرمة • فال (شونغنا نهاى) يشبه الكرملين في بكين •

(٢) «ان فكر ماوتسي ـ تونغ هو توام قضيتنا الثورية ومجهر لهاء افتتاحية **يومية الجيش** في ٧ من يونيو (الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى في الصين) ، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين ١٩٦٦ ، كراسة رقم ٣ ص ١٥ •

وتحرق الكتب القديمة وتحطم على اللوحات الأحرف التى كانت لا تزال تذكر بأسباب الماضى الاجتماعية .

وفى أيام نشر التليفون والراديو الحركة فى الاقاليم . فغيرت مدينةشينيان (موكدن) اسمها – على الاقل فى لوحات المحطة – لان الحروف المختصرة لاسمها تكتب بصورة يمكن أن تعنى «الشمس الفارقة» وهو معنى غير مقبول ، فى حين أن ماوتسى – تونغ هو «الشمس التى لاتغيب أبدا» . وسماها رجال الحرس الاحمر مدينة هونفيئيانغ أى الـ «شمس الحمراء» (١) (الا أن **يومية الشعب** ، لم تنقطع عن اطلاق اسم شينيان عليها) .

ووجه الطلاب لومهم فى الشوارع للبنطلونات الضيقة – وللاحذية ذات «البوز الصاروخى» ولكل ماكان يذكر بـ «نمط هونغ كونغ» . وانتهكوا حرمة المعابد وأزعجوا الراهبات – وغادرت الراهبات الاجنبيات بكين – وفى المقابر حطموا قبور رجعيى الماضى – ولم يوقروا قبور الاجانب . ونظروا الى كتاب وفنانين أموات ، مثل شى باى – شيه ، من خلال آثارهم . أما الاحياء المتعلقون بذكريات أسرهم أو بالعادات الغربية فقد اضطهد كثيرون منهم ، بل واختفوا .

لقد شاهد عدد من الأجانب حصلوا على امتياز زيارة « معرض الحرس الاحمر» (٢) فى شهر أغسطس ١٩٦٧ أشياء كثيرة من التى صودرت . يروى ساكاغاكى (٣) Sakagaki انه كان فى وسع الانسان أن يرى الى جانب الواجهات الزجاجية التى تظهر النصوص التى سببت انقسام الحزب والاصول الاولى لوثائق الثورة ، ٢٦٨ مسدسا معروضة ومائة ألف قطعة من الذهب وأربعة وثلاثين ألفا من القطع الفضية وأعلاما وبدلا رسمية من أيام الكوميتتنغ ، دون احصاء دفاتر الحسابات وتذكارات للمقتنيات القديمة التى كان الملاك العقاريون السابقون متهمين باخفائها لاستخدامها من جديد ذات يوم كمستندات لملكيتهم .

واذا كان عدد معين من الأفعال ينحط الى العنف أو الى اللصوصية فان عددا من تنظيمات رجال الحرس الأحمر قد وضعت لنفسها لوائح ألصقتها فى المدينة . كنت تجد فيها بصفة خاصة توجيهات بالسلوك الحسن والتحذير من المعلومات الخاطئة . فقد كانت الانباء تنتقل بحرية أكبر فى الصين ولكن دون أن تخلو من المبالغات التى تضاف اليها بانتقالها «من فم الى أذن» . والى جانب ملصقات النقد كان فى مكنة الانسان أن يقرأ صحف الحائط التى تنبىء باختيار الاقاليم وتقارير عن حوادث مأساوية تروى هنا ، وهناك قتل عدد من الشباب الثوريين بيد جماعات رجعية ، أو بيد قوى النظام . وكان انتقال هذه الاخبار يثير الذعر فى الاهالى .

أما الاستعلامات التى كان رجال الحرس الاحمر أنفسهم بحاجة اليها لتنظيم عملهم أو دفاعهم ، فانها كانت فى أغلب الأحيان تذاع بنشرات مما كان يتيح لهم جمع رجالهم المبعثرين فى المدينة ولكنه يجازف فى احداث الرعب .

---

(١) كونو ، بكينغ كونو ايشنين ص ٤١ .

(١) فى مركز المعارضة فى بكين .

(٣) آجيبا كتيزاى جومبو رقم ٦٩٦ ، طوكيو ، سبتمبر ١٩٦٧ ص ٤ وما يليها .

وكان أصحاب «اللوائح» يعتزمون مكافحة هذا الرعب والمساهمة بحد أدنى من التنظيم . وخارج هذا النطاق وفيما عدا قانون أخلاقى ابتدائى والخضوع لفكر الرئيس ماو فان «لوائح» **الحرس الاحمر** كانت قليلة الوضوح حول الدور الذى تقوم به تنظيماته .

فهل كان عليها أن تلعب دور القوى السياسية ؟ وماذا كانت حدود عملها ؟ فقد كان القادة أنفسهم ـ وقد فوجئوا بعض الشىء بالوضع الجديد ـ يختلفون فى بياناتهم عندما كانوا يوجهون كلامهم الى **الحرس الاحمر** ويعطون انطباعا بالارتجال . وبعد ذلك بقليل قدم شواين ـ لاى الحرس الاحمر كما لو كانوا أجهزة نقد (١) وكان مما يجانب الحكمة أن يسند الى رجال **الحرس الاحمر** دور سياسى بسبب التشوش العظيم فيما لا حصر له من الاتجاهات المختلفة فى التنظيمات .

اذ «علينا فى الفلك السياسى أن نعيد تنظيم جيوشنا . فهى مكونة فى الوقت الحاضر من شيع مختلفة .. لقد كان هناك عدد من المؤسسات قد أضيرت بالغاء جماعات العمل ... فيجب علينا أن نعطيها الفرصة للتعويض وللاستيقاظ» (٢) .

وثمة توجيه من اللجنة المركزية (٣) حدد عرضا ، فى نقطة من النقاط الشكل الذى قد يتخذه هذا الدور من النقد ، الوسيط بالتالى :

«ان الاقتراحات من أجل الغاء العادات القديمة والثقافة القديمة والاخلاق القديمة والافكار القديمة سوف يبحث فيها ويبت بها من قبل وحدات الحرس الاحمر ، وانما سوف تسلم لجمعية الفلاحين الفقراء والادنى من المتوسطين فى الكومونة (أو من المحتمل هسيين hsien تبعا لأهمية الاقتراح) التى سوف تبحث فى فائدتها وتتخذ فيها قرارا» (٤) .

لكن هذا لايكفى لتفهيم جمهور الطلبة بأكمله بأى قصد استراتيجى قد اشتركوا فى نقد السلطات ، حتى اذا كان من المقرر أن عمل **الحرس الاحمر** يوفر فرصة لمنح الحياة الى جمعيات الفلاحين . ففى دراسة منشورة فى عام ١٩٦٨ نقلت الأساهى Asahi أن ماوتسي ـ تونغ قال فى خطابه الختامى للدورة الحادية عشرة لاجتماع اللجنة المركزية الموسع بأن المؤتمر التاسع للحزب سوف يعقد بلاشك فى فترة مناسبة أثناء العام التالى . وقال : «ولكننى أريد من

---

(١) خطاب فى ٩ من ديسمبر ١٩٦٦ ألقى فى شونغنانهاى هسياونغ على ثلاثة تنظيمات هى (هونغشى من معهد الملاحة الجوية وكومونة تونغفانغ من معهد الجيولوجيا وكومونة شينغفا من معهد العلوم السياسية) . فقد جعلها شواين ـ لاى ، باعتبارها أجهزة نقد المركز التى توجه اليها نشرة أخبارالكوادر .

(٢) المصدر السابق .

(٣) حول سير الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى التقسيمات الأصغرمن الهسيين (١٤ من سبتمبر ١٩٦٦) .

(٤) اذاعة لجنة البلدية فى تيينسين Tientsin بالملصقات فى ٢٢ من سبتمبر

أجل اعداده بأن تلقى الأمور على عاتق رياسة المكتب السياسى الذى تم انتخابه فى الدورة الحادية عشرة لاجتماع اللجنة المركزية الموسع» (١) .

كان مؤتمر الحزب المقبل ماثلا فى ذهن ماوتسى ـ تونغ اذن فى الوقت الذى كان يعبىء فيه الطلاب . فلابد لنا عندئذ من القول أن موضوع النقد الموكل أمره الى جماهير الطلاب كان يجب أن يؤدى الى تعليق عضوية قسم من أعضاء الحزب أو طردهم واقرار أغلبية مناسبة على هذا النحو . ولم يكن فى وسع الطلاب أن يأخذوا مكانا رئيسيا فى السياسة بسبب نقصان تجربتهم وعدم قيامهم بدور اجتماعى حقيقى . وهذا ماذكرهم به شانغ شون ـ شياو منذ ٢٧ من أغسطس(٢) : «ان الاسقاط (اسقاط الآخرين) سهل جدا ولكن لن يبقى لكم عندئذ ماتعارضونه» ، وبعبارات أخرى : انكم تقومون بعملية دفاع جانبى ، ولكن الحزب يبقى وأولئك الذين سوف يرممون المجتمع السياسى بحاجة الى جميع العناصر .

واذ انخرط الطلاب فى الكفاح ضد الـ «أربعة العتاق» فانهم قاموا حتى ذلك الحين بدورهم كناقدين فى صميم الشعب . والحقيقة أنهم لم يتبعوا الامر باتخاذ مسئولين فى لجان الحزب (٣) مرمى لهم الا بعد العيد الوطنى فى أول أكتوبر وهى حقبة تقليدية للهدنة فى الصراعات السياسية . وكان لابد من أن ينتج عن ذلك تخشن وهذا ما دعى بال « تمرد » باشارة كلمة ماوتسى ـ تونغ التى فضلها الثوريون منذئذ على جميع ماعداها : «فى الماركسية توجد محاكمات مجردة من جميع الانواع ، ولكن لو شئنا تكثيفها لامكننا تلخيصها بجملة واحدة قائلين : انه من حقنا أن نتمرد » (٤) .

كان ينتظر الطلاب فى تمردهم شكلان من المقاومة : الجمود المعادى فى كثير من الوحدات (٥) ورد فعل الـ « سلطات » .

الامتياز الطلابى

رأينا أن **القرار المؤلف من ست عشرة مادة** كان يضع الطلاب فى مأمن من أعمال القمع . الا أنه لم يكن ثمة شىء يتيح لنا أن نتبصر فى الامور كيف تجرى عندما يكونون قد خرجوا من أماكنهم ليحملوا الثورة الثقافية الى قلب الادارة السياسية ثم الى العمال والفلاحين . وعلى كل حال فان عددا من الحوادث كانت قد وقعت منذ سبتمبر مع العمال والفلاحين وأحدثت ردفعل سريع من

---

(١) اساهى جيانارو ، ج . ١٠ رقم ١٨ «واكاغايتا توسوشيكى نوتا يشينسو» ص ٢١ .

(٢) كان يتوجه بكلامه الى **الحرس الأحمر** فى تيينسين وبكين . منشور فى ٤ من سبتمبر ١٩٦٦ .

(٣) كان لين بياو هو الذى أعطى التوجيه الذى وسع الطلاب بالاستناد اليه انتقاداتهم لتشمل الشخصيات القائمة على الحكم من الحزب . وذلك فى اجتماع كبير يوم ٣١ من اغسطس . الا أن اجتماعات الطلاب فى أول أكتوبر هى التى قررت العمل .

(٤) من خطاب لماوتسى ـ تونغ فى اجتماع للاحتفال بعيد ميلاد ستالين فى ينان Yenan

(٥) ليس مما يباح أن يسعى (الثورى) بحجة الحذر ، لتجنيب وحدته الخاصة الاشتراك فى الصراع بين الطريقين : البورجوازى والبروليتارى ، هكذا قال نداء صادر عن القيادة العليا لثورة رجال الحرس الأحمر الثوريين فى العاصمة بتاريخ ٩ من نوفمبر ١٩٦٦ .

جانب القيادة الثورية التي بذلت جميع جهودها لكي تتجنب التداخلات بين ثورة الطلاب الثقافية والثورة في المصانع والحقول . واختص ماوتسي – تونغ منها **بجماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** :

« كنت أود لو ترون هذه الحالة(١) فهي في تسنيغتاو وفي سيان وفي شانغشا وأماكن أخرى ، في نفس الوضع ، ثمة تنظيمات من العمال والفلاحين قد تشكلت وهي تعارض الطلاب . فاذا استمر هذا الامر يجري على هذا النحو فسوف لانستطيع حل المشكلات . يجب على المركز أن يصدر توجيها ويمنع حيثما كان هذا النوع من الامور . وبعد ذلك يجب أن يكتب مقـــال يحث العمـــال والفلاحين على ألا يتدخلوا في الحـركة الطلابية . ففي بكين لم تقع من الحالات ما حمل فيها العمال والفلاحون على مهاجمة الطلاب باستثناء جامعة الشعب التي جمعت ستمائة فلاح وأطلقتهم في المدينة للدفاع عن كوواينغ – شيو (٢) لذلك يجب ترويج تجربة بكين وتقديمها مثلا للأقاليم » (٣).

وبعد ذلك بأربعة أيام أذاعت اللجنة المركزية أمرا بأنه كان يجب اقناع العمال والفلاحين وسكان المدن بأن يتجنبوا أي تدخل مع الحركة الطلابية ، وان غالبية الطلاب كانت سليمة وانهم سيربون أنفسهم بأنفسهم بالتجربة ، وانه يجب ألا يرتفع أي جدل مع الطلاب وانما اذا كان الناس في نفس المكان يجدون ما يردون به على أفكار الطلاب فيجب عليهم أن ينقلوا ملاحظاتهم الى اللجان (٤) ففي كل مكان يجب على اللجان المحلية أن تحقق في الخصومات التي تنشأ وتعمل على تهدئتها ، وليس في مكنة المسئولين أن يلجئوا في ذلك الى الجماهير . وأخيرا فان القرار كان يضيف الى ذلك أنه على مسئولي اللجـان المحلية أن لا يخشوا من الطلاب ، بل عليهم أن يتناقشوا معهم طبقا «**للخط الجماهيري**» .

وكما طلب ماوتسي – تونغ أتاحت يومية الشعب صـدور افتتاحية (٥) أقرت فيها أن بعض الأشـخاص في موقع المسئولية قـد انتهكوا قواعد الست عشرة نقطة . وتم اخطار **الحرس الأحمر** بأن العمال والفلاحين كانوا قادرين على القيام بثورتهم بأنفسهم . فكان لابد على الطلاب من أن يدعوهم وشأنهم وألا يتدخلوا في الانتاج . ولكن عددا لا بأس بضخامته من الطلاب أرسل لمساعدة الفلاحين في الحصاد .

وهكذا تم القرار ، مؤقتا على الاقل ، بتجنب اختلاط الفئات . اذ كان للطلاب وحدهم امتياز الخروج من وسطهم الاجتماعي – السياسي ، من وسط جامعاتهم ، لنقد لجان الحزب والادارة . وكان في وسع العمال والفلاحين أن

---

(١) لا شك في أن ثمة وثيقة كانت مرفقة .

(٢) نائب مدير جامعة الشعب .

(٣) تعليمات في ٧ من سبتمبر ١٩٦٦ من ماوتسي – تونغ الى لين بياو ، شواين – لاي ، تاوشو ، كانغ شينغ ، شين بورتا ، وانغ جين – شونغ وشيانغ شينغ ، ذكرت في كوكو ، ذكر سابقا ، طوكيو (١٩٦٨) ص ٢٢٣ (النص الكامل) .

(٤) المصدر الســابق ص ٢٢٣ – ٢٢٤ (النص الكامل) .

(٥) يومية الشعب في ١١ من سبتمبر ١٩٦٦ .

يفوقوا بالثورة الثقافية حيث هم ولكن لم يكن لهم الحق في أن يصعدوا نحو المركز ولا أن يكافحوا ضد الطلاب ، أما الجيش ـ كما سبق لنا أن رأينا ـ فقد كانت الغلبة فيه للانضباط على كل حركة ثورة الا أنه يجب أن نضيف إلى ذلك أن القادة الثوريين قد سعوا الى الحد من آثار هذا الامتياز الطلابي الذى كان يستتبع حق النظر الشامل فى البلاد كلها ، وذلك انهم كانوا فى الاماكن التى يأتى اليها الطلاب من خارجها ، ويريدون فى الشئون المحلية يعملون على ابعادهم عنها .

ولقد اتخذت رحلات الطلاب ابتداء من أغسطس ١٩٦٦ شكل هجرات حقيقية . وكانت على نوعين يجب تمييزهما لفائدة التحليل . فمن جهة رحلات الطلاب الى بكين والمدن الكبرى التى حركت أعدادا هائلة . ومن جهة أخرى مهمات **الحرس الاحمر** الى الاقاليم .

كذلك فان التمكن من الارتجال بصورة جماهيرية هو امتياز أعطى للطلاب فقد دعا المركز (١) جميع الطلاب وقسما من تلاميذ المدارس العليا للمجيء الى بكين فأثار هذا الفعل حركة من الحماسة المذهلة في شبيبة الصين الطلابية بأكملها . كان ذلك قرارا تكتيكيا رئيسيا بما أنه سينشر الحركة التى كانت قد استغرقت تماما فى بكين ، اذ سيقوم بعملية التمازج الكبير . ولكنه كان بالنسبة للطلاب ـ قبل كل شيء ـ حرية جديدة وفرصة لمعرفة بلادهم لم تكن قد أتيحت للعدد الكبير من قبلهم . فالصينيون يميلون الى الارتحال ، لكن الانتقال يخضع للرقابة فى الصين ويجب أن يكون الانسان قادرا على دفع تكاليفه . والكوادر والجنود هم وحدهم الذين يملكون فرصة لزيارة بلادهم . وهاهو جيل من الشباب بصورة استثنائية سوف يتذوق مدة من الزمن الحرية الكبرى فى الارتحال .

لقد أقر سفر الطلاب بالقطارات دون مستند للمرور : فلم يكونوا بحاجة الا الى اذن كان يمكن أن يصدر عن سلطات مدرسية وينال تأشيرة من اللجان (٢) ، ولكنها كثيرا ماكانت التنظيمات الثورية هى التى تمنحها بلاشك ثم أصبح من المستحيل التدقيق فيها عندما صار عدد المسافرين يحشر فوق طاقة النقليات . وهكذا وقع عدد من الحوادث ، فقد كان يتم الاستيلاء عنوة على بعض القطارات وتضطر الى تغيير وجهتها . فأعيد استخدام المعدات العتيقة جميعها من عربات سكة الحديد وآلات ومراكب وكانت سفريات الأشخاص المؤمنين تأخذ أولويتها فى وسائل نقل البضائع وكان موظفو السكك الحديدية يعملون حتى الانهاك . وعندما أقبل الشتاء مبكرا وقارسا فى الشمال كان هناك مليونان من الشباب لم يروا بعد ماوتسى ـ تونغ ، ينتظرون دورهم متمسكين بالبقاء فى بكين بلا ثياب شتوية ، مهددين بالاوبئة فى معسكرات بدائية .

---

(١) كانت هذه الدعوة ستوجه فى ٣١ من اغسطس .

(٢) حدد قرار من اللجنة المركزية ، مؤيد للدعوة فى ٣١ من اغسطس ، انه سيكون فى مكنة جميع طلاب الجامعات والمدارس العليا و ١٠٪ من تلاميذ المدارس المتوسطة ومن الهيئة الادارية لمنشآت التعليمية القدوم الى بكين وأشار القرار الى كيفيات الحصول على موافقة السلطات المحلية ، وأذيع هذا القرار بملصقات رسمية وخاصة فى شانغهاى فى الأيام الأولى من سبتمبر ١٩٦٦ .

وثمة آخرون كانوا لا يزالون يتوافدون اليها ، لذلك كان يجب ايقاف هذا المد • فأعلنت السلطات العامة مرتين في أكتوبر أنه لم يعد من الواجب أن يأتي الطلاب الى بكين (١) ولم يكن في وسع نصائح الحض على بذل الجهد البدني للقيام بالرحلات سيرا على الاقدام ، تقليدا للمسيرة الكبرى ، أن تنسى لذة التجول بحرية التي لا تزال بعد جديدة • وكان خلل انتظام النقل في السكك الحديدية وفي الماء يتطلب اجراءات ملحة من نوع آخر . وعندئذ تم اخطار الجمهور أن الخطوط الحديدية سوف تتوقف لمدة أيام عن قبول المسافرين لكي تعيد تنظيم نفسها • وقررت اللجنة المركزية ومجلس شئون الدولة في ١٦ من نوفمبر (٢) وايقاف رحلات التبادل الثوري » الى شهر ابريل (نيسان) من العام القادم وأصدروا أمرا الى جميع أولئك الذين كانوا ينتظرون في البلاد فرصة للانتقال الى بكين بالعودة الى ديارهم .

وقد علم الناس من نفس البيان أن تسعة ملايين من التلاميذ والاساتذة تم نقلهم حتى ٢٠ من نوفمبر•وان عددا من الملايين مازال سائرا في الطريق للحج الى بكين وانه كان من الممكن ارجاعهم الى ديارهم شيئا فشيئا اذا لم يسافروا مشيا على الاقدام . والذين كانوا يستطيعون ركوب القطارات ، ولم يكونوا في عجلة من الامر للعودة الى منازلهم ، كانوا يمدون رحلاتهم بزيارة الجنوب الذي يقل برده • وفي ١٦ من نوفمبر تم رسميا تمديد العطلة المفتوحة منذ ١٣ من يولبو لمدة ستة شهور ، وكان من المستحيل القيام بعمل غير هذا بما أن طلابا كثيرين جدا لم يكونوا قد عادوا بعد الى منازلهم . وكانت السلطات المحلية والنظام الثوري على حد سواء يزنون اجراءاتهم وحدود سلطتهم بكل ماكان يتاخم نشوة السفر . وكان الامر قد تجاوز طاقة الخدمات العامة وخاصة في بكين لتستطيع حل مالايمكن أن يتصوره عقل من الصعوبات الناشئة عن نقل واستقبال هذا العدد الهائل من الاشخاص .

كان امتياز الرحلات يبرر بآخر ، بسيط كل البساطة وهو الذهاب لرؤية ماوتسي ـ تونغ بشخصه . ولم يكن على بكين أن تنظم وفادة الطلاب واطعامهم فحسب ، بل كذلك الاجتماعات والاستعراضات وتأمين النظام ، فقد جرت ثمانية اجتماعات عظيمة(٣)مابين ١٨ من أغسطس و٢٦ من نوفمبر ضم كل واحد منها مليون شخص على الاقل • ودام بعضها عدة أيام • ولعل وصفا مقتضبا للظروف التي دار فيها اجتماع الثالث من نوفمبر يمكنه أن يوحي لنا بالصورة التي كانت تجري عليها تلك الاجتماعات .

كان مكتب النظـــام التابع للجنــة المركزية وسكرتيرية مجلس شـــئون

---

(١) مباشرة بعد الاجتماعين الجماهيريين : الخامس والسادس للحرس الأحمر في بكين • كانت السلطات العامة ، في كل مرة تحاول أن تقول : «هذا هو الأخير • والآن فليرجع الجميع كل الى بيته ! » أنظر : « يوميات الثورة الثقافية » **وانباء اساهي** المسائية ١٩٦٧ ص ٤ و ٨ ذكر سابقا .

(٢) نجد نص التوجيه كاملا في كونو ، مترجما الى اليابانية ، كونو ، **بكينغ كولو اشينين** ، ذكر سابقا ، ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

(٣) ١٨ من اغسطس ، ٣١ من أغسطس ، ١٥ من سبتمبر ، ١ من اكتوبر ، ٣من نوفمبر ، ١٠ و ١١ من نوفمبر ، ٢٥ و ٢٦ من نوفمبر •

الدولة قد حذرا الطلاب الذين تم اســتقبالهم فى بكين وفى التجمع بنشرة تتضمن عددا من التعليمات ، عشية الاجتماع وفى مساء اليوم الذى قبله . ذلك أن ثمة تدافعات مميتة قد حصلت أثناء الاجتماعات السابقة حول باب تيين آن مين؛ لأن الطلاب الذين وصــلوا أمام المنصة ، لم يشــاءوا ، لدى رؤيتهم للرئيس ، أن يبتعدوا عنها على الرغم من أن الذين كانوا يتبعونهم ، موالين سيرهم فى صفوف عارمة قد داستهم الأقدام . وجاءت التعليمات تطالب الجماعات كلهــا أن تستمر ماضــية فى سيرها بخطى منتظمة وألا تغــلق بعد البــاب وأن يحترز كل فرد من أعمال التخريب والرعب التى تثار . وكان ممنوعا على أى شخص كان جلب السلاح . وكان من المتوقع أن يشارك مليونان فى المرور مرة واحدة فلابد من أن يستطيع أكبر عدد ممكن من الطلاب رؤية ماوتسى-تونغ لكى يرجعوا الى ديارهم ويخلوا المكان فى بكين لغيرهم . فلابد اذن من توفير الوقت والتفكير بأولئك الذين يستعرضون فوق المنصة و « صيانة صــحة الرفاق المسئولين من اللجنة المركزية » .

وعلى الرغم من هذه الاحتياطات فانه حدث توقف أمام تيين آن مين : وكان الرئيس يدعو بلا ملل ، بمكبرات الصوت ، الى المرور ، الا أن الموجودين كانوا لا يريمون مكانهم . وبعد ١٧ ساعة أنســحب ماوتسى - تونغ . واستطاع شــواين - لاى أخيرا أن يحرك الجمهور بأن أنشــد معه « الابحار يتعلق بالربان » وهى احدى الأغانى الجديدة التى روجتها الثورة ، ثم وعــد جميع أولئك الذين لم يتمكنوا من رؤية الرئيس - وربما كانوا الأكثرية - بعقد اجتماع آخر (١) .

وتبنى المســئولون بالنســبة للاجتماعات الأخيرة ترتيبا مختلفا لتجنب وقوع مثل هذه الصعوبات . ففى ١٠ و١١ من نوفمبر مرت الشبيبة أمام المنصة فى الكاميونات ، وهى مظاهرة مثيرة لوسائل النقل لدى الجيش الصينى . وفى مناسبات أخرى كانت الشبيبة تصطف على طول الشوارع والقادة هم الذين كانوا يمرون فى سيارات الجيب ببطء من أمامها .

وعلى حين كان طلاب الأقاليم يفدون الى بكين ليروا بؤرة الثورة الثقافية ويشاهدوا الرئيس ماو ، ثم ينقلبون عائدين الى ديارهم حاملين البشرى الجديدة، لا يفوتهم التجوال قدر المستطاع فى أنحاء الصين ، فان الحرس الأحمر كان يقوم بمسيرة على العكس تتجه من المركز الى الأقاليم حيث يعمل على تركيز « محطات » لتقوم بنقل البذرة الثورية الى كل مكان . وكانت الحركتــان معا - هذه وتلك - تشكلان **عملية التمازج الكبير** ، « تبادل التجارب الثورية » التى كانت لابد من أن تعلم أولئك الذين لم يشــهدوها كيف جرى الأمر بهــا فى بكين حتى وافت أصحابها الجرأة لمنــازعة مســئولين فى الجهــاز المخيف للحزب . وفى هذا التبادل كان الطلاب يتناقلون حصيلة التكتيك .

كان رجال **الحرس الأحمر** يتوجهون الى الأقاليم باعداد أقل بما لا يقاس ولكنهم كانوا هم الأكثر فعالية بالنسبة للثورة . ومع ذلك ، فاذا كانوا قــد اقتصروا فى ذلك على مهمة تنظيمات **الحرس الأحمر** ، كأجهزة نقد ، فقــد كان

---

(١) أنظر كونو ، بكينغ كونو اشينين ص ٦٥ ذكر سابقا .

عليهم أن يحصروا عملهم في عدد من التحقيقات • الا أنهم فى الواقع كثيرا ما تولوا قيادة الطلاب المحليين وجذبوهم معهم الى الحركة فى المكان الذى هم فيه • مما أنتج حوادث عديدة لأن « السلطات » المحلية شهرت بتدخل عناصر غريبة فى الثورة الثقافية وأمكنها الاستفادة من عداوة أهالى الأقاليم الغريزية لأولئك الذين كانوا يجيئون من بكين حاملين معهم الاضطراب •

وفى ٧ من سبتمبر رغب ماوتسى-تونغ فى أن يضرب للأقاليم مثل بكين • فكيف كان يجرى الأمر فى بكين حتى أمكن مباشرة حركة نقد « السلطات » دون « أن تحرض الجماهير للكفاح ضد الجماهير » على حين يكاد الانشقاق الأهلى فى الأقاليم ينذر بالخطر فى كل مكان ؟ فلا يمكننا تفسير ذلك الا بعدوانية أكبر من جانب رجال **الحرس الأحمر** المنعزلين وبعدم فهم أولئك الذين كانت تصلهم الثورة شاكية السلاح وبعدم اعداد الحركة •

الطلاب وجها لوجه مع « السلطات » :

لم تكن « سلطات » الحزب فى الأقاليم تقر النقد الصادر عن **الحرس الأحمر** كما سبق لها أن تحملت التجريح بمناسبة حركات النقد السالفة • وربما كان استمرار الأقاويل حول مرض ماوتسى - تونغ ، أثناء عام ١٩٦٥ والنصف الأول من عام ١٩٦٦ هو السبب فى تغيير تدريجى فى موقف كوادر الحزب ازاء السلطة • وربما كان تسامح الأكثرية قد أخذ يقل لقبول هذا النوع من الاستفتاء النقدى - النزاع من كائن من كان - وان هذه الأكثرية كانت تمنى النفس بأنه بوجود القادة الذين يمكن أن يقودوها من الآن فصاعدا ، لن ينتقد الحزب ولن يطهر الا من داخله • كما استشاط ماوتسى-تونغ غضبا عندما تبين بأن الكوادر كانت تثور على النقد الموجه من قبل الجماهير فقال فى مؤتمر العمل التابع للجنة المركزية الذى عقد فى بكين من ٨ الى ٢٤ من أكتوبر : « لقد حدث أمر ما لا يمكن أن يخطر على بالكم مجرد فكرة عنه ! » (١) وطالب اللجان على جميع المستويات : أقاليم ، مدن ، **هسيين** - ابتداء من **المركز** - أن تقبل بصدق نقد الطلاب •

كذلك ثمة نوع من المقاومة للحرس الأحمر كان تنظيمه فى صفوف الجماهير • فقد كان بعض المسئولين فى الحزب يشجعون رد الفعل فى صفوف الفلاحين والعمال فكانوا يجدون أناسا مستعدين للمقاومة ، على أثر ما طرأ على مستوى حياتهم من تقدم ، وربما كان أكثرهم من العمال لأنهم الى جانب الكوادر كانوا هم المستفيدين الحقيقيين من النظام • وكانت وسائل رد الفعل هى نفس وسائل أصحاب العمل الراديكالى : التنظيمات والرحلات • وهكذا كان المحافظون يرسلون البعثات الى بكين لتحمل التظلمات ووجوه النقد الى سكرتير اللجنة المركزية • وكانوا يغرسون هنا وهناك « محطات » تسعى الى منع عمل **الحرس الأحمر** • ففى كل مدينة تقريبا كانت تنظيمات الاتجاهين تتخاصم • كان المحافظون والراديكاليون يتبارون فى ركوب القطارات وفى

---

(١) **اساهى جيبيانارو** ١٩٦٨ جـ ١٠ رقم ١٨ «واكاغايتا تو سوشيكى نوتا يتستسو» ص ٢١ •

بكين حيث كانوا يتواجدون فانهم كانوا يمزق بعضهم بعضا ما استطاعوا ٠ بل كان يمكن أن توجد هناك ، فى المحطات الكبرى فى شهرى فبراير ومارس ١٩٦٧ ، جماعات للاقناع من المحافظين ، جاهدة فى حمل الثوريين على العدول عن الذهاب الى بكين فى طلب مساعدة جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية (١) ٠ وعلى كل حال كانت تنظيمات الاتجاهين تحاول كل منها كسب اهتمام المركز وجماعات العاصمة الى جانبها والى التعاطف معها ٠

وكان رجال الحرس الأحمر من جانبهم يرجعون الى بكين ليطلبوا من القادة الثوريين تعضيدهم ضد ال « سلطات » المحلية التى كانت تقمعهم ، وهكذا وجب تثبيت الضمان الذى كان قد أعطى للطلاب بقرار الست عشرة نقطة ٠ وفى تجمع ٦ من أكتوبر وعد شواين – لاى رجال الحرس الأحمر فى الأقاليم الذين كانوا يشتكون من أعمال العنف التى لحقت بهم فى كويلين وسيان ويانغشاو ، بأن سلامتهم الشخصية لن تهدد عندما يعودون الى المقاطعات وان المركز سوف يجرى التحقيقات وان مسئولى اللجان المذنبين بأعمال الشراسة ضد الطلاب سوف يعاقبون أيا كانت أهمية مراكزهم ٠

وكان ما اتخذ من حل لمواجهة هذه الصعوبات هو انطلاقة جديدة فى العمل الراديكالى ٠ فقد أدار الناقدون نقدهم بمزيد من التحديد أيضا ٠ وقيل : ان الأعداء كان يجب « اخراجهم من أماكنهم واظهارهم للجماهير » ٠ كما كان لابد من محاربة الجمود ، فان المشاركة فى الثورة الثقافية (٢) قد أصبحت واجبا بعد الآن ٠ ولم يعد فى وسع اجراءات الانفصال التى كانت تبقى رجال الحرس الأحمر فى دور نقدى ، أن تصمد طويلا بعد الآن ٠

وابتداء من مطلع ديسمبر (كانون أول) راح رجال الحرس الأحمر يسلكون طريق الاختطاف ٠ فقد اختاروا لذلك شخصيات من لجنة الحزب القديمة فى بلدية بكين ومن قيادات اللجنة المركزية والثقافية بل من الجيش ، كانت القيادة الثورية قد فضحت جرائمهم ٠ فقبضوا عليهم فى منازلهم و « أظهروهم للجماهير » ثم أطلقوا سراحهم بعد أيام ، وقد أبرز عدد من الصور التى ظهرت فى جرائد الحرس الأحمر ، بعضهم وقد أمسك بهم الفعلة بقسوة ، تتدلى من عنق كل منهم لوحة كتب عليها اسمه (٣) ٠ وكانوا بين فترات التوبيخ التى يتلقونها يدعون الى توضيح أخطائهم ٠ بينما كانت بعض الأجهزة الثورية تعلن تصريحاتهم على الملأ ٠

ترجع جرائد الحائط الأولى التى اتهمت بالاسم ليو تشاو شى وتينغ هسياو – بينغ ، بتاريخها الى نفس الزمن ٠ ففى ٢ من ديسمبر (كانون الاول) كتب رجال الحرس الأحمر فى جامعتى شينغهوا وبئيتا ، بتوقيع مشترك ،

---

(١) انظر أساهى شيمبون (١٢ من ديسمبر ١٩٦٧) طبعة النهار اليابانية ، مقال نوغامى ٠

(٢) قامت مدارس بكين ، التى لم يكن الثوريون قد فرضوا عليها وجودهم بعد ، بثورتها الثقافية فى تلك الفترة ٠ يذكر جون روبنسون أن المتمردين سيطروا على أكثرية الأكاديمية الطبية ، أثناء احتلال البناء حيث حرموا خلال ذلك من النار والنور (الثورة الثقافية بيلكان بوكس ١٩٦٩ ص ١٤١ – ١٤٢) ٠

(٣) نشرت فى يوميورى شيمبون فى طوكيو ٠

ما يلي : « نعتقد أن ليوتشاو ـ شي و تينغ هسياو ـ بينغ هما رقم ١ ورقم ٢ من السلطات التي تتبع الخط البورجوازي في داخل الحزب » • وترك القادة الثوريون النقد ضد ليو ينمو في شهري ديسمبر ويناير (كانون أول وثان) ودلت الأحداث التالية على أن اسقاطه كان لا يزال غير مسموح به بعد • وفي غضـون ذلك خدم هذا النقد استكمال الهجمات على تاو شـو (١) وزمرته الذين قررت القيادة حينئذ التخلص منهم •

ويجب القول بأن النقد ، ولا سيما في هذه الحقبة كان مبعثرا ، فقـد كان يوجه الى جميـع القـادة تقريبا على التوالي • يذكر كونو(٢) Konno أن شين بو ـ تا وشي يين ـ ايو وهما زعيمان مؤيدان من الثورة الثقافيـة كانا قبيل ٢٠ من نوفمبر (تشرين ثان) يتعرضان للهجوم ، بنفس الصفة التي يهاجم بها تاو شو ووانغ جين ـ شونغ وشانغ بينغ ـ هوا (٣) • فالاعلانات التي ألصقت ضد شي بين ـ أيو غطيت في الحال ، وقدم شين بو ـ تا نقـدا ذاتيا مقتضبا حول ما وجه اليه • ولكن الانتقادات ضد الثلاثة الآخرين ظلت وحدها مستمرة • وهذا ما يجعلنا نتأكد من أن النقد لم يكن ، بحصر المعنى ، موجها ، الا أن قيادة الثورة الثقافية كانت تجري اختيارا بتشجيعها لهجمـات معينـة وبتركها للهجمات الأخرى لتنمو • ومع ذلك فان المبادأة كانت تصـدر دائما من الطلبة الذين كانت تحقيقاتهم تنبش الماضي القريب وكانوا يطلقـون لمخيلتهم العنان • ولكن هذه المبادأة كانت تتعرض للتصفية على ضوء التكتيك الثوري •

وفي مسألة جماعة تاو شو نرى طلاب شينغهوا أيضا يلعبون دورا هاما اذ أنهم أطلقوا في مدة أسبوعين خمس دعاوى كبيرة الأثر • فنحن نعلم كيف نشروا نقد ليو شاو ـ شي (٤) الذاتي الأول وقائمة « الجرائم » التي اقترفها • وفي ٦ من يناير (كانون ثان) لصقوا نوعا من الرسم البياني يدل : كيف كانوا يرون ترتيب السلطات • كانت **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** تأتي في القمـة ويشرحونها بهـذه الكلمات : « لقـد تعهد تاو شو ووانغ جين ـ شونغ وشانغ بينغ ـ هوا انشاء جماعة ثانية للثورة الثقافية » (٥) •

---

(١) سكرتير أول في مكتب اللجنة المركزية للمركز ـ جنوب وأصبح في يوليو مديرا للدعاية في اللجنة المركزية ومستشار **جماعة الثورة الثقافية في اللجنة المركزية** • وصعد تاوشو حتى المركز الرابع في نظام الصدارة •

(٢) أنظر كونو **بكينغ كونو ايشينين** ، طوكيو ١٩٦٨ ص ٧٤ ذكر سابقا •

(٣) وانغ جين شونغ ، سكرتير أول لجنة الحزب لمقاطعة هوبي سابقا ، شانغ بينغ ـ هواء سكرتير أول لمقاطعة هونان سابقا ، وهما مع تاو شو أعضاء في **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ومما نذكره أن وانغ جين شونغ كان ملهم **جماعة العمل** في شينغهوا وهو مايفسر التحقيقات التي قام بها الطلاب في هذه الجامعة ضده حتى انها تناولت تاو شو • ومنذ منتصف نوفمبر لم يبق هذان الشخصان المهمان في بكين وراحا يقودان الثورة الثقافية في مقاطعتيهما ربما منعزلين •

(٤) في مؤتمر العمل التابع للجنة المركزية من ٨ الى ٢٥ من أكتوبر ١٩٦٦ •

(٥) انظر كونو بكينغ كونو ايشينين ، ص ٧٣ ذكر سابقا •

كان تاو شـو ، الرجل القوى فى جنوب الصين والذى صار فى يولية (تموز) مديرا للدعاية فى اللجنة المركزية ، قد دخل الجماعة مع اثنين من مساعديه الرئيسيين ، وهما مسئولان عن مقاطعتين • وكان نوع السلطة القنصلية التى كان يستمر باستمداد قوته انسياسية منها ، مخالفا لروح القيادة الثورية • وقد بت زعماء الثورة الثقافية فى حالته فى نفس الوقت الذى كان فيه الطلاب يطلقون عقال هجومهم النقدى (١) فتحركت مدينة بكين بأكملها كما لو أن عملا تخريبيا من **جماعة الثورة الثقافية** قد هدد **المركز**: فغطت الاعلانات حوائط المدينة منادية : « لندافع عن **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية !** » •

وينبغى لنا أن نتذكر أن ذلك كان يجرى قبيل اليوم الذى كانت جماعة الثورة الثقافية للجيش قد تحولت فيه هى نفسهـا : ففى ذلك الزمن كان الزعماء الثـوريون يقيمـون قيادة الثورة الموحدة (٢) • وفيـما بعد قال ماوتسى ـ تونغ : انه لم يكن فى الوسع وضع الثقة فى تاو شو •

كان النقد الذاتى الذى تقدم به ليوتشاو ـ شى ، ويعتبر وضعه موضع التداول فاجعة تلك الحقبة ، قد قام به من أجل اللجنة المركزية التى لامته بصفة أساسية على سـياسة **جماعات العمل** • وقيل : ان ذلك النقد لم يعتبر كافيا • وبدقة أكثر لم يعتبر كافيا أن يكون ليو هو الوحيـد الذى يعترف بالذنب ؛ اذ لم يكن هـذا يتيح غير تقـويم ليوتشاو ـ شى وحده لا اصـلاح الحزب (٣) وكانت لهجة النقـد الذاتى نفسه قاطعة ومتكتمة فيما يتعلق بدور الرفاق الآخرين ، الخصوم منهم والأصـدقاء • والانطباع الرئيسى الذى يخرج به الانسان هو : أن ليو تشاو ـ شى قد سعى للعمل على احترام صورة الدولة والحزب •

فماوتسى ـ تونغ وليو تشاو ـ شى هما اذن شخصان يحترمان الشكل(٤) لقد أدنت العملية التى باشرها رجال الحرس الاحمر فى ديسمبر ويـنـاير (كانون أول وثان) ، من قيمة ليو تشاو ـ شى قليلا بالطبع فى الرأى العام ، ولكنها لمتستغل الى أعماقها الا ضد زمرة تاو شو، كما لو أن ليو تشاو ـ شى لم يرافقه فى نكد حظه الا لأنه كان كبير الحظوة لديه • الا أن فضله جحـد

---

(١) اجتماع عام فى ٥ من يناير شن اثناءه شين بو ـ تا وشيانغ شينغ نقدهما على تاو شو **شوتو هونغو بينغ** ، ٦ من يناير ١٩٦٧ •

(٢) انظر الفصل المتعلق بالجيش •

(٣) ربما كان ماوتسى ـ تونغ يبدأ هذا النقد الذاتى بقوله : « ليست المسئولية ، مسئولية ليو بشخصة • انها مسئولية اللجنة المركزية » ، ذكرت فى **اساهى جيانارو** ١٩٦٧ جـ٩ رقم ٣٧ ص ٢٢ •

(٤) قال ليو تشاو ـ شى فى نقده الذاتى : «لقد نوقشت أخطائى فى نهاية الاجتماع الحادى عشر الموسع وانتخب بريزيديوم المكتب السياسى وانضمت الى الآخرين لتعيين لين بياو كأول مساعد لماوتسى ـ تونغ وخليفة له» انظر **كونو** ص ٨٢ ذكر سابقا •

عندما اجتاح رجال الحرس الأحمر شونغننانهاى فى يوم ٢٦ من يناير (كانون ثان) (١) وازعجوا ليو تشاو ــ شى وزوجته ٠

ظل ليو تشاو ــ شى زمنا طويلا فى منأى عن خطر « عزله واظهاره للجماهير » ٠ فهجمات النقد الكبرى كانت دائما تدار ضده من قبل اليساريين الذين كانوا يحاولون اثارة حميا الثورة الثقافية وقيادتها الى أقصى التطرف ٠ كذلك كانت الاهانات التى تعرض لها وانغ كوانغ ــ ميئى وزوجته عندما جرى اجتذابهما بالحيلة الى خارج شونغنآنهاى ، من عمل اليساريين ٠

الطلاب : قوة سياسية :

أخذ الطلاب ، كما رأينا حق اقامة الجمعيات ٠ وهم من جهة أخرى يستطيعون الحركة خارج كادر « وحدتهم » وهذا هو امتيازهم ٠ الا أنهم لم ينشئوا جمعيات ممتدة وقوية على مستوى تقسيمات البلاد الكبرى أو على مستوى البلاد بأكملها (٢) بل على العكس فانهم تبعثروا فى تشكيلات صغرى من الصعب تجميعها ٠ فقد قال شين بو ــ تا ٠ (٣) « ان النزعة الفوضوية والنزعة الفردية خطيرتان فى أوساط طلاب المدارس الثانوية ٠ ففى بعض المدارس حزب لكل شخص وتنظيم لثلاثة أشخاص » ٠

وقال شين ايى :

« ينقسم معهد اللغات الأجنبية الى فصلين ٠ وقد أنشئت فيه فى الأصل احدى وعشرون وحدة ٠ وفى نهاية أسبوع واحد تجاوز عدد الوحدات الخمسين وبعد أسبوع ثان أيضا كانت هناك أكثر من سبعين وحدة ٠ وهكذا فان ما يقرب من أربعة آلاف طالب ينتمون الى أكثر من سبعين وحدة وهو ما يعني وجود سبعين مدرسة فكر ٠ فيا له من مشهد مسرحي ومثير ! حقيقة ان مائة زهرة تتفتح فى آن واحد ومائة مدرسة فكر تتنافس » (٤)

---

(١) قال شواين ــ لاى فى ٨ من يناير : ان المطالبة باسقاط خط ليو وتينغ كانت صحيحة ولكنهما كانا لايزالان عضوين فى جماعة المكتب السياسى الدائمة فقد لا يكون صحيحا اخراجهما من مكانهما ٠ (« يوميات الثورة الثقافية » ص ٣٠ ذكر سابقا) ، والواقع ان التنظيمات الثورية فى مصالح شونغننانهاى الداخلية بدت كأنها معجبة بنفسها فى معاكسة القادة الذين لم يكن فى وسعهم حماية ليو وتينغ حتى تضعهم فى ظل مشروعاتها ٠ « ان جماهير شونغننانهاى الثورية قد كافحت ضد ليوتشاو ــ شى ووانغ كوانغ ــ ميئى مرتين ، فى بهو هوانجين ومرة ضد تينغ هسياو ــ بينغ» كتبت جريدة الحرس الأحمر فى بانغبو تقول فى ٢٦ من مارس ١٩٦٧٠ والآن احتال جماعة شونغننانهاى من المتمردين الثوريين ليو وتينغ وتاو والآخرين على الخروج من الساعة التاسعة الى العاشرة لقراءة التاتتروباو » ٠

(٢) ان **القيادة العامة الثالثة للحرس الأحمر** ، التى سوف نتعرض لها فيما بعد ليست بحصر المعنى جمعية ولكنها أقرب الى أن تكون شبه ارتباط واتصال ٠

(٣) تبليغ من شين بو ــ تا الى المدرسة الثانوية المرتبطة بمدرسة المعلمين العليا (٦ من فبراير ١٩٦٧) ــ ذكرته صحيفة «خط المعركة من الثقافة الفيزيائية» وهى صحيفة الحرس الأحمر عدد ٢٥ من فبراير ١٩٦٧ ٠

(٤) ورد ذلك فى **هونغو يئى شانباو** فى ٨ من ابريل ١٩٦٧ ٠

لقد بحث القادة أنفسهم فى أسباب هذا الاتجاه الى الجماعات الصغيرة فساق شواين – لاى أن المخاصمات التى نشأت بمناسبة **جماعات العمل** هى التى كانت الى حد كبير وراء الانقسامات بين الطلاب · وبالفعل فان التغيرات المتتالية فى سياسة الثورة بين صفوفهم (**جماعات العمل** ، لجنة موقتة ، **حرس أحمر** ، تمرد ··) كان لابد لها من أن تعمل على تعميق الفروقات التى كانت تفرقهم تماما كما عرض تغيير سياسة الثورة الثقافية فى الجيش ، وحدته للخطر ·

كانت التجمعات الأولى فى تنظيمات **الحرس الأحمر** اتحادات تقبل بينها أجهزة ارتباط مركزية أعطت نفسها اسم « القيادات العامة » · عرف منها فى بكين ثلاثة ، وفى الاقاليم انضم الى هذه القيادات العامة رجال **الحرس الأحمر** الذين أعلنوا ولاءهم **لجماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ، على الرغم من أن عددا من الاتجاهات الأصلية قد دفع فى بعض الأماكن وخاصة فى شانغهاى عددا من الجماعات الى الاستقلال ·

لم تعرف **القيادة العامة للحرس الاحمر** الأولى والثانية فى الوسط الطلابى معرفة جيدة ، على الأقل · فهل كانتا تجمعان طلابا معتدلين (١) الا أن اسم **القيادة العامة الثانية** قد أفاد فى الأقاليم فى تجمع « الشـغيلة » الثوريين · وبالمقابل كان **للقيادة العامة الثالثة فعالية** متقلبة · فقد نالت تأثيرا رئيسيا فى الحركة الطلابية ، ويقدر بأنها استفادت من تدعيم **شخصيات سياسية قوية** النفوذ · ومن أعمالها انها كانت تتحالف مع بعض المنظمات كان بينها النشاط البالغ الحيوية دائما ، تنظيم : «**جماعة معركة شينغكانغشان**» فى جامعة بكين التى أسسها نييه ايوان – تسو ، الذائع الصيت منذ التاتروبا والأول ، و « لواء معركة **العلم الأحمر** » فى معهد الملاحة الجوية (٢) حيث كانت تناضل لين تو – تو ابنة لين بياو ·

الى جانب هذه الأسماء الكبيرة ، ولعل هذا هو أيضا أكثر دلالة ، كانت **القيادة العامة الثالثة** تضم كذلك رجال **الحرس الأحمر** فى المعهد المركزى للمسرح (٣) وفى معهد السينما فى بكين ، أى تنظيمات طلابية كانت تتأثر مباشرة بنفوذ شيانغ شينغ ، ولعلنا نتذكر فى الحقيقة ، ان زوجة ماوتسى – تونغ هذه كانت تستميت فى العمل السياسى فى أوساط المسرح ·

ويكان يبدو من المؤكد بأن **القيادة العامة الثالثة للحرس الأحمر** كانت تتولى أعباء تسيير تعليمات **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** الحقيقية بين الطلاب وكانت البعثات التى أوفدتها الى الأقاليم أكثر من مجرد «**محطات**» ، بل بؤرات حقيقية تشكل حول كل منها التفاف الطلاب المحليين ،

---

(١) من المعروف أن جماعة من جامعة شينغهوا ، لم تكن تنظم شينغكانغشان ، كانت تشترك فى **القيادة العامة الأولى** ·

(٢) ان أعضاء العلم الأحمر فى معهد الملاحة الجوية هم الذين قاموا بالصاق خطاب تاوشو الذى ينتقد فيه ليو شاو شى وذلك فى ١٣ من ديسمبر ·

(٣) هى التى ألقت القبض على بينغ شين فى ٤ من ديسمبر ، انظر بالنسبة لكل مايلى **اساهى شيمبون** تاريخ ٢٩ من ديسمبر ١٩٦٦ ·

الذى اتخذ هو نفسه فى المكان الذى هو فيه (١) اسم : القيادة العامة الثالثة **للحرس الأحمر** » • وتم لها اقامة وسائل مراسلة القيادة العامة فى بكين ، وفرت للقادة الثوريين ميزة الحصول على المعلومات بنفس السرعة التى تحصل عليها الادارة • الا أن الأقسام المحلية التى تحالفت مع **القيادة العامة الثالثة** كانت على وجه العموم ، ضعيفة ومنعزلة • ولم تكن تتصور دورها فى ذلك الا كعمل فى الشئون العامة ، وكثيرا ماشاركت فى تلك المعارك الصعبة ، معارك « الاستيلاء على السلطة » فى صحف المقاطعات •

وثمة تنظيمات معينة ، كانت وهى تعمل على الاتحاد ، تحتفظ بفعالية فردية كبيرة • مثل جماعة الشينغكانغشان فى جامعة شينغهوا والعلم الأحمر فى معهد الملاحة الجوية • فقد كانت هذه الجماعات ، المنقولة بالكاميونات والمزودة بالعربات ذات مكبرات للصوت قادرة على التدخل فى مدة ساعات فى أى مكان كانت تحدث فيه الحوادث والقيام بأعمال سريعة وحاسمة • الا أن صفة جماعات الصدمة هذه لم تكن امتيازا لبعض **جماعات القيادة العامة الثالثة**، وحدها • فثمة جماعات أخرى لم تكن منضمة اليها ، كانت تستطيع أن تنافسها بتنظيماتها للمعركة ، مثلا **كالحرس الأحمر** فى معهد الجيولوجيا وثلاث جماعات أخرى متحالفة ، تسمى سانهونغ Sanhung أو « الثــلاثة الحمر » فى جامعة الشعب : جنتا ، فقد كان فى وسع جميع هذه الجماعات أن توقع الرهبة وساهمت فى الحوادث التى حصلت حول السفارات الأجنبية وكذلك فى المطار لدى ترحيل أسر الدبلوماسيين السوفييت فى فبراير ١٩٦٧ •

لسوف يكون من الخطأ أن نظن بأن معارك الجماعات وعمليات الاختطاف والمضاربة بالعصى والملاكمات ، كانت تشكل الجزء الأكبر من فعاليات تشكيلات الحرس الأحمر وسبب وجود جماعات الصدمة • الا أنها وقد أفضت بها الأمور الى تنظيم نفسها لتنفيذ أل « استيلاءات على السلطة » وللدفاع عن نفسها ضد جماعات منافسة أخرى ، أخطرها ، تلك القريبة منها فى داخل المؤسســات نفسها ، قد كان سلاحاها الرئيسيان هما : القلم والفرشاة • وقد جلبت لها وظيفة النقد كحق تنظيم الجمعيات سواء بسواء ، حرية الصحافة •

فقد انتقلت مقالات النقد ونتائج التحقيقات والمجاهرات بالعقائد واعلانات السخط والاستعلامات الدقيقة المفيدة للحرس الأحمر وآراء أركانات ـ الحرب فى التنظيمات •• من على حوائط المدينة الى صفحات الجريدة ـ أو بتعبير أدق نشرت فى الجرائد الصغرى فى نفس الوقت الذى ألصقت فيه ، حيث كانت لكل جماعة من **الحرس الأحمر** تتمتع ببعض الأهمية ، جريدتها ، وهى دورية غير ملتزمة بموعد للصدور ، وفى أغلب الأحيان ، غير منتظمة فى عدد الطبع ، تقتصر على بعض الصفحات وتباع بفنسين اثنين (أربعة مليمات) لمن يشــاء وخاصــــة للفضوليين الذين كانوا يقفون فى الصف لكى يتمكنوا أخـــيرا من محاولة فهم ما كان يجرى حقيقة فى الصين •

---

(١) **آن جمين شوغوكو** (دار النشر باللغات الأجنبية فى بكين) فى عدد مارس ١٩٦٨ المكرس لمنغوليا الداخلية يروى **الثوريون فى هوهيهوت** كيف شنوا ، بعد خطاب لين بياو فى **أول** اكتوبر ١٩٦٦ افتتاحية الهونغشى رقم ١٣ ، هجوما عاما ضد جماعات العمل وشكلوا **القيادة العـامة الثالثة فى هوهيهوت للنزول الى المجتمع** •

ظهرت أوائل هذه الجرائد الصغرى منذ الصيف · فجريدة هسينبئيتا Hsinpeita (أو « جامعة بكين الجـديدة ») ، والتى كتـب عنوانهـا بخط ماوتسى ـ تونغ ، اهداء من الرئيس اليها ، قد رأت النور فى ٢٢ من أغسطس ١٩٦٦ ، وظهرت ال «شونو هونغو يئيبنغ» Shautus Hungwei pring (أو «حارس العاصمة الأحمر») ، لأول مرة فى ٣ من سبتمبر · وظهر العديد من الجرائد باسم تونغنفانغهونغ Tungfonghung (ال « شرق الأحمر ») ـ أو ببسـاطة تونغفـانغ Tungfang ـ وهونغشى Hungchi (« علم أحمـر ») وشانبـاو chanpao (« جريدة المعركة ») ، والتى لم تكن تتميز بعضها عن بعض الا بنوع التأثير والاتجاه التمردى أو المعتدل ، ولكن كذلك بجدية المعلومات المختلفة من واحدة الى أخرى · فان جزءاً من هـذه الجرائد ، فى الحقيقة كان مخصصا للمناقشات ·

ومع ذلك سرعان ما لوحظ أنه لم تكن هذه الجرائد ، عندما كانت تنشر خطب قادة الثورة ، تقدم عنها روايات مختلفة · بل كانت على اختلافها تنشر نصوصا تكاد أن تكون متماثلة أو مقتطفات متشابهة ، مما يقطع بصورة عامة أن هذه النصوص كانت تكتب انطلاقا من محاضر مختزنة أثناء المؤتمر · فكان لابد اذن من أن يكون هناك مكتب صحافة لجمـاعة الثورة الثقافية التابعـة للجنة المركزية ، يتولى مسألة وصول تصريحات الشخصيات الى هذه الجرائد · وبالنسبة للباقى فان المجادلات كانت تصدر بوحى من الشباب الثورى وكانت حرة ، على نحو ما دلت عليه هجمات اليساريين التى أزعجت زمنا طويلا رجال السياسة المقربين من شواين ـ لاى · وغالبا ما كانت تحتوى على افتتاحية وعدد من المقالات الأساسية ، يوقعها أشد زعماء المنظمات الثورية الشباب ، حماسة ، وأكثرهم موهبة ، أولئك الذين لم يشتهروا بصفاتهم القيادية فحسب بل بحميتهم المتقـدة فى نشر أفكارهم · تعودنا أن نعرف منهم تان هولان محرك جماعة شينغكانغشان فى مدرسة المعلمين العليا ، وهان أيى ـ شين ، زعيم ال « علم الأحمر » فى معهد الملاحة الجوية ، كما نجد كوائى تا ـ فو · وقد أصبحوا فيما بعد أعضاء فى جماعة القيادة **للجنة الثورة** فى بكين ·

كانت التنظيمات وحتى الجمـاعات الفعالة الأكثر تأججـا ، تعـارض تنظيمات أخرى فى داخل المؤسسات التى تنتمى اليها وفى الخارج معا · ففى جامعة بئيتا ومدرسة المعلمين العليا ، حاربت جماعات أخرى جماعتى نييه يوان ـ تسو وتان هو ـ لان فى عقر دارهما ، اذ قدرت أنه كان عليهما اتباع خط أكثر بروليتارية وأقل احتراما للحزب ·· ففى معهد الملاحة الجوية كانت جماعة « علم أحمر » المسيطرة تطالب بالغـاء الجماعات الثمانى الأخرى التى كانت تعيش معها تحت نفس السقف · ولكن جميع تشكيلات **القيادة العامة الثالثة** ، فى الخارج ، كانت تكافح كذلك ضـد تنظيمات تعد رجعية ، كان أشهرها **لين تونغ** Lien Tung وجماعة ٥١٦ ·

ان لين تونغ أو « لجنة العمل المتحالفة » (١) ، التى انتسب اليها بعض أبناء المقامات الرفيعة والذين شكلوا أوائل **الحرس الأحمر** ، مثل ابن لى

---

(١) اسـمها الكامل : «اللجنة المتحالفة للعمل المنبثقة عن الحرس الأحمر فى المدارس الثانوية» .

شينغ ـ شوان ولى لى ـ فينغ (١) واحد أولاد شين يئى (٢) ، مثل ابن لى شينغ ـ شوان ربما كانت قد انشئت فى يوم العيد الوطنى عام ١٩٦٦ بهدف الدفاع عن ليوتشاو ـ شى ونقد لين بياو وكذلك شواين ـ لاى ، بل ان حفلة تأسيس هذه الجماعة كان يمكن أن تجرى فى قاعة اجتماع المكتب السياسى فى شونغنانهاى (٣) Chungnanhai ، وكان شعار لين تونغ « لأب بطل ، ابن جيد ، لأب رجعى ، ابن فاسد » (٤) وهو شعار يعبر عن مدى التشوش الذى كانت الاجراءات المتخذة ضد المقاتلين المشهورين فى الحروب الثورية ، تغرق فيه أطفال الحزب .

انتقدت جماعة **لين تونغ جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** شيانغ شينغ ولين بياو وهددت مرتين وزارة الامن العام . وبعد أن أوقفت قوى الأمن العام مائة وتسعة وثلاثين من أعضائها ، ربما لمخالفتهم لقرار اللجنة المركزية الصادر فى ١٢ من فبراير (شباط) الذى كان يفرض عودة تنظيمات الثوريين الى كادر الوحدات والذى كان أول تضييق فى حق اقامة الجمعيات ، فان **يومية الشعب** الصادرة فى ٢٧ من مارس (آذار) اتهمتها أخيرا بأنها تنظيم رجعى . والحقيقة ان جماعة **لين تونغ** كانت تجوب الاقاليم وكانت نشيطة بصفة خاصة فى كوانغتونغ . ولم يبق أعضاؤها الموقوفون طويلا فى المعتقل فقد أطلق الأمن العام سراحهم فى ٢٢ من ابريل (نيسان) (٥) بتأثير أصوات الاحتجاجات الصادرة عن تنظيمات أخرى **للحرس الأحمر** .

ولم تكن القيادة الثورية فى ربيع ١٩٦٧ تبدد سلطتها فى انقاص تنظيمات الطلاب المحررة أكثر من غيرها ؛ ذلك أنها كانت تحض هذه التنظيمات على التحالف خوفا من أن تؤدى بها اتجاهاتها ذات النزعة الخصوصية الى التعارض المفرط .

كانت **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** تريد أن يئول بها الأمر الى خلق اللجان الثورية البلدية والاقليمية . وكان من الملائم أن ترتكز هذه اللجان على التحالف الثلاثى بين التنظيمات الثورية للجماهير والكوادر الثورية والجيش . ولكن للعمل على انجاح هذا المزيج كان ينبغى على تنظيمات الطلاب أن تتفق لتعيين ممثليها فى اللجان ، وقد أحدث جزع كل واحد منها من ألا يتمكن من تمثيل نفسه فى هذه اللجان مناقشات بينها وبالتالى أدى الى انقسامات جديدة بدلا من الوحدة المطلوبة . ففى بكين تم اجتماع عاصف جدا فى ٨ من ابريل فى جامعة بيئيتا(٦) حيث حضرت جماعات غريبة عن الجامعة ، مسنودة من تنظيم معهد الجيولوجيا القوى ، لتقاوم دور نييه ايوان ـ تسو

---

(١) انظر الأشكال الأولى لليقظة السياسية فى نفس الفصل . ان صحيفة شينغكانغشان بجامعة شينغهوا هى التى ذكرت توقيف لى لى ـ فينغ فى عددها ٨ من فبراير ١٩٦٧ .

(٢) وفقا لجريدة مينغ باو (هونغ كونغ) فى أول يناير ١٩٦٧ .

(٣) **تحليل انباء الصين** رقم ٦٨٢ هونغ كونغ (٢٧ من أكتوبر ١٩٦٧) ص ٦ .

(٤) **كوانغينغ جيهباو** (١٤ من يناير ١٩٦٧) .

(٥) انظر نيمون كيتزاى شيمبون ، طوكيو (٢٦ من ابريل ١٩٦٧) .

(٦) انظر بصورة خاصة سينغتا وجيهبار ، هونغ كونغ (١٤ من ابريل نيسان ١٩٦٧) .

السياسى ، الذى يرجح انه كان يمارس تأثيرا كبيرا جدا فى المفاوضات الرامية لتحديد العناصر المطلوبة ٠

لقد أخرت الانشقاقات بين الطلاب ميلاد لجنة بكين الثورية ٠ وقيل : ان تسمية التنظيمات المدعوة لتمثيل الطلاب فيهـا لم يكن من الممـكن الوصـول اليها ألا قبل اعلان اللجنة بثلاثة أيام ٠ وبالمقابل فما ان أقرت هذه اللجنة حتى بذلت جهدها للتوصل الى خلق اللجنة الثورية الموحدة الخاصة بكل جامعـة ومدرسة عليا فى المدينة ٠ وتم تقبل بعض النتائج فى هذا المجال وخاصة فى معهد الملاحة الجوية الذى احتفل فيه بلجنته الثورية يوم ٢٠ من مايو بفخفخة كبيرة ٠ الا انه فى أكثر الحالات ، كانت التنظيمات المترددة ترفض المشاركة وكانت تستمر بالطبع فى نشاطها ٠ وكان الحل الوحيد الذى قدم فيما بعد لهذه الصعوبات هو اجتذاب الطلاب شيئا فشيئا للعودة الى **معسكرهم** حتى لا تنتشر انشقاقاتهم فى المدينة حيث كانت سبب اضطراب دائم ، مناسبة متواترة للضغط على القيادة الثورية ٠

ولم يكن القادة الثوريون انفسهم ، على الأرجح ، متفقين على رأى واحد حول مسألة بدء الدراسة ٠ فالبعض ، وهم الأكثر راديكالية ، كانوا يأملون أن يظل الطلاب قوة معدة حتى تكمل الثورة الثقافية انتصاراتها ٠ وكان الآخرون يفضلون عودة سريعة الى النظام ٠ وفى ١١ من مارس (آذار) كان خطباء أحد الحشود فى شانغهاى يؤيدون نقل حصيلة الاصلاح الجامعى وينادون بتوطيد دعائم التنظيمات الثورية ٠

وعلى هذا فقد وجب الغاء أول مشروع لبدء الدراسة (١) فى ١٣ من يناير (كانون ثان) بكل بساطة لأن جهاز التربية كان لا يزال بعد فى فوضى كاملة ٠ وفى فبراير (شباط) تقرر (٢) أن تجرب اعـادة فتح المدارس الابتـدائية والثانوية ، فدعى التلاميذ للعودة الى دروسهم فى أول مارس (آذار) (٣) ٠ وقد وجد ــ الذين عادوا ــ مدارسهم فى حالة يرثى لها لاستخدامها مهاجع لنوم رجال **الحرس الأحمر** وطلاب الاقاليم ٠

كان على الجامعات بدورها أن تفتح أبوابها فى ٢٠ من مارس (آذار) ولكن بدء الدراسة فيها لم يكن أكثر حقيقية بسـبب حالة الأمكنة ؛ اذ كانت أدوات التعليم قد أتلفت جميعها ــ باستثناء مؤلفات ماوتسى ــ تونغ ــ ولم يكن ثمة من مناهج لها ٠ وفى مايو حثت **يومية الشعب** الطلاب على العودة الى صفوفهم ــ باستثناء أولئك الذين يمكن أن يكون لديهم اعفاء خاص من المركز ٠ فجاء اعلان

---

(١) مشروع توجيهى حول التربية ٠

(٢) ملصقات الحرس الأحمر من المدرسة الثانوية الثانية والعشرين فى بكين بتاريخ ١٢ من فبراير ١٩٦٧ : ان مكتب النظام فى اللجنة المركزية قد اتخذ القرار فى ١١ من فبراير (شباط) باعادة فتح المدارس الثانوية فى شهر مارس ، ولسوف تكون التربية البدنية والتدريب العسكرى محور التعليم ، ورجال الحرس الأحمر مدعوون الى تشـكيل تنظيمـات يكون الطلبة الثـوريون المنحدرون من الطبقة العمالية نواتها .

(٣) ٢٥ من مارس بالنسبة لشانغهاى ٠ وأفاد بلاغ من اللجنة المركزية بتاريخ ٢٠ من فبراير ١٩٦٧ تلاميذ التعليم الثانوى والفنى فى مدارس الريف بالعودة الى قراهم فى أول مارس ٠

الدخول بنتيجة هذه المرة · وفي مطلع يولو (تموز) أذاعت السلطات بأن ٥٠٪ من جامعات بكين وكلياتها قد انتظمت حصص الدروس فيها · ولكن مسألة المناهج الكبرى كانت ما زالت موضوعا لمناقشات لا تنتهي ·

لقد حيت الصحف الرسمية في ٧ من مارس (آذار) القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية بافتتاح المدارس الابتدائية والثانوية · الا أن شي بين ـ يو ـ رغما عن أنه عضو في **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ـ كان لا يزال يقول للطلاب :

« القيام بالثورة مدة ستة شهور ثم العودة الى الدروس كالسابق ، ان هو الا الاعتراف بفشلها » (١) ·

وعلى ذلك فان التربية السياسية ، ستظل سائرة في الصفوف على وتيرة واحدة · فكان يجب على العكس ، التعجيل بالثورة بالمزيد من نقد ليوتشاو ـ شي ·

ولما كان كثير من المدرسين قد رفضوا العودة الى مراكزهم فقد حصل نقص في هيئة التعليم · ففي يوليو (تموز) ١٩٦٧ كانت **يومية الشعب** (٢) ما زالت تحاول اقناع الأساتذة بتنفيذ الاعتراضات التي كانوا يظهرونها لعدم العودة الى العمل ، الواحد بعد الآخر : « اننا نستطيع تقديم تعليم جيد ، ليس من الممكن أن نسعى وراء الطلاب الى منازلهم ، كيف نستطيع مكافحة عدم الانضباط ، ومنع المشاجرات ومنع الطلاب من اتلاف معدات الدولة ! » لذلك اقتضى الامر ارسال عدد من العسكريين الى المدارس ليقوموا فيها بدور المعلمين· فبعثوا فيها حلقات لدراسة مؤلفات ماوتسي ـ تونغ وأعطوا دروسا في التربية البدنية · وكان الجدول الزمني في مدارس تايوان بمقاطعة شانسي يكرس ، في شهر مايو (آزار) ساعة في الصباح للتربية السياسية وثلاث ساعات للمراجعة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء واللغات الأجنبية · وفي ساعات بعد الظهر كان التلاميذ يدرسون مؤلفات ماوتسي ـ تونغ أو يشاركون في جلسات نقد موجهة ضد ال « عبقريات السيئة » وأعداء الشعب ، فيتعلمون بذلك اعادة بحث أخطاء الماضي التي فضحتها الثورة الثقافية (٣) ·

أما اصلاح التعليم العالي فلم يتطرق اليه البحث الا بعد ذلك بزمن طويل · ولسوف يأتي الوقت للكلام فيه عندما يصبح من الواجب تقديم كشف بمؤسسات الثورة الثقافية ·

صفة الطلاب الخاصة :

ان مسألة العودة الى الجامعات كانت أساسية بالطبع في ما كان يتعلق بمكانة الطلاب في الحياة السياسية الجديدة · فهم لم يفيدوا في هدم « الأشياء العتيقة » فحسب ، بل ساهموا في ازاحة عدد من الرجال عن السلطة بانهاض الجماهير ضدهم · وهكذا أتاح عملهم المضي في ذلك الى حد اسقاط تاو شو ·

---

(١) **حرس احمر بينغبو** ، ٢٦ من مارس ١٩٦٧ ذكر سابقا ·

(٢) **يومية الشعب** في ١٠ من يوليو ١٩٦٧ ·

(٣) انظر **اجيبا كيتزاي جومبو** رقم ٧٣٥ ، طوكيو (اكتوبر ١٩٦٨) ص ٦ ·

وفي غضون ذلك كان « الشغيلة » قد دخلوا بدورهم منذ نهاية ديسمبر (كانون أول) في الثـورة • فما هـو الدور الذى كان يمكن أن يلعبه الطلاب فى **النظام الثورى** ؟

ولكن ألم يكن مفهـوم النظام الثـورى غامضا ؟ ان ال « **وينهوى باو** » Wenhui Pao الصـادرة في شانغهاى والتى كانت منـذ ١٥ من فبراير (شباط) تنادى الطلاب لد « عودة الى صفوفهم ليصنعوا الثورة » لم تكن متهمة باتجاهاتها المحافظة (١) وجماعات **الحرس الأحمر** الثلاث فى شانغهاى ، التى كانت تنشر اعـلانا مستعجلا من ست نقـاط (٢) لكى يعـود الطلاب والأساتذة الغائبون الذين غادروا فى عملية **التمازج الكبرى** ، للتجمع في المدارس لكى يشاركوا فى ال « استيلاء على السلطة » ، كان فى وسع هذه الجماعات الثلاث أن تكون مسموعة من الثوريين • ولم تكن بعد قد أقيمت الادارة الثورية فى أكثر المؤسسات ــ وهى مهمة كانت تناط بالطلاب • ولكن ألم يكن **النظام الثورى** يطالب كذلك بأن يظل الحرس الأحمر ، الذى كان يبدأ بالحصول على تجربة سياسية ، فى أوساط الجماهير لتحريكها فى الثورة ، ولقد كان في وسع القادة الذين كانوا يدعون الى النظـام الثورى أن يكونوا مدفوعين كذلك برغبة ابقاء الطلاب فى العمل الذى كان خاصـا بهم بقـدر ما كانوا مدفوعين بالاهتمـام بردع أولئك الذين كانوا يريدون أن يعـملوا من بينهم •

واذا كان الطلاب واعين لصفتهم الخاصة كمثقفين ، فانهم كانوا منزعجين، أحيانا ، لاحساسهم بالعزلة • وقد رأينا كيف ان عددا معينا منهم قد اقترح ، حلا للتناقض بين انفعل الذى يحول المجتمع وضرورة الاستمرار فى الانتاج للعمل على احيائه ، ألا يتكون ، هذا المجتمع ، بالانفصال عن رمز الثورة وعن رمز الانتـاج (٣) • كانوا يريدون مغـادرة المدارس حيث كانت حـركتهم الايديولوجية منفصلة عن الثورة ، لنقلها الى صفوف « الشغيلة » •

كان كواى تا ــ فو منشغلا بمسألة ذات شقين وهى أن يعرف الى أيهما يولى الطالب اعتبارا أكثر ، أثناء الثورة الثقافية : الى طبيعته كطالب ، أم لطبيعته كبروليتارى عندما يكون منحـدرا من طبقة بروليتارية • فاذا كانت الطبيعة الطبقية هى التى كانت لها الغلبة على الأخرى لأصبح على الطلاب اذن أن يتركوا الجامعة أثناء مدة الكفاح من أجل تأسيس نظام جـديد • فقـرر بالتالى انه كان يجب المحافظة على الكتلة الجامعية وتجاهل الفروق الطبقية فى داخلها •

فى الحقبة السابقة نشبت مناقشة بمناسبة اطلاق الشـعار التالى : « أولئك الذين يصنعون الثورة هم أبطال ، الرجعيون هم بيض فاسد» وحول مسائل أخرى • وعندئذ هبت ريح سيئة فى الجامعة فتأسست

---

(١) **وينهوى باو** وقد «استولى» عليها الثوريون فى مطلع يناير •

(٢) **وينهوى باو** ، ١٧ من فبراير ١٩٦٧ •

(٣) ملصقة فى تينستين ، ديسـمبر (كانون أول) ١٩٦٦ • انظر فصل : «افكار ماوتسى التى بنيت عليها الثورة الثقافية» •

جميع أنواع « جمعيات أبناء « الشغيلة » والفلاحين الفقراء ، والأدنى من المتوسطين ، ومن الكوادر الثورية » بعضها فى أثر بعض • فكانت تلك ضربة قاسية للناس الذين لم يكونوا ينحدرون من أسر عمالية وبصورة خاصة الأساتذة وهيئة الادارة » (١) •

وفيما بعد شارك كواى تا ـ فو فى أعمال لجنة بكين الثورية وسار معها مسافة من الطريق • فقد كان المركز ، بالنسبة له ، يترجم النظام الثورى بتشجيع الطلاب على التحالف وباقتراح تعاونهم مع ممثلى التنظيمات الأخرى فى كادر اللجان الثورية • فماذا كان يمكن أن تكون ردود فعل الطلاب ؟ انهم تحققوا قبل كل شيء من ان ثمة حقبة قد انتهت • فرجال **الحرس الأحمر** التابعين **للقيادة العامة الثالثة** فى بكين الذين كانوا قد قدموا الى شانغهاى لصنع الثورة فيها ، غادروها نهائيا فى ١٠ من مارس (آذار) ١٩٦٧ (٢)•وقد ختموا تحليلهم للموقف بما يلى :

يعلمنا الرئيس ماو قوله : « أما الشعب ، فانه علينا أن ننظمه ، وأن نحطم المقاومة فى الصين » (٣) •

لقد دخل نييه ايوان ـ شو وكواى تا ـ فو وتان هو ـ لان وهان آيى ـ شين وآخرون فى لجنة بكين الثورة • وقاموا بالدور المطلوب من قبل المركز : تحالف ، لجان ثورية ، اصلاح التعليم ، لكى ينطلقوا من ذلك فيما بعد نحو حياتهم المرسومة لكوادر سياسية •

ولكن ما هو الموقف الذى اتخذته تنظيمات مثل الشينغكانغشان فى جامعة بيئيتا ، وشباب مثل تان لى ـ فو وايى لين وتى هسى الذين يصفهم رفاقهم بتروتسكى الصين ؟

كانت الفوارق فى الأصل الاجتماعى بين الطلاب تظل عوامل تجمع ومعايير قيمة بالنسبة لأكثرهم بروليتارية • ففى ١٧ من فبراير (شباط) طرحت ثلاثة تنظيمات مجتمعة فى ملعب العمال ، الموضوع للنقاش : « يجب الغاء بقايا الوراثة » • على ان عددا من الأغراب عن الاجتماع أحدثوا فيه الاضطراب وتلاه عدد من المشاجرات • ولم تكن الاكثرية تريد أن تستخدم الفوارق الطبقية لتمييز الطلاب فيما بينهم •

الا أن بعض الطلاب الفقراء ظلوا معاندين•ولاشك فى أن ال شينغكانغشان فى جامعة بيئيتا كان تنظيما لأبناء بروليتاريين حقيقيين (٤) يرفض

---

(١) كواى تا ـ فو ، «رسالة مفتوحة الى الوزير الأول» ، ٦ من أغسطس (آب) ١٩٦٦ ، شبنغهوا •

(٢) لقد ودعوا شانغهاى فى مقال نشر فى وينهوى باو بتاريخ ٨ من مارس ١٩٦٧ (آذار) •

(٣) فى مقال لهيئة تحرير **شينغكا نغشان** من مدرسة المعلمين العليا فى **بيخينغ جيهباو** بتاريخ ٢٤ من ابريل ١٩٦٧ (نيسان) •

(٤) ربما كانوا فى أكثريتهم من أبناء الفلاحين • فقد كان هذا التنظيم يقبل فى الجامعة أعضاء من جمعيات الفلاحين الفقراء • انظر جريدة **هسين بئيتا** بتاريخ ٢٢ من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٦ •

أن يتناسق مع الجهاز وينتقد نييه ايوان ـ تسو ـ لدوره بجانب السلطات الجديدة فى بكين ، وينظم دفاعه الذاتى داخل معسكره ، وقد ظل حتى النهاية فى جامعة بكين ، شوكة مغروسة فى عقب النظام ٠

وعلى الجانب الآخر استغل ، أقصى الاستغلال تان وايى وتى ، وقد ولوا ظهورهم للمشاكل الطبقيـة ، التركة الوحيـدة ، المشتركة ، حقيقة ، بين الطلاب ، ألا وهى القول الصادق المثقف ، واختيار طريق الحرية المطلقة ٠ فقد رأيناه ، كان تان لى ـ فو يتكلم ويكتب كثيرا موجها نقده الى جميع الناس ، ولم تسلم لاشيانغ ولاشين بورتا ولا حتى لين بياو من نقده ٠ فهل رأى من الفطنة أن يبتعد ؟ وهكذا غادر الى كانتون لكنه انذر بوجوب العودة اذا كان لا يريد أن يدخل فى نزاع مع الأمن العـــام ٠ وقد أثار تدخل البوليس كلاما كثيرا حـوله ٠

وكتب ايى لين وتى هسى رسالة مفتوحة ينتقدان فيها لين بياو على قوله بأن ماوتسى ـ تونغ أعظم من ماركس وانجلز ولينين وستالين ، فضلا عن ان النتائج التى قررها كانت مخالفة للتطور التاريخى (١) ٠ واستمرا فى طريقهما ك « منظرين » يبحثان عن ضم مؤيدين لهما ، وخفيت عليهما الحجة التى يعالج بها ماوتسى ـ تونغ مسائل حالية بحشر الماركسية كلها ٠

ربما كان يجب الكلام كذلك عن الطلاب الذين ذهبوا نهائيا للانضمام الى صفوف العمال والفلاحين وهيئوهم للثـورة ـ فى الحدود التى قبلهم بهـا العمال والفلاحون ٠ ولكن غالبية الطلاب عادت الى حياتها كطلاب ٠ أما أولئك الذين كانوا يرتضون القيام بفعالية أيديولوجية مستقلة فانهم عادوا الى المسرح عندما أتاح لهم التيار اليسارى فرصة العودة ٠

---

(١) أنظر جريدة الارتباط الثورى لقسم السياسة الدولية فى جامعة بكين ، يناير (كانون ثان) ١٩٦٧ ٠

الفصل الخامس

الثورة على رأس الحزب والقيادة الثائرة

من ذكرى تأسيس الحزب السنوية الى ذكرى أخرى ، من فاتح يوليو (تموز) ١٩٦٦ الى فاتح يوليو (تموز) ١٩٦٧ كان **فكر ماوتسى ـ تونغ** هو السيد المطلق ولكن المفسر كان يتغير من تاريخ الى آخر . ففى عام ١٩٦٦ حضت الصحافة الرسمية ليوتشاو ـ شى وشواين ـ لاى ولين بياو وتينغ هسياو ـ بينغ للاحتفال بها معا . وفى العام التالى كان لين بياو وحده .

وفى غضون ذلك اتخذ الزعماء الثوريون قرارا استراتيجيا عظيما : اشتراك العمال والفلاحين . فالثورة الثقافية قد انتشرت بينهم بصورة عميقة الى حد ما ، بل لعلها نمت بصورة خاصة فى المدن . ولكن مجراها قد أفلت من أى برمجة . وكان ثقل الجماهير العمالية يستطيع جرها الى أشكال معينة فى تحويل المجتمع ، لم تكن من أهدافها السياسية . ولم تكن مطالب العمال الاجتماعية ، وخاصة فى شانغهاى ، أقل صعوبة فى التحكم بها من فوضوية الطلاب .

وظل جهاز الحزب مستمرا فى عمله مدة من الوقت مع أولئك الذين لايزالون على طاعته من أعضائه . وتغيرت سكرتيرية اللجنة المركزية تغيرا عميقا بسبب الثورة الثقافية ولكن رجالها الاقوياء لم يكونوا بالنسبة للقادة الثوريين سوى «بارونات» جدد .

وأولا بأول مع الاستيلاءات على السلطة فقدت السكرتيرية ارتباطاتها . وكان المنفنفون حائرين لا يعرفون قط اذا كانت الأوامر التى يحسن بهم اتباعها هى التى ينقلها مابقى من جهاز الحزب أو هى أوامر **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** التى ينقلها **الحرس الأحمر** . كذلك كابدت الادارة من عمليات **الاستيلاء على السلطة** وقاسى التلاحم فى عملها من جراء ذلك ، ولكن أقل من الحزب ، اذ بفضل شواين ـ لاى ظل التناسق باقيا بين مجلس شئون الدولة والقيادة الثورية .

لقد قاوم الجهازالقديم اعضاء اللجنة المركزية الدائمين الجدد ، وفى اطار

القيادة الموحدة ساعدتهم اللجنة العسكرية . وكان المهم أن تظهر جميع قرارات **المركز** غير قابلة للمناقشة فى آن واحد للكوادر وللجماهير . كذلك كانت بدءا من فترة معينة تمهر بتوقيع : **جماعة الثورة الثقافية** واللجنة العسكرية ومجلس شئون الدولة واللجنة المركزية معا . وظلت اللجنة المركزية على الرغم ممـــا اعتراها من الاعيب رمز السلطة العليا .

فى الزمن الاستثنائى تتشكل القيادة من مجموع الاجهزة الاربعة المشـــار اليها فهى متمردة ، فى حدود معينة بما أنها تخالف لوائح الحزب كلما رأت حسنا أن تفعل ذلك (كأنها تعتبرها قاصرة ويجب أن يكون للحزب لوائح جديدة فى نهاية الثورة الثقافية) ، ولما أنها أوقفت عددا من القادة كانوا يتولون السلطة دون أن تعمل للحصول من مؤتمر جديد ، على نيل المصاقة على هذا الاجراء . ان تأليف أجهزة الحزب المركزية الجديدة ينتج ، من حيث المبدأ من مبادرات ثورية ويتأثر بنقد الجماهير .

وفى هذه الحقبة تم انعقاد مؤتمرين هامين فى اللجنة المركزية : الأول فى أكتوبر والثانى فى مارس . وكلاهما انتقد ليوتشاو ـ شى دون المضى ، مع ذلك، الى النهـاية . وكان أشد الثوريين مجازفة يود ، لو أن ادانة ليـو ، وربمـا قضبته ـ مثل قضية لويس السادس عشر واعدامه فيما مضى ـ ، تفتح الطريق أمام تصفية المؤسـسة تصفية عامة . ولكن السياسة المتبعة سوف لاتكون أيضا الا سياسية « تنازل » من ليو تشاو ـ شى اذ أن كتاباته وحدها هى المدانة . فان اطلاق الجماهير ضد الحزب كان يمكن أن يقوده الى القبر .

فالمهمة صعبة ، اذا كان المراد هو ابقاء الحزب وتغيير تكوين جماعة القيادة وسياستها تغييرا عميقا ، فى آن واحد . ولاشك أنه كان من الممكن أن يكتفى بعض المسئولين الكبار ، بتضحية ليوتشاو ـ شى وقد يرضون بذلك اذا تمكنوا من القول بأن الثورة الثقافية قد انتهت . ولكن أليسوا ، حقا ، أولئك الذين كان يمكن أن ينقدوا أنفسهم ذاتيا فى نفس الوقت مع ليوتشاو ـ شى ؟ ان تاريخ الثورة الثقافية تحتويه فى جزئه الكبير ، هذه المشكلة : فهو ليس كفاح رجل ضد رجل ولكنه كفاح رجل ضد أغلبية .

واذ وجد المعتدلون أنفسهم وجها لوجه مع أولئك الذين كانوا يدفعون الى الاسراع بوتيرة الثورة الثقافية فانهم قادوا الكوادر الى أن يشاركوا فيها حقيقة . فلم يكن فى مكنة أى تنظيم يريد الدوام أن يستقر بالاســتغناء عن مشاركة أولئك الذين يملكون قليــلا من التجربة وفن الادارة والاســتغناء عن الفنيين . وعملت الحملات المخصصة لذلك على تشجيع الكوادر الذين أوقعت فيهم الثورة الخوف ، على أن يتجاسروا لتسيير مؤسسات جـديدة . ومن المحتمل أن يكون بعضهم قدم نقده الذاتى نزولا عند الطلب ثم أســند اليهم القيام فيما بعد بدور سياسى هام . وكانت سياسة ماوتسى ـ تونغ تقوم على فرض الفكرة التى لايكون فى الوسع ، فى ظلها ، الا وجود أسرة ثورية بروليتارية واحدة بدلا من عصب منقسمة . وكرر القول بأن الرجال المطلوب استبعادهم لم يكونوا عديدين ، فهم لايتعدون **حفنة صغيرة** ولابد من اتحاد الجميع ضــد هذه **الحفنة الصغيرة** .

كان أصحاب فكرة التسريع يطالبون بالتشدد فى الثورة ، مانحين اللجان

الثورية ولجان المراقبة سلطات استثنائية كان يمكنها ، ان تجعلها وثيقة الصلة بلجان السلامة العامة . وفيما بعد سعوا الى الاستفادة من عدة حوادث خطرة، واعدوا عمليات **استيلاء على السلطة** فى مجالات معينة كالجيش والشئون الخارجية . الا أن فشل هذه المحاولات أظهر حدود الثورة الثقافية . وعلى كل حال ظل التناقض الذى كشف عنه التيار اليسارى ، قائما «فى صميم الشعب» حتى يوليو (تموز) ١٩٦٧ وكان ذلك مدعاة لاعتبار زعماء هذا التيار طليعة الثورة .

سقوط السكرتيرية :

كان يوم أول يوليو (تموز) ١٩٦٦ ، الذكرى السنوية الخامسة والاربعين لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى . فصدرت يومية الشعب عددها بهذا العنوان : «يحيا فكر ماوتسى ــ تونغ» وأشركت قادة الحزب الكبار بهذه التحية . وحظيت كلمة لين بياو ، وزير الدفاع ، من أعمدتها ، بحجم مساو لكلمات ليو تشاو ــ شى ، رئيس الدولة ، وتينغ هسياو ــ بينغ ، سكرتير عام الحزب ، وشواين ــ لاى ، رئيس الوزراء . ولم يكن فى وسع هذا المقال اغفال التعرض للتطهير الذى لحق بلجنة بلدية بكين وبادارة الدعاية حيث كنا نقرأ :

« فى كل مرة تعرض فيها حزبنا لكفاح واسع النطاق كنا نقوم بتصفية حفنة صغيرة من العناصر الطبقية الغريبة عنه والمتسللة الى صفوفه ..»

نجد فى هذه السطور مفهوم **الحفنة الصغيرة** الذى ينطلق من أقلام أتباع ماوتسى ــ تونغ كما نجد فيها كذلك فكرة ليست ماويةوهى التى تعتبر العناصر السيئة غريبة عن الحزب . وردا على ذلك كتبت مجلة الحزب العقائدية هونغشى **Hungehi** بعد أربعة أيام فقالت :

« لقد قال لنا الرفيق ماوتسى ــ تونغ منذ زمن طويل : انه لو لم يكن ثمة تناقضات أو صراعات فى الحزب لتعرضت حياته الى الانتهاء . ان التناقضات فى داخل الحزب تتبدل فىظروف معينة ومن حالةتناقضات لا عدائية يمكنها أن تصير عدائية » (١) .

ومنحت اللجنة المركزية ، المجتمعة فى حالة انعقاد بكامل هيئتها ابتداء من أول أغسطس ، لماوتسى ــ تونغ جلسة موسعة ، مجددة من مجالس الحزب العادية . وكان عدد لايستهان به من الاعضاء النظاميين فى المؤتمر ، غائبا ، وبالمقابل كان يتمم النصاب عدد من الثوريين ، يمثل أكثرهم بلاشك تنظيمات تكونت فى وسط الطلاب ، مما جعل من الممكن اذن احداث تغيير فى الاكثرية ، أضف الى ذلك أن الحمية الجديدة المتجلية فيمن يشهد اللجنة المركزية لاول مرة من الكتل كانت توفر فرصا جديدة للخطباء .

وقدم ماوتسى ــ تونغ فى أولى هذه الفرص نيينه ايوان ــ تسو من جامعة بثيتا الجو الملائم باعلان حائطى علقه بيده ، خامس أيام الاجتماع :

---

(١) هونغشى ، ٤ من يوليو ١٩٦٦ .

« لنقصف القيادة العامة »

هذا هو « أول اعلان حائطى لى tatazpao » »

« ان أول تاتنروباو ماركسى لينينى فى الصين (تاتروباو بثيتا) ونص تحرير **يومية الشعب** ، يالهما من كتابات جديدة ! أعيدوا ، أنتم جميعا أيها الرفاق قراءة هذا التاتنروباو مرة أخرى أيضا وهذه الدراسة . ومع ذلك فان قسما من الرفاق القادة فى المركز والاقاليم على حد سواء قد عارضوهما فى الرأى ، فى غضون الخمسين يوما الاخيرة . وانطلاقا من موقع طبقى بورجوازى رجعى فانهم مارسوا الدكتاتورية البورجوازية وقمعوا الحركة العاصفة لثورة البروليتاريا الثقافية الكبرى ، وقلبوا الحسن والسيىء واعتبروا الأبيض أسود ، وطوقوا وهاجموا الثوريين وخنقوا الافكار التى كانت تختلف عن افكارهم ومارسوا الارهاب الابيض وشجعوا البورجوازية ،واخمدوا نشاط البروليتاريا ومن ثم كانوا راضين عن أنفسهم . ومرة أخرى يالها من عبقرية فى الشر ! وعندما نقارن هذا بالاتجاه اليمينى لعام ١٩٦٢ وبالاتجاه اليسارى من حيث الشكل واليمينى المضمون لعام ١٩٦٤ أفليس هذا مدعاة للتفكير ؟»

ماوتسى – تونغ فى ٥ من أغسطس ١٩٦٦ (١)

لقد أحدثت هذه المبادرة وكذلك ظهور الرئيس غير المتوقع بين الجمهور فى ٩ من أغسطس عندما عمل على فتح أبواب شونغنانهاى chungnanhai ، اثرا هائلا فى أهالى بكين . ولم يكن قد جرى اخطار مكاتب الصحافة الرسمية فانقسمت على نفسها ، فيما يبدو ، عندما ارادت **يومية الشعب** أن تعطى لحركة الرئيس : «الاندماج بالجمهور» أعظم دعاية . وكأن ارتباكها هائلا الى حد أن طبعة يوم ١٠ من أغسطس سحبت فى الصباح حالما قدمت للبيع تقريبا (٢) وظهرت الطبعة الاخرى بعد ١٧ ساعة الا انها كانت قليلة الاختلاف عن الاولى ، وكانت لاتزال تمجد الحدث وهو ماكان يشهد على أن غلاة مؤيدى الرئيس كسبوا فى النهاية القضية .

ذلك أن الحسم الذى حدد كادر الثورة الثقافية وهو القرار الشهير بقرار الستة عشر بندا ، قد تم اعتماده فى ٨ من أغسطس (آب) فى هذا الجو البالغ التوتر . وقد أعيد نشره منذ ذلك الحين وحلل فى العالم قاطبة .

فبحسب هذا النص يجب أن يدافع عن الاقلية لان الحقيقة تكون أحيانا بجانبها (بند ٦) . وفى الجدل يجب اللجوء الى البرهان لا الى الضغط أو الاكراه اذ أن الجماهير لاتستطيع أن تتحرر الا بنفسها ولايمكن بأى حال من الاحوال العمل نيابة عنها (بند ٤) «يجب أن تتربى فى الحركة» .

كذلك حدد فيه أنه يمكن تصنيف الكوادر الى اربع فئات : «جيدة ، وجيدة نسبيا ، أولئك الذين اقترفوا أخطاء خطيرة ولكنهم ليسوا يمينيين معادين للحزب ومعادين للاشتراكية» – فالحركة كانت اذن موجهة ضد عناصر من اليمين . ولكن الكوادر الجيدة والجيدة نسبيا تشكل الاغلبية (بند ٨) .

وأخيرا فان هذا النص ينظر فى انشاء طائفة جديدة من المؤسسات ،

---

(١) نقلت فى كونو ، بكينغ كونو ايشنين ص ٢٢٢ ذكر سابقا .

(٢) انظر : «الكتاب السنوى لعام ١٩٦٧» ، **مجلة اقتصاد الشرق الأقصى** ص ١٥١ .

ال «جماعات ، لجان ومؤتمرات الثورة الثقافية» ، مشابهة لتلك المؤسسات التى كان لابد من أن تنمو انطلاقا من حركة التربية الاشتراكية (بند ٩) . «انه لمن الضرورى تطبيق نظام انتخاب عام شبيه بنظام كومونة باريس .. ويجب أن تكون قوائم المرشحين مقترحة من قبل الجماهير الثورية بعد استشارات واسعة .. والجماهير لها الحق فى كل لحظة أن تنتقد ممثليها .. وتستطيع الجماهير اعفاء هؤلاء الممثلين بعد عدد من المناقشات اذا ظهروا غير أكفاء» . (كان الاستشهاد بكومونة باريس منتشرا أثناء الفترة الاولى من الثورة الثقافية، ربما كان ذلك لان ماوتسى ـ تونغ قال عن **تاتنروباو** جامعة بئيتا : «انه منشور كومونة الشعب فى بكين للستينات من القرن العشرين !» (١)

كان قرار اللجنة المركزية يهدد عددا معينا من الكوادر ارتكبوا اخطاء ، الا انه لم يكن ثمة أحد ، خارج أولئك الذين سبق أن ادينوا فى مايو (آذار) وأولئك الذين كان يمكنهم أن يحسوا بأنهم مستهدفون بتاتنروباو ماوتسى ـ تونغ لدورهم أثناء الخمسين يوما ، يعرف من هو الذى سوف توجه الضربة اليه . ومع هذا فثمة نقطة كانت معروفة وهى أن مركزى الحزب المنفصلين كانا أخيرا قد انضما معا ، وكانت السكرتارية المركزية ـ وقد ظهرت الآن ـ تستطيع أن تحسب بأنها ماضية ثانية الى تسلم السلطات شبه المطلقة التى كانت تمارسها فيما بين المؤتمرات . على أن السكرتيرية كانت قد وافقت على تضحيات كبيرة : فان ثلاثة من أعضائها هم بينغ شين ولوتينغ يئى ولوجوى ـ شينغ كانوا قد عزلوا (٢) .

ربما كان تينغ هسياو ـ بينغ يقدر آن التنظيم الذى كان هو سيده الموهوب الجانب قد دفع على هذا النحو ضريبته للثورة الثقافية وانه اذ تناديه الأحداث للقيام بعمل متزايد سوف يكرس نفسه من الآن فصاعدا للسياسة الجديدة . وفى تأليف السكرتيرية الجديد ، كان لا يزال يستطيع الاعتماد على أقدم الأعضاء : تان شين ـ لين (٣) ولى هسو ويه ـ فينغ (٤) كما يعتمد على تاوشو .

كان تاو شو هذا ، الذى جعل منه صعوده المفاجىء الى الدرجة الرابعة ، نجما ، يقدم ، ظاهريا ، ضمانات من الفكر الماوى . فهو يدين ، لاشك ، بجزء من شهرته الى انه أكد الانتقال مباشرة من الرأسمالية الى الشيوعية وانه دافع عن ان الصراعات الطبقية تستمر (٥) طيلة حقبة الانتقال كلها ، وهى فكرة تم ادخالها فى بيان الاجتماع الموسع العاشر للجنة المركزية . كما انه لفت الأنظار

---

(١) انظر افتتاحية **الهونغشى** رقم ٣ لعام ١٩٦٧ .

(٢) من أجل تاليف السكرتيرية انظر مقال س . هـ : «الفريق الصينى القائد والثورة الثقافية» فى ملاحظات ودراسات وثائقية رقم ٣٤٤٨ ـ ٤٩ التوثيق الفرنسى باريس (٢٦ من ديسمبر (كانون أول ١٩٦٧) .

(٣) نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة .

(٤) لى هسويه ـ فينغ لم يسم فى مكان بينغ شين دون موافقة ماتسى ـ تونغ من جهة ومن جهة أخرى فانه بلا شك ساعد تينغ هسياو ـ بينغ على تغيير السكرتيرية فى شهر مايو .

(٥) مقال تاو شو فى يومية **الشعب** فى ٥ من اغسطس ١٩٦٠

بتنظيم حملات الطلائع على مستوى واسع فى جنوب الصين ، الذى كانت الدعاية قد اجتاحته : اقامة الكوادر الى جانب العمال ، اجتماعات تعقد حول فكر ماوتسى – تونغ .

بيد أن القرارات ، المعروف انها صادرة عن تاوشو ، فى وظائفه الجديدة ، الى جانب المركز (١) ، ليست ثورية : فقد جرى مهرجان لد « فيلم المنتقد » الذى أتاح رؤية المؤلفات القديمة ثانية ، فاذا بمؤلفات بينغ شين ولو تينغ- يئى وشو يانغ يمنع بيعها الا أن النسخ التى كانت مكدسة فى المخازن صرفت للمكاتب (٢) ثم اذا بمسألة استحمام ماوتسى – تونغ فى اليانغ تسى – يانغ يوم ١٦ من يوليو (تموز) تثير دعاية بالغة الافراط . وأخيرا صارت الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى هى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى .

كانت العناصر الماوية التى أخذت المبادرة فى الثورة الثقافية هى التى تدير الصحافة فى بكين دون استثناء على وجه التقريب ولكن صحافة الأقاليم كانت لا تزال تحت رقابة لجان الحزب الاقليمية .

وكانت اللجان الاقليمية تستمر فى العمل مع سكرتيرية اللجنة المركزية ، وما دام ان رجال الحرس الأحمر لم يشعروا بأنه من المسموح لهم أن يمدوا تحرياتهم الى اللجان فان الكوادر المتمنعة لم يبق من يخاطبها غير السكرتيرية .

وفى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ ، قدم الى بكين سكرتير مساعد لمنطقة ابين Ipim الخاصة فى سيشوان ، وكان قد عزل من منصبه ، لايداع وثائق نقد لى لى شينغ – شون (٣) فلم ينجح فى الاتصال بقادة الثورة . ولما كان يتعرض للعقاب فان السكرتيرية ردته الى أجهزة المراقبة فى الحزب وفقا للروتين . الا انه لقى الحماية لدى من أوفدهم أعداؤه ضده الى بكين. واتصل برجال **الحرس الأحمر** فى **القيادة العامة الثانية** وبرجال **الحرس الأحمر** فى بئيتا فأجابوه بأنهم لم يكن فى مقدورهم أن يتكفلوا بوثائقه لأنه لم يكن طالبا . ولم تشأ القيادة العامة الثالثة أن تتولى شئونه (٤) الا بعد مطلع أكتوبر (تشرين أول) فحسب . ذلك أن سكرتيرية المركز كانت تدير معركة مؤخرات تراجعية ولكن الطلاب انتهوا بالتغلب عليها .

فى شهر أكتوبر (تشرين أول) بدأ مؤتمر للعمل تابع للجنة المركزية كان عليه ألا يدوم الا ثلاثة أيام ولكنه دام ستة عشر يوما (٥) . وكان يبدو على

---

(١) قيادة ادارة الدعاية فى اللجنة المركزية ووزارات الثقافة ابتداء من ٢٥ من يونيو (حزيران) ١٩٦٦ ، أنظر روبنسون : **الثورة الثقافية** فى الصين بليكان بوكس ص ١٤١ – ١٤٢ ذكر سابقا .

(٢) **بيشينغ هونغشى هواتشوا تينغ** رقم ٤ بتاريخ ١٠ من مايو (آيار) ١٩٦٧ جريدة **للحرس الأحمر** .

(٣) سكرتير أول اللجنة المركزية للجنوب – الغربى من الصين .

(٤) «من كان يحكم الصين عام ١٩٦٦ ؟سكرتيرية الحزب السابق بحثا عن الحزب المركزى» تحليل أنباء الصين رقم ٦٧٠ هونغ كونغ (٢٨ من يوليو (تموز) ١٩٦٧) .

(٥) **انظر ماتاكوتو نو شوزين ، اساهى شيمبون** شوزا كينكيو شيتسو ، طوكيو ، ١٩٦٧ ص ٣٩ .

هذا النحو كأنه امتداد للدورة الحادية عشرة بكامل هيئتها . واذا مجلة **هونغشي** (١) تكرر التهديدات التى ذكرتها فى يوليو (تموز) ٠

« ان الرفاق الذين اقترفوا أخطاء فى الخط العام هم بازاء الحزب والجماهير فى موقف ما زال بعد يشكل تناقضا فى صميم الشعب . الا انهم اذا كابروا على المضى فى الخط الخاطىء فان تناقضاتهم، أيا كانت عظمة المزايا التى اكتسبوها فى الماضى ، ستصبح من نوع التناقضات التى توجد بيننا وبين أعدائنا ولسوف ينتهى بهم الأمر الى أن يصبحوا معادين للاشتراكية ومعادين للحزب » (٢) ٠

لقد ضم تينغ هسياو ــ بينغ نقده الذاتى الى النقد الذى أجراه ليوشاو ــ شى لذاته ، واعترف كلاهما بأنه مذنب بصفة أساسية بالوقائع التى انتقدها **تاتزوباو** ماوتسى ــ تونغ : تدعيم اليمينيين عام ١٩٦٢ وتطبيق **حملة التربية الاشتراكية** فى عام ١٩٦٤ وخلق **جماعات العمل** (٣) ٠ الا ان ماوتسى ــ تونغ صرح بأنه كان على اللجنة المركزية بأكملها أن تشارك فى النقد الذاتى ٠ اذ أن التضحية ببعض أكباش الفداء لم تكن تكفى ٠٠ فثمة محن أخرى كانت تنتظر سكرتيرية اللجنة المركزية ، والحقيقة ان الضربة ما لبثت أن وجهت الى تاو شو فى يناير (كانون الثانى) ١٩٦٧ والى تان شين ــ لين ولم يكن قد انقضى شهران على ذلك .

لا يزال غير ممكن بعد أن ندرك تمام الادراك ماذا كان خط تاو شو السياسى . نستطيع أن نتأكد فحسب من أن سلطته الشخصية كانت تشكل دولة داخل الدولة . ونحن نتذكر بأن **الحرس الأحمر** كان قد اتهمه بأنه اراد انشاء **جماعة ثورة ثقافية** خاضعة لأوامره . أفلم يكن يخشى أن يستخدم تحالفاته لتدعيم **جماعات الحرس الأحمر** المخالفين وأن يضع فى خدمة سكرتيرية الحزب وسائل مماثلة لما **للقيادة العامة الثالثة** ؟

لقد نشر رجال **الحرس الأحمر** قوائم مثيرة لجميع أصدقاء تاو شو السياسيين . وأشار الخطباء والصحفيون الى انتهازيته واحتقاره للعرف والأخلاق ، أفلم يقل بأن « الشمس نفسها ملطخة ببقع سوداء » (٤) حين قورن ماوتسى ــ تونغ به ؟

أما عزل مدير الدعاية فلا شك فى ان الجماعة المركزية فى الثورة الثقافية هى التى طلبته من البريزيديوم . وعلى كل حال فقد حدد سقوطه نهاية سلطة تينغ هسياو ــ بينغ . وكان ماوتسى ــ تونغ نفسه يمكنه أن يعلق على ذلك بهذه الكلمات :

« ان تينغ هسياو ــ بينغ هو الذى قدم تاوشو الى اللجنة المركزية . وقد أعلنته بأن تاو لم يكن شريفا ، ولكنه قال : انه كان فى الوسع أن يولى

---

(١) **هونغشى** رقم ١٤ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٦٧

(٢) **موتاكوتو نو شوزين** ص ٤١ ذكر سابقا ٠

(٣) انظر تحليل كونو لنقد ليو وتينغ الذاتى فى بكينغ كونو اشينين ص ٦٧ ــ ٦٨ ذكر سابقا ٠

(٤) موتاكونو نو شوزين ص ٤١ ٠

الثقة .. ولم أنجح فى حل مسألة تاو شو . وانتم كذلك . فقد توصل الى ذلك رجال **الحرس الأحمر** منذ أن ثاروا . » (١) .

القياد المتمردة :

لقد استهل شهر يناير (كانون ثان) بأحداث شانغهاى . فان حركة اضراب واسعة قد تنامت بعد قليل من ظهور تنظيمات ثورية بين العمال فأوشكت المدينة الضخمة أن تصاب بالشلل اذ حرمت من الكهرباء ومن الخطوط الحديدية وأقفل الميناء وأوقف التموين . واذاعت الـ « قيادة العامة » للثوريين العمال نداء (٢) على شعب شانغهاى تطالبه فيه بضبط النفس والعودة الى أعماله . فنشر هذا النداء فى الحال فى الصحف بقرار من ماوتسى ــ تونغ . وكانت المخاطرة فى شانغهاى هائلة . فلو أن الفوضى استقرت فى عاصمة الشرق الصناعية الكبرى لكان من الممكن ازالة النظام . وعلى هذا أكدت مجلة هونغشى (٣) أن ماوتسى ــ تونغ ، بعمله على اذاعة نداء العمال وال « بلاغ المستعجل » المؤرخ فى ٩ من يناير (كانون ثان) (٤) فى كل مكان ، قد اتخذ « قرارا استراتيجيا عظيما جدا » .

عندما أيد ماوتسى ــ تونغ بسلطته الشخصية تحريضا للجماهير فانه عرض للخطر سلطة أكبر من سلطة القوة العامة : العمل الذى عاد ينتظم شيئا فشيئا فى شانغهاى . ولكننا نستطيع أن نشير الى أن هذه المبادرات التى رأى فيها منظرو الحزب قرارات ثورية عظيمة لم تكن انقلابات . فقد كانت نداءات أو دعوات الى المثال اتخذت طابع الاستثناء لأنها كانت قد أذيعت دون ضمان اللجنة المركزية .

يروى شانغ شون ــ شياو كيف انتظم لكى يضع ادارة الشئون العامة بين أيدى الثوريين فى شانغهاى :

> « لقد تفاهمت مع الرفيق اياووين ــ ايوان لتسلم الاشراف على الادارات الرئيسية قبل كل شىء ، بصورة تؤمن فى البداية حياة الناس وتكفل نظافتهم . وكان علينا تسلم السلطة بعد ذلك فى اللجان البلدية فى الحزب والشعب . والواقع ان السلطة فى هذين التنظيمين كانت قد أصبحت فى أيدينا . وفى ذلك الزمن كنا قد تبنينا نمطا من المناقشات المشتركة . أذ كان علينا بالنسبة لكل موضوع أن

---

(١) بحسب منشور فى بكين بتاريخ ١٢ من يناير (كانون ثان صادر عن **القيادة العامة** للانتفاضة الثورية البروليتارية فى بكين .

(٢) « رسالة الى شعب شانغهاى » من **القيادة العامة** للانتفاضة الثورية للعمال فى شانغهاى ومن عشرة تنظيمات ثورية جماهيرية أخرى ، ٤ من يناير ١٩٦٧ ، **وينهوى باو** فى ٥ من يناير (كانون ثان) .

(٣) هونغشى ١٩٦٧ رقم ٢ (١٥ من يناير (كانون ثان) ١٩٦٧) : «أيها الثوريون البروليتاريون ، اتحدوا . » .

(٤) كان البلاغ المستعجل المؤرخ ٩ يناير (كانون ثان) الصادر عن **القيادة العامة** للانتفاضة الثورية لعمال شانغهاى وعن ٣١ تنظيما يعلن أن أموال البنوك كانت قد جمدت وأن الأجور قد أوقفت حتى نهاية الثورة الثقافية وأن جميع الأبنية والعقارات قد أممت وأنه على جميع التنظيمات الثورية أن تساهم فى اعادة النظام الى نصابه .

نطلب من الثائرين القدوم الى مؤتمرنا للاستشارة . وذات يوم كان هنا أربعون تنظيما يستطيعون أن يكونوا ممثلين ، وفى اليوم التالى كان مائة تنظيم يرسلون الينا مندوبيهم . فلم يكن أحد يعرف الآخر. ومع اننا كنا منهمكين جدا ، بل الأولى أن نقول غارقين فى البلبلة ، فقد حسبنا أن الأمور كان فى وسعها أن تحدث على هذه الشاكلة فى الثورة وانه كان فى مكنة المسائل أن تحل بهذه الصورة وانه لم يكن ثمة ما يدعو الى العجلة » (١) .

لم يكن **الاستيلاء على السلطة** من قبل الجماهير ممكن التحقيق فى كل مكان حتى باللجوء الى العنف . ولما كان يجب تحييد أكبر عدد من ال «سلطات» فى آن واحد فقد أوصت القيادة الثورية بـ « اشراف الجيش » اذا لم يكن **الاستيلاء على السلطة ممكنا** . والحقيقة أن الثوريين منذ ان التزم الجيش بتدعيمهم كانوا يملكون ورقة رابحة لا مثيل لها لو انهم يطلبون استخدامها . لكن ال « اشراف العسكرى » لم يكن الا حلا مؤقتا .

ولكى تعطى لسلطة «الشغيلة» الجديدة فرص البقاء بصورة دائمة كان لابد من أن يجرى الاستيلاء على السلطة من الداخل . فقد كان شواين — لاى يقول:

« يجب التركيز على الوحدة الخاصة . فليس من الممكن تنسيق الاستيلاء الكامل على السلطة فى « نظام » بأكمله دفعة واحدة . فى المقام الأول يكون تسلم السلطة فى الأقسام ثم فى داخل الأقسام يشكل المتمردون الثوريون القوة الرئيسية .. أننا لا نوافق على اقامة تنظيمات ثورية على المستوى القومى » (٢) .

كان هذا التحفظ الهام يرمى الى تدبير بقاء الحزب .

ورغم كل شىء كان قادة الثورة يريدون التصرف بسرعة اذ كانوا وهم الأقلية فى كل مكان يخشون كثيرا من أن يبادوا . فقد كان ماوتسى — تونغ يقول :

« دون الدخول فى التفاصيل يجب تسلم السلطة قبل كل شىء وارجاء المناقشات الى ما بعد ذلك .. وسوف يناقش ، فى الطور التالى للحركة ، الطابع المميز للسلطات التى كانت تمسك بالحكم ولكن هذا لا يجب ألا يجرى الا بعد الاستيلاء على السلطة .. تسلم السلطة واعلام « مجلس شئون الدولة ثم التماس الحجة لذلك » (٣) .

وبعبارات أخرى ان سكرتيرية اللجنة المركزية هى التى كان يمكنها أن تصدق على ذلك . ولكنها كانت عندئذ قد وضعت بين قطبين مختلفين . فلماذا

---

(١) مقتطف من خطاب شانغ شون — شياو فى ٢٢ من اكتوبر ١٩٦٧ ألقاه على ممثلين ثوريين من أنهوى .

(٢) «القادة المركزيون يتكلمون عن الاستيلاء على السلطة» ، **عاصفة المراكز** (١٠من فبراير ١٩٦٧) ، كلمات شواين — لاى .

(٣) ماوتسى— تونغ فى مؤتمر موسع للجنة العسكرية فى ٢٧ من يناير (كانون ثان) نقلا عن تاتنزو مؤرخ فى ٣ من فبراير (شباط) ١٩٦٧ صادر عن وفد اللجنة التحضيرية للثورة الثقافية من مدرسة التطبيق العسكرى فى سيان ، الى بكين . ورد فى أساهى شيمبون بتاريخ ٤ من فبراير — طبعة نهارية يابانية .

اذن كان لابد لاثبات شرعية **الاستيلاءات على السلطة** من أن يمر بمجلس شئون الدولة وليس **بجماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ؟ فلقد فسر ذلك بالدور الشخصي الذي لعبه شواين ـ لاى رئيس المجلس فى الثورة . وذلك انه هو الذى كان أفضل حكم فى المنازعات بين التنظيمات الثورية ، مستخدما صفاته العظيمة كدبلوماسى .

ففى ١٠ من يناير قال شواين ـ لاى لرجاله من **الحرس الأحمر**: ان الجماعة **المركزية للثورة الثقافية**(١) كانت **أركان حرب** الثورة الثقافية واللجنة العسكرية **قيادتها العامة** ومجلس شئون الدولة جهازها **التنفيذى** (٢) . وقد سبق لنا أن رأينا(٣) كيف كانت قد توحدت فى يومى ١١ و١٢ من يناير (كانون الثانى) قيادة الثورة السياسية والعسكرية على الرغم من معارضة بعض قادة الجيش. واعتاد الأهالى أن يروا الأوامر الهامة مهمورة بتوقيع التنظيمات الثلاثة واللجنة المركزية التى ربما كان لذكرها قيمة رمزية أكثر منها حقيقية وهى التأكيد على استمرارية الحزب .

لم يكن تأليف البريزيديوم الجديد ، الذى ربما كان ناتجا عن تسوية ، يعطيه قوة التأثير الضرورية لكى يكون ، حقيقة ، جهاز قيادة ثورية ، ومن المحتمل أنه تعرض للمقاومة منذ مؤتمر أكتوبر فى فترة نقد ليو تشاو ـ شى الذاتى . وظلت القيادة العليا ، بالطبع جماعية ولكن العدد الضئيل لأولئك الذين كان فى الوسع افتراض اشتراكهم فيها لم يكن العدد الفعلى لأى جهاز حقيقى : ماوتسى ـ تونغ ولين بياو وشواين ـ لاى وشين بو ـ تا وكانغ شينغ وشيانغ شينغ . وعندما قال لهم شين ابى محتجا لأن الحرس الأحمر كان يفقد الاتجاه السياسى :

« ان عدم الايمان الا فى الرئيس ماو ونائب الرئيس لين بياو ، ورئيس الوزراء وشين بو ـ تا وكانغ شينغ وشيانغ شينغ ، اى ستة أشخاص ـ ولنضف اليهم خمسة نواب رئيس ـ وزراء » (٤) اذن كلهم أحد عشر رجلا ـ فهل هذا هو الحزب العظيم ! أليس هناك سوى أحد عشر رجلا كاملين ؟ اننى لا أريد أن أسير فى هذا الطريق

---

(١) كان تشكيل **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** فى شهر نوفمبر على النحو التالى : شين بو ـ تا (رئيس) كانغ شينغ ، تاو شو (مستشاران) ، شيانغ شينغ (أول نائبة ـ رئيس) ، وانغ جين ـ شونغ ، ليوسيه ـ شين ، شانغ شون ـ شياو (نائبان للرئيس) ، شانغ بينغ ـ هوا ، رانغ لى ، كوان فينغ ، شىبين ـ ايو ، لين شيبه ، موهسين اياو وين ـ ايوان ، هسييه تانغ ـ جونغ ، ليو ويئى ـ شين ، شينغ شى ـ شياو ، يانغ شيه ـلين (أعضاء) ، ورد ذلك فى كونو ، بيكينغ كونو اشينين ، طوكيو ١٩٦٧ ص ٨١ ذكر سابقا .

(٢) « يوميات الثورة الثقافية » **انباء اساهى المسائية** ، طوكيو (مايو آيار) ١٩٦٧ ص ٢٢ .

(٣) فى الفصل المتعلق بالجيش .

(٤) لى فو ـ شون ، لى هسيين ـ نين ، نيه جونغ ـ شين ، هسيبه فو ـ شين وربما كان هذا الأخير هو نفسه أو كان تان شين ـ لين . ولكنه تصريح ورد بتاريخ ١٢ من فبراير . فمن نواب رئيس الوزراء الستة عشر لين بياو وواحد ميت ، أما الباقون فقد تعرض أكثرهم لنقد جارح .

« خذونى واظهرونى الى الجماهير » (١) فان قائمة الأسماء التى كان يذكرها وزير الخارجية كانت تعكس الفكرة التى أخذتها الجماهير عن القيادة .

كذلك رأت اللجنة المركزية ، هى أيضا ، فى مكاتبها ، اتمام عمليات **استيلاء على السلطة** ، جعلت سلطتها التنفيذية خاضعة لاشراف التنظيمات الثورية . ومنذ ذلك الحين لم يعد لأولئك الذين كانوا يقاومون الثورة فى جهاز الحزب ، أية وسيلة قط لنقل تعليماتهم الخاصة الى المصالح ، فى الخفاء عن عيون القادة . ولا شك أن هذا الشكل ، فى وضع وسائل عمل الحزب ، تحت الاشراف ، كان هاما بالنسبة لما كان يتعلق بالأوامر الى الأقاليم .

كان الجيش يبدو قد هدأته التسوية التى أعطت الأولوية لمهمات الدفاع فى مناطق الحدود حيث يمكن أن تكون الثورة الثقافية مؤجلة . ولكن عندما حدثت المعارك بين جماعات من الثوريين ينتمون الى الجيش وامتدت حتى تلك المناطق فان القادة العسكريين الذين وقفوا ضد اعادة التنظيم فى يومى ١١ و ١٢ يناير لوحقوا بلا رحمة .

وحصل بصورة خاصة ان استخدم عدد من الجنود سلاحهم فى سينكيانغ ضد جنود آخرين أثناء صراعات دارت فى شيهوتنرو من ٢٥ الى ٢٨ يناير (كانون ثان) . وقام عدد من المتمردين الثوريين من المعهد الزراعى التابع لجهاز التنمية فى المنطقة ، « هيئة الانتاج والتعمير » التى يديرها الجيش ، بعملية **استيلاء على السلطة** ، محلية ، فى مصنع نسيج وأوقفوا عددا من الضباط . عندئذ ذهب عدد من وحدات الجيش لتأييد تنظيم رجعى (٢) ، قاتل الثوريين ، فاعتقلت عددا من ضباط أركان حرب « هيئة الانتاج » كانوا قادمين للتحقيق . فاقتضى الأمر الى أن تحشر ضدها عناصر من الجيش ظلت مخلصة (٣) وكان الحادث قد أصبح على جانب من الخطورة : اذ أن القائد المساعد فى « هيئة الانتاج » أخذ عنوة . الا ان عددا من **التاتنروباو** أعلن حينئذ ان القائد العسكرى لسينكيانغ : وانغ اين ـ ماو كان من زمرة الجماعة الرجعية وان تسعة من العشر فرق الموجودة فى امرته كانت تتبع التزامه السياسى (٤) .

لقد امسك رجال **الحرس الأحمر** بحوادث من هذا النوع لينقدوا أعضاء اللجنة العسكرية التى علموا بأنها على غير وفاق مع لين بياو ، وكشأنهم فى حالة تاو شو ، ترك القادة الثوريون النقد يسقط بعضا من أعضاء اللجنة عن سروجهم . وهكذا اختفى هو لونغ . واجتاز المارشال العجوز شوتة حقبة صعبة جدا . فتغير تأليف نواب رئيس اللجنة العسكرية فى اللجنة المركزية .

---

(١) جريدة **هونغشى شانباو** فى ٨ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ .

(٢) «جيش حملة أول اغسطس من وحدة الانتاج» سمى باختصار «حملة اغسطس» . وقد أمر سواين ـ لاى فى مارس ١٩٦٧ بتفرقتها .

(٣) يحسب تاتنروباو من « الوحدة العسكرية للصواريخ الحمراء متوسطة المدى » ، جماعة متمردة ثورية تابعة للمعهد الزراعى ، من « وحدة انتاج وتعمير سينكيانغ» ، ورد ذلك فى أساهى شيمبون (طبعة نهارية يابانية) . وكانت هذه الجماعة منتسبة **للقيادة العامة الثانية** الحمراء فى سينكيانغ .

(٤) «يوميات الثورة الثقافية» ص ٤٨ ذكر سابقا .

وكان فى مقدور لين بياو نفسه أن ينحو على شوته بازدرائه فيوجه اليه القول بما يشبه هذا الكلام :

« كان كاو كانغ (١) يسعى الى أن يصبح رئيسا بسلوك طرق ملتوية • فهل يمكن أن تكون لديك ، انت ، هذه البراعة ؟ أليس صحيحا انك لم تكن قائدا حتى ولا يوم واحد ؟ فبعد انتفاضة نانشانغ انتهيت وتشردت فى الفوضى • قبل مؤتمر تسونييئى تولى شوته القيادة أما فيما بعد فان ماوتسى ـ تونغ هو الذى قام بأعبائها . وكان الذى تولى القيادة أثناء الحرب ضد اليابانيين فى الجبهة هوس ، وأثناء حرب التحرير ان ماوتسى ـ تونغ هو الذى قاد وليس انت . ومع ذلك فانك حتى الآن ، تظن نفسك باسلا » (٢) •

وهكذا كان لابد لأبطال شبه أسطوريين من أن يفقدوا شهرتهم • فحتى فى نظر الجيل الذى لم يعرف الحرب كان شوته يمثل الجندى العجوز المخلص ، رفيق ماوتسى ـ تونغ فى أحلك الساعات • وكان هولونغ جنديا محنكا نشأ فى السلاح منذ الصغر ، بطل الجمعيات السرية قبل أن يتمرد هو نفسه ويقاتل مع الحزب .

ومع ذلك لم يفعل لا نقد المارشالات القدامى ولا دعاية الجيش الجديدة فى تغيير استراتيجية بنيت على اليقظة على الحدود . فقد قال ايه شيين ـ اينغ (٣) ، وهو يشرح رأيا لماوتسى ـ تونغ (٤) : « ان قوى الامبريالية الدولية هى معادية للثورة الثقافية الصينية وقد بلغت حركات الطيران السوفييتى فوق المناطق المحاذية لسينكيانغ درجة عالية من النشاط والقوى البرية فى الاتحاد السوفييتى معبأة . لذلك يجب أن توضع جميع الوحدات فى الخط الأمامى فى حالة استنفار . كذلك على المناطق العسكرية فى تسينان ونانكين وفوشوى وكانتون وكونمينغ أن تجرى استعداداتها . ومن أجل ذلك يمكن ارجاء الثورة الثقافية قليلا » •

وبالمقابل فان القيادة لكى تعمل على القبول بتدعيم الاستيلاءات على السلطة من رجال أقل ملاءمة لهذا النوع من الكفاح، قد أرسلت اليهم تعليمات عملية . ونستطيع الظن بأنها لابد من أن تكون فى كثير من الحالات شبيهة بهذا الأمر الذى كان يوصى فحسب بأدنى مقدار من العمل فى خدمة السياسة :

« طالما المقصود هو تدعيم اليسار يجب عليكم اتباع الوحدة ٧٣٣٥ . فانتم أحرار فى ألا تشاركوا ، ولكن ينبغى أن تفعلوا أشياء مفيدة للمتمردين » (٥) •

---

(١) أبعد فى عام ١٩٥٥ •

(٢) ذكر ذلك كونو ص ٩٤ ، ذكر سابقا • فان سى ٠٠ فى هذا المقطع الذى لم يسم فى الوثيقة التى رجع اليها ، وربما يمثل لين بياو نفسه •

(٣) نائب رئيس اللجنة العسكرية فى اللجنة المركزية •

(٣) بحسب منشورات بتاريخ ١١ فبراير (شباط) ١٩٦٧ للحرس الأحمر فى مدرسة تطبيق الهندسة الحربية •

(٥) هذا المثل مأخوذ من حقبة لاحقة • أوامر المكتب العام للملاحة الجوية المدنية الى ادارة الملاحة الجوية المدنية لسينكيانغ • انظر تاهان تاشياو رقم ٨ ، كانتون (١٠ يناير (كانون ثان) ١٩٦٨) أوردتها ساوت شانيا مورنينغ بوست •

اختيار صيغة اللجان الثورية :

لقد فقد المركز التقليدى تفرعاته، وكان ظل الجيش يمتد حيثما كان الى جانب الثائرين . وخطرت لتنظيمات ثورية ، كانت قد فرغت من بعض الاستيلاء على السلطة ، فكرة العمل ، بنفسها ، على تطهير الحزب . فأنذرتها قيادة الثورة فى الحال بأن توقيع الجزاءات على أعضاء من الحزب ، لا يكون الا من حق أولئك الذين هم أعضاء فى الحزب .

والحقيقة ان عناصر من خارج الحزب وجدت نفسها قد تبوأت سلطات جديدة مع كوادر ثورية كانت قد « تمردت » . فأرادت استبعاد بعض الأعضاء النظاميين من الحزب وحققت ما ارادت . وعندئذ اذاع المركز الجديد فى ١٢ فبراير (شباط) هذا التنبيه :

« وفقا للوائح الحزب يجب ان تتخذ ، بصفة اجبارية الجزاءات ضد أعضائه من قبل أجهزة الحزب . وليس للجماهير وتنظيماتهما الحق فى تطبيق الجزاءات المنصوص عنها فى اللوائح على أعضاء الحزب » (١) .

كان هذا الرد مثار اهتمام المتسائلين عن أفكار القيادة الثائرة المتعلقة بما تطرأ به الثورة الثقافية من تغيرات على الحزب . اذ يفضى الى الظن أن من شأنه المحافظة على الحزب فى شكله القديم حتى فى صميم « الأجهزة الوقتية لدكتاتورية البروليتاريا » (٢) ولعله من المحتمل أن يكون تنبيه ١٢ من فبراير (شباط) قد طبق فى كل مكان . ففى كانتون كان الجهاز المسمى هونغشى لينوى (٣) Hungshi Lienwei وهو لجنة لفحص الكوادر الفتها جماعات خاصة ، اشترك فى تكوينها أحد عشر تنظيما جماهيريا ثوريا بنية أن يستخدم كل منها الكوادر القيادية فى لجان كوانفتونغ القديمة ، فكان هذا الجهاز يستقر فى مكانه بعد مضى سنة . فان مبادرات من هذا النوع ، متجاهلة سياسة المركز ودافعة على الصراع الطبقى الشامل ، قد اوقعت الارتباك فى السياسة الجارية لالتئام الكوادر ، ارباكا هائلا فى الأقاليم . وفى بكين كان المركز مع ذلك يعمل على تطبيق سياسته بنفسه . وانيط ب « جماعة مراجعة الحالات الخاصة » ، « عبء القيام بدراسة التقرير فى جرائم ليوشاو ــ شى » (٤) فكانت هذه الجماعة بالطبع مشكلة من أعضاء الحزب .

وعلى ذلك فان مسألة تمثيل الحزب فى الـ « اجهزة الوقتية » قد طرحت نفسها منذ أن بذلت الجهود الأولى بقصد تأسيس كومونة شانغهاى . وكابد شانغ شون ــ شياو عناء هائلا للعمال على اشراك أكبر عدد من التنظيمات الثورية بنسبة عادلة فى مجلس الكومونة . وحصل ممثلو العمال على أغلبية

---

(١) أنظر أساهى جيانارو جـ ١٠ رقم ١٨ « وآكاغاينا توسوشيكى نوتايشيتسوم » ص ٢١ .

(٢) وهى توضح كذلك مفهوم الـ «ثورة فى ظل ديكتاتورية البروليتاريا» التى تتطابق معه .

(٣) منشور من كانتون بتاريخ ١٢ من فبراير (شباط) ١٩٦٨ .

(٤) انظر البيان الصادر عن الاجتماع الموسع الثانى عشر للجنة المركزية الثامنة . أنباء بكين ١٩٦٨ رقم ٤٤ .

كبيرة · وربما كان شانغ متأثرا بالاضراب الطويل الذى حدث قبيل ذلك ومهتما بأن يشرك ، أكبر عدد ممكن من التنظيمات العمالية التى ساعدت على التغلب عليه ، فى جهاز القيادة الجديد . ولسوف نرى فيما بعد كم من الوقت استغرقت تلك المفاوضات · وفى فبراير أنشأت تسينغتاو وشانغهاى ومقاطعتا شانتونغ وكويشو لجنة ثورية أو « كومونة » . الا أن ماوتسى ـ تونغ أبدى تفضيله للاعمال الجارية فى شانسى التى دامت كشانغهاى ، زمنا طويلا : من ١٢ يناير (كانون ثان) (الاستيلاء على السلطة) الى ١٨ مارس (آذار) (اقامة اللجنة الثورية) . ولكن الصحافة الرسمية بالمقابل ، أولت اهتمامها بمثال هيئلو نغكيانغ ، اللجنة التى ولدت كاملة ، مسلحة ، فى ٣١ يناير (كانون ثان) ·

يمكن أن يكون تفضيل الرئيس لما جرى فى شانسى ، مبنيا على انجاز أو أكثر من الانجازات الثلاثة التالية : هذه المقاطعة هى التى أظهرت الدلالات الأولى لترتيب جماهير ـ جيش ـ حزب ، الذى سمى فيما بعد « التحالف الثلاثى » ، ومن جهة أخرى قضى زعماء الحركة فى شانسى الوقت اللازم فى مشاورات مع ممثلى الجماهير الثورية والكوادر الثورية والجيش للوصول الى توازن مرض للقوى ، وأخيرا تم هذا التوازن بنصف من ممثلى الجماهير وربع من العسكريين وخاصة بربع من الكوادر الثورية ـ أى من أعضاء من الحزب منضمين الى الثورة .

ومن الملاحظ فيما يتعلق بالنقطة الأولى ان العناصر المسئولة عن **تسلم السلطة** قد تجمعت منذ يوم ٢٥ يناير (كانون ثان) فى قوى ثلاث (١) وفقا لما جاء فى رسالة موجهة الى ماوتسى ـ تونغ من الـ « قيادة العامة للتمرد فى شانسى » : (١) العمال والفلاحون والطلاب تجانبهم (٢) الكوادر الثورية ، وجميعهم يعترفون بما يدينون به (٢) مساعدة الجيش · فان عددا من أعضاء الحزب فى شانسى اذن قد تقدموا الصفوف لتمثيل الحزب فى الجهاز الثورى وقد أثبت ذلك زعماء **الاستيلاء على السلطة** ·

أما النقطة الثالثة فان عددا من الملصقات قد ذكرت بعض النصائح التى ربما كان ماوتسى ـ تونغ نفسه قد أعطاها لشانغ شون ـ شياو وإياو وين ـ ايوان حوالى منتصف فبراير (شباط) . وقال فى واحدة منها :

« يجب أن تحذو كومونة شانغهاى حذو الشانسى حيث تحالف ٥٣٪ من الجماهير الثورية مع ٢٧٪ من العسكريين و ٢٠٪ من الكوادر»(١)

وقد أدرجت مجلة الحزب العقائدية التحالف الثلاثى فى مقالها ألافتتاحى ليوم ٣٠ يناير (كانون ثان) دون أن تعطيه اسمه · واعترفت انه كان من الضرورى «اقامة أجهزة وقتية للسلطة تضطلع بأعباء مسئولية قيادة الصراع» ·

ولم تصبح كومونة شانغهاى قدوة متبعة . بل على العكس أن الكومونة هى التى غيرت اسمها لتتخذ اسم اللجنة الثورية والتى تغيرت بدورها . وربما كانت شانغهاى تستطيع النجاح فى اقامة ديموقراطية عمالية ولكن زعماءها كانوا ينخرطون فى الصراع الطبقى دون أن يحللوا بعمق ما هى الأشكال الممكنة

---

(١) موتاكوتو نو شوزين ص ٥٤ ذكر سابقا ·

(٢) شينفكا نغشان بشينغهوا (٢٣ فبراير ١٩٦٧) ·

لدكتاتورية البروليتاريا بالنسبة لسائر أجزاء الصين الباقية . وبصورة خاصة كان نظام الكومونة يقتضى مبدأ الانتخابات فى القاعدة . على أن « ثمة اعلان حائط ، روى ، فى مطلع مارس ان شواين ـ لاى قال ان تكوين بكين فى كومونة قد يكون سابقا للاوان . فان تأسيس كومونة على غرار كومونة باريس لعام ١٨٧١ قد يقتضى أن يكون ٩٥٪ من العمال والجنود والطلاب قادرين على الادلاء بأصواتهم . فالوضع مازال بعد غير ناضج لذلك . وكانت الملصقة تضيف أن ماو ولين قد قبلا بشرح شواين ـ لاى هذا » (١) .

لقد فرغت اللجان الثورية من أمر اعتمادها لقيادة الصراع ، تلك المهمة التى تقتضى ـ على المستوى المحلى ـ سلطة فى التقرير تكون عادة من اختصاص الحزب .

لم يكن نظام الانتخابات العامة منتظرا حينئذ الا من أجل مجموع « جماعات ولجان » الثورة الثقافية المكلفة بوظيفة الاشراف من قبل الجماهير. وتعميم صيغة شانغهاى كان يمكنه اضعاف الحزب الى حد ما فقد كان مستوى وعى الجماهير السياسى فى شانغهاى أعلى كثيرا منه فى سائر الصين . اذ اننا نصادف فيها اهتمامات بالثورة الاجتماعية فى حالة تناقض بعض الشىء مع مشروعات ماوتسى ـ تونغ المبسطة الى أبعد حد ، من أجل انشاء كومونات شعبية ريفية تقوم على النزعة الى العمل والتضحية .

وكان التخلى عن كومونة شانغهاى ، كما فهمناه فيما بعد اجراء تم اتخاذه لتأكيد تماسك قيادة الحزب ، رغما عن هبوط قيمته الوقت .

تيار فبراير المضاد :

كانت الفوضى هائلة فى بكين فى شهر يناير . فقد كانت **الاستيلاءات على السلطة** فى المصالح العامة تتوالى بصورة لم يعد فى وسع الثوريين انفسهم أن يعرفوا معها عن يقين ما اذا كان لا يزال المتولون للسلطة ، الذين يدعون المسئولية عن مختلف الادارات ، بعد معتمدين من المركز فى ذلك الوقت أم لا . ففى بعض المكاتب كانت الانتفاضة قد أخفقت ، وفى أخرى كانت التنظيمات الثورية يسقط بعضها بعضا ، كما ان القادة المحليين فى غيرها كانوا قد عملوا لاتاحة تدخل تنظيمات فضلوها على غيرها ، وكانوا يعاضدونها وهكذا كان الانسان عندئذ يشهد عملية « استيلاء وهمية على السلطة » .

وتتويجا لكل ذلك ، فان أجهزة الاستعلامات الرسمية كانت كذلك هى نفسها قد اهتزت **باستيلاءات على السلطة** فيها بحيث ان آراء الصحافة التى يمكن أن تكون فى أوقات أخرى أوثق المصادر ، أصبح فى الوسع وضعها موضع الشك . وقد سبب اسقاط تاو شو وفريقه اختلالات فى مكاتب الدعاية التى أسندت رئاستها لقيادات جديدة (٢) . وعانت جريدة بلدية بكين نفسها

---

(١) تنقل **اساهى شيمبون** (٣ مارس ١٩٦٧ طبعة المساء) فى هذه السطور خبرا عن الوكالة انبئغارية رددته .A.F.P فى صوفيا . وروى فى .C.N.A رقم ٦٥٣ ص ٧ .

(٢) وكالة الصين الجديدة : مدير مؤقت هوشيه (رئيس تحرير **يومية الجيش**) ، ادارة الدعاية المركزية : المسئول وانغ لى مساعد رئيس التحرير فى هونغشى (عضو فى الجماعة المركزية للثورة الثقافية) يساعده تانغ بينغ ـ شو (مدير تحرير **يومية الشعب**) وهوشيه .

وفقا لما جاء فى **اساهى شيمبون** (١٤يناير ـ كانون الثانى ـ ١٩٦٧ طبعة يابانية نهارية) أوردت بيانا لشين بو ـ تا .

بكين جيهباو من عملية استيلاء على السلطة كاملة فى ١٩ ينـاير (كانون ثان) وعقد المسؤولون عددا من الاجتماعات خصوصا للحصول على اعتراف الثوريين بأجهزة الصحافة فى شكلها الجديد .

وكان مجلس شئون الدولة فى المركز يبذل جهده فى تنسيق أوجه تقدم الثورة ، لكنه كان يتولى كذلك عبء المحافظة على النظام العـام الذى صـار يسـمى حينئذ النظـام الثـورى · ومن جهة أخرى كان عليه السـهر على ألا تتوقف حياة البلاد الاقتصادية · فكان شواين ـ لاى ، يساعده بعض نوابه الذين ظلوا باقين فى أمكنتهم ، يكب على ذلك باذلا أقصى الجهد . ولم يكن فى وسعه التوصل الى المراد دون اصدار أوامر لا تلقى تأييدا من الجمهور أحيانا. وكان عليه القيام بتحقيقات حول التنظيمات والدور الذى كانت تؤديه ، لأنه كان عليه أن ينظر فى شرعية الاستيلاءات على السلطة .

عندئذ تعالت الانتقادات ضد شـواين ـ لاى نفسـه ، بيـد أنه سرعان ما وضح التأكد من ان ذلك مما يجاوز الحدود . لذلك تمت فى الحـال تغطية الملصـقات التى كانت تطالب ب « سجن شـواين ـ لاى الذى يتـآمر مع لى هسيين ـ نيين (١) ! » · وهكذا فوجىء مراسـل روئتر فى بكين ، وهو يهم ، بنقل هذا النبأ أو سمع بأن « لجنة مستخدمى البريد » ترفض برقيته · والواقع ان جزءا هاما من المستائين كان يتشكل من الطلاب الذين كانوا لا يريدون العودة الى بيوتهم قبل انتهاء الثورة الثقافية ·

فى تلك الفترة أصر تان شـين ـ لين ، أحد نواب رئيس الوزراء ووزير الزراعة ، على توطيد السلطة فى مجال اختصاصه . وانتهى به الأمرالى تجسيد احدى الحالات التى تجلت فيها روح المقـاومة للاختلال ، لكنها اتخـذت فيما بعد ، فى المؤتمر الشكل المعارض لخط الجماهير ، فتسببت فى عزله ·

لم يبد ان تان شين ـ لين قد عارض تغيير السياسـة فى الاقتصـاد وفى التربية . ولم يبد أنه كان معاديا لل « قفزة ـ الجديدة ـ الى الامام » . ولكنه كان يقدر ، فى الظاهر ، انه لا يمكن الحصـول على شىء أفضل باعطاء المبادأة للجماهير . وأكد على أن التجارب التى كانت أجريت لهذه السياسة فيما مضى كانت كافية .

لقد قال كانغ شينغ ، فيما بعد ان تان شـين ـ لين وقلة ضئيلة معـه « عملوا بحميـة عنيفة فى حملة التصليح للاسـلوب الذى بداه الرئيس ماو فى ينان (٢) yenan منذ عشرين سنة ، منكرين على الجماهير أن تكون قادرة على مبـاشرة تحرير نفسـها بنفسـها وعلى أن تبنى بنفسـها الماركسـية ـ اللينينية» (٣) . فلم يكن تان شين ـ لين اذن مشجعا للاستيلاءات علىالسلطة ولما كان من المستحيل تجنبها فقد نظم هو نفسه استيلاءات على السـلطة فى

---

(١) أساهى شيمبون (٧يناير (كانون ثان) ١٩٦٧) ، طبعة يابانية نهارية ، نبأ من مراسل الوكالة الالمانية .A.D.N فى بكين .

(٢) أنظر الفصل الثانى .

(٣) جريدة تونغفا نفهونغ من معهد الجيولوجيا فى بكين ، عدد خاص (٢٩ مارس (آذار) ١٩٦٨) .

قطاع اختصاصه ، قطاع الزراعة والارصاد الجوية والغابات . وعلى كل حال شجع فى وزارته تنظيمات سهلة الانقياد .

« ففى ١١ فبراير (شباط) خدع تان شين - لين اللجنة المركزية ورئيس الوزراء شو . فقد اتخذ ببراعة الترتيبات اللازمة لكى يستقبل شواين - لاى ممثلى خمس وحدات .. جرى فيها استيلاء وهمى على السلطة » (١) .

وبأحاديثهم عن هذه الاتهامات فضح رجال الحرس الأحمر فى معهد الزراعة وتنظيمات أخرى ، ما فيها من قمع . وبحسب رأيهم « أن المحافظين فى مختلف وحدات الزراعة والغابات قد استدعوا تجمعات من الجماهير للتشهير بتنظيمات متمردة وثورية للعمل على تنفيذ التوجيه المعطى من تان شين - لين بال « تقليل سياسيا من شأن المتمردين الثوريين » .

« ووفقا لاحصائيات ناقصة فان أكثر من عشرين تنظيما ، صغيرا وكبيرا سحقهم هذا التيار .. » .

« وبفضل هذا التيار المضاد ، المعادى للثورة وتدعيم تان شين - لين وخدمه تمكن عدد من جماعات المحافظين من الانبعاث ، فحاولت القيام بالقوة بحركة رد فعل » (٢) .

فى هذه المسألة اتحدت جميع التنظيمات الثورية الطلابية التى كانت قد صنعت لنفسها اسما . ضد تان شين - لين وهكذا حدث له ما حدث لتاوشو وهولونغ مما نعرفه جيدا : اذ تضخم النقد ضده ، وغدا هائلا فتخلى **المركز** عن الرجل .

وبذلك صار تان شين - لين المعاقب على مايسمى «تيار فبراير المضاد» ، الذى شهر به الاجتماع الثانى عشر الموسع على انه احدى المحاولات الفاشلة لاغواء الثورة الثقافية (٣) .

وفى مارس تم انعقاد مؤتمر موسع للمكتب السياسى دعى تان شين - لين أثناءه لتقديم التفسيرات . فهل تخلل المناقشات اتجاه الى الاسفاف ؟ فان وزير الزراعة قد دافع عن نفسه بأن عرض أفكاره فوجد تعضيدا . فاذا بالصحف اليابانية تذيع النبأ بقولها أن الأغلبية لم تكتسب فى هذا الاجتماع الا بصوت واحد (٤) . واذا بناطق رسمى يكذب الخبر . الا أنه من الممكن جدا أن يكون كثيرون من القادة قد تحالفوا ضد **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ، التى كان الأمر سينتهى بمناقشة دورها .

والحقيقة ان اللجنة المركزية ، اذا صدقنا خبرا (٥) صادرا عن وكالة C.T.K. يرجع تاريخه كالتيار المضاد الى شهر فبراير (شباط) ، كانت

---

(١) بكينغ بينان شانباو «ورقة معركة لنقد تان شين - لين» بكين (١٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) أنظر انباء بكين ١٩٦٨ رقم ٤٤ ص ٦ .

(٤) أنظر بصورة خاصة نوغامى «أين هى قفزة الثورة ؟» ، فيتنام والصين (١٦) انباء اساهى المسائية .

(٥) ٢٢ فبراير ١٩٦٧ .

قد نظرت حينئذ فى قيام مجلس موسع بعض الشيء ليحل محل **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ، بل وربما كان من المتوقع أن تدخل فيه شخصيات سبق نقدها ، فلو كان هذا صحيحا ، لكان تنظيم المركز كله هو الذى يوضع موضع البحث من جديد . وقد شهد كانغ شينغ فيما بعد بأن معارضة ما ، قد تجمعت ضد الفئة التى تتقلد زمام السلطة . وكان هؤلاء الرجال ، على حد قوله ، « يعلنون بأن الثورة الثقافية لم تكن حاصلة على دعم قيادة الحزب » (١) · وأدان ماوتسى ـ تونغ ولين بياو موقف تان شين ـ لين · ففقد الأكثرية بل من المحتمل أن يكون قد عوقب (٢) ·

وهكذا نرى ان حالة تان شين ـ لين ، « تيار فبراير المضاد » ، لم تكن صدمة فحسب من عدد من الجماعات الثورية ولكنها مسألة امتدت الى داخل جماعة القيادة . ولعل الاستعدادات التى اتخذها تان شين ـ لين فى قطاعه الخاص كان يخشى أن تؤدى الى نتائج خطيرة . ولعلها كانت تستفيد من روح المحافظة لدى الفلاحين بصورة يمكنها أن تكون مثارا للقلق . ولعل التنظيمات المحافظة قد عثرت فى وزارة الزراعة على قاعدة صلبة . وفى نهاية المطاف كان ما جاء به التصويت فى المكتب السياسى هو انتصار روح الثورة بخاصة على أفكار التكنوقراطى الذى كان يريد الامساك بزمام التنظيمات والمحافظة فى وزارته على خط معبد . وقد أخطأ بعض المتطرفين من **جماعة الثورة الثقافية** عندما حسبوا أن هذا الانتصار يفتح الطريق لقوى الشارع ضد كل ما كان يتبقى من جهاز الحزب .

اختلافات وجهات النظر حول تسارع الثورة الثقافية

أطلقت موجة النقد سهما جديدا بلغ المكتب السياسي للجنة المركزية فأصاب تان شين ـ لين . وبذلك هدر الثوريون قوى عديدة . فقالوا ان ثمة مسئولا خلف تان شين ـ لين وما زال هو الشخص نفسه الذى كان وراء بينغ شين · وفى مؤتمر المكتب السياسى الموسع طالب **الجبل** (٣) بادانة ليو تشاو ـ شى ·

كان ليو قد قاوم بنقده الذاتى وانزلت مرتبته لذلك . ويرجح بأن أكثرية الأعضاء المسئولين صاروا يقرون الآن وضع غيره على رأس الدولة . ولا شك فى أن كثيرين منهم رأوا ان ذلك يجب أن يكفى . لكن هناك ضغوطا هائلة كانت تعمل لفتح ملف ليوتشاو ـ شى وادانته ادانة أعمق . وكانت صادرة من

---

(١) خطب القادة المركزيين فى ٢٧ مارس (آذار) ١٩٦٨ ، مذكورة فى نونغفانغهونغ بمعهد ألجيبر وجيا فى بكين ، عدد خاص ، بتاريخ ٢٩ مارس (آذار) ١٩٦٨ ·

(٢) كان تان شين ـ لين لا يزال موجودا فى معية ماوتسى ـ تونغ فى أول مايو (آيار) ١٩٦٧ مع المكتب السياسى · ولم ينته سياسيا الا فيما بعد ·

(٣) أصحاب المقاعد العليا فى المؤتمر وفى الجمعية الوطنية ، ابان الثورة الفرنسية الذين كانوا دائما يدلون بأصواتهم الى جانب الاجراءات العنيفة ، المتطرفة .

« المترجم »

الشارع ومن الناطقين بلسان الجماهير الذين يرون فى مستقبل الثورة الثقافية ما يجب أن يتلاءم مع تسييس حركات الجماهير تسييسا تاما .

وقد قبلت القيادة الثورية ، فى جملتها ، هذه الضغوط ، ذلك ان تعميق نقد ليو تشاو ــ شي يمكن أن يكون موضوعا لاجتماع اليسار . فقد بلغت الانقسامات بين الطلاب ، حقيقة ، درجة كافيــة من الخطورة كما كانت الانقسامات بين العمال أعمق أيضا، لأنه كانت للمحافظين بينهم مصالح يدافعون عنها (١) وبالنسبة لقادة الثورة الثقافية يمكن وضع خطة نقد ليو تشاو ــ شي موضع التنفيذ لتكون مناسبة لترسيخ نفوذهم على التشكيلات التى تهددها الفوضى وعلى الثوريين الذين ينتقدون الزعماء جميعهم بلا تمييز .

ان الاختلافات فى وجهات النظر حول ملاءمة المضى فى نقد ليوتشاو ــ شي الى أبعد من ذلك تفسر خلافا فى الآراء حول تسريع الثورة الثقافية . فالمسئولون الجدد ، المرتبطون ارتباطا وثيقا بالجماهير ، وخاصة منهم وانغ لى وشى بين ــ ايو وكوانغ فينغ ولين شيه ، يبنون بالطبع مطامح واسعة على القوة التى تمثلها . ولكنهم يعرفون كذلك انه يجب اعطاؤها شيئا جديدا اذا كان يراد تجميع التيارات التي تتقاسمها . وأيا ما كان ذلك تحت ستار نقد تان شين ــ لين أو تعميق نقد ليو تشاو ــ شي فان المسألة هي أن نعرف ما اذا كان ذلك يعمل على تسريع الثورة الثقافية الذى عالجه مؤتمر المكتب السياسى الموسع فى شهر مارس (آذار) والذى اختلفت حوله ، الآراء على ما يبدو ، كثيرا .

ويبدو أن التسوية تمت لا على القرار بنقد ليو تشاو ــ شي نفسه وانما نقد مؤلفات ليو تشاو ــ شي . فان نص « تحسين الذات » (٢) هو الذى سيصبح فى الشهور القادمة هدف النقد الرسمى . ولم يمنع هذا التفريق زعماء الجيل من العمل على أن تدرس الجماهير نقد ليو تشاو ــ شي نفسه . وهذا ما سبب بعض الغموض فى موضوع **النقد العظيم** .

كان شي بين ــ ايو هو الذى فتح النار ، متجاوزا فى الحال موضوع المؤلفات وقد اتخذ تعلة لذلك ، فيلما قديما كان ليو قدره وأوصى به ، هو : « التاريخ السرى لبلاط شينغ » (٣) ، « كان لا يزال يعرض على نطاق واسع حتى فى عام ١٩٥٠ فى بكين » . ولم يكن من آثار ليو تشاو ــ شي ولكنه عمل سينمائي كان قد أبدى تقديرا له فى حينه . فوضع شي بين ــ ايو عنوانا لمقاله : « أوطنية أم خيانة للوطن » (٤) وصاغه بأسلوب يدل على ان ماضى الزعيم المنتقد كله كان مشوبا بالضعف والتسويات وختمه بثمانية أسئلة على منوال الملصقات التى كانت تغطى حوائط المدينة عارضة للأنظار جميعها « جرائم ليو تشاو ــ شي الخمسين » . وهكذا فان شي بين ــ ايو كان يطلق ، للبدء ، هجمات ضد شخص ليو ، على الرغم من أن الاتفاق كان يقضى بالاقتصار على

---

(١) كان للعمال مواضيع خاصة للمطالبة .

(٢) «كيف تكون شيوعيا جيدا» .

(٣) فيلم لياوكيه Yao Ké موضوعه كفاح ايبهوتوان فى نهاية مملكة شينغ . هونغ نوفمبر ١٩٤٨ .

(٤) **انباء بكين** ١٩٦٧ رقم ١٥ بكين (١٠ ابريل (نيسان) ١٩٦٧) .

المؤلفات ، وكان يعمل عمله هذا بمقال نشرته مجلة الحزب العقائدية (١) . ذكر فيه بالاسم ، لأول مرة ، ليو شاو ـ شي « أكبر المسئولين ، الذين ، وان كانوا من الحزب ، فقد التزموا بالطريق الرأسمالي » .

وقد اختار شي بين ـ ايو من قائمة « الخمسين جريمة » واحدة من ثلاث لم يعترف بها في النقد الذاتي السابق : وهي اتهامه بأنه جعل من الحزب « حزبه الشخصي » بوضع أصدقائه في مراكز القيادة ، جريمة محو **فكر الرئيس ماوتسي ـ تونغ** من التقرير الى الهيئة الكاملة للمؤتمر الثامن (لقد حرص ليو تشاو ـ شي وتينغ هسياو ـ بينغ ، حقيقة بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ، على التدليل بأنه لم يكن ثمة عبادة للشخصية في الصين) (٢) ، وأخيرا انه قال الى عدد من الشيوعيين أن يجحدوا الحزب وينكروه ليخرجوا من السجن في عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ . وكانت الانتقادات تأخذ على ليو تشاو ـ شي انه تحالف مع الكومنتانغ في ذلك الزمن .

كان مقال شي بين ـ ايو يفضح هذه « الجريمة » الأخيرة :

« لماذا كنت تبشر ، عشية اندلاع ثورة المقاومة ضد اليابان ، بفلسفة البقاء وبالاستسلام وبالخيانة ؟ لماذا كنت تدفع الآخرين على الخيانة وكشف القناع عن انفسهم ؟ لماذا كنت تدعهم يستسلمون للكومنتانغ ، ناكثين عهد الحزب الشيوعي .. ؟ » .

ان التفوه بمثل هذا الاتهام على وقائع وأفعال شخصية قديمة لم يكن النقد الذاتي المقدم الى اللجنة المركزية يغطيها ثم العمل على نشره في **الهونغشي** كان يعني القيام بعمل لا يسعه الا المطالبة بنقد ذاتي جديد . كما كان أيضا يعني وضع المكتب السياسي الذي كان يوشك أن ينعقد أمام أمر واقع .

فهل كان ماوتسي ـ تونغ يوافق على هذه المبادرة ؟

لا يمكننا محاولة تقديم جواب على هذا السؤال الا بالقاء نظرة على العدد التالي من الهونغشي (٣) حيث نجد ردا على مقال شي بين ـ ايو بعنوان :

« ان النقطة الهامة من كتاب في « تحسين الذات » هي خيانة دكتاتورية البروليتاريا » (٤) .

وهو عنوان يذكرنا بأن ما يجري نقده هي الآثار لا الشخصية ، وانه يستبعد خيانة ليو تشاو ـ شي للحزب . ثم قدمه وانغ لي (٥) ، مسئول الدعاية الجديد الى ادارة وكالة الصين الجديدة بهذه العبارات :

---

(١) **هونغشي** ١٩٦٧ رقم ٥ (٣٠ مارس (آذار) ١٩٦٧) .

(٢) من اجل مقارنة النقد الذاتي مع مختلف «الاتهامات» ، انظر شوغوكو كينكييو جيبو رقم (٢٣١) طوكيو ١٩٦٧ ص ٢ الى ٦ .

(٣) **هونغشي** رقم ٦ بتاريخ ٨ مايو (آيار) ١٩٦٧ .

(٤) أنباء نكين رقم ٢٠ (١٥ مايو (آيار) ١٩٦٧) نشرت المقال بهذا العنوان . «ان خيانة دكتاتورية البروليتاريا هو جوهر الكتاب الذي يدور حول الـ « تحسين الفردي » لدى الشيوعيين» .

(٥) **عضو جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية .**

« نشرت **الهونغشى ويومية الشعب** مقالا هاما ، يبدو أن الرئيس ماو نقحه وانتقده بنفسـه . وهـذا المقـال تابع لمجـادلات اجتماع المكتب السياسى الموسع . » (١) .

فلابد من الاستنتاج بأن شى بين ــ ايو ومعه **جمـاعة الثـورة الثقافيـة التابعـة للجنـة المركزية** قد ردوا الى النظام . فان ماوتسى ــ تونغ قد اهتم شخصيا بالتصحيح . وكان وانغ لى يعمـل على اعلام وكالة الصحافة ان التصحيح هو الخط المضبوط .

على الرغم من التوضيح الذى تلا مقـال شى بين ــ ايو فان اليسـار المتطرف لم يلق سلاحه . ففى ١٩ يونيو (حزيران) عمل لين شـيبه ، وهو كذلك عضو فى **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ، على نشر مقـال قوى فى **يومية الشعب** كان يطلب فيه شيئا آخر غير اتحاد الثوريين فى خدمة الحزب : طلب الطاعة المطلقة من الجميـع للجـان الثورية أو للجماعات التى كانت تهتم باعدادها . وطالب تحت عنوان : « لتسقط العبودية التحموا بدقة بالانضباط الثورى البروليتارى » بتقوية **المؤسسات الموقتة** ، تقوية مطلقة الى حد كان لابد من أن يفضى الى خلق محاكم ثورية لو ان هذه السياسة قبلت ، وحدد لين شيبه كيف كان يتصور السلطة الايديولوجية المطلقة **لفكر ماوتسى ــ تونغ** ، على النحو التالى :

« علينا أن نعمل وفقا لتعليمات الرئيس ماو سواء أكنا نفهم معنـاها بعمق أم لا . . فيجب أن يكون للحزب البروليتارى زعيمه الخـاص ، رفيع الشأن حقيقة ومن الضرورى اقامة سلطته الثورية المطلقة على الحزب بأكمله ، اذ بدون ذلك لا يسـتطيع الحزب أن يملك انضباطا حديديا ؟ يمكن تأمين انتصار قضيته » .

كان هذا التيار الفكرى يبـدأ بالابتعاد كثيرا عن مبـدأ النقـد بواسـطة الجماهير لتصحيح أخطاء الحزب . لذلك نشرت **هونغشى فى اليوم** التالى مقالا حمل بين سطوره تحذيرا من اتجاهات اليسار المتطرف . أمكننا أن نقرأ فيـه حقيقة ان حاجة المجتمع ليست فى أن ينقلب رأسا على عقب اذ أن البورجوازية لم تقتنص من دكتاتورية البروليتاريا الا بعض القطاعات :

« مما يسوء من جانب بعض الأشخاص أن يلوحوا بشعار « تجـديد دكتاتورية البروليتاريا تجديدا كاملا » . فثمة أناس تحركهم بواعث تالية يرون انكار كل شىء من الماضى وتقويض جميع أشياء المـاضى ، **وهذا يعنى تقويض دكتاتورية البروليتاريا التى يهدفون اليها وتأسيس دكتاتورية البورجوازية** . » (٢) .

وحسبما نعلم ان ماوتسى ــ تونغ لم يكن يطلب حينئذ تسريعا للثورة : فقد قال « لا أوافق على قيام الجماهير فى كل مكان بتقويض تنظيمات الحزب

---

(١) رسالة ذكرتها جريدة **الحرس الأحمر** فى معهد الصلب بتاريخ ١٧ مايو (آيار) ١٩٦٧ .

(٢) هونغشى رقم ١٠ لعام ١٩٦٧ : « سـلاح نظرى للقيام بالثورة فى ظل دكتاتورية البروليتاريا» .

والجمعيات بسرعة » (١) كذلك لم يكن يأمل في تجديد مباشر للحزب الذي كان عليه من جهة أخرى أن يجتاز الحـد الأدنى في الطريق الى تجميع التنظيمات الثورية · وقد صرح ببساطة ان اعادة بناء الحزب يمكن أن ينتظر قليلا(٢) · ولا شك في ان الخط المطلوب اتباعه هو العمل على اعادة تجميع الثوريين باتخاذ مواقف بالاجماع ضد عناصر لا يمكن الدفاع عنها ، بصورة خاصة ضـد بينغ شين ولو جوى ـ شينغ ، اللذين كانا، على كل حال مدينين بما لايقبل الجدل ·

وقدم الاحتفـال بمرور عام على نشرة ١٦ مايو (آيار) ، التي أذيعت أخيرا على الجماهير بعد انقضاء عام على بدء الثورة الثقافية (٣) مناسبة لتطبيق هذه السياسة . الا أن المحيطين بماوتسي ـ تونغ ، منذ تلك اللحظة ، اظهروا بأنهم مكرهون للاعتماد على المزايدات اليسارية · أما عنـاصر الجيش الذين كانوا أكثر ميـلا للعمـل السـياسي فلم ينتظروا حتى ١٦ مايو لكي يدعوا الى اجتماعات ضـخمة للنقد داخل الوحدات · ومرة أخرى انتزع الثوريون في مدرسة حربية يوم ١٢ ، لوجوى ـ شينغ وأظهروه الى الجماهير . وفي أول يوليو (تموز) ، بمناسبة الاحتفال بعيد الحزب ، طالبت الصحافة الرسـمية بأن تتوقف جميـع الضغوط على المركز الثوري لتعـديل قراراته (٤) وبالوعي بضرورة الكفاح « ضد مختلف الأفكار غير البروليتارية ، التي تظهر في صميم الشعب وفي صفوف الثوريين » .

الأهالي ، الكوادر ، الجيش :

ان العمال والفلاحين لا يملكون ، بصفة عامة ، مسـتوى كافيا من الوعي السـياسي لكي يحسوا بأنهم هم المعنيون بهـذه المناقشـات الايديولوجيـة . فالصراع الطبقي عندهم تحركه قناعات ناشئة عن أكثر العلاقات الاجتماعيـة مساسا بهم . واذ يسير قسم منهم في مظاهرات الثورة الثقافية فانهم يمضون في صفوف منتظمة أكثر من المشـاركة والاندماج حقيقة فيهـا . وهكذا فان الشكلية تختلط بالاسـتعراض الذي يدور عليـه الـكلام بكل سـذاجة ، في النهاية :

« لقد تقرر في منطقتنا الخاصة وفي الهسيين الذي نتبعه أن يصنع كل انســان علما صغيرا وعلى كل عزبة صغيرة كانت أم كبيرة أن تصنع

---

(١) ماوتسي ـ تونغ في ٢٩ مارس (آذار) مذكورا في أساهي جيانارو ١٩٦٧ جـ ٩ رقم ٣٧ «مونو اوانوا ليو ـ تنغها» ، بقلم اتو ص ٢٤ ·

(٢) ٢٩ مـارس (آذار) بحسب **شـوغوكو بونكا كاكوميئى وودوميروكا** ص ٢٢١ ذكر سابقا ·

(٣) الى جانب مقال **هونغشي** المعنون : «وثيقة تاريخية كبرى» · ومو عنوان لا يخلو من دعابة لأن **يومية الشعب** ذكرت عنـوانا ، قبل عام تماما شـبيها به : « وثيقة ذات أهمية تاريخية عظيمة » تحية منها للبيان الصيني الألباني المشترك عندما كانت اللجنة المركزية تتبنى نشرة ١٦ مايو (آيار) . والمقارنة بين العنوانين توحي بأن ليو شاو ـ شي كان يرتضي بالشـد على الايدي الذي كان يسميه «تاريخيا» في وقت كان التاريخ الهام يصنع في مكان آخر ·

(٤) ان الترجمة الرسـمية الصـينية هي « ألا يمس التوجيه الذي يقدمه فكر الرئيس ماوتسي ـ تونغ ، تعكير» . **يومية الشعب** ، مذكورا في **الصين الجديدة** في برقيتها لعام ١٩٦٧! رقم ٠٧٠١١٩ (سلسلة في اللغة الفرنسية) ·

راية . وكثير من الكوادر يعلمون جيدا بأن هذا الأمر لا يتفق مع روح «القيام بالثورة باقتصاد» ، ولكن أحدا لا يجرؤ على قوله لئلا «يجرس» في الحال بالباسه «طرطورا» . لذلك وجب علينا ، حتى اذا كان الأمر يقتضينا الاستدانة ، أن نصنع عندئذ المطلوب » (١) .

ولم تكن الأمثلة على مثل هذا الارتباط الشحيح أو هذا الفتور نادرة . فقد تظلم عدد من الفلاحين على ساعات العمل المهدورة بالمجيء الى المدينة للتظاهر ، وعلى الدقيق المبدد في العجين للصق الاعلانات .. وقد طارت شهرة احد المعاهد لأنه أرشد الى ان الاعلان الملصق بالطين كان يدوم ما يكفي للقيام بالواجب المطلوب منه « بالنظر الى انه يكفي بصفة عامة أن يبقى التاتزوباو من ثلاثة الى خمسة أيام » (٢) كذلك فان أوساط الحرفيين وعمال المدن في الداخل أقل احساسا بالوعي الطبقي منهم بالتركة الاجتماعية التي خلفتها طوائف الحرف القديمة ولذلك فان الـ « متمردين » هم الذين يشتكون من أن التعلق بأشكال المجتمعات البالية يفسد طبيعة كفاح البروليتاريا الطبقي :

« يبدو أن المنقلب الذي آلت اليه الثورة حاليا في زيشوان szechwan أصبح رائعا . ولكن ثمة ظواهر غير عادية يجب أن نعيرها انتباهنا . فان قسما من التنظيمات الثورية التي لا تعي التوجيه العام تنهمك في صراعات داخلية بدلا من الانصراف بعمق الى النقد . وثمة عدد من الرفاق ، ينتمون الى تنظيمات ثورية ، مع انهم يفهمون جيدا إنه يجب عدم وجود الصراعات الداخلية ، لديهم في رأسهم نوع الـ « عرفان بالفضل » . فهم يقولون : « أولئك الذين انجدونا في ساعات الضيق يطالبون الآن بمساعدتنا . فلا يمكننا أن ندعهم يسقطون وندير ظهورنا لواجباتنا . » هذه الأفكار في « الواجب » وفي « العرفان بالفضل » هي أفكار الطوائف المهنية في ظل الاقطاع . وليس ما تنطبق عليه في وعينا الشيوعي من عناصر الطبقة العمالية . » (٣) .

لكن انتهازية الفلاحين يمكن أن تنقلب الى الغيظ وهياج العمال الى الغضب اذا لم تتمخض الثورة الثقافية عن تنظيم سياسي متجدد . فالمتشككون لا يرون فيها الآن الا «الطراطير» ، واناسا ينعتون بـ « رأس الكلب » ويرغمون على الركوع للاعتراف بأخطائهم . فضلا عن ان القادة يعلنون انه « ممنوع الضرب والنهب والسلب والتفتيش والضبط » (٤) ، وهو أمر ليس علامة حسنة بذاته ، فلو كان الثوريون يتوصلون الى اقامة اللجان الثورية اذن لكسبوا الشوط . ولكي تصبح هذه اللجان ممكنة البقاء يجب العمل على أن يدخل فيها أقل عدد من الناس المؤهلين لتسيير الشئون العامة . وهؤلاء الناس هم الكوادر ، والكوادر يشكلون العبء الأكبر .

---

(١) هسيين ويتشيه في الهونان (١٧يوليو (تموز) ١٩٦٧) مذكورا في موتاكوتو نو شوزين . طوكيو ١٩٦٧ ص ١٩١ ذكر سابقا .

(٢)معهد الهندسة في نانكين (١٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٣) مستخدمو مكتب السكك الحديدية في زيشوان (٥ يوليو (تموز) ١٩٦٧) المصدر السابق ص ١٩٤ ــ ١٩٥ .

(٤) بلاغ هام للجنة بلدية بكين الثورية . آخر مايو (آيار) ١٩٦٧ . نشرته يومية الشعب في ١٢ مايو ١٩٦٧ .

تخشى الكوادر أن تكون كباش الفداء ويساورها الخوف من أن « تظهر للجماهير » لأقل بادرة ٠ فتتفـــادى أكثرهم الخطر عندئذ وصرخوا بحماسة : « عاشت الثورة » ليكونوا فى سلام . وهكذا نلمح منذ ذلك الحين ماذا يعنى أن يكون الكفاح الايديولوجي موجها ضد مؤلفات ليو تشـــاو ــ شي وليس ضــد ليو تشاو ــ شي نفسه ٠ فالكوادر الثورية « عليهــا ألا تنتظر سلبيا وأن تبتعد عن الصراع ووفقا لما يعظ به الكتاب فى « تحسين الفرد » لدى الشـــيوعيين ، والعمل على التنقيب والتأمل بين أربعة جدران متعللة بالأمل فى أن « تتحرر » فجأة ذات يوم ويصار الى قبولها فى الاتحاد الثلاثى » (١) ٠

وارتأت قيادة الثورة انه من المفيد التذكير بأن عددا ضئيلا من الكوادر سوف يلاحق فى النهاية وانه « اذا كان ثمة اناس سيئون فان عددهم لا بد أن يكون قليلا جدا » (٢) ، وان الاتجاه العام للصراع يقـوم على لوم **قلة قليلة من كبار القادة** تتبع الطريق الرأسمالى وعلى لومها فحسب .

واذا حدد الهدف المطلوب بلوغه والتكتيك استطاع المركز توطيد رأيه فى الموقف تجاه الكوادر : فالكوادر ليست فرس الرهان بين الثوريين والمحافظين، وليست كذلك رمز السلطة التى يجب دك صرحها . بل يجب تحليـــل حالتهم باعتبارهم قوة سياسية وعلى هذا « فالأمر الذى نحن بحاجة اليه هو البحث عن الحقيقة انطلاقا من الوقائع ومن التحليل الطبقى لا من تفضيل « يســـار » على يمين » (٣) ٠

كانت هــذه القضية تدحض قضية اليســـار المتطرف الذى كان يريد أن يستبعد راديكاليا جميع الكوادر القدماء من الحركة الثـــورية ٠ والحقيقة ان مسألة ضم الكوادر كانت شأن مسألة التسريع بالثورة ، موضــوعا للخصـــام السياسى . « يوجد .. اناس لا يعتقدون فى اســتقامة هؤلاء الــكوادر الذين يهبون الآن لتصنع الثورة ٠ وهم لا يبدون أية ثقة فى هؤلاء الكوادر ويعتبرون انهم غير مرغوب فيهم بل انهم يصفونهم دونما تمييز بينهم بال «مضاربين» »(٤) على حد قول **يومية الشعب** . كان ذلك نقاشـــا يدور حول اخلاص مقـــاومى الساعة الأخيرة . ولم يكن الموقف الذى اتخذه المتشـــددون ، حتما ، موقفـــا يساريا . ولكن أجهزة الحزب أعلمتنا أن عناصر من اليسار هى التى اتخذته .

لعل هذه العناصر كانت على حق فى الارتياب بعمليات الضم المحكمـــة . وكان فى الوســـع أن يلجأ الزعمــاء المحليون الى ارجاع عدد من الكوادر الى

---

(١) افتتاحية يومية الشعب بتاريخ ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ٠ انظر أنباء بكين ١٩٦٧ رقم ١٩ (٨ مايو ١٩٦٧) ص ٢٦ ٠

(٢) خطاب كانغ شينغ فى الممثلين الثوريين لانهوى قدموا الى بكين ليتعلموا من تجارب شانغهاى ، فى ٢٢ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٦٧ ٠

(٣) افتتاحية **يومية الشعب** بتاريخ ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ٠ نص الصين الجديدة ، رقم ٤٢٤١٨ ٠ (سلسلة فى اللغة الفرنسية) ٠

(٤) **جنمين جيهباو** (١٨ ابريل (نيسان)١٩٦٧) : « لنشجع الكوادر لكى يهبوا لصنع الثورة» مقال موقع : «المعلق» .

مناصبهم ممن كانوا يستغنون عن خدماتهم · وحتى فى بكين فان ضم ووتيه(١) وليو شيين — هسون وكاو يانغ — وين وتينغ كوو — ابو بدا مدبرا من أجل التعجيل بانشاء لجنة البلدية الثورية . اذ كان ينقص قيادة الثورة الثقافية ، الزعماء الخارجون من الكوادر لتضعهم الى جانب المتمردين الثوريين .

وبالمقابل لم يكن ينقصها الجنود للانضمام الى **المتمردين الثوريين** . فقد كان الجيش الذى دعى فى قطاعات عديدة لتمثيل السلطة ، يستقر أحيانا ، دونما حذر لدوره . فولدت السلطة التى انتدب لها الكفاح ضد التنظيمات الرجعية أو المسئولة عن الفوضى استبدادا معينا . فاقتضى الأمر فى ٦ ابريل صدور توجيه من اللجنة العسكرية يذكره بأنه لابد له من البقاء فى حدود العمل السياسى . كان يجب عدم ارغام الجماهير على كتابة الاعترافات ، وكان يجب عدم المعاملة بخشونة وعدم التفتيش والقيام بأى ضغط . وكان يلفت النظر الى أنه من المستحيل لكى نقرر اذا كانت الجمعية الجماهيرية من اليمين أو من اليسار الاستناد على انها أعطت لنفسها تنظيما شبه عسكرى .

وقد شبه (٢) شواين — لاى فيما بعد هذا التوجيه بتوجيه ٢٨ يناير (كانون الثانى) الذى كان قد رافق دخول الجيش فى الثورة الفعالة . وكان قد وضع لحض الشعب على حب الجيش . وعلى العكس كان هدف توجيه ٦ ابريل (نيسان) حض الجيش على حب الشعب . فلا شك فى أن الجنود اقترفوا بعض التحديات .

وفى ٢٥ أبريل (نيسان) نقلت يومية الشعب مقالا (٣) يبين للعسكريين ، الجهود المنتظرة منهم :

« يجب على الرفاق من الجيش فى تدعيمهم لكفاح اليسار ، أن يكونوا أصدقاء الشعب وليسوا زعماءه » ·

كان التوجيه ينصح الجنود بتقبل انتقادات الجماهير · وترمى صفته الى ترجيح الا يكون فى التوسع طلب تدخل الجيش الا من قبل اللجنة الثورية عندما توجد . لكنها لم تكن حالة عامة .

على ان الـ « بلاغات » العامة كانت تقدم للجيش أكثر فأكثر السلطة للبت . فعلى سبيل المثال :

---

(١) فيما مضى سكرتير مكتب اللجنة المركزية لشمال الصين وسكرتير اول لكيرين Kirin وقد دخل هؤلاء الاربعة اللجنة الثورية لبلدية بكين . فان الفحص الجماعى لاخطائهم (٧ مارس (آذار) و ١١ مارس (آذار) ١٩٦٧) والطريقة العجلى التى جرى بها أمام الجماهير يدفعان الى الظن أن ذلك كان تنفيذا لعملية تكتيكيه موصى بها لهدف محدد .

وفيما بعد اوفد ليوشيين — هسون بمهمة الى هونان وأصبح رئيسا للجنة الثورية فى هذه المقاطعة .

(٢) (كلمةالقاها فى ١٧سبتمبر (ايلول) ١٩٦٧) على ممثلين من مؤتمر طلاب الجامعات والمدارس العليا فى بكين) ولعل شيانغ شينغ كانت من جانب آخر قد أجرت المقارنة نفسها منذ ٢٠ ابريل (نيسان) ، تاريخ انشاء اللجنة الثورية فى بكين · والتوجيه ورد فى « يوميات من الثورة الثقافية» ذكر سابقا .

(٣) « ليتحد الجيش والشعب الى الأبد كرجل واحد » ، **يومية جيش التحرير الشعبى** بتاريخ ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ .

« لحامية بكين من جيش التحرير الشعبي وللممثلين العسكريين الحق في تسوية حالات الصراعات العنيفة . وعلى الأطراف المتنازعة أن تطيعهم والا ترفض تنفيذ أوامرهم (١) » .

وكذلك : « تقع على الجيوش المحلية كما تقع على الجيوش التى تتوقف فى المكان ، تبعة العمل على تطبيق التوجيهات .. فلها صفة توقيف وحبس ومحاكمة صانعى الاضطرابات والمحرضين من ورائهم والمجرمين الذين ربما أصابوا اناسا بجراح أو ضربوهم حتى الموت .. وفقا للقانون »(٢) .

ففى مثل هذه الظروف كان فى وسع بعض القادة العسكريين أن يحسبوا أنفسهم سادة الموقف . مما أدى الى حدوث نزاع مباشر بينهم وبين الأعضاء المدنيين من ال « مؤسسات المؤقتة » فى أماكن عديدة الى حد ان هؤلاء الأعضاء قاموا بحملة للتصحيح :

« ان الأفكار والوقائع التى تجعل سيطرة لجنة الحزب من دائرة الاختصاص العسكرى تعلو على سلطة اللجنة الثورية فى المنطقة ، لابد لها من أن تنتقد جديا وأن تصحح » (٣) .

كان اتفاق الظروف يعطى اذن للعسكريين ميزة على رجال السياسة عامة وعلى دعاة الايديولوجية بصفة خاصة . فمن جهة كان تنظيم الحزب الشيوعى فى الجيش قد حافظ على تلاحم لم يكن بالتأكيد لحزب المدنيين . ويبدو أن الفرص الممنوحة لهذا التنظيم لكى يلعب دورا فى اللجان الثورية الى جانب الكوادر المتجمعة قد آخر مؤقتا الى المرتبة الثانية مشاكل توجيه سياسى مماثلة لمشاكل الطلاب أو لمنظرى الثورة .

لم تحدث مناقشات بين العسكريين لمعرفة من الذى كان مؤهلا للمثول فى اللجان الثورية ومن لم يكن كذلك . فما كان على لجان الحزب فى الجيش الا أن تعين ممثليها المؤهلين . وكان يبدو أن تنظيم الحزب فى الجيش استطاع اجتياز الثورة الثقافية دون أن يتكبد خسائر وأن يلعب دورا رئيسيا فى اعادة بناء الحزب الشيوعى الصينى .

هكذا كان الجيش ، وقد استفاد من سياسة عملت على اعداده للثورة الثقافية قبل سائر البلاد ، ومن الميزة التى كان يملكها لحل مشاكله الخاصة بنفسه ، يعطى انطباعا بأنه قوة مستقرة . وقد جذبت اليه هذه الصفة مؤازرة عناصر محافظة . حتى لقد أفصحت بعض التنظيمات الرجعية عن أمنيتها بأن

---

(١) «بلاغ هام» من اللجنة الثورية لبكين ، نقلته يومية الشعب بتاريخ ٢٢ مايو (آيار) . مختصر .

(٢) نشرة من المركز بتاريخ ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، معروفة باسم «تنبيه فى ست نقاط» . النص الكامل فى كونو ذكر سابقا ، طوكيو ١٩٦٨ ص ٢٣١ ــ ٢٣٢ .

(٣) «التجارب الأربع الرئيسية» لأعضاء لجنة الحزب بدائرة الاختصاص العسكرى فى توايون Tuyun نشرة راديو كويشو Kweichow بتاريخ ١٠ مارس ١٩٦٨ ، المقصود بـ شو Chou المستقل عن شيينان Chiennan

تؤخذ تحت قيادة الجيش (١) . وكان يمكنها فيه أن تحصل على تأشيرة للدخول الى الثورة وعلى سهولة التمكن من صنعها دون البحث عن طريق أيديولوجى خاص .

كان التعايش ، فى صميم **المركز** ، بين اللجنة العسكرية وجماعة الثورة الثقافية يطول ، فى غضون ذلك ، دون اصطدام ظاهر ، عندما عمل حادث صغير كل الصغر على ابراز احدى الصعوبات .

لقد جرت العادة فى أول مايو (آيار) وفى أول أكتوبر (تشرين أول) من كل عام نشر قائمة بمراتب شخصيات الحزب والدولة . وفى أول مايو دعى عدد كبير من هذه الشخصيات للمشاركة فى الاحتفالات مع الـ « كبار » . وقامت صحف اليوم التالى بالتعريف بأسمائهم فكان الترتيب الذى ذكرت فيه على جانب من الأهمية . اذ كان من المنتظر اذن أن نقرأ فى **يومية الشعب** تاريخ ٢ مايو (آيار) ١٩٦٧ قائمة أعضاء اللجنة المركزية ، **فجماعة الثورة الثقافية** فقادة الجيش ومسئولى الحزب والادارة الذين تمكنوا من القدوم الى بكين والذين رافقوا عشية ذلك اليوم ماوتسى ـ تونغ الى مكان الألعاب النارية .

لكن الجريدة لم تصدر ذلك اليوم . ولم يوزع عدد ٢ مايو الا فى ٣ . الا أن وكالة الصين الجديدة نشرت القائمة فى مساء يوم ٢ فكان ثمة اختلاف طفيف بين الترتيب الذى بينته وبين الترتيب الموجود فى الطبعة التى تأخر صدورها الى ٣ مايو . اذ أن الأعضاء الخمسة ، الأقل قدما ، من **الجماعة المركزية للثورة الثقافية** ، الذين جاء ترتيبهم فى نص الصين الجديدة بعد ممثلى الجيش ، تقدموهم فى قائمة الجريدة وبسبب ارتقائهم حظيت جماعة الثورة الثقافية بالأولوية على جماعة زعماء الجيش فى القائمة . وربما كان هذا التصحيح يمثل انتصارا صغيرا (٢) .

ويجب امعان النظر فى أنه اذا كان ثمة طموح قد أرضى ذلك اليوم ، فهو لم يكن طموح القادة القدامى للجماعة ، شين بو ـ تا وكانغ شينغ وشيانغ شينغ ، اذ هم أنفسهم ذكروا بين المحيطين القريبين من ماوتسى ـ تونغ ، لكنه طموح أولئك الذين أصبحوا فيما بعد زعماء تيار اليسار المتطرف . ومن الممكن الظن ان عددا من الحركات المتخلفة قد ظهرت فى صفوف المناضلين عندما أبصروا هذا التصنيف . واستحق اتباع **جماعة الثورة الثقافية** فى داخل

---

(١) تجدر الاشارة بصورة خاصة الى طلب لين تونغ (لجنة العمل المتحالفة) «فلتوضع انتظيمات جميعها تحت قيادة اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية» . وقد أحدث هذا الطلب احتجاجات عديدة من جانب تنظيمات ثورية أخرى قالت انه كان من شأن هذا الأمر أن يثير جماعة الثورة الثقافية ضد اللجنة العسكرية . انظر شوتو فينغليى Shoutu Fengli طبعة ٢٧ يناير ١٩٦٧ (كانون ثان) .

(٢) ليس على اللجنة العسكرية التى لم تبد كوحدة فى القائمة (كان أعضاؤها موزعين بين اللجنة المركزية وفريق القادة العسكريين) ، ولكنه انتصار فى ترتيب المبادىء اذ عاد الشبان الخمسة المتولون للدعاية الى مركزهم السابق لمركز مسئول الجيش . والخمسة هم : وانغ لى كوان فينغ ، شى بين ـ أيو هسييه تانغ ـ جونغ ، موهسين .

الجيش النصر بل ربما وجب أن نتبين فى ذلك سبب تسارع حملة النقد ضد لوجوى ـ شينغ منذ ما قبل ١٦ مايو (أيار) . ولم يبد على اللجنة العسكرية انها ردت ، من جانبها ، على **الجماعة المركزية** .

لقد بذل الزعماء جهودهم حتى النهاية للابقاء على تلاحم الجيش حتى على الرغم من الانتقادات التى وجهها عدد من الثوريين الى موقف بعض القادة المحليين الاستبدادى . واذا كان العسكريون قد تخلوا عن مكان الصدارة فانهم ثأروا لأنفسهم على صعيد آخر ، بكبح جماح الثوريين الذين كانوا ينتقدون الضباط الذين غدوا فى مناطقهم ، « سلطات » حقيقية .

الفصل السادس

العمال يتسلمون السلطات ولا يلقون السلاح

هل كان يمكن القيام بالثورة الثقافية دون العمال ؟ بالتأكيد لا ، اذ كان يجب اتمامها فى شانغهاى . وقد كان جهاز الحزب يملك جوهر تركيبه فى المدن ، ويفضل ، كما رأينا تعضيد نمو المدن الى حد ما على نمو الأرياف ، وبالمقابل كان الحزب يجد فى المدن دعامة قوية . فان شانغهاى ، العاصمة الصناعية الكبرى كانت ، بصورة خاصة اقطاعا للنقابات .

كان شهر ديسمبر (كانون أول) بالنسبة للمشاريع والكومونات شهر الاستحقاق المالى . ففى هذا الوقت من العام يتخذ عدد معين من القرارات يفيد أصحاب الأجور : علاوة المكافآت ، تخصيص أرباح الاستثمار ، التى يمكنها أن تشكل مدخرات أو قد يمكن أن يوزع جزء منها على العمال . وكان مما يخص ال « سلطات » أن تتولى أمر اصدار تلك القرارات ، الا انه كان لا مفر ، وقد عم النقد ضد لجان الحزب ، من أن يرتفع جدال حاد جدا ، يكاد أن يكون فى كل مكان فى ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٦ . وسواء اختارت ال «سلطات» التقشف أو بذلت بسخاء من الأموال المشتركة ، لتحصل على التقدير ، فانها كانت لا بد من أن تنتقد فى هذه الحال أو تلك . وقد تكون النتيجة بلا شك فى النهاية هى نفسها ، أعنى ان التوزيعات قد تتجاوز المقياس المعتاد . فلم يكن فى وسع القادة الثوريين ترك احلال السهولة لصالح الثورة الثقافية . كان يجب اذن محاولة توجيه الثورة الى المصانع والى الأرياف ومن أجل ذلك الاعترافات أولا انها دخلت اليها .

وعلى هذا فان اللجنة المركزية قد تبنت فى ٩ ديسمبر (كانون أول) مشروعا توجيهيا يتعلق بالثورة الثقافية فى الصناعات والمناجم وعملت على الصاقه على مدخل المنشآت . وكان لابد لهذا التوجيه ال « موضوع للمناقشة » فى تلك الآونة ، من أن يطبق فى عدد معين من الأماكن تحت التجربة (١) .

---

(١) نيهون كيزاى Niham Keizai (٢٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٦) .

وكانت هذه الفترة تتناسب مع حقبة من التوتر فى النزاع كانت تنمو فى شانغهاى بين ال « قيادة العامة لتمرد العمال الثورى » ، التى أنشئت ، ونجنة بلدية المدينة التى كانت الى جانب النقابات تدعم تنظيما عماليا آخر متين التكوين ، وكان يكافح على منوال الثوريين ، بل وبجرأة أكبر أيضا ، نجد اصراره على فرض نفسه وراء اضرابات شانغهاى الكبرى فى حقبة العام الجديد ٠

ولقد سمى رد الثوريين السريع هذا وتمكنهم من اقامة سلطة بروليتارية، بثورة ينساير (كانون ثان) ٠ وهى ثورة تشبه من بعض نواحيها ثورة بروليتارية كلاسيكية ٠ فقد ولدت من أزمة واسعة المدى انساق فيها عشرة ملايين من السكان : حتى ليمكن الكلام على هذا المستوى بأزمة قومية ٠ وكانت قيادة الحزب هى السبب فى احداث هذه الأزمة ثم ظهرت فيما بعد عاجزة عن حلها ، سواء لأنها قد أصبحت ضعيفة جدا لتحمل أعباء السلطة أم لأنها خشيت على فقدان امتيازاتها ٠ وهكذا فان **ثورة يناير** قد تولدت من نوع من الثورة البورجوازية المحاصرة ، كان الحزب فيها يقوم بدور السلطة البورجوازية ٠ وفضلا عن ذلك فان العمال لم يقوموا بها وحدهم فقد اشترك معهم فيها قسم هام من الأهالى ٠

لكن الثوريين رغما عن نجاحهم فى تحقيق نصر سياسى لا مرأء فيه : هو انشاء **كومونة شانغهاى** ــ سريعة الزوال ولكن بلا نهاية مأساوية ــ فانهم لم يحصنوا السلطة التى احتلوها بأنفسهم ومن أجل أنفسهم ٠ بل سلموا نصرهم الى الثورة الثقافية والى المتمردين من العمال الذين كان بيدهم مفتاح الموقف وقبلوا كفاحهم ضد من كانوا يمثلون النقابات القديمة أى فى أغلب الأحيان ضد تنظيمات عمالية أخرى داخل طبقتهم نفسها ٠

وقد عبر العمال ، فى حملتهم ، عن مطالب تفيد حالتهم : فى مدة العمل وضد نظام وتائر العمل والانتاج ونظام المكافآت وضد فوارق المناطق وقانون الأحوال الشخصية المؤقت ٠ ولم يقبل المركز الا جزءا من هذه المطالب فحسب سجله فى برنامج الخط الثورى الصحيح ٠ وهو فى الحقيقة لم يرض الا بما كان يشكل جانبا من الكفاح ضد ال « نزعة الاقتصادية » ، التى تعنى فى رأيه سلم الحوافز المادية التى توفر الفوارق فى الفوائد داخل نفس الفئة من العمال ٠ وكانت رغبة بعض العمال فى الغاء مكافآت بذل الجهد أو تحمل المشاق تتلاءم مع سياسة الثورة الثقافية من أجل المساواة فى التقشف ٠ ولكن عندما كان الامر يعنى أشكالا أخرى من اللا مساواة الاجتماعية فان المركز كان يتردد كثيرا وكانت مسألة أجور «الشغيلة» من الفلاحين المستأجرين فى المصانع بعقود جماعية أو فردية لمدة طويلة كثيرا ما تطرح بصورة خاصة ٠

ولقد بدأ المركز فى مناسبات عديدة أنه يوشك على القبول بمساواة هذه الأجور مع أجور العمال ، ولكنه لم يتراجع فى النهاية أبدا ، فى هذه النقطة أمام الطلبات الملحة حتى وان كانت مدعمة من أشد المتمردين الثوريين أورثوذكسية ٠ كان من شأن البرنامج انقاص الفوارق فى مستوى الحياة بين المدن والأرياف ولكن كيفيات الاذعان لذلك كان لابد لها من أن تكون موضوعا

لكثير من الدراسات المتعمقة في قيادة الثورة · وكل شيء يشير الى الاعتراف بأن رفع أجور الفلاحين باسم عقد عمل لم يكن هو العمل المناسب ·

كان الغاء نظام العمال المؤقتين الفلاحين العاملين في المصانع بعقد موسمي أو سنوي ، وجعلهم نهائيا من العمال ، يمكن أن يكون عملا متأنيا · الا أن الاحصاء يقدم بأنه ليس في الصين من الوظائف ما يكفي لاستقبال شطر من سكان الأرياف بصورة نهائية في المدن · فالعمال الفلاحون يحتفظون باقامتهم في الريف ويجب عليهم أن يعودوا الى ديارهم · وبعودتهم ينقلون الى قراهم معارف تكنيكية مفيدة ·

« يزداد عدد الأهالي العاملين من سبعة الى ثمانية ملايين شخص في العام ، ويستطيع ثلاثمائة ألف فحسب ايجاد عمل»(١) على حد قول أحد المتخصصين اليابانيين · جميعهم يريدون أن يكونوا عمالا وأن يستقروا في المصانع · وقد رويت قصة بعض رجال **الحرس الأحمر** في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة الذين كانوا قد انضموا الى عمال أحد المصانع في بكين وكانوا يظنون انهم يستطيعون البقاء فيه مدى حياتهم (٢) · وكان في مكنة تان شين – لين أن يقول : « يقترح البعض الآن ، مراقبة نمو السكان · ولكن السكان يزدادون دائما · ويكاد تزايد الانتاج أن يكون نفس تزايد السكان · فهل يمكن تسمية ذلك رخاء ماديا ؟ وبالنظر الى أنماطنا في الانتاج من ذا الذى يتطوع للذهاب الى الريف ؟ فكل الناس يريدون الذهاب الى المدينة · اذ يستطيع الانسان في المدن أن يربح من ٣٠ الى ٤٠ ايوان Yuans في الشهر ان لم يفعل شيئا الا كنس الشارع ، على حين لا يستطيع أن يربح في الريف أكثر من ٢٠٠ الى ٣٠٠ ايوان في العام · فهل يوجد بين هؤلاء القابعين هنا ، متطوعون ليعملوا فلاحين ؟ » (٣) ·

كانت المناقشات حول هذه المسألة مرتبطة بالسياسة الاساسية وقد نالت من اهتمام قسم من الثوريين العمال ما جعلها تتجاوز تبادل الحجج بين اشياع واعداء النقابات · انها جعلت الثورة العمالية تتخذ وجها خاصا · غير ان العمال لم يجرءوا على المضي بعيدا في هذا النوع من المطالبة · ففي تعديل اجتماعي كبير يمكن أن يخسر « الثابتون » كثيرا ·

ان النظام لا يخشى التغييرات الاجتماعية : بل على العكس يعتبرها لازمات للسياسة الاقتصادية · ويكفي لذلك أن نتذكر الظروف التي نشأت فيها الكومونات الشعبية · وبعد أن تأكد الحزب من تقدم الانتاج في الثروات الاستهلاكية ، زيادة غير متوقعة في انتاج المواد التجهيزية وتأخر في التربية

---

(١) **اساهي شيمبون** (٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧) طاولة مستديرة مع الأستاذة : اشيكاوا وأوكا من جامعة هيتوتسوباشي ·

(٢) «شوغوكو تو وا نانى كا» ، نائيزوكا ، اساهي جيانارو (٢٦ فبراير ١٩٦٧ (شباط) ص ١٠٥ ·

(٣) عن **بكينغ كيشي هونغشي** («علم أحمر للعلم والتكنولوجيا») بتاريخ ٦ مارس (آذار) ١٩٦٧ ، حيث ذكرت كلمات تان شين – لين بتاريخ ٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٦ ·

العلمية والتكنيكية ، فانه قرر بأن شكل المجتمع الممعن فى الشيوعية ، لا بد من أنه سيكون أكثر ملاءمة (١) ٠

كان رد فعل انتظام على نحو يمكن أن يكون شاذا فى الغرب ، وعمل على تغيير النظام الاجتماعى ٠ ولم يكن العمال يريدون المخاطرة بانقطاع من هذا النوع ٠ ولا شك فيانهم تأكدوا بعض التأكد من أنه ليس من صالحهم أن يدفعوا الى قطيعة مع التوازن بين عمال ـ فلاحين ٠ اذ كان من الممكن أن تقود الى خدمة للعمل مختلفة ، بحقب ذات مدة أطول ، مثلا ، فى مناطق يجب العمل لابراز قيمتها أو انتعيين فى أقاليم صناعية جديدة ٠ وفى النهاية سوف يصبح العمال والمركز لاسباب مختلفة متفقين على **الحالة الراهنة** الاجتماعية ، العمال للمحافظة على المكتسب ، والمركز للابقاء على فرص اعادة بناء الحزب ، فيما هو شديد التعرض للهجوم ٠

ولدت كومونة شانغهاى ٠ وها هى قد صارت لها لجنة قيادة من اثنى عشر عضوا بينهم اثنان فحسب من العسكريين ، وكثيرا ما كان يخامر بعضهم الشعور بأن أهالى شانغهاى كانوا يودون لو يقومون بالثورة مرورا بالجيش ٠ فالثـــوريون الذين أسسوا هذه **الكومونة** قد شيدوها على أســاس الكومونات العمانية التى سبق لها أن قامت بحمل أعباء المصانع أو قطاعات النشاطات وعلى غرار التنظيمات التى شاركت فى تلك الـكومونات ٠ ان تاريخ الثـورة فى شانغهاى ، ابتداء من الاضراب الكبير هو تاريخ العمال الذين عملوا على تسيير الخدمات ٠ فقـــد بنيت مراحل تأسيس السلطة الجـديدة تقدما من أدنى الى على : جماعات الاشراف الاقتصادى ، « لجان لصنع الثورة والنقدم بالانتاج » ، **كومونة** وفيما بعد اللجنة الثـــورية ٠ هذه الطريقة فى تسلم جهــاز العمل والاضطلاع بعد ذلك ، بأعباء المالية وادارة السياسة والامن ، هى ما كان قادة الثورة يودون لو يقدرون على عمله فى كافة أنحاء البـلاد مع **الاســتيلاء على السـلطة** ٠

ولكن عندما تتنازل **الكومونة** عن مكانها للجنة شــانغهاى الثورية فان التنظيمات التى تسندها تفقد الثقة بعض الشىء فى الثورة الثقافية العمالية ٠ أما تلك التى كانت تهاجمها ، فلا نتحدث عنها فقد كره بعضها كما كره بعضها الآخر وضع فعاليته السياسية بلا تبصر تحت أوامر الثورة الثقافية فى بكين بل كان أميل الى تكريسها لاعادة الصناعة ٠ وظهرت فى هذه التنظيمات نهضة فى النزعة النقــابية أقلقت المركز ٠ فانشئت جمعيات من خـــلال البنيات القيادية الموروثة عن الحزب ٠ وكان أن جمد **المركز** وضعه عندئذ ٠ وأعلن انه اذا كانت التغييرات ضرورية فسوف لا تحدث الا بعد نهاية الحركة (ويجب ن نفهم من هذا : بعد اعادة بناء الحزب ٠ ويجب أن نتجنب فى الوقت الحاضر تعريض اعادة بنــائه للخطر) ٠ ومن هذا الأمـر الواقع فان التنظيمات التى تتجاوز البنى الحالية والتى تهدد بأن تصبح جماعات ضغط ليس فى الوسع

---

(١) انظر بيتر شران : «فى عقلانية القفزة الكبيرة الى الامام والكومونات الشعبية الريفية» فى **تجاربات** (أو مشاريع تجارية) ، نال غرادوت سكولى Yale Gratuate School جـ ٥ رقم ١ يناير ١٩٦٥ (كانون الثانى) ٠

التساهل معها . لذلك فان عددا معينا من الجمعيات سوف ينحل . اذ بتجديد الحق في اقامة الجمعيات بدأت استعادة الحريات الممنوحة .

ومن جهة أخرى فان الوضع الاقتصادى هو الذى يملي حكمه . فان تحقيق خطة الدولة الاقتصادية كان قد أرجيء (١) الى وقت آخر . وفي جميع أنحاء البلاد أحدثت **الاستيلاءات على السلطة** توقفات عن العمل واضرابات . ولم يعد عدد كبير من الكوادر المهددين ، الى مراكزهم ، لأن التوجيه الصادر بعدم الهجوم الا على عدد قليل من الكوادر - على أولئك الذين اعتبروا مسئولين عن سوء الاستعمال فحسب - كثيرا ما شوهه المتطرفون .

وتحملت البلاد في ذلك كله النتائج . فراح المركز اذن يذكر بالانضباط في العمل كذلك : « فلنكف عن تقديم المطالب التى سوف ينظر فيها فيما بعد بعدل ، ولنعد الى يوم العمل المقرر بثمان ساعات » ..

لقد قدر المركز بأن العمال يستطيعون تسوية المسائل الخاصة التى تهمهم في اطار اللجان الثورية المنبثقة عن الكومونات والأقاليم حيث كانوا ممثلين في التنظيمات الجماهيرية . الا أن **الاستيلاءات على السلطة** في كثير من ال « وحدات » كانت ناقصة - اذ لم يتم انشاء عدد من اللجان الثورية أو انها أنشئت ولم تستقر كما يجب - وتدنت الصراعات ضد مسئولى الادارة القديمة ولم تفض الى نتيجة . بل ان المعارضين شكلوا الاكثرية ضد الثوريين .

وجاهر المتطرفون من **الجماعة المركزية في الثورة الثقافية** للذين لم يكن لهم صبر ماوتسى - تونغ بالقول ان الاحتلال قد يجلب الانحلال للثورة الثقافية . وكانوا يحثون الثوريين على الانتهاء من **الاستيلاءات على السلطة** . وفي شانغهاى آثر عدد معين من التنظيمات العمالية تقليد اللجان الثورية كأجهزة تحل محل الحزب وجعل دكتاتورية البروليتاريا مطلقة على قدر ما يمكن أن يقره **المركز** .

وقد حدثت اضطرابات أثناء الصيف . اذ أن موجة جديدة من الاضرابات وقد أثارها الانطلاق مرة أخرى في عمليات **الاستيلاء على السلطة** ، أخذت تنمو . ووجه عدد من جماعات العمال المحافظين ، تهديدهم للثوريين وعاملوهم بخشونة في ووهان وشانغهاى وشانتونغ . وردا على ذلك أعد المتمردون العمال الذين يتبعون فكرتهم محاكم ثورية في شانغهاى .

ان شرق الصين والحوض الأوسط لنهر اليانغ تسى - كيانغ واقليم كانتون ، جميع هذه الأنحاء ، قد تأثر ، بصفة خاصة ، بالاصطدامات بين العمال . وقام ماوتسى - تونغ نفسه برحلة في الشرق والوسط فتقصى ووجه تحرير **وينهوى باو** التى عادت تقوم بدورها كجريدة للثورة . واذا بنا ، والأزمة في أوجها ، نرى صدور مقالات تتحدث عن لائحة اليد العاملة . فقد رأى ماوتسى - تونغ أن العمال الذين يتقاتلون لم يقوموا بتحليل الموقف من

---

(١) خطاب شواين - لاى بتاريخ ٢ فبراير (شباط) ١٩٦٨ : «سوف يمكن في فبراير اتخاذ قرار يتعلق بخطتنا لعام ١٩٦٨ . لقد أرجأنا العام الماضى الى وقت آخر . هذا العام يجب أن لانرجىء» .

وجهة نظر وعيهم الطبقي • هكذا بدىء بنشر رأيه الذى كان بسيطا : ليس ثمة أى شيء يشق الطبقة العمالية •

عقب تلك اللحظة لم يعد ثمة امتياز ممكن لعمال أكثر يسارية أو أكثر ثورية من الآخرين • وطلب المركز من الجيش القيام بدور العمال الحافز لحل الحزبيات وكانت مهمة عدد من الجنود الذين أرسلوا الى المصانع أن يدفعوا الى ال « تحالف » بين العمال • ان الحوادث التى ما زالت متواترة وخطيرة قد أظهرت عددا من انتناقضات بين العمال المطالبين بحقوقهم وسلطة الدولة أكثر من اظهارها لتناقضات بين جماعات العمال المتنافسة • وحدثت موجات من الاضطرابات أيضا ولكنها فى هذه المرة كانت ضد اعادة تنظيم العمل بأشـــكال لم تكن مقبولة فى كل مكان •

وبينما مضى المركز يتابع سياسته فى ال «تحالف» ـ أى فى التجميع ـ حسب عدد من تنظيمات العمال ، من تلك التى تميزت بتطرفها الثورى ، أنها مهددة بفقدان شخصيتها • فناضلت هذه التنظيمات للمحـافظة على استقلالها وعلى سلطتها الســـياسية • وطالبت بأن تكون مسلحـــة • وضـــاعفت من هجمـــاتها فى موجات جديدة من النقد ضد النقابات القـــديمة • الامر الذى كشف عن الخـــوف من الرجعة الى النظام القديم • وكان من رأيها أن مركز العمال الاجتماعى لن يحمى اذا ما نشأت نقابات تعطى دائما الأولوية للانتاج • الا أن القيادة الثورية ، اذ تغلبت فكرة اعادة بنـاء الحزب على كل ما عداها ، مشت باتجاه التحييد المتزايد للقوى العمالية المتحررة •

ثورة يناير :

لقد تشابهت الشهور الأولى من الثورة الثقافية فى مصانع شانغهاى وفى جامعات بكين • وأرسل الحزب **جماعات عمل** الى بعض المصـــانع • وفيما بعد أنشأ فيها رجال **الحرس الأحمر** ممن أوفدتهم تنظيمات العاصمة كرواد ، «محطات ارتباط » وكان قدوم جماعة « العـلم الاحمر فى معهد الملاحة الجـوية » من **الحـرس الأحمـر** الى المصـنع رقم ٣١ • فشـجعوا العمال على اقتفـاء أثر حركتهم •

وقد تعاطف عدد قليل من العمال مع الطلاب الثوريين • الا أن سكرتير لجنة الحزب حقق فى أمرهم ربما لأنه كان لا يثق فى الطلاب القادمين من بكين • وعلى العكس فان لجنة الحزب يسرت قيام تنظيم محلى نشأ على غرار تنظيمات الطلاب ، واتحد فيما بعد مع جمـــاعات أخرى مشابهة تحت اسم شيهويتوى chihweitui أو « لواء الدفاع الأحمر » • كان يطـــلق عليهم غالبـــا اسم « الحرس الأحمر القانى » •

وفى غضـــون ذلك اجتمع العمـــال الذين كانوا يتعاطفون مع الطلاب الثوريين ، فى ٩ نوفمبر (تشرين ثان) وقرروا ايجاد جماعات ال « متمردين الثوريين » فى المصـــانع التى ينتمون اليها وانشـــاء « قيادة عامة للمتمردين الثـــوريين من العمـــال فى شـــانغهاى » • كانوا عندئذ يناهزون أربعـــة آلاف •

تبنى **المتمردون الثوريون** سلسلة من الاعتراضـــات على تكوينات اتجاه

شيهويتوى وندبوا قسما منهم لتمثيلهم في بكين · وقد تخاصم هـذا الوفد لدى مغادرته مع العمال من المعسكر الآخـر ورفض القطار الذى كان ينقلهـم متـابعة طريقـه · فأنزلوا منه في التينغ Anting ، على بعـد ثمانية عشر كيلو مترا عن شانغهاى ، بلا طعام ولا مال · وعندما علم المركز بالحادث أوفد شانغ شونغ ـ شياو الى شنغهاى لمعالجة المنطق الثورى ·

كان شنغ سكرتير لجنة البـلدية للحزب في شانغهاى · قدم الى بكين لحضور الدورة الحادية عشرة لاجتماع اللجنة المركزية بكامل هيئتها وظل فيها بصفة نائب رئيس جماعة الثورة الثقافية · ولدى عودته اعترف باسم المركز بال « قيادة العامة للمتمردين الثوريين من العمال » · وعندما اجتمع المتمردون في ١٣ نوفمبر من جديد حث شانغ شـون ـ شـياو لجنة البلدية للحزب على القبول بمطالبهم · وقبل تساو تى ـ شيو المسئول الرئيس ، بالتوقيع عليهـا أخيرا بعد أن اتصـل هاتفيا **بجمـاعة الثـورة الثقافية** في بكين·

بيد أن لجنة البلدية اجتمعت في ٢٤ وانكرت موافقة تساو تى ـ شيو · اذ كان يمكن القول : « ان الشيهويتوى (الحرس الأحمـر القانىء) يمثلون الأكثرية · ولسنا راضين عن توقيع تساو تى ـ شيو » (١) على ان الحرس الأحمر القانىء اشتهر بأنه تشكل بايحاء من مسئولى النقابات · فرجع شانغ شون ـ شياوثانية الى بكين غداة اجتماع لجنة البلدية ·

وفي أثناء غيابه وقعت معارك في مركز جريدة : **تحرير**(٢) · ذلك ان رجال **الحرس الاحمر القانىء** أرادوا الحيلولة دون توزيع ورقة **للمتمردين** مع الجريدة · وترددت لجنة البلدية ثم أعطت الحق للمتمردين · وكانت تقلباتها في الاختيار تحرض ضدها المعسكرين في آن واحد ·

وفي ٦ ديسـمبر (كانون أول) أقام رجال **الحرس الاحمر القـانىء** حفلتهم التأسيسية · فتعرضوا في الحال تقريبا ، لحادث خطير وقع بينهم وبين المتمردين · وذلك بحدوث نزاع مسلح في مصنع الغزل رقم ٢٤ في سيشيه Sechih (٣) ·

عندئذ قرر المركز انه لابد من امتداد الثورة الثقافية الى العمال · وعلى هذا فلا يسـعنا اذن أن ننتقل بالمنظر موقتا الى بكين · فان طابع التوجيه الذى تم اتخاذه كان أقرب الى الاعتدال ، لكن التدخل الاكثر فعالية الذى تلاه من **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنة المركزية** ، كان تلبية لهدفين في الظاهر

---

(١) كما جاء في شوغوكو كينكيو جيبو رقم ٢٣٠ طوكيو (ابريل (نيسان) ١٩٦٧) وحيث نجد هذه الحوادث (ص ٦ الى ٩) ·

(٢) **جيبهانغ جيهباو** · كانت ورقة المتمردين تسـمى **هونغوى شـازباو** · **وقد** تمركز محرروها في **الأماكن** بينما كانت تحرير متوقفة عن الصدور وكانت المنازعات مستمرة وتعرضت لجنة البلدية الى ضغط عنيف من جانب رجال **الحرس الأحمر القانىء** ولكنها لا شـك تعللت بالاهتمام بالعمل على اعادة اصـدار الجريدة الكبرى ـ انظر ريبورتاجات **هسينهوا في يومية الشعب** (١٩ يناير (كانون ثان) ١٩٦٧) وفي **وينهوى باو** (٢٤ ديسمبر (كانون أول ١٩٦٧) ·

(٣) **وينهوى باو** ، ٢٤ **ديسمبر** (كانون أول) ١٩٦٧ ·

تهديم النقابات التى كانت قواها تحارب المتمردين العمال بوسائل مستمدة من **الحرس الأحمر** ، والرد على مشكلة « الشغيلة » المؤقتين ، التى كانت تتجه الى اتخاذ أبعاد هائلة فى رأى قسم كبير من « الشغيلة » .

ان توجيه ٩ ديسمبر (كانون أول) (١) يتطابق مع الفكرة القائلة بأنه كان يجب منح العمال حق النقد ، فى الوقت الذى كانت لجان الحزب فى المشروعات تحاول البذل بسخاء نتكسب شعبية . وكانت ال « سلطات » القديمة ما تزال تملك فى كل مكان السلطة المالية . وشهر ديسمبر (كانون أول) هو فترة الحسابات الختامية واتخاذ القرارات فى استخدام الارباح وتوزيع المكافآت التى تهم جميع أصحاب الاجور . على أن المسئولين اقترحوا ، وفقا لما إذاعه راديو بكين ، « مناقشة المسائل المالية بحرية ، ورفع الاجور . بل تساهلوا منذ وقت أقرب ، فى مصروفات الدولة (٢) » .

غير ان **الجماعة المركزية** تسلقت درجة فى التصعيد بعد ذلك بسبعة عشر يوما عندما رضى شين بو ــ تا وشيانغ باستيلاء عدد من تنظيمات العمال المتمردين على الاشراف على اتحاد النقابات (٣) فأصبحت فى الغداة ، ٢٧ ديسمبر (كانون أول) ، مقرا لأولى **الاستيلاءات** الكبيرة **على السلطة** .

وصرح الاتحاد الجديد منذ اقراره بأن نظام «الشغيلة» المؤقتين و «الشغيلة» المفروزين لم يكن مطابقا للعقل (٤) وبذلك بدت القيادة الثورية اذن موافقة على واحد من أهم مطالب العمال الاجتماعية المطروحة بينهم . كذلك قرأنا فى **يومية الشعب** ان جميع ما اقتطع من الاجور وهو أمر كان الثوريون يقاسون منه ، لا بد أن يعوض . وكان من شأن هذا النص أن يفسر كأنه موافقة من المركز على اصلاحات تتم فى نهاية العام .

يبدو اذن ان قادة الثورة أنفسهم قد انساقوا فى الوقت الذى صار العمال فيه ضروريين للثورة ، الى أن يعدوهم بفوائد مادية معينة . وكان يمكن لهذا التراخى الطفيف أن يشكل سببا عائقا ، فيما بعد عندما اقتضى الأمر ادانة توزيعات المنافع من قبل ال « سلطات » فى الحكم باسم « النزعة الاقتصادية (٥) » ، المفسدة للطبقة العاملة . الا أن هذه السياسة جرى تصحيحها بسرعة لأن القرار الذى أدان نظام العمال المؤقتين عارضه شواين ــ لاى بعد خمسة عشر يوما . اذ صرح بأن زيادات الاجور للعمال المتعاقدين

---

(١) لقد جرى بينيه على شكل مشروع وكان لابد من أن يختبر فى عدد معين من المنشآت فقط أنظر أساهى شيمبون بتاريخ ٢٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٧ (طبعة يابانية نهارية) .

(٢) نشرة ١٦ يناير ١٩٦٧ .

(٣) فى أثناء أحد التجمعات ورد ذلك فى « ثورة ماو الثقافية» : ب . بريدهام ، فصلية الصين ، لسام ١٩٦٨ رقم ٣٤ ص ٨ ، كذلك انظر **اساهى شيمبون** بتاريخ ١٠ يناير ١٩٦٧ (الطبعة اليابانية النهارية) .

(٤) المصدر السابق . وذكرت وينهوى باو فى ٦ يناير ١٩٦٧ ان مائة الف عامل مؤقت ومتعاقد عقدوا اجتماعات فى شانغهاى ليطلبوا الغاء النظام وانشاء نظام جديد للعمل مطابق لفكر ماوتسى ــ تونغ .

(٥) ترجمة لكلمة روسية استخدمها لينين فى كتابه (ما العمل)

والمؤقتين كانت غـــير مقبولة لأنه يخشى منهـــا أن تقود الى حركة مقاومة لدى الفلاحين (١) • وكان الوزير الأول فى هذا يستند الى رسالة من ماوتسى ـ تونغ نفسه الى لين بياو •

وبعد هذا لا بد لنا من العودة الى شانغهاى ، حيث كان رجال **الحرس الأحمر القانىء** يسعون الى الحصول على الاعتراف بأنهم التنظيم الرئيسى الأكثر تمثيلا للطبقة العاملة ، على انرغم من تردد اللجنة البلدية للحزب ، المتأثرة على الدوام بتفضـــيل **الجماعة المركزية للثورة الثقافية للمتمردين الثوريين** • وفى ٢٣ ديسمبر تولى رجال **الحرس الأحمر القانىء** ، أثنـــاء تجميع هام ، أعباء العمل على أن تتبنى لجنة البلدية قائمة من ثمانية مطالب كان يمكنهم من خلالها القيام بدور الحراس المسلحين للحزب والدولة والثورة الثقافية • فلم يوقعها تساوتى ـ شيو وعندئذ قاموا بمحاصرة بيته • وبدأ رجال الحرس الأحمـــر القانىء يوفدون ممثلين عنهـــم الى بكين يحملون طلباتهـــم • وقامت المشروعات بدفع نفقات السفر لهم والمتأخر من الأجور •

وسعى **المتمردون الثوريون** للوقوف فى وجه ســـفر العمال الآخرين الى بكين فحـــدثت مشـــاجرات دامت حتى ٣٠ ديسمبر • وأشـــارت الملصقات الى وقوع قتلى وعدد من الجرحى •

عندئذ بدأ الاضراب • كان **رجال الحرس الأحمر القانىء** يحسبون انه كان سلاحهم الذى لا يفل لارغام لجنة البلدية على التراجع • ووفقا للاعترافات التى قدمها الاعضاء فيما بعد(٢) فان المسئولين فيهم قدروا بأن اضراب مصانع الغزل والبريد لا يمكنه أن يحول دون استمرار الحياة فى المدينة وانه كان من الممكن ، لو تمالكت اللجنة نفسها جيدا ، انتوصل بعد ذلك الى الاضراب فى وسائل النقل • وفى ٣٠ ديسمبر (كانون أول) الساعة الخامســـة ، توقفت القطارات على الخطين الرئيسيين اللذين يرفدان شانغهاى •

وانتهى اضراب النقل الى حرمان المدينة من المحروقات ومن الطاقة • وقرر **المتمردون** عندئذ الاستيلاء على الجرائد الكبرى وأن يستعينوا بالجماهير للعمل على انهاء الاضراب • وتم الاستيلاء على وينهـــوى باو فى ٣ يناير (كانون ثان) بمؤازرة **الحرس الأحمر** من **القيادة العامة الثالثة** وعاد شانغ شون ـ شياو الى بكين فى اليوم التالى ، وهو اليوم الذى نشر فيه «النداء الى شعب شنغهاى»(٣) الذى كان له وقع هائل •

كانت نداءات الصحف تفضح جنـــاية الـ « السلطات التى حاولت محاصرة الانتاج » ، حتى لقد كانت أيضاً أشد من جناية **الحرس الأحمر القانىء** • وكان ثمة قسم من الجماهير ، عن حنق أو عن اجهاد ، مستعداً للعودة الى العمل الا انه

---

(١) وفقا للصحف اليابانية المشار اليها فى الأحداث الجارية جـ٦ رقم ٥ (١٥ مارس ١٩٦٨ ص ١١) •

(٢) **وينهوى باو** ، ٢٤ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٧ •

(٣) كان النداء موقعا من احدى عشرة منظمة أربع منها من **الحرس الأحمر** فى شـــانغهاى وثلاث « محطات » للحرس الأحمر جاءت من مكان آخر ، ومن تنظيمات عمالية كانت أقواها القيادة العامة للتمردين الثوريين ، كما وقعه المتمردون الثوريون فى الصحف •

كان يجب تقديم مسئولين جدد له . وكان هذا من شأن « قيادة جبهة مدينة شانغهاى من أجل الثورة والانتاج » . وقد بدأت نشاطاتها فى ٩ ينـاير (كانون ثان) الساعة الثامنة عشرة فاستولت باديء ذى بدء على صالة مراقبة المرور فى مكتب السكك الحديدية فى شانغهاى . وانطلق « قطار الشعب رقم واحد » (١) فى ١٠ ينـاير (كانون ثان » الى أورومشى Urumchi فى سينكيانغ .

وفى محطة يانغشوبو الكهربائية وفى أحواض السفن أقامت هيئة الموظفين « لجان انتاج » . فرأت أول لجنة من هذا النوع وجودها منذ ٢٧ ديسمبر فى مصنع الأدوات الزجاجية فى شانغهاى . وظل مثلها مدة من الزمن موضـوعا مفضلا للدعاية الثورية . كانت اللجنة مشكلة من عشرة أعضاء منتخبين بالاقتراع السرى ، وقابلين للعزل بصفة دائمة . ولم تلح الدعاية بافراط على هذه الصفة على الرغم من انها مطابقة لقواعد كومونة باريس بل ألحت بصورة خاصـة على واقعة اختفاء البيروقراطية من المصنع .

تبـدو أزمة شانغهاى من خلال ما وصفناها به ، مواجهـة بين اتحـادين كبيرين : « لواءات الدفاع الأحمر » (حرس أحمر قانيء) ، وهو مجموعة من تشكيلات الدفاع عن مصالح العمال، كان المتمردون يعتبرونها رجعية وال «قيادة العامة للمتمردين الثوريين العمال » . ويجب القول ان هاتين الكتلتين من العمال كانتا تضمان أعدادا هائلة الى حد انها كانت تكسف فى ظلها الأبطال الآخرين . فقد كان هناك وفقا لمصـادر أساهى ثمانمائة ألف من **الحرس الأحمر القانيء** وما يزيد قليلا عن ستمائة ألف من **المتمردين الثوريين** . ولعب الطلاب دورا هامشيا ولكنه بارز فى بعض الحالات . حتى لقد دفع طلاب جامعة تونغشى (٢) الذين استردوا المحطة ، الرئيس ماوتسى ــ تونغ الى القول : « حسن جدا ! ان اتحاد الطلاب والعمال قد تحقق أخيرا ! » (٣) .

ولمدة طويلة قامت لجنة البلدية من الحزب فى شانغهاى ، بدور بيلاطس(٤) على الرغم من انه كان عليها أن تحل الاضراب . جعلتها **يومية الشعب** مسئولة عن الاعطيات التى استخدمت وسيلة لافساد العمال . واتهمها المتمردون العمال ، ليس دون حق لا شك ، بانها مهدت **للحرس الأحمر القانيء** : اذ انهم اتخـذوا مكتبا لقيـادتهم فى أعلى طابق من مكاتب محافظة المـدينة ، وكان زعيمهم « بطل عمل » .

---

(١) **وينهوى باو** فى ١٢ يناير ١٩٦٧ . وقالت هذه الصحيفة أيضا . «عادت حركة النقل شانغهاى ــ نانكين وشانغهاى ــ هانكاو الى عادتها فى ١١ يناير بمائة وخمسة وثلاثين قطارا من المسافرين والبضائع ، على حين كان عدد القطارات الموضوعة تحت تصرف الحركة قد هبط الى نصف هذا العدد أثناء الأزمة . » .

(٢) مدرسة عليا للهندسة المعمارية والاعمال العامة فى شانغهاى .

(٣) منشور عن **المتمردين** فى مشغل سيارات بكين رقم ٢ بتاريخ ٦ مارس ١٩٦٧ .

(٤) **Pance Pilate** حاكم فلسـطين (القسـم الممتد منهـا ما بين البحر الميت والأبيض المتوسط) فى زمن الرومان الذى قيل انه سلم يسوع الى قضاته الا انه لم يكن يعترف بارتكاب أى ذنب ولا بمسئوليته عما حصل له . واشارة الى ذلك طلب ماء وغسل يديه قائلا : « اننى برىء من دم هذا العادل ..» فذهب قوله مثلا .

« المترجم »

ومع ذلك فقد استقرت لجنـــة البلدية بعـد ذلك ردحا من الزمن ساعية لاستخدام ما بقي لها من سلطان ، بل لعلها أسقطت من حسابها أى احياء جديد لصالحها • على انها كانت ترفض الاعتراف بأنهامعزولة بما ان الحزب لم يعزلها وبما ان تاو تى ـ شيو لم يخالف **المركز** قط صراحة ، وبما ان شانغ ـ شياو زعيم **المتمردين** كان يحترم اسم الحزب • وموقف اللجنة يفسر لماذا طالت مسألة الوقوف وجها لوجه مع « السلطات » كل ذلك الزمن فى أكثر المقاطعات • وخلافا للجماهير التى كانت تتمسك بالوقائع فان الكوادر كانوا يقولون انهم مكرهون على اطاعة « قيادة الحزب » التى لم يكن فى وسعها بالنسبة لهم أن تتغير :

« ذلك هو خلط الأبيض والأسود ! » هكذا كان **المتمردون** يجيبون • و « بحسب الثوريين البروليتاريين فان قيادة الحزب هى قيادة اللجنة المركزية وعلى رأسها الرئيس ماو ، انها قيادة فكر ماوتسى ـ تونغ ، انها قيادة الخط الثورى البروليتارى المتجسد فى الرئيس ماو » (١) •

لم يكن من الممكن أن يكون لهذا التطاحن فى التعريف من ذيول لو لم يلجأ الناجون من خطر الجهـاز الى كوادرهم الريفية ليعبئوا فلاحى الأقضية ضـد العمال • فقد استدعوا مندوبين عن تنظيمات « التمرد » التى كانت قد تشكلت بين الفلاحين ، وقالوا لهم وفقا لما كتبته الصحافة الرسمية ان « العمال يريدون الثـورة عليكم ، فلابد من أن تثوروا ضـــدهم بدوركم » وفضـــلا عن ذلك ، فبتحريض منهم :

« بذر عدد من أعضاء الكومونات ، فلاحين وعمالا فى آن واحد ، وعدد من العمال الذين كانت الكومونات قد أرسلتهم للعمل فى المشروعات ، التناقضات ، ووسعوا الفوارق (بين الناس فى الأرياف) •••• وحالوا دون التوزيع العادى للدخول فى نهاية العام ••• فيجب •• معارضة أولئك الذين لا يريدون القيام بالمدخرات وأولئك الذين يريدون ألا ندخر للتأمين أو الاقلال مما يستطيع لمال التراكم الجماعى » (٢) •

وبكلمة ، هذا هو المأخذ الصريح الذى حمل العمال المؤقتين على اتخاذه فى الحال فى توزيعات الكومونات لآخر العام ، وكذلك المنافع التى كانوا يطالبون بها • وهذه هى المرة الثانية التى تفضح فيها القيادة الثورية «النزعة الاقتصادية» أعنى هنا الممارسة التى تنطوى على افساد الجماهير الثائرة •

لقد ردت الجبهة من أجل الثورة والانتاج بحدة وطلبت من جميع التنظيمات العمالية والطلابية والكوادر الثورية العمل على اقناع الفلاحين بعدم اقتســام مدخراتهم واحترام أموال التراكم الجماعى • وقضت بتقديم المسئولين فى لجنة البلدية الى الجماهير فى الهسـيين العشرة التى يتكون منهـا ريف شانغهاى ، لتنتقدهم •

وفى القمة سجلت ، المجلة العقائدية **هونغشى** كشفا بهـذه الصراعات • فامتدحت ثوريى شانغهاى وأعلنت ان « سياستهم وأشـكال التنظيم ووسائل الصراع التى استخدموها » (٣) يجب اتخاذها مثالا يقتدى •

---

(١) **يومية الشعب** بتاريخ ١٩ يناير ١٩٦٧ •

(٢) رسـالة بتاريخ ١٦ يناير • **وينهوى باو** ، **تحرير** بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٦٧ ، **يومية الشعب** بتاريخ ٢١ يناير ١٩٦٧ •

(٣) **هونغشى** رقم ٢ بتاريخ ١٥ يناير (كانون ثان) ١٩٦٧ •

كومونة شانغهاى :

كان فى شانغهاى من التنظيمات الثـورية عدد هائل : **حرس أحمـر** فى الجامعات وفى المدارس ، جماعات المتمردين الثوريين أو تشـكيلات فعالة ذات اتجاهات مختلفة فى الوحدات ، جمعيات كانت تنشأ على حدة للعمل على تجميع ذوى المنبت الواحد من الناس أو مصير مشترك مثل « جيش الدفاع الاحمر » المؤلف من محاربين قدماء أو جنود مسرحين أو مثـل الـ « وحـــدة رقم ٢ من الشماليين العائدين الى شانغهاى » . وهى عبارة عن تشكيل كان يضم عمالا سبق ارسالهم الى مراكز صناعية أخـرى ولكنهم عادوا الى المدينـة لصـالح الثورة الثقافية . فقد صرح أحد أعضاء اللجنة الثورية فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٧ أنه كان يوجد سبعمائة تنظيم من جميع الألوان فى اطار المدينة كلها (١).

وتتويجا **لثورة يناير** اجتمعت « لجنـة تحضيرية من كومونة شـانغهاى الشعبية » . كان يديرها شانغ شون ــ شياو وإياو وين ــ أيوان اللذان سعيا الى العمل على أن يشترك فيها أكبر عدد ممـكن من التنظيمات المتعاطفـة التى تمثل الشطر الأكبر من أحياء المدينية ومن هسيين الاقضية . وكان اجتمـاع الـ « لجنة التحضيرية » نفسـه حصيلة لثلاثة أسابيع من الأعمـال . قامت فى وجه المساعى الرامية لتحقيقه صعوبات هائلة ناجمة عن الاختـلاف فى الأفكار بين القيادة العامة للعمال ومختلف الخلايا فى الأحياء والهسيين (٢) ، تغذيهـا بالطبع الخصومة التى تخلق التعارض بين التنظيمات الثورية . « وبعد أن تم حل جميع أنواع التناقضات من أساسها » دخل ثمانية وثلاثون تنظيما فى الـ « لجنة التحضيرية » التى عقدت اجتماعها فى ٥ فبراير (شباط) فى الساعة الواحدة صباحا .

وفى الساعة الثانية من بعد الظهر تم تبنى نص المناداة بانشاء الـ «كومونة الشعبية فى شانغهاى » وتم الاتفاق على أن تحـكم الكومونة « لجنـة مؤقتة » تعطى الـ « سلطة المطلقة » . ويرتبط باللجنة عدد من اللجان المنشـــأة كان كل منها ينتدب ممثلا عنه الى الـ « لجنـة المؤقتة » التى كانت تضم زيادة على هؤلاء المنتدبين أحد عشر عضوا دائمين .

ولقد شغلت حقبة الأعمال الطويلة التى انتهت بانشاء **الكومونة** بمفاوضات مع التنظيمات . كان بعضها يضع شرطا لذلك أن يكون ممثلا فى اللجنة . بينما كان آخرون يعللون النفس بلجنة منتدبة . ذلك ان اللجنـة انشئت فى نهـاية المناقشات الديموقراطية ، لكنها ربما لم تكن برضى جميع التنظيمات الموجودة فى الساحة .

حصل تنظيمان طلابيان على رئاســة لجنـة الارتبـاط والـ « علاقات الخارجية » . وأعطيت رئاسة لجنة التحقيق لتنظيم الكوادر الثـورية التابعة للجنة البلدية ، ورئاسة التنظيم **للقيادة العامة للمتمردين الثوريين** من العمال . فضلا عن انه كانت توجد ادارة للعمليات اسندت الى الجبهة من أجل الثـورة والانتاج (وهو تنظيم أنشىء للتغلب على الاضراب) . ومن هذا الواقع تألفت

---

(١) جون روبنسن : **الثورة الثقافية فى الصين** ، بليكان بوكس ، ذكر سابقا .

(٢) لقد شرح اعلان حائط صادر عن « كومونة تونغفانغهونغ من الجامعات العلمية والتكنيكية **فى الصين** بيكين ، تاريخ تكوين **كومونة شانغهاى** وتاليف اللجنة التحضيرية ــ وذلك بتاريخ ٥ فبراير (شباط) بعد الظهر .

اللجنة بكاملها من سبعة عمال وثلاثة طلاب واثنين من الفلاحين واثنين من الكوادر واثنين من العسكريين أى ان العمال نالوا فيها أكثرية قوية جدا نسبيا.

وأذاعت الكومونة يوم انشائها منشورا وأصدرت اللجنة « أمرها رقم ١ » . ونادى المنشور بأن «ثمة نمطا جديدا من التنظيم المحلى لدكتاتورية البروليتاريا قد ولد فى دلتا النهر الأزرق وهو يتوجه الى شرق العالم » . كما أعلن المنشور بأن أعضاء الكومونة قد انتخبوا وفقا لمبدأ كومونة باريس ودعا الى اتحاد جميع القوى الممكنة والى تسلم السلطة أينما كان . ونادى الأمر رقم ١ بنهاية اللجان البلدية فى شانغهاى ـ لجنة الحزب واللجنة الشعبية ـ وأصبحت التوجيهات الصادرة عنها ، اللاحقة لـ ١٦ مايو (أيار) ١٩٦٦ باطلة جميعها . وعبأ هذا الأمر الأمن العام ضد المعارضين فى **جماعة الثورة الثقافية** . ودعا الى الكفاح حتى الموت ضد الـ « سلطات التى تتبع الطريق الراسمالى » ، والتى يجب بازائها ، اتخاذ الموقف المتمثل فى « ضرب الكلب وهو فى الماء » (١) .

وأعلنت الـ « لجنة الموقتة » ، بوعى من انه كان لابد لها من توسيع قاعدتها ، انها تفتح الباب بين صفوفها للتنظيمات الثورية التى تريد الانضمام اليها . لكنها فى الحقيقة اصطدمت بأحكام سابقة قوية عندما أريد التصديق على انتساب قادمين جدد . كان عدد من الصعوبات ينشأ فى داخل اللجنة بينما لم تكن قدراتها الكفاحية فى الخارج كافية للتغلب على الشكوك المنتشرة فى كل مكان . فكان المعارضون يقولون : « كيف يستطيع أولئك الذين نصبتهم هنا جماعة الثورة الثقافية الانتصار على مدينة بحجم شانغهاى » (٢) وخشى **المركز** من ان يعوز **الكومونة** الرجال الأكفاء . فقدر بأنها لم تفسح مكانا كافيا للكوادر. الا أن العمال كانوا يثقون بأنفسهم وكانوا يجيبون بقولهم : « ان العالم هو ملكنا » .

وفى آخر الأمر كان عمر **الكومونة** قصيرا . فانطفأ اسمها وتعرضت لتحولات غامضة ، طفت منها ، بصورة غير واضحة ، لجنة شانغهاى الثورية ، القائمة على التحالف الثلاثى مع تمثيل الجيش فيها . اذ أن «الجيش ضرورى لتوطيد السلطة الجديدة والحيلولة دون أن يقضى رد الفعل على المسئولين الجدد » ، كما شرح ذلك شانغ شون ـ شياو أثناء تجمع شعبى استدعاه فى ٢٤ فبراير (شباط) لاشراك الجماهير فى التغيير . وقال شانغ انه مما كان يعنى شعب شانغهاى أن يرى فيما اذا كان يفضل الاحتفاظ باسم « كومونة » على أن يعطى لنفسه اسم لجنة ثورية . ثم أضاف :

« الآن وقد تم انشاء الكومونة ، هل لا نزال بحاجة الى الحزب ؟ اظننا

---

(١) اشارة الى بحث كتبه لوهسون بعنوان : تعليق الانصاف . فقال ردا على لين ايو ـ تانغ الذى كان يأسف لعادة « ضرب الكلب الموجود فى الماء» ، ليس ثمة من سبب يوجب معاملة الكلاب التى يرميها الانسان بنفسه فى الماء ، أينما كانت ، فى الماء أو على الأرض ، بخلاف تلك المعاملة . «فانه لخطأ أن نضع على نفس المستوى جميع أولئك الذين فقدوا سلطتهم ، دون أن نميز بين السيء والحسن » .

(٢) قول شين بى ـ هسيين (سكرتير لجنة البلدية للحزب فى شانغهاى) بتاريخ ١٢ يناير ١٩٦٧ ، نقلا عن وينهوى باو بتاريخ ٢١ مارس ١٩٦٨ .

بحاجة اليه لانه يجب أن تكون لنا نواة (١) صلبة ليسموها حزبا شيوعيا أو حزبا اشتراكيا ــ ديموقراطيا .. وبكلمة واحدة ما زلنا بحاجة الى حزب » (٢) .

انها لملاحظة تثير العجب باشارتها الى حزب آخر غير الحزب الشيوعى ! فهى تطلعنا على تنوع التيارات الديموقراطية التى كانت تبرز بين عمال شانغهاى . فان شانغ شون ــ شياو قد وضع **الكومونة** موضع الشك فى أن تكون خليقة لتسلم السلطة فى لجنة البلدية ومع أنه كان قد حيل بين هذه اللجنة وبين ممارستها لوظائفها قبل تأسيس الكومونة بزمن طويل ، وعلى ذلك جاءت الكومونة نفسها تملأ الفراغ ٠ انه لأمر له معنى ألا يكون فى مكنته **استيلاء على السلطة** ، على هذا المستوى ، نيل التأييد الا بواسطة تأسيس لجنة ثورية تكون كفيلة باستمرارية الحزب ٠ كما نلاحظ أن **المركز** كان يحمى بعض مواقع الحزب ضد عمال شانغهاى . وهكذا فانه لم يكن من الممكن الاستيلاء على السلطة فى سكرتيرية المكتب لشرق الصين الذى كان لا بد من النظر اليه كجهاز ممثل للجنة المركزية اذ « كان تسلم المنشآت فحسب لا يمكنه أن يعنى شيئا » .

لقد تخلت شانغهاى عندئذ عن **كومونتها** ولم يبق من سلطة العمال الأصلية الا « لجان الثورة والانتاج » وحدها التى نشأت عن الاضراب .

الاستيلاءات على السلطة :

لقد سمع « الشغيلة » والطلاب والكوادر الثورية فى جميع أنحاء الصين ، زعماءهم الذين يعترفون بهم وهم يعطونهم الأمر ب « تسلم السلطة » ، وينادونهم انه ليس ثمة من وقت للضياع « اذ أن الوقت قد آن ، فاذا لم تأخذوا بيدكم السلطة ، فقد يمكن أن يذهبكم المحافظون » ٠٠ « ليس لدينا الوقت لبناء المناهج ، نستطيع فحسب أن نعمل بدلالة الظروف وتوجيهها لصالحنا . » كما ذكر شواين ــ لاى قائلا :

« ان تسلم السلطات ، بصورة عامة ، هو فى المقام الأول الاستيلاء على قيادة الثورة الثقافية وبعد ذلك تسلم السلطة الاقتصادية » (٣) ٠

يعنى هذا التمييز الذى يبديه أنه يجب بادىء ذى بدء ازاحة **جماعات العمل** التى كانت مكلفة بتطبيق الثورة الثقافية فى الوحدات ، والحلول مكانها ثم الاستيلاء على الادارة وعلى قيادة الانتاج ٠ وهذا عين مافعله عمال شانغهاى ٠

واتاحة للوصول الى الهدف الثانى يسوق القادة عددا من النصائح فى التكتيك ٠ يمكننا أن نميز مرحلة من الاشراف ومرحلة تسلم أعباء الادارة

---

(١) استشهاد بما جاء فى الفقرة الأولى من الكتيب الأحمر : « نواة القوة التى تقود قضيتنا هى الحزب الشيوعى الصينى ٠٠ » من كلام ماوتسى ــ تونغ ٠ من الكلمة الافتتاحية فى الدورة الأولى للمجلس الوطنى لنواب الشعب (١٥ سبتمبر أيلول ١٩٥٤) ٠

(٢) مقتبسات من خطاب شانغ شون ــ شياو بتاريخ ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٦٧ فى اجتماع كبير للقسم ، بميدان الثورة الثقافية فى شانغهاى ٠

(٣) «القادة المركزيون يتكلمون عن الاستيلاء على السلطة» ، **ايوتين فينظى** ، «عاصفة المراكز» رقم ١٠ فبراير (شباط) ١٩٦٧ ٠

الفعلية . وسوف يبدأ القابضون على زمام السلطة الجديدة بمراقبة عمل الأجهزة :

« اذا ازداد مردود العمل ، تحت اشراف المتمردين الثوريين فسوف يتمكنون عندئذ من الاضطلاع بأعباء ادارة العمل .. « اذا لم يكن ممكنا ، وقتيا ، تأمين الاشراف فلابد من توفير القوى . وسوف يمكن ترك جماعات العمل تعمل مدة من الزمن أيضا ، شريطة ألا تكون بالغة السوء ، وذلك بانتظار أن تتعبأ الجماهير وتتولى مسئولية الاشراف . » (١) .

وتبعا لمسلك المسئولين الحاضر والماضي ثمن معالجات عديدة تكون ممكنة :

« ١ ــ اسقاط القادة الفاسدين ..

« ٢ ــ العزل مع البقاء فى قوائم الاستخدام : الخضوع للتحقيق خلال مهلة محددة ، اتاحة الفرص للتفكير عن الأخطاء ، اعطاء براءة بعد التدقيق (يمكن الاعادة الى العمل بعد ستة أشهر ويمكن اطالة المدة أيضا) .

٣ ــ التوقيف من الوظائف مع البقاء فى قوائم الاستخدام : وهنا أيضا الخضوع للتحقيق فى مهله معينة ، واعطاء البراءة بعد التدقيق (يمكن أن يكون الأجل مثلا من ستة أشهر ويمكن اسناد عمل ما مدة دراسته الحالة) .

٤ ــ الابقاء فى الوظيفة تحت المراقبة .

٥ ــ لا تغيير فى الوظائف » (٢) .

كانت حركة الاستيلاءات على السلطة تنهج هكذا ترتيبا معينا خاصا بها ، ولكن الأمور كانت أعصى من أن تجرى بنظام ، خاصة بسبب المنافسات بين التنظيمات التى كانت تريد جميعها لو تلبس ثياب الفخار .

على ان شواين ــ لاى تحدث عن الاستيلاءات على السلطة المتتالية :

« هناك حالات يكون فيها الاستيلاء على السلطة غير تام ، وحالات يكون فيها وهميا . وعندئذ يمكن أن يحدث استيلاء على السلطة ثم اعادة الاستيلاء على السلطة . وعندما يتحقق الاستيلاء الثانى على السلطة لا يمكن القول بأنه كان تاما من أول مرة ولا يمكن القول أيضا بالقيام باستيلاء على السلطة استيلاء كاملا عندما يقتضى الأمر اعادة ذلك كرة أخرى ، فيجب أن نعتبر عندئذ بأن الصراعات تتكرر .. أن المشاكل التى تبرز داخل اليسار يمكنها أن تحل بالمناقشة . وبهضم التحالفات الناقصة نتقدم . فيجب اعادة القيام بالاستيلاء على الاستيلاءات الوهمية على السلطة » .

وفى نهاية المطاف وبخ المتمردين قائلا :

---

(١) نفس المصدر ، كلمات شواين ــ لاى .

(٢) المصدر السابق ، كلمات شواين ــ لاى .

« يجب ألا يقول الواحــد للآخر داخل اليســار : « انت ثورة فبراير أما أنا فثورة اكتوبر » أو أيضا : « انا ينان ، وانت سيان » . »

وزيادة فى افهام الجماعات الثورية الصغيرة وجوب دخولها فى التحالفات، ذكر لها شين بو ــ تا حالات ملموسة :

« ثمة مرافق كثيرة ، فى بكين ، خاصة ، ذات صفة قومية . هاكم جماعة صغيرة لم تتوصل حتى الى تمثيل الأغلبية فى مدرسة من المدارس. فاذا تمكنت من احتلال مصلحة قومية فمن ذا الذى يعترف بها ؟ » (١) .

كان المسئولون المحليون فى أماكن معينــة يدفعــون عددا من التنظيمـات يفضلونها على غيرها للاستيلاء على السلطة . وقد رأينا هــذه الحالة بالنسبة لوزارة الزراعة . وفى مكان آخر لم يكن فيه **الاستيلاء على السلطة** ، أحيــانا ، عميقا ، فان جماعة أخرى أقوى كانت تعيد العملية من جديد . لذلك تعرضت مكاتب لجنة بلدية شانغهاى أربع مرات **للاستيلاء على السلطة** فيها قبل انشاء الكومونة (٢) . وحدثت كذلك فى مكاتب عديدة تابعــة لمصلحة منــاجم الفحم أربعة استيلاءات متتالية على السلطة . كانت تقع فى كل مرة مشاجرات جديدة يســقط فيها عدد من الجرحى . كذلك اقتضى الأمر فى بعض الأحيــان ارجاء اقامة السلطة البروليتارية الى وقت آخــر وأن تطلب الجمــاهير من الجيش **الوضع تحت الاشراف** بدلا من **الاستيلاء على السلطة** .

لم يكن الثوريون ينظرون الى تدخل الجيش بعين الرضى عندما كان يأتى ليفرض اشرافه . فقد رأينا ذلك جيدا فى مرفق الملاحة الجــوية المدنى الذى يدير ويستغل الخطوط الجوية الصينية . فعلى الرغم من أن اللجنة العسكرية ومجلس شئون الدولة فى ٢٦ يناير هما اللذان قررا الاشراف العســكرى فان **المتمردين الثوريين** فىالملاحة الجوية المدنية احتجوا وضاعفوا النقد الموجه لماضى القادة الذين كان يفرض بقاؤهم تحت اشراف الجيش . ولــكن الجيش تجاهل الاحتجاج ووضع حراسة وفرق الحشود (٣) .

ففى نظر الثوريين كان اشراف الجيش يدل على اخفاق مؤقت . كما انه لم يكن أيضا صيغة دائمة بالنسبة لمنظرى الثورة . بل كانت هذه الصيغة تلائم مسئولى الادارة وتوافق هوى ــ كما يمكننا أن نتصور ــ اللجنــة العســكرية التى ربما كانت تميل الى تدعيمها فى أغلب الأحيان .

أما الحل الذى يطلق عليه أسم الـ « تحالف الثلاثى » فكان تسوية . لم يكن الجيش يأخذ به مكان الثوريين . فقد استطاع شانغ شون ــ شياو ايجاد الكلمات المناسبة للدفاع عنه أمام عمال شــانغهاى . لــكن الجيش ، فى تاريخ الاستيلاءات الناقصة على السلطة ، كانت له وظيفة غير تلك التى يلقى فيهــا سيفه فى الميزان . فقد استخدم وسيطا بين التنظيمات الثــورية التى لم يكن بعضها يتحول عن معــاداة البعض الآخــر ، عاملا على دفع قوى اليســار الى التحالف ، باسطا لها يد المساعدة للصمود على رأس ســلطة ضعيفة ، مزودا

---

(١) نفس المصدر كلمات شين ــ بو ــ تا .

(٢) ١٤ يناير ، ٢٢ يناير ، ٢٤ يناير و ٥ فبراير ١٩٦٧ .

(٣) انظر كونو ، **بكينغ كونو ايشينبن** ، طوكيو ١٩٦٨ ص ١٣٤ ذكر سابقا .

جمهمته من قلة من رجال الحزب فحسب . وكما كان الأمر فى الأزمنة البطولية التمس الجيش من « وحدة القيادة » .

ولقد سمحت مشاركته فى المؤسسات الموقتة التى تلت الاستيلاءات على السلطة بألا يطرد من كان فى الوسع المحافظة عليه من الحزب · وقدم المثل على الانقياد لفكر ماوتسى ــ تونغ الذى كانت وظيفته الأساسية هى المحافظة على مبدأ الحزب واحترام صورته . وكان عليه اتمام التحالف بين التنظيمات الثورية المنعزلة حتى لا يبقى ابدا سوى « عشيرة » واحدة من اليسار يمكنها أن تندمج بالحزب الشيوعى المجدد .

« هناك ثلاثة مبادىء ، كما قال شواين ــ لاى فى تعليماته الى المتمردين : اعلاء راية فكر ماوتسى ــ تونغ والاعتراف بقيادة الحزب . اتباع طريق الاشتراكية · والامتثال للستة عشر بندا وللمجموعتين من ذات العشرة التوجيهات (١) · فتلك هى قضايا الكفاح وهى الأولويات الكبرى · فمن خالفها يكن عندئذ عنصرا فى ثلاثة عداءات (٢) · فال « تحالف الكبير » يمكن أن يكون اتفاقا على الجوهرى مع فروق طفيفة ، الا انه قبل كل شىء التحالف الكبير لليسار . فلو ان التنظيمات الصغيرة جدا كانت لا تريد أن تتلاءم معه لوجدت نفسها منعزلة تماما » (٣) ·

وأمام هذه المبادىء الكبرى كان خطأ اليساريين المتطرفين التماس تعليلات أخرى للثوريين . وهكذا فان وانغ لى بعد شواين ــ لاى وبعد شين بو ــ تا كان يتكلم بدوره قائلا :

« اذا كنا نحن ، الثوريين البروليتاريين ، لا نملك السلطة ، فان الآخرين سوف يستطيعون أيضا فى المستقبل أن يجعلونا مذنبين ... ولكن عندما تصبح السلطة بأيدينا فسوف يعود لنا أن نبحث فى جميع المواد السوداء أو البيضاء (يتكلم وانغ لى هنا عن الأوراق التى تشكل منها ملفات الاتهام وأوراق الأبرياء) ، جميعها أيا كانت · فاذا لم نمسك بهذه السلطة فى أيدينا أو لم نمسك بها بحزم فقد يحدث انقلاب لصالحهم وسوف يكونون هم الذين يأتون أيضا لوضع النظام فى موادنا السوداء المتعلقة بنا . كذلك فان الكل بالكل ، العين بالعين والسن بالسن ·· » (٤) ·

كانت هذه اللغة تؤجج روح الثأر التى كانت قد صارت تجد غالبا سبيلها للافصاح أثناء الاستيلاءات على السلطة . كما كانت تدفع الى الافراط وقد حدث بالطبع منه الكثير . وعلى سبيل المثال فقد « أظهر » للشعب قادة اتحاد النقابات يوم ٢٣ يناير وعرض وزير الخطوط الحديدية ونائب وزير الخارجية

---

(١) وربما كان المقصود توجيهات ديسمبر فى امتداد الثورة الثقافية الى المصانع والمناجم والارياف ·

(٢) « ضد الاشتراكية وضد الحزب وضد فكر الرئيس ماوتسى ــ تونغ » وهى أخطر ادانة ، انها نوع من الحرمان ·

(٣) ايونين فينغل ، ١٠ فبراير ١٩٦٧ ذكر سابقا ·

(٤) المصدر السابق ، كلمات وانغ لى ·

في سيارة نقل في تين آن يوم ٢٦ (١) · وقضى وزير الفحم نحبه ، ربما بنتائج المعاملات السيئة . واختفى وزير الخطوط الحديدية تماما في الوقت الذى كان فيه شواين ـ لاى يبحث عنه عندما كانت شبكة المواصلات في أوج بلبلتها . كان المتمردون قد أخذوه الى مصنع اصلاح القطارات في ضاحية من ضواحي بكين لكى « ينتقد » فيه مدة أربعة أو خمسة أيام (٢) ·

ومن جهة أخرى كان الثوريون يوقفون المصانع عن العمل ويبددون المواد ويشيعون الفوضى في الارشيف الضروري للادارة . ووجب التذكير بأنه حتى **الاستيلاء على السلطة** كان يجب ألا يعرض **النظام الثورى** للخطر :

« يجب حذف جميع النفقات غير المفيدة وتوفير استخدام وسائل النقل ·· ليس مسموحا أن تحول سيارات الشحن التى تستخدم في النقل أو في الانتاج الى مركبات للدعاية ·· وليس من المسموح به تحويل رءوس الأموال المدخرة لغرض الانتاج الزراعى الى استخدامات أخرى ··· ولا أن يساء استعمال الآلات الزراعية ·· ويجب التشديد في حماية جميع الكتب والوثائق المكتوبة وحفظها · ولا يسمح بالتصرف بها بصورة تعسفية ولا باتلافها · » (٣) ·

ثم عملت اللجنة المركزية ومجلس شئون الدولة واللجنة العسكرية على ارجاع أولئك الذين تولوا السلطة الى الحد الادنى من العقل : اذ أن انعتاقهم منذ منتصف يناير قد غمرهم بنشوة طاغية .

الانعتاق :

ان الشعور ، بعد **الاستيلاءات** الاولى **على السلطة** بأن الثورة كانت تعمل على تفجير جميع أنواع الضغوط قد انتقل شيئا فشيئا الى جميع «شغيلة» المدن الكبرى . فالاحساس بأن كثيرا من الأمور الجديدة كانت قد أصبحت ممكنة لأن كل واحد كان يستطيع أن يعبر عن أفكاره ، كان هذا الاحساس يغرق الأهالى بنوع من النشوة .

أولا كانت السياسة تتصدر كل شيء . وبحسب هذا المبدأ كان لابد لكل شخص من أن يهتم بالشئون العامة في حيه وفي مصنعه ،وكان لابد لهذا من أن يجرى قبل جميع أنواع الروتين . كانت الكلمة للجماهير من أجل النقد وللمساعدة على بناء شيء ما جديد بعد ذلك ، ومطابق **لفكر ماوتسى ــ تونغ** . وكان هذا الفكر يقدم مبادىء الديموقراطية المفتوحة للجماهير ويعمل على المشاركة في الثقة بالمستقبل · ويشجع « المستندلين » على مخاطبة أنفسهم بأن صفاتهم القلبية ، قد تفتح لهم ، أفضل من المواهب العظيمة ، طريق البطولة . ويمنح كل واحد الرغبة في أن تكون له أفكار . ومن ثم كان يجب الاستعلام والاكتشاف وفهم ما الأمرالذى لم ينتظم سيره ويجب تغييره اذا ماتم الاستيلاء على السلطة . وكان يجب الاستعلام عن أفكار الآخرين وعن المقترحات المطروحة للتغيير ، وأخيرا عن كل الأحداث الثورية . فكان هذا وقتيا أهم من العمل .

---

(١) انظر كونو ، **بكينغ كونو اشينين** ص ٨٩ ذكر سابقا ·

(٢) المصدر السابق ص ١٣٥ ·

(٣) بلاغ من المركز في ١٦ مارس ١٩٦٧ ، ذكرته الصحافة اليابانية في ١٨ ·

كانت الجماهير تتسقط الأخبار وفى مدينة مغطاة بالملصقات لم يكن موج الجمهور يتراجع . ومن ذلك كان بائعو الصحف الصغيرة يجمعون دخلا . اذ أن كل واحد كان يريد أن يعرف ماذا يجرى فى شانغهاى وفى شـونغكينغ أو فى شينكيانغ وكانت الجرائد بجميع ما كانت تنشره من مواد النقد ، تعلم من الأمور فى تاريخ السنوات الأخيرة أكثر مما عرف منها . وكان أكثر الناس لا مبالاة بالتغييرات السياسية يودون هم أنفسهم لو يحاولون قراءة كل شىء .

لم يكن العمـال فى غالبيتهم لا مبـالين . فالذين كانوا لا يعرفون جيـدا سياسـة اللجان الاقليميـة ، يعرفون على كل حال تنظيم مصنعهم . ودعيت الجماهير الى الافصاح عن آرائهـا فكتبت ما كانت تعرفه . لذلك لم تتحـدث ملصقات كثيرة الا عن مشغل ، أو عن خلية . وكثيرون منهم فى أوقات أخـرى كانوا قد لا يجرءون على الكتابة علنا . اذ يجب أن يكون الانسان جسـورا ليعرض ما أنتجته قريحته عندما يكاد لا يكون قد دخل المدرسة ، خصوصا فى الصـين حيث الكتـابة على جانب عظيم من البراعة وحيث الملاحظات تنـداح بسرعة وحيث تحظى الكتابات كذلك باحترام عظيم .

كان لتنظيمات **المتمردين** نسـاخها الخبراء القادرون على مجاراة الطلاب ولكن الجماعات الصغيرة والافراد ، هم أيضا ، كانوا يدبجون شكاواهم . فقد كانوا يعبرون عن انهم تألموا من ظلم أو انه كان لديهم ما يردون به على تنظيم من التنظيمات . وثمة عمال طاعنون فى السن ، شهدوا عدة أنظمة وربما قاتلوا فيما مضى من أجل حريات عمالية ، كانوا يضعون على الأرض حبرهم وورقهم بينما كان الجمهور يفسح المجال قليلا . فكانوا عندئذ يتأملون الورقة البيضاء بملامح من الجدية عميقة ، كأنهم انتظروا هذه اللحظة زمنا طويلا ، ثم يبدأون برسم الأحرف بحركة متثاقلة تجافيها المهارة .

ان رواج جميع أنواع الأخبار والحرية فى قول أمور جديدة ، كل ذلك كان بريح الشـعب . فمع الزعمـاء الذين أوقفـوا للتحقيق اختفى كذلك جميع المخبرين الذين كانوا يستخدمونهم فيما مضى . ولم يبق ثمة من صراعات خفية وشايات فى الخفاء . انها حقبة جديدة كانت تبدأ : لا شك انها باسم الهـدم أكثر منها باسم البناء الا أن الصراعات كانت صـادقة . فكم من ملصـقة كانت لا تكاد تعلق حتى كانت تمزق فى الحال تقريبا من تشـكيل منـافس . وكانت شراذم العمال الصغيرة التى تسعى نحو تنظيمات أخرى الى حنقها ، توزع ، بواسطة الدراجات ، وريقـات مسـتنسخة بالحرير تكاد لا تقرأ ، تطلب بهـا المساعدة . وكان عدد من الحركات ليس لديها ورق ، ترسم بالدهان نداءاتها على نتوءات الأرصفة فى الواحدة صباحا .

تلك الصراعات كانت تحمل فى طياتها الأمل وكان ريح من الحرية يهب فى « شتاء بكين » . رددت الصحافة صداه . فقد كتبت **يومية الشعب**(١) تقول : « اقرأوا قليلا من الجرائد الثورية : **تحرير وينهوى باو** ، بعـد اذ تخلصت من اشراف الخط البورجوازى ، انها أصبحت ديناميكية وجوها الخانق والمميت قد اختفى منها تماما » .

---

(١) **يومية الشعب** بتاريخ ١٩ يناير ١٩٦٧ .

« لا يجب الاعتقاد بأننا سوف لا نستطيع ، من دون هؤلاء « الاشراف » البورجوازيين ، أن ندير أمورنا ولا أن نعيش .. » (١) .

« نحن ، العمال الثوريين ، اننا سادة البلاد ، اننا نحن أسياد مشروعاتنا » (٢) .

عندئذ ، اتخذت جميع الآمال المتراكمة لتغيير في الحياة ، شكل المطالب . فقد طلب العمال الشباب أنقاص حقبة التمرين (٣) ومستخدمو التجارة بأن يكون وقتعملهم نفس الوقتفي المصانع ، وان يضمن لهم يومراحة اسبوعية(٤)، وطالب عمال المطابع بتخفيف وتيرة العمل (٥) ، وعمال المشاريع الصغيرة والمتوسطة بألا يضار نظام الأجور فيها بالتمييز بينهم وبين المشروعات الكبرى (٦) . وطالب مستخدمو الباصات والترولي باص في بكين ، بصورة مفاجئة كذلك بزيادات في الأجور (٧) .

وكانت مسألة المكافآت والأجر بالقطعة في مقابل الأجر بالساعة تشق الطبقة العاملة. كانت الماوية بأكملها ترفض الشق الأول الا أن «شغيلة» كثيرين كانوا يعون بأنهم مدينون له بفوائد تدخل في مستوى معيشتهم . اما مدة العمل، فان يوم الثماني الساعات لم ينكر بصورة مباشرة ، بل دوفع عنه (٨) وهو ماكان علامة دالة . وكان عمال كثيرون يغادرون العمل منأجل الاجتماعات أو اللقاءات الكبرى . وبصورة قهرية أرخيت حبال الانضباط في العمل بما أن السياسة كانت لها الصدارة على كل شيء . فمن واقع انه كانت ما زالت ، فيما بعد ، هناك مطالب بانقاص مدة العمل اليومي (٩) فاننا نستطيع الظن بأنه كان موضوعا للمطالبة منذ الشتاء .

ان الفلاحين الذين كانوا يمارسون عملا موسميا في المصانع ، أولئك الذين كانوا يعملون بالأجر لمدة سنوات بأمل الرجوع فيما بعد الى قراهم (١٠) ، قد

---

(١) نفس المصدر .

(٢) **كونغجين جهباو** افتتاحية ١٤ يناير ١٩٦٧ .

(٣) **الاحداث الجارية** جـ ٦ رقم ٥ (١٥ مارس ١٩٦٨) ص ١٢ وص ٢١ .

(٤) أنظر F.E.E.R. ٢٢ فبراير ١٩٦٧ مذكورا في **مشاكل اقتصادية** رقم ١٠٢٢ (١٩ سبتمبر ١٩٦٧) ص ١٩ — ٢٠ طبعة «التوثيق الفرنسي» .

(٥) مطالب الهيئة المكلفة بتموين مطبعة منشورات هسينهوا بالورق ، أنظر جريدة **الحرس الاحمر** ، «شانباو» بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٧ . أنظر كذلك تطبيق الـ «سبعين حافزا» في مصانع الصلب في شيهشينغشان : ك . ساميجيما **جريدة اقتصاد اليابان** (٣٠ ابريل ١٩٦٨) .

(٦) أنظر كونو ، **بكينغ كونو اشينين** ، **طوكيو** ١٩٦٨ ص ١٣٥ ذكر سابقا .

(٧) نفس المصدر ص ١٣٥ .

(٨) انظر بصورة خاصة رسالة عمال الماكينات الآلية رقم ١ في بكين بتاريخ ١٢ يناير ١٩٦٧ في **يومية الشعب** بتاريخ ١٦ يناير ١٩٦٧ .

(٩) أنظر صحف بكين بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٦٨ .

(١٠) كان المقصود أحيانا فلاحين قادمين جماعات من نفس الكومونات الشعبية الريفية بمقتضى عقود اجمالية موقعة مباشرة بين المصانع والكومونات . وقد تكلم راديو موسكو عن هذا النظام في اذاعته عن الصين والثورة الثقافية بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٦٦ :

طالبوا بأن تكون لهم نفس امتيازات العمال الدائمين . كانوا يريدون أن تسجلهم الادارة فى اقامتهم الجديدة ـ بدلا من أن يكونوا ممن يسمح لهم فقط بدخول المدن ـ وأن يتقاضوا نفس أجر العمال الدائمين . فصادفت مطالبهم عطفا لدى الماويين . وكان فى مكنة هوفبى ، وهو يتكلم الى مقاطعة آنهوى Anhwei ، أن يقول بأن «الشغيلة» المؤقتين قد حصلوا الآن على نفس الامتيازات السياسية التى يتمتع بها العمال الآخرون . ولكن الكلام لم يتعرض للامتيازات الاقتصادية (١) .

غير أن قيادة الثورة لم تكن لتجازف بالتسليم لهم بأكثر من حق الاقامة فى المدن . وقضى مجلس شئون الدولة ، بخلاف رأى اتحاد النقابات الجديد الذى صرح بأن نظام «الشغيلة» بعقد و «الشغيلة» المؤقتين و «الشغيلة» المفرزين ليس معقولا مطلقا » ، بأن هذا النظام «معقول جزئيا» (٢) فلم يكن البرنامج الماوى لمحو الفروق بين المدن والأرياف يرفض اذن الحلول الوسيطة ، وان كان ذلك على حساب خيبة أمل العمال الفلاحين .

ولدى التأمل يبدو أن التمييز بين مطالب العمال التى يمكن قبولها وتلك التى لايمكن قبولها قد جرى على ضوء الانتقادات الموجهة لل «نزعة الاقتصادية» وكانت المحاباة التى جرت بمناسبة رأس السنة مادة لذلك النقد . وكان تغيير نظام التمرين للمبتدئين (٣) وتسوية وقت العمل لمستخدمى التجارة هما المطلبان الوحيدان ، مما ذكرنا من المحاباة ، اللذان ووفق عليهما فى الحال . وتم الغاء نظام المكافآت شيئا فشيئا فى بعض المشروعات ، رغما عن تمسك قسم من هيئة الموظفين به (٤) وبالمقابل سرعان ما رفض أولئك الذين ، هم أنفسهم ، وطدوا السلطة العمالية ، مطلب انقاص مدة العمل أو زيادة الأجر .

غير ان الانتقادات الموجهة الى جهاز المشاريع قد انتظمت فى اتجاه واحد ـ على أثر تكاثرها الذى عبر من خلاله العمال عن مصالحهم الفردية ـ وفقا لسياسة محددة ، وأصبحت جزءا هاما من برنامج الثورة الثقافية . وقد عارضت قيادة الثورة « القانون الأساسى لمؤسسات مصانع الصلب فى آنشان » ـ وهو مجموعة توصيات أعارها ماوتسى ـ تونغ اهتمامه عام ١٩٦٠ ثم أهملها الحزب بعد ذلك ـ بال « سبعين شرطا من أجل الصناعة » (٥) التى أطراها ليو تشاو ـ شى لدى ادارة المشاريع والمستوحاة كما يقول الثوريون من « القانون الأساسى لمصانع الصلب فى ماغنيتو غورسك Magnitogarok »

كان من الممكن لجهاز الحزب أن يوافق على السبعين شرطا ، دون مراعاة لروح ميثاق آنشان . فقد كانت هذه الشروط تحقق مركزية القيادة الادارية وتغفل سلطة الحزب فى المصنع وتكره الخلايا والجماعات الشيوعية فى مختلف

---

(١) الأحداث الجارية جـ٦ رقم ٥ (١٥ مارس ١٩٦٨) ص ٢٣ و ٢٤ .

(٢) اجيبا كيبزاى جومبو رقم ٦٨٣ ، طوكيو ، مايو ١٩٦٧ .

(٣) تعليمات مستعجلة من شواين ـ لاى ومن ليو نينغ ـ ايى حول الأجور ونظام العمل (١٣ يناير ١٩٦٧) أنظر الأحداث الجارية جـ ٦ رقم ٥ ص ١٢ ذكر سابقا .

(٤) لقد حذفت مصانع الصلب فى شيشسينغان ببكين المكافآت فى خريف ١٩٦٧ انظر نيهون كيزاى شيمبون ، ٣٠ ابريل ١٩٦٨ .

(٥) « مشروع قرار حول العمل فى الصناعة والمشروعات » سبتمبر ١٩٦٠ .

منشآت المشروع (١) على التكاسل ـ وبكلمة فانها كانت تدفع الى مثل الخطأ الذى اقترفته قيادة الجيش عندما تركت لجان الحزب فى الوحدات تتقلص . فعلى الصعيد المادى قدمت الشروط استقلالا ماليا على جانب من الضخامة ومسئولا عن الادارة بأهداف انتاجية .

أما مجلس شئون الدولة فقد كانت له ، من جهته ، مشاغل أخرى غير اعادة ترتيب مطالب الثوريين ، وبخاصة الانشغال بارجاع ظروف العمل العادية الى المشروعات . وكانت هذه المسألة موضوع تعليماته فى ١٧ فبراير التى أيدتها « رسالة اللجنة المركزية الى العمال والى الكوادر الثورية » ثم نشرتها الصحافة فيما بعد :

« انسجاما من القواعد الموضوعة من قبل اللجنة المركزية للحزب عليكم البقاء فى العمل ثمانى ساعات يوميا ومتابعة الثورة الثقافية طيلة الساعات الباقية . ولا يسمح بمغادرة مراكز العمل والانتاج أثناء ساعات العمل بناء على مبادرة خاصة . ويجب مكافحة الاتجاه الوخيم الى عدم المثابرة فى العمل .. »(٢) .

وظهر ان العمال انقسموا عندئذ الى اتجاهين : احدهما تحزب لتأسيس حركة العمال وفقا للطريق المرسوم ، طريق « التحالف العظيم » ، « عشيرة » الماويين الوحيدة ، مع التضحية بما يقود اليه من مطالب العمال وعاد الثانى الى العمل النقابى مخلفا وراءه انكماشا فى الالتزام السياسى من جانب التشكيلات التى ينتمى اليها . وفى مارس ١٩٦٧ عاد العمال يتجمعون بصورة عفوية ، فى تجمعات «ودية» مثل جماعات الميكانيكيين والسائقين وال «مجازين لعام ١٩٦٥ من الجامعات والمدارس العليا » فنشرت صحف شانغهاى ضد هذه الجمعيات التى أعلنتها غير شرعية ، مقالا أعيد نشره فى **يومية الشعب** (٣) .

غير أن المركز اعترف بالصفة الطبيعية لهذا النوع من التجمعات بما انه ترك « لجان الثورة والانتاج » تتصرف لمدة طويلة ، وهى التى ساعدت على حل اضرابات شانغهاى . بل انه فيما بعد سهل وجود « جماعات الاشراف الاقتصادى » التى ساعدت اللجان الثورية . وبالمقابل تخوف من التساهل الذى أساء فى الاستفادة منه عدد من **المتمردين** أو من المهيجين بلا تعقل. وهكذا وافق القادة الثوريون على انه كان يجب الغاء عدد معين من التنظيمات وبالتالى تضييق حرية اقامة الجمعيات .

هل يوجد ما يشق الطبقة العمالية ؟

كان الموقف الثورى فى المراكز المدينية الكبرى معقدا بمشاكل خاصة ، أحدها تدفق عدد كبير من « الشغيلة » الى المدينة « عائدين من الريف » .

---

(١) جريدة **ايوتيين شانباو** صادرة عن جماعة تونغفا نفهون من وزارة البريد ، بكين ٢٨ يوليو ١٩٦٧ .

(٢)رسالة اللجنة المركزية بتاريخ ١٨ مارس ١٩٦٧ .**هسينهوا سليكتد نيوزايتمز** رقم ١٣ (٢٧ مارس ١٩٦٧) .**هسينهوا نيوز اجنس** ، فرع هونغ كونغ .

(٣) **يومية الشعب** ، ١٥ مارس ١٩٦٧ انظر تحليل أخبار الصين رقم ٦٥٤ ص ٦ (٧ ابريل ١٩٦٧) .

ذلك انه كان من سياسة الحزب تقديرا للمناطق قليلة السكان ذات المناخ الصعب ، فى الغالب ، العمل على استخدام الفائض من سكان المدن فيها. وهكذا كان يرسل عددا من العمال من شانغهاى أو من تينستين ، اكثر أهلية تكنيكيا من الفلاحين ، الى مزارع الدولة أو الى حقول التنقيب عن البترول أو استغلال الغابات . فكانوا يذهبون لمدة طويلة الا أن جزءا يظل يأمل فى العودة ويعتبر العمل الذى يسند اليه مهمة ، « غزوة الى مكان بعيد » . الا انهم كانوا ، فى اكثريتهم لابد من بقائهم ارومة للسكان الجدد فى مساحات جديدة . وعلى هذا فان فى زيادتهم فى تعمير تلك المناطق لم يكن يتم باختيارهم على وجه العموم . اذ كان كثير منهم يذهبون دون رضاهم ، وهم يضمرون حقدا شديدا على الكوادر الذين اختاروهم لهذا المصير دون غيرهم من العمال .

كان عمال منطقة شانغهاى يرسلون فى الغالب الى سينكيانغ ، لامداد « هيئة الانتاج والتعمير » فيها ، أو الى غابات آنهوى . ومن منطقة تينتسين وبكين كانوا يذهبون الى منغوليا الداخلية أو الى منشوريا الشمالية ، بعضهم يذهب الى آبار البترول فى تاشينغ التى كانت تصبح مركزا صناعيا . وفى كانتون كانت لجان الحزب تجند شباب الأحياء لارسالهم الى مناطق الاستصلاح فى جنوب الصين ربما فى كوانسى أو فى كويشوى .

عندما امتدت الثورة الثقافية الى جميع فئات العمال فى أواخر عام١٩٦٦ وأوائل عام ١٩٦٧ أخذ غلاة المستائين من أولئك الرواد ينفثون السم الزعاف فى نقدهم للحزب . ولما كانوا غير مرغوب فيهم فى المكان الذى يعملون فيه وكانوا يطالبون بالذهاب للقيام بالثورة الثقافية فى ديارهم باسم الرئيس ماو فان السلطات المحلية كانت تدعهم يعودون :

> ذلك ان : « بعضهم كان يريد الرجوع الى شانغهاى . فان لم يحققوا مرامهم باشروا العراك مع كوادر المناطق المجاورة أو مع كوادر الاستصلاح .. » « وفى سينكيانغ أصيب الانتاج بضرر هائل بمغادرة عدد كبير من الشباب عائدين الى الأماكن التى جاءوا منها .. » .

وكما قال شانغ شون ـ شياو فى شرح الموقف للمتمردين الثوريين لتقريبه الى افهامهم . فان هؤلاء المعمرين ، الطلابين قد ركبوا القطار كالطلاب والعمال وعادوا يختلطون بأهالى المدن حيث عادوا يتجمعون فى تنظيمات خاصة .

وقد اختارت هذه التنظيمات فى أغلب الأحيان مرمى لهجماتها كوادر الأحياء . وهو ما كان يشكل انحرافا عن خط الثورة الثقافية بما ان هؤلاء الكوادر لم يكونوا المسئولين الحقيقيين عن الضلالات الماضية . وبدلا من أن يبحث هؤلاء الثوريون الحاقدون لأسباب شخصية ، عن « القلة الضئيلة » ، شنوا هجومهم على كتلة الكوادر الكبرى . فطاردوهم بالارهاب وبصورة غير مباشرة شلوا الادارة طالما استقر فقدان الأمن فى الأزقة .

كانت هناك اذن ثلاث مشاكل تتطلب الحل : فقدان عدد وحدات الانتاج (١) واختلال الكوادر وفقدان الأمن فى المدن .

---

(١) ذكر شواين ـ لاى وهو يتحدث الى عمال السكك الحديد فى ١٠ يناير ان عشرة آلاف شاب غادروا مركز البترول فى تاشينغ (ملصقات) .

لم ينفرد لا ال « عائدون من الريف » ولا عمـال شانغهاى بخطأ ضرب الكوادر جميعها بدلا من البحث عن أولئك الذين اقترفوا مسـاوىء حقيقة . ففى كانتون جرى « عزل » سكرتيرى لجـان الحزب الصـغير و « اظهـارهم للجماهير » . كانوا يلامون على انهم أرسلوا مئات الأشخاص الى معسـكرات العمل (١) . وفى بكين ضرب جميع الـكوادر ، أثناء بعض **الاسـتيلاءات على السلطة** ، دون تفريق بين الجيد والسيء منهم انطلاقا من مبـدأ سـوء الزعماء والاستغناء عنهم بعدئذ .

لذلك وجب على المركز ادانة هذا العمل بالانحراف الخطر فأعادت أجهزة الحزب طباعة نص كان ماوتسى ــ تونغ قد كتبه عام ١٩٢٩ للكفاح بصفة خاصة ضد الافراط فى نزعة التساوى . وفى ٢٨ ينـاير أعادت **يوميـة الشعب** نشر : « شجب التصورات الخاطئة فى الحزب » ، لتذكر بأن المساواة المطلقة ليست ممكنة (٢) ، وبأن الذين يقودون والذين يعملون من أجل الآخرين يجب أن يكون فى مكنتهم التميز بعض الشيء .

ولاعادة النظام فى المدن لجأ المركز الى الأمن العام تحت اشراف عسكرى وذلك لابعاد جماعات الضغط المنظمة فى تشكيل ثورى . وتبنت اللجنة المركزية فى منتصف فبراير نصـا يطلب الى المتمردين أن يدعوا البـوليس وشـأنه فى التصرف (٣) . ودلت الوقائع المختلفة التى أوردتهـا صحافة **الحرس الأحمر** على أن نوعا من التفويض قد أعطى **للجان الاشراف العسكرى** فى مختلف الأمكنة لتحييد عدد من التنظيمات دون الرجوع فى ذلك الى المركز . وبدت مبـادرة الأمن العام فى المقاطعات ، فى أواخر فبراير وأوائل مارس ، على جانب عظيم من الأهمية .

وما لبثت فى بكين وفى شانغهاى ، حيث عبىء نقد الجماهير ضد مؤلفات ليو شاو ــ شى ، أن حدثت ، بعد حقبة من التهدئة النسبية ، موجة جديدة من **الاستيلاءات على السلطة** فى مطلع شهر يونيو . ذلك أن بعض المتطرفين من **جماعة الثورة الثقافية التابعة للجنـة المركزية** قد وضعت فى ذلك الوقت خطة التسارع بالثورة الثقافية . فرأينا عندئذ عودة شعار « ضرب الكلب الموجود فى الماء » الى الظهور مع تعليق عنيف .

ونشر عدد معين من التنظيمات الثورية فى شانغهاى قرارا يعلن إنه لابد للثورة من أن تعود للمضى فى طريقها وأنه يجب استخدام الأمن العـام فيهـا لجعل دكتاتورية البروليتاريا مزهوبة الجانب . وكانت السياسة التى اختيرت فى ذلك هى اقحام اللجان الثورية فى ادارة السلطات الكاملة من أجل الثورة . ولابد من انزال العقاب (٤) بلا رحمة بأى شـكل من أشـكال المعارضـة ، بل والتناقض .

---

(١) ملصقات كانتون فى أوائل مارس .

(٢) انظر حول هذه الطبعة الجديدة كايبزوكا ــ « بونكاكاكومى توشوكون » فى **اساهى جيانارو** (١٩ مارس ١٩٦٧) ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) « بعض القواعد فى موضوع المساعدة التى يجب أن تقـدم للامن العـام فى الثـورة الثقافية البروليتارية العظيمة » .

(٤) للمقارنة بمقال لين شيبيه المزامن لهذا القرار . انظر الفصل الخامس .

وقد أحدث هجوم المتمردين الجديد موجة من التوقف عن العمل ، مرة ثانية . وفي هذه المرة اسقطت الادارة والكوادر الذين كانوا قد استمروا يمارسون وظائفهم حتى ذلك الحين رغم الاضطراب العمالي في مصانع الصلب بانشان وأكثر المناجم . ثم قادت لجان من العمال « الشغيلة » الى أرقام قياسية في الانتاج الا أن هذه الحماسة الملتهبة لم تدم الا فصلا ، واحدا . اذ لم يكن في الامكان سد النقص في بعض الخبراء وخاصة في المناجم ، فسببت مسألة الموظفين اللازمين للابار والعجز في المواد ، عددا من الارتباكات . ولذلك تنابذ العمال فيمن يتحمل المسئولية في ذلك فوجه المعتدلون منهم نقدهم الى المتمردين .

كان انتقال تنظيمات عمال ووهان الرجعية الى الهجوم حوالى ذلكالوقت تقريبا . وسوف نتطرق فيما بعد لأعمال العنف التى ضرجت المدن الكبرى بالدماء في يوليو وآب. فعلى أثر تحديات أحداالتشكيلات الرجعية ، رابطة سو Lien Ssu ، نادى **المتمردون** بالثأر ، في شانغهاى ، الا أن الاضرابات تفجرت ومرة أخرى حرمت المدينة من الكهرباء في ١١ آب (أغسطس) . فكان يبدو أن كل يوم يوشك ان يجلب نبأ هبات عمالية في مكان ما من الصين . وفي هذه الظروف رأينا في المركزين الرئيسيين ، نمو مبادرات مختلفة .

ففي بكين اتخذ رد فعل العمال شكل الاحتجاج الصامت . وفي ١٩ آب قاد « مؤتمر العمال » (١) الى الشوارع جميع أولئك الذين كانوا يعارضون الـ «قفزة الكبيرة في العنف الى الامام» . وكانت هيبة الموكب، بلاصراخ بالشعارات ولا تكرار ممل ، والاقتصار على مرور اللافتات ، تتباين مع التدفق المعتاد لمظاهرات الثوريين .

ولكن العمال في شانغهاى التمسوا الحق «للدفاع عن أنفسهم بالقوة» (٢) واظهروا خوفهم في آن واحد من الرجعيين ومن تصورهم الفردي لدكتاتورية البروليتاريا . فقد كانت نفس بعض التنظيمات تسول لها دائما التسلح للدفاع عن ذاتها . وتكلمت الجرائد على انشاء « منطقة عسكرية للحرس الأحمر في هوانغبو » (٣) وامتدحت الفرق المعدة لذلك وروحها القتالية العالية (٤) . غير ان شانغ شون ـ شياو حصل من **القيادة** العامة للعمال على أن تدعو بما لها في النفوس من ثقة ، بنداء عام الى الكف عن استخدام القوة . واذاع سبعة طلبات على المتمردين قرأنا بينها :

« لا يسمح للتنظيمات الجماهيرية ، حتى وان تعللت بامكان الدفاع عن النفس بالقوة ، أن تضع أو تنقل أو تستخدم سلاحا قاتلاً دون اذن . ويمنع استخدام السموم الكيميائية منعا باتا » (٥) .

---

(١) تنظيم **تحالف العمال** الذى كان يمثلهم في لجنة بكين الثورية .

(٢) بعد حوادث ووهان قالت شيانغ ، وبما باسم **جماعة الثورة الثقافية** ان الثوريين لن يكونوا ملزمين بعد الآن أن يردوا بالنقاش ولكن سوف يكون بامكانهم أن يردوا بالسلاح . ـ كلمات ٢٠ يوليو . ملصقات ٢٢ يوليو ١٩٦٧ في بكين .

(٣) اسم نهر شانغهاى واسم حى فيها .

(٤) **وينهوى باو** ، ٢٣ آب ١٩٦٧ .

(٥) **وينهوى باو** ، ١١ آب ١٩٦٧ .

لقد ذهبت هذه الجهود هباء اذ كانت الاتجاهات المتطرفة تقود الثوريين الى استعمال الوسائل المدخرة للاوقات الاستثنائية . وفى نهاية آب شـهدنا فى شانغهاى ظهور المحاكم الثورية . فقضت هـذه المحـاكم فى بداية الامر فى حالات الحق المشترك : مخالفة صاحب مصنع أو مشغل ، تاجر سوق سوداء لديه مائة ليرة من الحبوب أو عدد من بطاقات التموين . وبعد لأى علمنا بأن « محكمة شعبية من الدرجة الوسطى » قد حكمت على شخصين بالموت رميا بالرصاص وعلى ستة آخرين بالسجن بسبب دسائس معادية للثورة . وهكذا كان نظام « لجان السلامة العامة » يبدو على وشك القيام .

عندئذ قام ماوتسى ــ تونغ بجولة تفتيشية فى الشمال وفى الوسـط ــ الجنوبى وفى شرق الصـين . فقد أمكن لبعضهم أن يتوقعوا ذلك (١) عنـدما رأوا صحف شانغهاى تتحدث بسلطة لم تعهد من قبل وانها كانت تعالج قضايا كبرى أساسية (٢) . ففى ٢٥ آب (٣) كتبت بأن اصلاح الشروط الايديولوجية للعمل كانت **مهمة الحزب** .

كل شيء يدل على أن الرئيس ، وقد حلل الصراعات الحاليـة للطبقـة العمالية ، قدر أن الأمر الملح كان فى التحدث اليها عن مشاكلها بدلا من تأجيج أهوائها . اذ كان من الممكن تجنيبها المنازعات التى كانت تثير المركز لو أنهـا نظرت الى الثورة من وجهة نظر طبقيـة فقط . فالعنف الـكلامى الرامى الى أثارة حنق دكتاتورية البروليتـاريا ، « بدواع لاحقـة » ، كان يوقـد أوار مناقشاتها الداخلية .

وفى نهاية رحلته (٤) أصدر ماوتسى ــ تونغ تعليمات مقتضبة :

« لا يوجد اصطدام فى المصالح يمكن أن يكون أساسيا فى داخل الطبقة العمالية . ولا يوجد أى سبب ، فى شروط دكتاتورية البروليتارية ، يحتم انشقاق الطبقة العمالية الى تنظيمين لا يمكن أصلاح ذات البين بينهما » .

وفى الايام التى تلت حدثت استيلاءات على السلطة بصورة سلمية على مرأى من الجيش . وكان عـدد جماعات الجنود الصـغيرة التى كانت منـذ الصيف (٥) قد أرسلت الى المصانع ، فى مهمة « مساعدة اليسار » ولتعليم فكر ماوتسى ــ تونغ ، ضئيلا جدا بالمقارنة مع كتلة العمال : من خمسة الى عشرة عسكريين مقابل عدة آلاف من العمال . فلم يكن فى وسعهم أن يمارسـوا أى ضغط بالقوة . لكن هاتف الرئيس الذى يردده صوت الجنود المفرط فى حلمه،

---

(١) لم يعرف ذلك الا فى ٢٤ سبتمبر من وكالة الصين الجديدة .

(٢) كانت صحافة بكين أثناء تلك الأيام تسعر بالحملة ضد الانجليز وبالمجادلات الحـامية ضد ليو تشاو ــ شى .

(٣) **وينهوى باو** ، **تحرير** ، حياة الخلايا نشرت فى آن واحد سلسلة من الافتتاحيات الهامة .

(٤) من المحتمل ان يكون ذلك حوالى ١٢ سبتمبر : انظر مجلة بكين رقم ٤٠ (٢٩ سبتمبر ١٩٦٧) . وفى ١٤ سبتمبر وفقا **لاجيبا كيزاى جومبو** رقم ٧٤١ ص ١٦ .

(٥) أحيانا منذ مايو . وربما كان هناك فى يوليو ١٩٦٧ ما يقرب من مائتى بعثة عسـكرية فى مصانع شانغهاى وما يقرب من هذا العدد فى بكين .

وقد وصل فى فترة كانت غاية ماتتمناه الجماهير فيها هو توقف التوتر ، قد احدث فعل المرسب .

وما أن علمت الجماعات المتعارضة فى مصنع الجوارب والقبعات فى بكين بتعليمات ماوتسي ـ تونغ الاخيرة حتى اتحدت وبعد ستة أيام استولت بلا أية حادثة على ادارة المصنع المالية . وفى وزارة الصناعة الميكانيكية السادسة حيث كان اثنا عشر تنظيما مختلفا تتنافس أصلحت جماعة صغيرة من العسكريين ذات البين بين الثوريين بالعمل على أن يشاهدوا ، بالتناوب ، محاضرات لدراسة **فكر ماوتسي ـ تونغ** (١) .

وثمة تنظيمان ، فى مدينة شانغشا كانا يتقاتلان : « تحالف « الشغيلة » فى شانغشا» و «عاصفة نهر هسيانغ» . وكلاهما كانت له قيمة فى نظر **المركز** . وبفضل مساعى الجيش الحميدة اجتمع التنظيمان بعد أن قام كل منهما بنقد ذاته (٢) . وقد تبدو هذه النهايات مبتذلة بعد الحقبة السابقة . غير أن ثمة تغيرا سياسيا فى الامر يمكنه أن يفسرها ، جزئيا .

ان أعمال العنف المفرطة فى شهر آب قادت المركز الى ادانة اليسار المتطرف . ودعاة الامر الى اعلان بعض الاجراءات لتوطيد السلطة أخصها ذلك القرار (٣) الذى كان يتضمن تهديدا بتوقيف أجور كل من يدان بارتكاب العنف وربما كانت هذه هى المرة الاولى التى يلجأ فيها الى اتخاذ هذا الجزاء أثناء الثورة الثقافية . ولذا نتصور بأن جزءا من العمال قد أدرك هذا النداء للتعقل .

وفى تفسير العثور فجأة وبسهولة على حل لمنازعات متصلبة ، ثمة أمر آخر وهو العمل على أن تكون نتيجة لتراضى التحالف فى صميم اللجان الثورية والجماعات التحضيرية المعينة من قبل المركز لتشكيل اللجان الثورية . وقد أدركت هذه اللجان ـ سواء أكانت على رأس المدن أم فى أقسام الادارة ـ انها، اذا ما تم التنصل من اليسار المتطرف ، تستطيع كسب قليل من الاستقرار لها بفرض نهاية لهذه المعارك السيئة . وعندئذ لايبقى ثمة خيار لدى أكثر أعضائها التزاما ، الا الاقدام على الانشقاق والعمل على اسكات أحزابهم .

الا أن عددا كبيرا من المنازعات استمر . ولكن تظاهرات المتمردين المصرين على المضى الى النهاية ، كانت أقل أحيانا . وتكيسوا وناموا على مطالبهم بالبروليتاريا المسلحة ، ليس دون مضض ، وانتظروا الساعة التى قد تشرك فيها مطالب اجتماعية جديدة للعمال ، الجماعة من جديد .

---

(١) انظر **يومية الشعب** فى ٢٧ اكتوبر ١٩٦٧ .

(٢) بمساعدة الـ « جماعة التحضيرية للجنة الثورية » ورفاق مسئولين عن الوحدة ٦٩٠٠ حصلت مناقشة بين الجماعتين اعترفتا فيها بأخطائهما واقرتا بأن الانقسام لم يكن معقولا ـ وذلك فى نوفمبر ١٩٦٧ وفقا لاذاعة الراديو المحلى ، انظر كذلك C.N.A. رقم ٦٩٤ ص ٦ .

(٣) قرار أول سبتمبر ١٩٦٧ صادر عن لجنة بكين الثورية . عقدت اللجنة الثورية جلسة موسعة بمشاركة بعض القادة الكبار . وعلى الرغم من انه لم يكن لهذه المحكمة طابع قومى فان القرار قد نشر فى البلاد بأكملها .

الأجر والايديولوجية :

كان على **المركز** ان يعمل على افهام العمال أن القضية الثورية القومية كانت تتطلب منهم العزوف عن أن يطمحوا من الثورة بتوفير منافع خاصة لهم. على أن عددا كبيرا من العمال ، بعد أن شجعتهم حركة الافكار فى شانغهاى ، كانوا يرون أن الثورة يجب الا تنفض دون أن تترك وراءها حدا أدنى من الديموقراطية العمالية ــ وفيما بعد طالبوا فحسب بحركة نقابية بلا وصاية .

ولما كانت سياسة الملهمين الحقيقيين للثورة ، تستهدف اعادة بناء الحزب فى النهاية ، فان المواضيع والأهداف المقترحة على الحركة العمالية كانت لابد لها من أن تأخذ بعين اعتبارها دور العمال القيادى للجماهير ودور الحزب فى تنظيمات الطبقة العمالية . وكان الثوريون العمال يفضلون لو يتأكد الدور القيادى لتنظيمات الطبقة العاملة فى الحزب . وهكذا فان بعض الالتباس قد جثم اذن على الشعارات المتخذة بصفة مشتركة . وكان أكثرهم تساهلا أولئك الذين كانوا يرفضون النقابات القديمة ذلك انه كان فى الوسع أن فى اطارها اتجاهات متعددة ، بخلفيات فكرية متباينة .

وهكذا كان بعضهم فى مطلع ديسمبر ١٩٦٧ يعلق الاعلانات فى شانغهاى وفيها : «اننا لانريد النقابات القديمة» . وكان هذا يعنى ، فى الواقع ، عدة أشياء . فالمسئولون من **القيادة العامة للعمال المتمردين** ، الذين كانوا يعلنون أن تنظيمات تجمعهم ، كانت تنظيمات طبقية للطبقة العاملة (١) ، انما كانوا يحسبون أن الحركة النقابية الجديدة سوف تكون قبل كل شيء حركة العمال **المتمردين** .

وكان العمال الذين لم يكونوا **متمردين** ، يرفضون من جهتهم النقابات القديمة لانهم كانوا يكرهون وصايتها السياسية . وكانوا يرون أن الثورة لابد من أن تجلب لهم حق الدفاع عن مصالحهم الاجتماعية دون المرور بالحزب، أما **المركز** فقد كان فى وسعه ، عند اللزوم القبول بأن يتفق جميع العمال الذين يتحدون تحت شعار واحد لرفض الجهاز القديم والطرائق **التحريفية** للنقابات القديمة .

وفى ديسمبر ١٩٦٧ تجنب القادة الثوريون أن يوضحوا عن كثب المعنى الذى كان يعطيه جميع الفرقاء للشعارات المشتركة . فلم يقوموا بأى توضيح قائلين . انه لم يكن لعصبة من العمال حق الكلام باسم الجماهير أو الحزب . فكان عدد من تجمعات التنظيمات ، كذلك التجمع بين التنظيمات الذى حصل فى شانغهاى منذ قليل حصيلة لعمل سياسى طويل وصعب وكان لاينبغى افساد نتيجته .

لقد احتفل بمؤتمر المتمردين الثوريين العمال فى شانغهاى ، لدى ميلاده، فى ٣ ديسمبر ، بسلسلة من الخطب (٢) . فحدد أحد مسئوليه وانغ هونغ ــ وين نقطة العمل العمالى وامكانياته :

---

(١) خطاب وانغ هونغ ــ وين ، لدى الاحتفال بانشاء مؤتمر المتمردين الثوريين العمال فى شانغهاى يوم ٣ ديسمبر ١٩٦٧ فى تحرير رقم ٦٧٣٩ (٤ ديسمبر ١٩٦٧) .

(٢) كان تكوين المؤتمر العمالى يلى تكوين مؤتمر طلاب شانغهاى .

« أيها الرفاق ، نحن جميعا عمال عاديون ، الكتلة الهائلة للثورة الثقافية البروليتاريا العظيمة ، المتراس لعمل أولئك الذين يحملون على عاتقهم عبء قيادتنا ..
ان مستوانا السياسي ومستوانا الايديولوجي غير مرتفع كثيرا وتجربتنا فى العمل مازالت بعد ضعيفة .. فيجب أن تكون لدينا الشجاعة للالتفات نحو الشيوخ من الكوادر ونحو الشباب منهم لكى نتعلم » . (١)

غير أنه فى مقاطع أخرى ردد صدى كلام أولئك الذين كانوا يطالبون بتشديد قبضة دكتاتورية البروليتاريا .

« ان الطبقة البورجوازية تسخر من مستوانا ! الا أنه لا خوف والحالة هذه ! اذ أننا نستطيع أن تكافح ونحن نتعلم فى الكفاح وأن نعمل ونحن نتعلم في العمل» . «يجب أن نخلق الظروف بصورة فعالة وأن نقوم بجميع الاستعدادات لتسليح العمال» . (٢)

هل كان يقصد بذلك أنه يجب تسليحهم بفكر ماوتسى ــ تونغ أو تسليحهم بالسلاح حقيقة ؟ فقد وردت فى هذا الخطاب ، المعتدل من جانب آخر ، عناصر ، كانت جماعات العمال الاكثر انعتاقا تستطيع العثور فيها على مبررات للمعركة .

كان تكوين مؤتمر العمال ، بالنسبة للمركز يشكل قبل كل شيء مرحلة فى الطريق الى اعادة بناء الحزب . وهذا هو الموضوع الذى أفاضت فيه صحافة شانغهاى خلال تلك الأيام (٣) . فقد أفضت سياسة قيادة الثورة اذن الى تأطير جزء من المتمردين العمال . ولنقل انه تأطير غير تام ، اذ كانت تلك التشكيلات الموالية دائما لشانغ شون ــ شياو تتطلع فى مقابل ذلك الى فرصة الاشتراك فى الحزب الشيوعى المجدد .

وفى نهاية العام جرى توزيع قسم من الارباح فى بعض القطاعات وحصل العمال المؤقتون على وعود بتسوية حالتهم بأحوال العمال الآخرين . ورأى المركز الخطر فى أن يدع الشك يحوم حول مشروعاته للاصلاحات الشيوعية فى فترة لم تكن فيها الجبهة العمالية قد هدأت بعد تماما .

لذلك أذاعت اللجنة المركزية فى ٢٨ ديسمبر قرارا لتثبيت مؤهلات العمال وأجورهم . فكان ذلك أسلوبا لتهدئتهم بالعمل على اعلامهم بما هو مكفول فى الوقت الحاضر . ثم جاء قرار آخر بعد عشرين يوما (٤) ينبيء بأنه

---

(١) تحرير (٤ ديسمبر ١٩٦٧) . والكوادر المسنون هم الكوادر القديمة المتحالفة . والكوادر الشباب هم الثوريون الذين يملأون وظائف الكوادر .

(٢) انظر **تحرير** ، ٤ ديسمبر ١٩٦٧ .

(٣) انظر **تحرير** ، ٢ ديسمبر : « ان الكوادر والجماهير بنفس الاندفاع ينتقدون بغضب جامح الخط التحريفى فى مادة بناء الحزب . » ونشرت **وينوى باو** فى ٥ ديسمبر أربع صفحات من الاستشهادات حول بناء الحزب مقتبسة من نصوص الثورة الثقافية .

(٤) ذكرت قرارات اللجنة المركزية ليوم ٢٨ ديسمبر ١٩٦٧ ويوم ١٨ يناير ١٩٦٨ فى **كوانغتيه تسونغو** ، جريدة المتمردين فى السكك الحديدية ، كانتون ، رقم ٢٨ ، بتاريخ فبراير ١٩٦٨ .

قد أصبح من الممكن مباشرة اصلاح لائحة « الشغيلة » المؤقتين ، بعد التحقيق والبحث المفصل فى الظروف المحلية . ولكن المركز أدان عندئذ الامتيازات التى كانت قد منحت دون مراعاة لسياسة الثورة الثقافية . فأورد السلف المقدمة وتنصل من أعمال الكوادر الذين منحوا تلك التسهيلات وأمرهم باجراء نقدهم الذاتى .

كان المركز يوضح عندئذ الخطة الاقتصادية القومية لعام ١٩٦٨ ، فيجد نفسه أمام حقائق لم تكن تسمح بالتسوية . ولكن تشدده فى سياسته أحدث موجة جديدة من الاضرابات لم يكن لها اية علاقة **بالاستيلاءات على السلطة** .

لاشك فى أن الاضرابات أثرت على عدد معين من القطاعات . غير أننا عرفنا مداها وخطورتها من البرقيات الصينية بصورة خاصة عن الوضع فى المناجم(١). فمنذ أيام **الاستيلاءات على السلطة** فى شهر يونيو كانت ادارة المشروعات ضعيفة جدا أمام الجماهير فى جميع الوحدات التى لم يكن فيها الـ «تحالف» قد تم . ولم يكن الكوادر مطاعين وكان الكوادر التكنيكيون لايتعاونون طواعية مع الادارات الجديدة وكانت هذه الادارات التى تمثل عصبة أكثر من تمثيلها للسلطة العمالية تمارس الاسلوب الفوغائى للابقاء على نفسها .

كان عدد من الثوريين يقولون : « ان يوم الثمانى الساعات قد فرضه علينا النظام المقيت . فاذا كنا قد ثرنا فذلك لاسقاط التدابير . «وكانت الصحافة الرسمية تلح على الاستجابة لهم وقد نشرت المحادثة التالية فى الصفحة الاولى من **يومية الشعب** بأسلوب المثل الأخلاقى (٢) . فقد تناقش معدن مسن مع معدن شاب على النحو التالى :

المسن : «ان نظام العمل المحدد بثمانى ساعات فى اليوم هو أحد الانتصارات التى حققتها الطبقة العاملة بكفاحات طويلة . انك تضع كمبدأ بأن اخراج مزيد من البئر يعنى التمرد ضد النظام القديم ولكن لماذا لا تخرج من البئر ببطء ؟ فكلما قضينا فى العمل من الساعات استخرجنا فحما للدولة . أرى انك مصاب بعدوى الافكار الفوضوية ...»

الشاب : «أجل اننى اخطأت . لم أكن على رأس العمل منقادا لنظام الثمانى الساعات الذى أقامه الرئيس ماو من آجلنا .. » (٣) .

وعلاجا للاخطار التى كانت تضغط على الاقتصاد كان لابد من اتخاذ الاجراءات . فجرت لذلك محادثات هامة بين أعلى قادة فى الحزب ومجلس

---

(١) ذكرت انباء المكاتب الاقليمية لوكالة الصين الجديدة فى شهر مايو بمناسبات عديدة تدنى ارقام الاستخراج فى الشهور السابقة وذكرت تقدما فى الرقم القياسى للانتاج فى شهر مايو.

(٢) بتاريخ ٢٩ فبراير ١٩٦٨ .

(٣) يذكر نبأ عن **هسينهوا** فى هوفى بتاريخ ٦ فبراير ، كذلك محادثة كان المعدنون المسنون يقولون فيها للشباب : « لم تعرفوا الكومنتانغ . انكم سعداء ولا تدرون بذلك بل انكم اذا كنتم تتحركون زمرا فان الفضل فى ذلك يرد الى ماوتسى — تونغ » .

شئون الدولة والجيش ، وذلك فى منتصف شهر فبراير (١) فى بكين . ومن المحتمل أن تكون المجالس الكبرى قد وافقت على انه كان يجب العمل على تغليب روح الحزب **التى هى الروح الجماعية** ، والعمل على تعاون الكوادر القديمة مع الجديدة على أن تستلهم ، قبل كل شيء ، الافكار الصحيحة من أى مصدر جاءت (٢) .

كان أحد موضوعات الدعاية يومئذ هو انه من واجب المسئولين فى اللجان الثورية الذهاب الى وسط الجماهير وانه اذا كانت بعض الاخفاقات قد سجلت فذلك لأن القادة لم يجلبوا لعمل رجالهم فائدة كافية . وضربت الصين الجديدة (٣) مثلا على ذلك منجما فى الشمال الشرقى ، فى الظاهر لتعليم كيف كان فى وسع المسئولين أن يعملوا لاعادة الكوادر المعزولين الى وظائفهم — وكان المقصود بهؤلاء كوادر الانتاج من رؤساء العمال أو قادة الزمر الذين لم يكن بامكانهم ، أو ربما كانوا لايريدون أبدا حتى مجرد العودة الى العمل خشية أن يضربوا .

كانت ظروف الاستخراج سيئة فى فبراير وبلغ العجز فى الانتاج حوالى ألفى طن فى ٢٠ فبراير . وكان بعضهم يقول : « ياللخسارة ! سوف نستدرك ذلك الشهر القادم . » «أرسلت اللجنة الثورية للمنطقة المنجمية الى اللجنة الثورية فى المنجم عضوين من الجماعة القيادية فيها ، قائدين لأكثر من ثلاثين كادرا ينتمون لادارة المنجم . » عند ذلك أكب الكوادر الذين أعادهم الى أماكنهم الـ «جهاز المؤقت» للمنطقة ، واللجنة الثورية التى لم تكن راغبة بهم معا على دراسة **فكر ماوتسى — تونغ** . وهكذا ضمتهم معا حلقة لدراسة مؤلفات الرئيس . اذ لم يكن فى وسع هؤلاء أو أولئك أن يرفضوا المشاركة فيها . فقد كانت تلك هى صيغة المصالحة التى كان يوصى بها القادة .

واستتبعت اعادة الكوادر الى مناصبهم توقيع الجزاء على أولئك الذين منعوهم عنها طيلة ذلك الزمن الطويل . وجرى تطهير لجنة شانغهاى الثورية فى أواخر فبراير (٤) . فاجتمعت اللجنة فى جلسة « موسعة » فى ٢٦ وفى يوم ٢٧ تظاهر تجمع عمالى من أجل «الاقتصاد والتقشف فى الثورة» ، وهى مسألة موجهة ضد الثوريين الذين ظلوا فى محلهم منذ زمن طويل ، قدامى الحرس

---

(١) وقد احتل لى فو — شون ، الذى لم يكن من القادة الايديولوجيين للثورة الثقافية ولكنه مسئول الخطة ، مكانا فى الاستقبالات التى تلت لم يكن فى مكنة دوره فى الثورة الثقافية وحده أن يبرره ، انظر بصفة خاصة استقبال ماوتسى — تونغ ولين بياو وستة من القادة لوحدات من الجيش فى مهمة الدعم « لليسار وللصناعة والزراعة » بتاريخ ١٩ فبراير . الصين الجديدة رقم ٢١٩١٨ . (سلسلة فى اللغة الفرنسية) ، بكين ١٩٦٨ .

(٢) **وينهوى باو** (١٩ فبراير ١٩٦٨) « ما هو الطريق الذى يجب أن تسلكه اللجنة الثورية اذا ما تشكلت ؟ » .

(٣) **هسينهوا** من هاربين بتاريخ ٤ ابريل ١٩٦٨ (دار النشر باللغة الصينية) ، منجم شانغهاى .

(٤) وفى بكين كذلك أبعد عن الحياة السياسية عدد من المناضلين العمال الذين لمع لهم اسم فى الثورة . ففى ٤ ابريل ١٩٦٨ أوقف وانغ شينغ — جوى ، عضو مكتب دائم فى اللجنة الثورية فى بكين ولكنه مسئول عن « مؤتمر العمال فى بكين » منشق .

الأحمر ، الذين استقروا فى الثورة الثقافية كما لو كانوا قد وقعوا فى الجنة وكتبت احدى صحف شانغهاى تقول فى تلك الأيام :

« ثمة فصائل تريد ممارسة سلطة غير مشروعة بروح من العظمة » . (١)

ثم حدثت عقب ذلك افشاءات عن تنظيمات مسلحة من البروليتاريا . فتحدثت وينهوى باو (٢) عن هيئة تشكلت فى شانغهاى باسم الـ « هجوم بالقلم والدفاع بالسلاح» ، «قبضة دكتاتورية البروليتاريا الصلبة» ومن أجل «تربية الجماهير المتطرفة وارجاعها الى ذاتها .» «تلك الهيئة التى كان قائدها يكتب هو نفسه فى الجريدة ، «كانت تضرب» ــ ولاتعزل ــ «الحفنة الصغيرة» حيثما ثقفتها . وفى ذلك الحين كانت هذه الهيئة على اتم وجودها وتدير عددا من العمليات ، فلم يكن التنويه بها اذن فى الجريدة لوجه الله . وربما كانت لا تزال تتيح تحديا للجيش بالنسبة للسلطة فى اللجان الثورية . وعلى كل حال تم تطهير **وينهوى باو** (٣) بعد أن فتحت أعمدتها بزمن قليل لقائد هذا الحرس وبالضبط قبل هدنة أول مايو المعتادة .

لقد عملت اللجان الثورية التى تشكلت فى الحقبة الثانية على تأطير اشباع الثورة الاجتماعية بمساعدة الجيش الذى لعب فيها دورا رئيسيا . ومن جهة أخرى فان دواعى الانتاج فرضت نفسها دون تسوية . وادرك العمال بأنهم كانوا يتبعون دورة فى العمل لم تعد تسمح قط بالتكاسل الا بمقدار ماتسمح دورة الطبيعة للفلاحين . كان لابد لهم من أن يروا أنفسهم مشابهين للفلاحين، متفوقين عليهم فقط بالمعرفة التكنيكية التى كانوا يضعونها فى خدمة الشعب . وقد وضعت قواعد الخطة الجديدة لعام ١٩٦٨ موضع التطبيق فى مارس وفى ابريل. وكتبت **وينهوى باو** بعد أن تم اصلاحها عشية أول مايو ، تقول للعمال:

« يجب تسلم زمام الانتاج واصلاح ماكان غير مطابق للبنية الفوقية للاقتصاد الاشتراكى ، واطلاق حركة من أجل ادارة تقدمية وتحقيق التغيير الثورى فى زمر القيادة» .

ان القادة الذين كان لابد لهم من أصلاح أنفسهم والظهور بأنهم **تقدميون** لم يكونوا القدامى . وانما كانوا أولئك الذين تسلموا السلطة فى العام الماضى .

---

(١) « أين هى النقاط الحساسة ؟ » ، **وينهوى باو** ، ١٩ فبراير ١٩٦٨ .

(٢) ٢٨ مارس ١٩٦٧ و ٧ ابريل ١٩٦٨ .

(٣) لقد حدث تطهير **وينهوى باو** أثناء اجتماعات عامة لهيئة الموظفين فى ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ ابريل فقد كانت هذه الصحيفة تقدم انباء متنوعة جدا وتنشر كثيرا من رسائل القراء ، كان بعضهم يقول فيها انه كان لابد من القيام بثورة ثانية وباستيلاء جديد على السلطة ، وان الثورة الأولى اخطأت الهدف ولم تقد الى الديموقراطية .

الفصل السابع

اللجان الثورية الأولى

عندما وسعت المهمة الموكولة الى الطلاب الثوريين للعمل على تجريد قسم من هيئة لجان الحزب من السلطة ، كان من المستحيل ابقاء أولئك الطلاب وحصرهم فى دائرة النقد وحدها . فان التزامهم الذى عدله رد اللجان السريع والجسور من جهة ، والوضع الملح الذى أحدثته الاضرابات ، قد قادهم الى اتخاذ مكان فى الاركانات العامة لسياسة الثورة . وفضلا عن ذلك لم يكن فى الوسع ابعاد العمال عن هذا الأمر . فما ان انخرطوا فى الثورة وانتظم قسم منهم فى تشكيل المتمردين الثوريين حتى بات من المستحيل عدم الاعتراف بقدرتهم السياسية فى الأجهزة التى حلوا فيها محل الكوادر ليديروا الشئون المحلية .

بيد أن الاعتراف بدور الطلاب والعمال السياسى فى مؤسسات معينة كان يطرح مسألة ذات علاقة بأهداف الثورة الثقافية . ذلك أن هذه الثورة يجب أن تغلب تغيرا فى السياسة مع اشتراك الجماهير وتبديل الحزب باشتراك الجميع فى نقده أمر ضرورى وانما ليس بدخول الجميع فى مؤسسات الحكومة . ومع ذلك قرر المركز تعميم اللجان الثورية . الا أننا نظن بأن هذا التعميم ناتج عن اعتبارات تكتيكية لا عن اعتبارات ايديولوجية .

غير أن ثمة ارتباطا كان يصل اعمال الاستيلاءات على السلطة بالدعاية لسياسة جديدة من أجل الصين ، مطابقة **لفكر ماوتسى ـ تونغ** . وقد اجتاز العمل من أجل ذلك ، حقيقة ، طريقه اليه بتقويم سياسة اللجان القديمة . وهو ماعبرت عنه شيانغ شينغ فى خطابها الذى القته فى الاحتفال باللجنة الثورية فى بكين :

« ان مهمة الكفاح والنقد والاصلاح فى مختلف الادارات يمكنها أن تساعد بصورة أكمل على فضح المساوىء التى بذرها على جبهات متعددة ... (نظام ليوتشاو ــ شى) (١) وعلى نقدها بصورة أعمق»

---

(١) خطبة قصيرة ألقتها شيانغ شينغ فى التجمع الذى حدد تشكيل لجنة بلدية بكين الثورية (٢٠ ابريل ١٩٦٧) ـ **الصين الجديدة** ١٩٦٧ رقم ٤٢٢٠١٧ . (سلسلة باللغة الفرنسية) . يفسر هذا المقطع ومقاطع غيره كثيرة الاهمية ؟ المسندة لهذا الخطاب كنص أساسى للثورة الثقافية .

كان يبقى على المركز بعد أن تقررت الاستيلاءات على السلطة وبررت أن يقوم بتنظيمها أو على الأقل بتدوينها وأن يستخرج منها عملا اجماليا .

أما فى شانغهاى فقد جاءت الحركة من الأدنى . فقد كان رد فعل العمال الثوريين فى الاضراب وضع يدهم على مرافق المدينة ثم أقاموا قيادة . وجعل التحريض على تكوين أجهزة السلطة والتنويه بالأمثلة الأولى منهـا ، اقامة السلطة الثورية فى عواصم الاقاليم الأخرى ، تجرى بصورة عامة من الأعلى ، فيما بعد . اذ صار يحدث فى بداية الأمر استيلاء على السلطة فى مركز لجنة الحزب فى الاقليم ، وعلى أثر ذلك يقوم مركز ثورى محلى بتقديم حمايته للاستيلاءات على السلطة . ولسوف تصبح هذه الصورة المتخيلة ـ التى لاتنطبق مع ذلك على لجنة بكين الثورية ـ هى الشكل الذى تتم عليه اقامة اللجان الثورية حتى منتصف عام ١٩٦٨ .

غير أن هناك فارقا بين اللجـان الست الأولى وتلك التى تليهـا ، فيما بعد . ذلك أن العناصر التى مثلت الجماهير فى هذه اللجان كانت أكثر تسيسا من التى مثلتها فى اللجان اللاحقة . وكانت التنظيمات الثورية المستعدة للدخول فى اللجان منذ مطلع عام ١٩٦٧ ، على خط مستقيم فى الثورة . وكان اطمئنانها بل تغطرسها أحيانا يجعلها تزدرى كل تحالف مع تنظيمات جماهيرية أخرى . وعندما بدىء فى تطبيق التحالف الثلاثى عشر دون عناء على ممثلين نشيطين للجماهير يمثلونها فى اللجان الاقليمية من بين رجال **الحرس الأحمر والمتمردين الثوريين من القيادات العامة** . ولكن نزعتهم المصلحية فى الأفكار ، وعدم تسامحهم بازاء التنظيمات الأخرى شكلا مصدرا للمصاعب فى وجه اللجـان . ولذلك بات من الضرورى ، بعد مضى سنة اجراء عدد من التطهيرات .

كان المبدأ الذى يعطى للجماهير ثلث التمثيل يبرر تبريرا كافيا لكى تطمح جميع التنظيمات فى الدخول فى اللجان (١) . كانت جميعها تحسب نفسها

---

(١) روى شانغ شون ـ شياو ، فى خطبته بالثوريين فى انهوى ـ سبق ذكرها ـ كيف ناور بين التنظيمات التى أسست الكومونة فى شانغهاى والتنظيمات التى لم تكن حاضرة لتشارك فيها ، كما يلى : « عندما عقد ٣٨ تنظيما (مؤسسين) اجتماعا لاعداد وثيقة انشاء « الكومونة الشعبية فى شانغهاى » كان هناك ٢٥ تنظيما آخرين يعقدون اجتماعا لانشاء « الكومونة الشعبية الجديدة فى شانغهاى » . كانوا يقولون : « انكم لم تدعونا للمشاركة فى تنظيمكم . فسوف نسمى تنظيمنا « الكومونة الجديدة » ولذلك ستكون جديدة بالمقارنة مع كومونتكم » . وكان هذا يبتعث معضلة . فالثمانية والثلاثون تنظيما كانت تمثل الأغلبية فضلا عن أنها كانت بلا مراء متمردة . وكانت التنظيمات الخمسة والعشرون الأخرى تشكل أقلية وتتخاصم فيما بينها وتتراشق بتهمة المحافظة » .

« لقد عملنا فى اتجاهين » وشرح شانغ شون ـ شياو كيف دافع لدى التنظيمات التأسيسية عن توسيع قاعدة اللجنة ولدى اللجنة المركزية فى بكين لكى لا تعمل مكاتب الدعاية أى تمييز بين التنظيمات البادئة والتنظيمات التى جاءت تنضم اليها بعد ذلك . وعندما أخذ الخمسة والعشرون تنظيما فيما بعد يتوافد واحدها بعد الآخر للمساومة على الانضمام والمطالبة بالمنافع التى تعود على المؤسس مع التلويح بالاقلاع عن تأسيس كومونة جديدة ، أجاب شانغ بأنه لم يكن ثمة منافع للمؤسسين . فقد كان هو نفسه واياو وين ـ ايوان موفدين من قبل المركز للمشاركة فى السلطة السياسية فى شانغهاى على شكل الكومونة . ولم يكن فى الوسع أن تكون هناك الا سلطة سياسية واحدة . وعلى هذه التنظيمات أن تفهم ذلك . ثم قال شانغ بأن التنظيمات التى كانت تريد تأسيس « الكومونة الجديدة » « قد أسقط فى يدها » .

صالحة وقادرة ، وجميعها نصبت نفسها فى خدمة فكر ماوتسى ـ تونغ . الا أن الواحد منها كان يستبعد الآخر بما تتبادله من مآخذ على مواقف المقاومة والتعاون بازاء «سلطات» الحزب. ووراء هذه المآخذ كانت تكمن أحيانا خلفيات لجماعات اجتماعية . فعلى سبيل المثال لم يكن التحالف العام مع العمال حسنا بالنسبة لكثير من الطلاب لأن العمال لم تكن لديهم روح التضحية بلا حدود .

ففى سيان كان الطلاب منقسمين بين أكثرية لاتعرف التساهل وجماعة شياوتا التى انضمت بلا تحفظ الى المتمردين العمال . وقد أثار الأولون مشاجرات مع العمال بسبب ذهابهم الى المنجمين يدعونهم للتميز بضرب أرقام قياسية فى الاستخراج (١) .

كان من الصعب على المركز أن يقول عن تنظيم انه أسوأ من الآخر فى نظر الثورة الثقافية ، وأنه أقل جدارة من تنظيم آخر للاشتراك فى المؤسسات ومع ذلك كان يجب التثبت من عدم اندساس جمعيات رجعية حقيقة فى الاتحادات وفى اللجان . فان ماوتسى ـ تونغ نفسه قد أكد على أن ماكان يجب عمله فى هذا الشأن أصعب مما كان يطلب أيام الحروب الثورية لان العدو فى ذلك الوقت كان ظاهرا للعيان على حين أن «المسائل التى تنشأ ـ الآن عن الأخطاء الايديولوجية والمسائل التى تنشأ عن التناقض بين العدو وبيننا توجد مختلطة» و «لايتوصل الانسان ، مدة من الزمن ، الى أن يرى فيها بوضوح» (٢) .

غير أن غياب الخطة المتفق عليها سلفا وفجائية التعليمات الصادرة عن المركز لتحقيق اللجان الثورية بتعميم تجربة عاصمتين أو ثلاث من عواصم الأقاليم ، كان من نتيجتهما أن المنفذين تصوروا تكوين اللجان من خلال أفكار مختلفة . وقد أضر بعض هذه الافكار بالمؤسسة أكثر مما ساعد على تقريبها للافهام . وهكذا فان جماعات عديدة رأت أنه كان لابد من أن تقتصر اللجان الثورية على الثوريين البروليتاريين الحقيقيين، أى على الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين وعلى الكوادر المنحدرين من أصول بروليتارية حقيقية ، وحدهم . وكانت هذه الفكرة فى أساسها تبذل وسعها فى تقديم تفسير ماوى لتكوين غير متوقع . ولكن اللجان بالنسبة لقادةالثورة الثقافية كانت مؤسسة وظيفية أكثر منها حصيلة للأيديولوجية .

كان المثل الأعلى يمكن أن يكون اظهار الكوادر ، لاعتناقهم الاتجاه الجديد ، على رأس جميع الأقاليم ، وتوليهم بصورة عفوية لقيادة الاستيلاءات على السلطة. مما كان من شانه فى الحقيقة أن يتجنب اقامة لجان ثورية مصطنعة . وعلى هذا ، لم يكن مما يرغب فيه أن تعاد فى كل مكان تجربة شانغهاى لأسباب عديدة : مستوى الوعى السياسى لدى جماهير الأرياف ، ارتباكات الثوريين المنتصرين عندما كانت تتكشف لأعينهم عدم أهليتهم . وثمة قادة جماهيريون جيدون كان يمكن أن يكونوا «ثروة ثمينة للحزب» (٣) .

---

(١) انظر اندرو واطسن ، « تفادى المعركة الفاصلة » ، **مجلة اقتصاد الشرق الأقصى** ، ٢٥ مايو ١٩٦٧ ص ٤٥١ .

(٢) عبارات واردة فى تقرير لين بياو الى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى ، **أنباء بكين** رقم خاص بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٦٩ ص ١٨ .

(٣) **الصين الجديدة** ، ١٩٦٧ ، رقم ٢١٠١٧ . (سلسلة فى اللغة الفرنسية) .

لكن الكوادر الذين اخضعوا مقاطعتهم قليلون جدا . وعندئذ عين المركز جماعات تحضيرية لتقود الى تحالف الكوادر والجماهير واعداد لجنة ثورية . ولم تكن بحصر المعنى هي اللجنة الثورية المصطنعة ، لكن كثيرا من السلطة كان يرتكز الى رجال متولين من قبل المركز . واذا كان هـذا المركز يسلك هـذا المسلك ، فلاشك ، أن ذلك كان لايزال ، مرة أخرى ، لانه يواجـه مشـكلة استعفاء حقيقى من قبل الكوادر .

لقد قال شواين ـ لاى فى ٣٠ ابريل ١٩٦٧ ، «ان القاء نظرة واحدة على الوضع اليوم يدلنا بأن غالبية الادارات تطلب الاشراف العسكرى » (١) . وقد آلت الأمور الى هذه الحالة لأن المرافق العامة لم يكن فى وسعها العمل رغم أن الموظفين كانوا يحضرون من أجل العمل . الا أنهم كانوا سلبيين بل يعانون من الجروح . ففى ربيع عام ١٩٦٧ كان احساس الكوادر أن الثورة الثقافية كانت قد تمت مجانبة لهم وضدهم وانها كانت مسألة طلاب اتخذت أبعادا مخيفة ، ولكنهم لم يكونوا يفهمونها فى الأساس .

ومنذ الآونة التى فرضت نفسها فيها قلة ضئيلة من الكوادر كان لابـد للمركز من أن يفكر باستخدام كوادر تنظيم الحزب فى الجيش . فقد كانوا بوجه عام فى منأى من النقد وفى وسعهم أكثر من الآخرين أن يعملوا على اعادة بنـاء الحزب .

غير أن فصل اللجان الثورية الذى يتم هو كذلك ، من سخرية القدر ، فصـــل الجيش . ومرد ذلك الى أن الجيش لم يتقدم الا بعد اخفاق القوى الثورية ، يومئذ كان الوضع قد تردى الى حد ، لم يعد فى مكنة اية قوة التوصل الى اقامة لجنة ثورية فى وقت قصير . وكانت هذه هى حالة نانكين . كما يرجع هذا كذلك الى أن الجيش لم يحسن تفسير السياسة المطلوب اجراؤها ، واعتقد بأن المسئوليات المؤقتة التى أوكلت اليه كانت تســمح له بفرض الصمت على جميع المخاصمات الايديولوجية . وقد أصبح الفعل فى أمر تسليم اقامة السلطة الى الجيش محظورا عندما كبح هذا الجيش بوسائله القوية الضغط الثورى من الأدنى . وبدافع الخوف من اختلال النظام قدم العسكريون مصرفا للجمـاهير فتصلب الأطراف فى مواقعهم بدلا من أن تظل مرنة قابلة للتحالف . وقد أدى ذلك الى حوادث بالغة الخطورة فى ووهان .

المبادىء

لقد قدمت هيلونغكيانغ **Heilung Kiang** ، عاصمة هاربين ، الاقليم الشمالى من الصين المحاذى لمنشوريا ، المثل الأول لل «تحالف الثلاثى» . فان بان فو ـ شينغ ، السكرتير الأول للجنة الحزب فى الاقليم نقد نفسه ذاتيا آخر الاجتماع الموسع الحادى عشر للجنة المركزية وقدم دعمه للقضية الثورية (٢) .

---

(١) كلمة لشواين ـ لاى فى مجلى الوزارات وموفدين مختلفين ، القاها فى قاعة رئاسة مجلس الوزراء يوم ٣٠ ابريل ١٩٦٧ ، الساعة ٢٣ (رسالة ثورية) .

(٢) يروى كتيب صغير ، بعنوان **التجربة الأساسية للمتمردين الحمر فى هيلونغكيانغ فى كفاحهم لتسلم السلطة** ، اشترك فى كتابته « عدد من الرفاق القادة المتمردين » ، نشره جنمين شوبانشه وطبع فى كانتون فى فبراير ١٩٦٧ ، أحداث يناير ١٩٦٧ فى هاربين .

ويروي ال «متمردون الحمر فى هيلونغكيانغ» كيف جاء اليهم ذات يوم فى مطلع يناير :

« لقد توجه الرفيق بان فو ـ شينغ ومسئولون عن المنطقة العسكرية لهذا الاقليم ، بمبادرة خاصة منهم الى القيادة العامة المتحدة فى الهدف للمتمردين الحمر فى هاربين ليبحثوا كيف تستلم السلطة . فاقترحت القيادة العامة من جانبها قبول الرفيقين بان فو ـ شينغ و وانغ شيا ـ تاو (١) فى اللجنة الثورية للمتمردين الحمر فى هيلونغكيانغ التى ترمى الى تأسيسها » .

وفى ١٢ يناير استولى المتمردون على الصحف وعلى محطة الاذاعة وعلى مكتب الامن العام حيث جرت مقاومة على جانب من الحدة ولكن « اليسار فى هذا المكتب قام باحباط جميع المناورات » . وقام عدد من التنظيمات اليمينية بهجوم مضاد لاستعادة الصحف . عندئذ شهر الجيش سلاحه وفرق هذه التنظيمات فى ٢٦ يناير (٢) . وأرغم أحدها وهو تنظيم جونغفوشون ، وكان قد اعتصم فى « قصر الصداقة » فى هاربين ، على الاستسلام . ووطد الجيش وضع يد المتمردين على الصحف (٣) و « سجن قادة التنظيمات الثورية المضادة » . وفى ٣٠ يناير « اجتمع » بان فو ـ شينغ والمسئولون عن المنطقة العسكرية والمسئولون عن « المتمردين الحمر » ـ « الأطراف الثلاثة » ـ « فأخرجوا الى الوجود أول بلاغ » وما ان تمت اقامة اللجنة الثورية رسميا فى ٣١ يناير حتى هبت الصحافة القومية بتقديمها كنموذج فكتبت **يومية الشعب** :

« على المتمردين الثوريين ، ومع النظر بعين الاعتبار الى المعطيات الملموسة للكفاح فى منطقتهم ، أن يظهروا بوضوح سياسة الحزب وخطه الموجه : الاتحاد من جهة بالمتمردين الثوريين من مسئولى لجنة الحزب الاقليمية الرئيسيين الذين يطبقون الخط الصحيح للرئيس ماو ومن جهة أخرى بالمسئولين الرئيسيين فى جيش التحرير الشعبى ، وبعد أن يصبح الأطراف الثلاثة شخصية واحدة ، انتزاع السلطة معا (٤) » .

كانت القيادة الثورية تدعو المتمردين اذن الى التفتيش عن مرتكزات فى صميم الأهداف الرئيسية **للاستيلاء على السلطة** : لجان الحزب الموجودة على رأس المدن والمقاطعات . بل كانت لحالة هيلونغكيانغ صفة فريدة بما ان الزعماء المجليين هم الذين ذهبوا للقاء المتمردين . وثمة سلطة تستند الى الخط

---

(١) جنرال قائد المنطقة العسكرية فى هيلونغكيانغ .

(٢) انظر موتاكوتو نو شوزين ، طوكيو ، ١٩٦٧ ص ٥٧ ذكر سابقا .

(٣) انظر يومية الشعب بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٦٧ .

(٤) يومية الشعب بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٦٧ : « مثل طيب على الكفاح الثورى البروليتارى لانتزاع السلطة » . الصين الجديدة ، ١٩٦٧ رقم ٠٢١٠١٧ (سلسلة فى اللغة الفرنسية) . يقدم المقال دراسة مفصلة جدا للمسلك المطلوب تجاه مختلف فئات الكوادر ، تبعا لموقفهم السياسى .

القيادي للحزب ، كانت تذكر المتمردين أن يعوا بأنهم كانوا يعملون لخيرالحزب: فالثورة ليست مغامرة ٠

كل ذلك كان يشـــكل نظرية في الأدوار المتعلقة بالمتمردين والكوادر ٠ وبما كانت هذه النظرية مفرطة في المثالية بعض الشيء وان مثل هيلونغكيانغ كان في غاية الكمال بعض الشيء غير أن المركز يبـدو أنه في كثير من الأماكن ، كان يعتمد على أن الكوادر كانوا سيبدون استعدادهم لقيادة الجماهير على منوال بان فو ــ شينغ .

وعلى هذا كتبت مجلة هونغشي في ١٠ مارس ١٩٦٧ (١) ، دالة الى أية درجة كان لا يزال الأمل الكبير معلقا عليهـم فقالت : « يجب العمل على جعـل الكوادر الثوريين يقومون بدورهم ، على التمام ، في اشتراكهم بالجهاز الموقت للسلطة المؤلف من ال « اتحاد الثلاثي » ولسوف يجب عليهم القيام بدور النواة في هذا الجهاز ، وأن يكونوا فيه العمود الفقري وأنهـم يستطيعون ذلك » ٠ وكان متمردو هيلونغكيانغ يتباهون بأنهم عرفوا كيف يفســحون مكانا للكوادر بصورة أكثر حكمة من زملائهم في شـانغهاي ، وكانوا يقولون : انهم لن ينقلوا بصورة ميتافيزيكية وآلية التجربة التي حاولتها مناطق أخرى فيالصين(٢)» . الا أنهم ربمـا كانوا لا يقـدرون حظهم في أن ســكرتير أول الحــزب قدم لهم مساندته ، تقديرا كافيا ٠ على حين كان الشقاق يسود شانغهاي في ظل لجنة من الحزب مترددة في قيادة رد الفعل على وجهه الأكمل بمقدار ما هي مترددة في تدعيم المتمرين ٠ وفي أكثرية الأقاليم الأخرى قاتل « صقور » جهاز الحزب ضد تنظيمات الجماعة المركزية للثورة الثقافية بوسائل بوليسية ٠ ثم وضـع المتمردون ورجال الحــرس الأحمر أولئك الذين اســتطاعوا التغلب عليهم في اقامة تحت المراقبة (٣) .

ومنذئذ اجتهد المركز للعمل على الاقرار بأن كثيرا من الكوادر كانوا قد رفضوا بخلاف الأصـول وأسيئت معاملتهم ٠ وقد صــدر القول عن بكين بأن اظهار المذنبين في الاجتماعات كان تكتيكا سيئا (٤) واتخذت تجمعات النقـد ، شيئا فشيئا ، أعذارا أخرى ، فاتجهت في ذلك الحين ، الى نقد ليوتشاو ــ شي ٠

كانت مشكلة الكوادر اذن ، أيا كان الوجه المتخذ ، انهم كانوا يتخلون عن أماكنهم . والذين كان الجيش يحظى بهم في صفوفه شــكلوا بديلاً . فمن

---

(١) «التحالف الثورى الثلاثي» ، هونغشي رقم ٥ . يومية الشعب بتاريخ ١٠ مارس ١٩٦٧ ٠

(٢) « التجربة الأساسية للمتمردين الحمر في هيلونغكيانغ في كفاحهم لاســلام الســلطة » مصدر ذكر سابقا .

(٣) روى أ . واطسن كيف حوصر كوادر الحزب الكبار في سيان في مجلس اللجنة الاقليمية والزموا بكتابة نقدهم الذاتي الى جانب الزامهم بالقيادة بأعمال يدوية . ثم «أظهروا للجماهير» ذات يوم أثناء الاجتماعات الكبرى ، أو جرســوا بالطواف بهم في المدينة وهم في كاميونات ٠ مجلة اقتصاد الشرق الأقصى ١٨ مايو ١٩٦٧ ص ٤٠٥ ٠

(٤) انظر اندرو واطسن « المرحلة الأخيرة في نزاع سيان » ، مجلة اقتصاد الشرق الأقصى ، ١٨ مايو ١٩٦٧ ص ٤٠٥ ذكر سابقا .

أين كان العسكريون المشاركون في اللجان الثورية يأتون ؟ ان القيادة العسكرية هي التي كانت ترسلهم الى حيث كانوا ضروريين .

« من القمة الى القاعدة ، في جميع الادارات التي يجب الاستيلاء فيها على انسلطة كان لابد لممثلين عن القوى المسلحة أو عن الميليشيا من أن يشاركوا في تكوين التحالف الثلاثي ..

وكان لابد من أن يرسل ممثلون للقوى المسلحة (الى اللجان) اعتبارا من مستوى الهسيين Hsien وممثلون عن الميليشيا في مستوى الكومونات ودون ذلك (١) » .

على أن درجات الأجهزة الجديدة كانت متنوعة . كان المرء يجد فيها جميع أنواع الزمر المعينة ، عاملة على اتحاد اليسار وعلى اعداد اللجان . فان كثيرين من كوادر تنظيم الحزب في الجيش قد تلقوا مهمة بالمجيء الى هنا . وعلى المستوى الأدنى كانت هناك تجمعات التنظيمات الثورية التي كانت تشكل عددا من الـ « تحالفات » ، والتي جرت العادة على تسميتها « مؤتمرات » عندما تكون قد نشأت على مستوى الأقاليم أو المدن . وكان الكوادر من الخارج يتجنبون الانخراط فيها ويفضلون العمل لارتقائهم هم بالانطلاق من جماعات تحضيرية .

ان ما كان يدعى بـ « جماعة تحضيرية صغيرة في اللجنة الثورية » ـ من أجل **وحدة** ، جامعة أو اقليم كان عبارة عن زمرة ميزها المركز أو لجنة ثورية موجودة من قبل ، للقيام بمثل ما قام به هاربين بان فو ـ شينغ **والمتمردون الحمر** والقيادة العسكرية : توحيد القوى الثورية ، العمل على أعطاء تفويض شعبي الى لجنة .

عندما كانت « جماعة تحضيرية صغيرة » تنجح في احاطة نفسها بذوي الادارة الطيبة ، فانها تشكل عندئذ جماعة تحضيرية موسعة . ولم يكن يدخل فيها من العناصر الا من كان يقر « التحالف » . وكان ذلك خطوة باتجاه اللجنة الثورية لأن الجماعة التحضيرية كانت قد جمعت انتسابات غير مشروطة . وأخيرا عندما يتم التوصل الى انشاء لجنة فانه كان يجب أيضا العمل على الاعتراف بها من المركز .

كانت الجماعة المركزية للثورة الثقافية ومجلس شئون الدولة يمنحان اللجنة شرعية توليتها اذ بدونها كان يمكن أن تنازل عليها . ولكنها ما ان كانت تثبت حتى تصبح عضوا مؤقتا في دكتاتورية البروليتاريا . وكل من كان سيعارض قراراتها سوف يعلن عنه بأنه مضاد للثورة .

ولقد اقتضى الأمر أحيانا كثيرة سلوك هذه العملية الطويلة . فالى جانب عدد من الأقاليم كانت عناصر اللجنة الثورية قد التأم شملها فيها في وقت سريع ، كانت أقاليم أخرى لا يظهر فيها الصراع بين التنظيمات والنقد الذي لا آخر له الموجه الى شخصيات أصبحت مع ذلك مقبولة لدى المركز . كما كانت أقاليم أخرى لا تصل الى مستوى الحوار السياسي فتظل قابعة تحت وصاية **الاشراف العسكري** .

---

(١) التحالف الثلاثي الثوري ، **هونغشي** رقم ٥ لعام ١٩٦٧ .

بيد أن دواعي المحافظة على النظام عملت على اعطاء الأجهزة المؤقتة مبادرة واسعة المدى (١) • فحتى ان « جماعات التحضيرية » نالت سلطة لتأمين « النظام الثورى » • وهكذا كانت هذه المرحلة دقيقة جداً لأنه لم تكن للجماعات المؤقتة ولسلطات **الاشراف العسكرى** قاعدة شعبية • وقد أصبح كل شيء معقدا عندما كانت اللجان الثورية لا تشكل بسرعة •

اللجان الثورية الست الأولى التى تم تشكيلها :

كانت اللجان الثورية الست الأولى هى لجان هيلو نغكيانغ وشانتونغ وكويشو وشانسى ، ولجنتا المدينتين الكبيرتين : شانغهاى وبكين • ففى شانتونغ وكويشو شابهت مجريات الأمور ما حدث فى هيلو نغكيانغ ، وان كانت قد تمت ببساطة أكثر ، وبنموذجية أقل • فان عددا من التنظيمات الثورية اقتفت فى البداية مثل شانغهاى فاتحدت ونادت بالثورة فى مدينة من المدن • فعل ذلك ثلاثة وعشرون تنظيما منها فى تسينغتاو يوم ٢٢ ينـاير • فأعلنت أنه كان يجب الاستيلاء على السلطة من **اللجان البلدية** لأنها قمعت الثورةالثقافية ، وشكلت هذه التنظيمات «لجنة ثورية متمردة فى تسينغتاو» . الا أن شخصا بارزا من الاقليم هو نائب عمدة تسينغتاو ، وانغ هسياو ــ ايو سرعان ما تولى قيادتها •

تحدت اللجنة السلطات الاقليمية فحددت بعض الكوادر السيئين وأمرتهم بأن يعتبروا أنفسهم مسجونين لمدة ثلاثة أيام ، وراعت جميع الكوادر الأخرى على شرط أن يعودوا الى العمل . وبكلمة اعترف عدد لا بأس به من التنظيمات العمالية والطلابية بزعيم فرض على هيئة الادارة البقاء على رأس عملها تحت القيادة الجديدة • وفى ٣ فبراير أزاحت هـذه القوة لجنة الحـزب الاقليمية واستبدلتها بلجنـة ثورية • فأيدتهـا ، بشيء من الضجة ، وحـدات عديدة من الجيش •

وفى كويشو حدث الاستيلاء على السـلطة فى ٢٥ يناير • وبعـد مضى ثمانية أيام ، ولعل ذلك بتأثير من شـانغهاى ، أرادت **القيادة العـامة الأولى** للمتمردين اجراء انتخابات • فقررت أنه كان يجب على وجه السرعة أن يعمـل المتمردون الثـوريون وفقا للطريقة الديموقراطية ، على انتخاب لجنـة ثورية مؤقتة مزودة بجميع السـلطات (٢) • غير ان أحـد الكوادر العليا فى الجيش :

---

(١) لقد اشترط بلاغ ١٤ مايو ١٩٦٧ عن اللجنة الثورية فى بكين ان أعضـاء دكتـاتورية البروليتاريا لا يكونون مكلفين بمهام ادارية فحسب ، بل عليهم عبء تأمين ال «نظام الثورى» ــ أى ضمنا البوليس (الأمن) والسلطة القضائية •

(٢) وفقا لما جاء فى **الصين الجديدة** لعام ١٩٦٧ رقم ٢٠٥٠٧ • (سلسلة باللغة وخلافا لتسينغتاو ليست كوميانغ مدينة صناعية كبرى . وكويشو هى مقاطعة متخلفة والمنقلب الذى آنت انيه الثورة فيها فاجأ المراقبين . كما فاجأهم كذلك تأكيد الثوريين فى كويشو على قيـادة الطبقة العاملة للثورة (أنباء **هسينهوا** لشهر ابريل ١٩٦٨) ، على حين أن تسلسـل الحوادث فى شانغهاى لم يقدم قوة لهذه القضية • ولا شك فى أن الاستيلاء على السلطة فى كويشو كان عمل اقلية عمالية ، ديناميكية جدا ، فى مدينة كوييانغ ، يقودها أشخاص من الكوادر عينـوا حديثا للمقاطعة بعد تطهير عام ١٩٦٥ •

لى تساى ــ هان ، وهو مفوض سياسى مساعد فى المنطقة العسكرية كان منذ ٢٥ يناير يعرض نفسه لزعامة الثوريين ورأس لجنة ثورية فى ٣ فبراير وصار قائد القوى المسلحة فى كويشو أحد نوابه فى رئاستها ٠

الا أن القصة بالنسبة لمقاطعة شانسى مختلفة بعض الشيء ٠ اذ حدث امتحان قوة مع اللجنة الاقليمية التى نظمت دفاعها ٠ وكان الكادر السياسى الذى تصدى لقيادة الجماهير : ليوكيه ــ بينغ (١) ، على علاقات سيئة بقادة الجهاز القديم ومن المحتمل بالتالى أن يكون كذلك بزملائه من سكرتيرية الحزب فى المقاطعة ، فى تايوان ٠ وثمة خصومة قديمة كانت تجعله معارضا لليوتشاو ــ شى ، بصفة شخصية (٢) ٠ فهل أثار التزامه بال « هبة الثورية » كراهية الكوادر لها ؟ وعلى كل حال فان اللجنة الاقليمية قدردت على القيادة العامة بانشاء قيادة عامة .

وفى ١٢ يناير طوق اللجنة الاقليمية أكثر من عشرين ألفا من المتمردين واختطفوا كوادر عديدين وقاموا بالتفتيش (٣) ثم نصبت ال « سلطات » كما يقول الثوريون ، كمينا ، وقامت بعملياتها بالاستناد الى « **قيادة عامة سرية** » فحرضت عددا من التنظيمات العمالية عى مهاجمة المتمردين ٠ وعلى أثر ذلك انطلقت الاضطرابات ٠ واذ كانت تايوان مدينة صناعية وذات مناجم : فمن الممكن أن تكون الحوادث قد أتخذت فيها التحول الذى اتخذته حوادث شانغهاى وقد لعب مفوض سياسى من الجيش دورا شخصيا هاما (٤) فى التحالف العمالى ، قبل أن ينجذب الجيش بأكمله بصورة محسوسة الى الثورة ٠ وحصلت مشاورات طويلة بين الجيش والكوادر والثوريين ٠

وفى النهاية تم تعيين اللجنة الثورية فى ١٨ مارس ٠

وقد ضمت فى تشكيلها النهائى مائتين وخمسة وأربعين عضوا : أقل من النصف بقليل لممثلى الجماهير وأكثر قليلا من الكوادر والجيش (٥) ٠

وفى بكين أراد رجال **الحرس الأحمر والمتمردون** بادىء ذى بدء أقامة كومونة على غرار شانغهاى فقد تحالفت جماعتان ، كانتا تضمان من قبل ثمانية وخمسين تنظيما ، من أجل « اللجنة التحضيرية لكومونة بكين الشعبية » . فقامت هذه اللجنة تعلق ، بدافع من زهوها ملصقات بأحرف حمراء مثل أوامر اللجنة المركزية .

بيد أن **الجماعات المركزية للثورة الثقافية** ، وهى مازالت تحتفظ باشرافها المباشر على المدينة ، دفعت الى سياسة المؤتمرات التى تفصل الجماعات الاجتماعية فى مؤسسات القاعدة . وكان لابد من تشكيل أربعة مؤتمرات : للعمال وللفلاحين وللطلاب وتلاميذ المدارس الثانوية .

---

(١) نائب حاكم شانسى ٠

(٢) عارض ليو كيه ــ بينغ ارتداد الشيوعيين المسجونين لدى الكومنتانغ الذى أوصى به ليوتشاو ــ شى وظل هو نفسه فى السجن ٠ وقد روت ملصقات عديدة هذه الخصومة ٠

(٣) انظر **اجيا كينيزاى جومبو** رقم ٦٩٤ ، سبتمبر ١٩٦٧ ٠

(٤) شانغ جى ــ شينغ انظر **يومية الشعب** بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٦٧ ٠

(٥) **يومية الشعب** بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٦٧ ٠

وقد تولت **الجماعة المركزية** ، التى تنقاد لها **القيادات العامة** للطلاب هى نفسها أعباء مؤتمرهم : فكان هو « المؤتمر الأحمر » ، المشكل فى فبراير ٠ ولكن ذوبان التنظيمات الأخرى كان يتكشف بأنه أصعب فى التحقيق ٠ وفى حوالى اليوم العاشر من مارس كلف هسيه فو ــ شيه وزير الامن العام ونائب رئيس الوزراء بتحقيق المؤتمرات الأخرى ٠

كان هسيه فو ــ شيه جنديا يتمتع بتجربة الحزب فى الادارة (١) ٠ ان له شدة مراس العسكرى ولكنه مرن عندما يعنى الأمر ايجاد اتحادات والعمل على تبرير طرق الضغط ٠ وعندما انتقده الشارع فى فبراير على قسوة بونيس شيهتستينعشان ، أجرى نقده الذاتى دون أن يريم ٠ وفى أغسطس ــ سبتمبر عندما سقط وانغ لى فى مسألة ووهان ، لم يبد على هسييه ، الذى اشترك فيها مباشرة ، أنه يعانى أية صعوبة ٠ انه اذن سياسى بارع ٠ بل يقال انه رجـــل شواين ــ لاى الموثوق (٢) ٠

وقد تشـكل مؤتمر الفلاحين الفقراء والأدنى من المتوسطين ، التـابعين لدائرة بكين ، فى ١٩ مارس ومؤتمر العمال الثوريين فى ٢٢ مارس ٠ ولكن مؤتمر **الحرس الاحمر** من المدارس الثانوية هو الذى أصابه منه أكبر الضرر ٠ فلكى يعمل على تأطير التلاميذ الطائشين والمنقسمين،التى كانت أهواؤهم توشك على زعزعة التحالف الذى كان قد تم بين الطلاب من حيث المبدأ ، طلب هسيه فو ــ شيه مساعدة الجيش ٠ واستغل فرصـة الاجتماعات التى تدعى لأجل افتتاح الدراسة فحصل على مفوضـين من المـدارس اعترفوا بمهمـة المربين العسكريين الجدد ٠ ثم أعلن أن هؤلاء المربين كانوا سيكلفون بانشاء تشـكيل لاتحاد تلاميذ المدارس الثانوية تحت ادارة اللجنـة العسـكرية (٣) وأخيرا تم اتعقاد مؤتمر الحرس الأحمر لتلاميذ المدارس الثانوية يوم ٢٥ مارس ٠

كان ينبغى العمل على أن ترتضى مجالس مختلف المؤتمرات بتأليف فريق مشترك يمكن أن يكون لجنة ثورية ٠ فقـد عادت المنافسـات الى الظهور بين التنظيمات الكبيرة والصغيرة والمستأهلة أو المتشددة ٠ وهـكذا تأخر مـيلاد اللجنة ولكنها رأت النور فى النهاية يوم ٢٠ ابريل ٠ فكانت تضم أربعة وتسعين عضوا بينهم سبعة عشر عسكريا وثلاثة عشر كادرا فحسب ، وكانت اليد الطولى للعناصر العمالية ــ الطلابية (٢٤ عاملا مقابل ٢٠ طالبا منهم ١٤ جامعيـا

---

(١) سكرتير أول للجنة الحزب من أجل يونان ، اختاره هسياو ــ بينغ ٠ ولكنه فيما بعد لم يشعر بأنه مرتبط بصاحب اليد الطولى عليه ، قال عنه شواين ــ لاى « كان هسييه فيما بعد يخضع لتينغ هسياو ــ بينغ ولكنـه افتـدى ذنوبه » ، (خطاب فى ١١ ينـاير ١٩٦٧ ، **شوتو عونغو بينغ** ، رقم ٢١ يناير ١٩٦٧) ٠

(٢) انظر « كوكوزاى تنكيزو ، هينو نو كاداى (٤) » ، فى **اساهى شيمبون** ، ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ ٠ كان هسييه مكلفا من اللجنة الثورية بضرب المثل للصين ، فقد حصل بنتيجة نجاحه ــ رص قوة الامن العام ــ على مركز سياسى فريد ، مستقل عن التحالفات بين أرفع القادة ٠

(٣) جريدة **الحرس الأحمر « شـوتوان شـامباو »** رقم ٢٠ مارس ١٩٦٧ ٠ كانت لجنـة الشئون العسكرية لمنطقة بكين قد أقيمت فى ١١ فبراير ٠ وكانت مكلفة بصفة خاصـة بابعـاد الجمعيات المنحلة ٠

و ٦ طلاب ثانوى (١)) ، ولكن نسبهم كانت أطول باعا كذلك فى داخل الجماعات لافساح المجال لمختلف الاتجاهات . وقد جاء ضعف لجنة بكين من انها قد تشكلت قبل أن تتم التحالفات • ذلك أن المؤتمرات كانت صيغة ملائمة لنظام تمثيلى بالانتخاب ولكنها ليست كذلك لتنظيم دكتاتورية البروليتاريا • فانها جمعت انفاق المشاركين من أجل تكوين لجنة ونكن ليس من أجل سياسة •

بعد شهور من انشاء اللجان الثورية الأولى حدد هسييه فو ـ شيه موقع لجنة بكين فى اجتماعها • كان ذلك فى ١٤ مايو • فلقد طغت غلواء التعبير والتحرب فى كل مكان على الحريات المكتسبة بثورة يناير ، واشتطت الأهواء السياسية • ولم تتم السيطرة على وسائل قتال الجماهير • وكانت المشاجرات والتوقفات على العمل هى جرح المدن الكبرى الدامى • فأشد الراديكاليين حماسة كانوايريدون أن ترد اللجان الثورية على العنف بالعنف . وشرح هسييه فو ـ شيه « بلاغا مستعجلا » الى الاهالى كانت اللجنة الثورية تضع توقيعها عليه (٢) •

قال ان جميع الثوريين كانوا يمنحون الأولوية للجهود المبذولة لصنع الثورة ولكن العمل والانتاج كانا أمرا رئيسيا • فقد كانت اللجنة المركزية والرئيس ماو قلقين لهبوط الانتاج الناجم عن عدم المثابرة وعن الصراعات بل عن التخريب • « كثير من رجال مصانع الصلب فى شيهتينغشان يأتون للقيام باضرابات الاحتجاج ويجلسون أمام أبواب شونغنانهاى الأربعة ، ان العمل لا يمكن أن يتقدم على هذا الشكل » (٣) وقال ان ٣١٣ مشاجرة حدثت ما بين ٣٠ ابريل و ١٠ مايو اذا ما حسبنا فقط الحشود التى آشرك فيها أكثر من خمسين شخصا وزيادة على اللجان الثورية رجا التنظيمات بأن تكون الأولى فى اتباع البلاغ الهام المؤرخ فى ٤١ مايو • وناشدها أن تقوم هى نفسها بالدعاية الضرورية ضد البلبلة وضد العنف •

كانت اللجنة الثورية هنالك لتقديم كفالتها لقرار على مستوى النظام العام ولكن هل كانت تحكم شئون بكين ؟ هل كان هسيه فو ـ شيه سيلجأ الى التنظيمات بمناسبة اجتماع اللجنة لو أن اللجنة حكمت ؟ كان بلاغ ١٤ مايو يوافق على أنه كان فى وسع القوى المسلحة للحامية بل العسكريين فى كل مكان، استخدام القوة ، وعلى العكس لم يكن ثمة شيء يسمح للجنة نفسها بقيادة استخدام القوة ان هذا النقص هو الذى كان غلاة اليسار من الجماعة المركزية للثورة الثقافية ينتقدونه عندما كانوا يطالبون بتقوية أجهزة دكتاتورية البروليتاريا .

ظل استخدام القوة خاضعا لتصرف الجيش والأمن العام ، بل بقى

---

(١) وأخيرا (١٣) فلاحا و ٦ أعضاء من الجمعيات الثقافية والاجتماعية و ٤ من أهالى المدينة . وهذه الأرقام هى الواردة فى كونو : **بكين كونو ايشينين** ص ١٨٤ .

(٢) انظر **هونغشى** رقم ١٤ تاريخ ٦ يونيو ١٩٦٧ ، جريدة « العلم الأحمر » ، معهد الملاحة الجوية فى بكين .

(٣) خطاب هسييه فوشييه فى الاجتماع الثالث للجنة بكين الثورية فى ١٤ مايو ١٩٦٧ ، نقلا عن تانزوباو صادر عن « جماعة صغيرة للدعاية للوحدة الثورية المتمردة فى ادارة العمل من الجبهة المتحدة للجنة المركزية » •

خاضعا للحان الحزب فى الجيش . ولما كان عدد من التنظيمات المؤسسة للجنة الثورية يتجاهل النداء الى النظام والعمل والوحدة فان ضغطا قد تمرس بهـا بقدر ما انصب على خصوم اللجنة . وفى يونيو حدد المركز حق تعليق الملصقات بتنظيمات معينة (١) . وهكذا فان حرية النشر بعد حرية اقامة الجمعيات كانت تتعرض للتضييق .

اللجان الثورية التى لم تتم :

كانت الاستيلاءات على السلطة عديدة فيما بين منتصف يناير و ١١ فبراير . ويمكن أن نحصى انه جرى منها فى أربع عشرة مقاطعة على الأقل غير شانغهاى . وفى كل مرة كانت الحوادث تجرى متشابهة .

يستولى عدد من المتمردين على الصحف المحلية ومحطات الاذاعة ومكاتب الأمن العام . الا أن عددا من التنظيمات المحافظة يدعم فرض نفسه بدوره ويقال ان ذلك هو رد Riposte لجان الحزب . ثم تحدث معارك لامتلاك الصحف واضرابات . ومن تلك السلاسل الأربع عشرة من الحوادث ان ست لجان ثورية فحسب ظهرت الى الوجود . وفى جميع الحالات الأخرى تردى الموضع فلعب الجيش دورا رئيسيا .

كل شىء يتعلق بالاسلوب الذى يدرك الجيش فيه دوره . فقد تلقى التعليمات ب « دعم اليسار » . اذا فهم أن ما يجب هو دخول رجال جدد الى معمعان السياسة على أساس التيار الماوى ، فانه يترك التنظيمات تعمل وتعبر عن نفسها ، حتى وان كانت هذه التنظيمات تعيب عليه سلطته . وعندئذ لا تكون هناك كوارث . واذا كان لا يميز الثورة الثقافية من الحكومة بالنسبة للوقت الاستثنائى الذى يرى نفسه مكلفا فيه فثمة تهديد بحوادث خطيرة . واذا تولى هو نفسه أعباء الثورة الثقافية عاملا على خفق أصوات صارت أكثر جسارة فانه يعد الأرض لقيام الفتن .

ونادرا ما أدرك ذلك من اللحظة الأولى . ولا شك أنه كان قد تدخل ابان الاضطراب . ففى هونان مثلا ، ارتكب عددا من الأخطاء ، وكابر فيها بعض الوقت وتعرض لتحقيق من قبل المركز ، ثم ترك الكوادر المخصصين لذلك يتصرفون . وهاكم باختصار كيف جرت الأمور .

تسلمت « قيادة المتمردين الثوريين » **يومية هونان** فى ٧ فبراير واحتفظت بها حتى يوم ١٨ . وكان أحد أفعالها الأولى سيكون تنحية قائد المنطقة العسكرية (٢) ، ولكن بكين لم توافقها عليه . وأسس المتمردون بالتعاون مع رجال **الحرس الأحمر** من **القيادة العامة الثالثة** « كومونة ٧ فبراير » فحاولت تنظيمات معادية (٣) انتزاع **يومية هونان** منهم . عندئذ توجه شوابن ــ لاى الى الجيش الذى كان يبدو أنه ظل على الحياد . فقرر الاشراف العسكرى على

---

(١) ان قسم الدعاية التابع لل « مؤتمر الاحمر » انحل كذلك فى شهر مايو واعيد تكوين لجنة (جريدة شوتو هونغو يينغ بتاريخ ١١ يونيو) .

(٢) شانغ شو ــ شيه .

(٣) تجمعت حول « اللجنة الموحدة لجامعة شينغشو » (عاصمة مقاطعة هونان) وربما كانت هى نفسها معادية **للحرس الاحمر** القادم من أماكن أخرى .

الجريدة وامر بأن يرسل الخصوم معا ممثلين عنهم الى بكين بعناية الجيش(1) .

ثم قامت مكاتب الأمن العام ب «تمردها» الخاص وكان من نتيجة ذلك نشوء جماعة جديدة قوية جدا هى «كومونة الأمن فى هونان» ، التى بدت انها تحظى برعاية الجيش. وقد كافحت هذه الجماعة المضربين(2) وأوقفت المتمردين(3) وطمعت فى فرض دكتاتورية البروليتاريا . ثم أمر المركز باجراء تحقيق عن الكومونتين الا أن نتائجه تأخرت عن الظهور حتى ١٠ يوليو (4) ولكنها ادانت عددا معينا من مسئولى الحزب فى الجيش ، كانوا قد ارتكبوا « أخطاء فى دعم اليسار » .

وعين المركز « جماعة تحضيرية الى اللجنة الثورية » فى المقاطعة وسمى لها زعيما أحد كوادر هونان كان قد قام بنقده الذاتى وأصبح نائب رئيس اللجنة الثورية فى بكين (5) . وانحنى الجيش ، وفيما تلا ذلك كان شريفا ، حتى عندما وقعت أخطر الحوادث فى بعض مقاطعة هوبى المجاورة .

ففى هذه المقاطعة فرض الجيش نظاما لم يكن يترك مكانا لأية قوة سياسية أخرى . انه اقام فى آخر فبراير فى ووهان مكتبا للمنطقة العسكرية من أجل الثورة والانتاج ، منفصلا مع عدد من المرافق من أجل الزراعة والرى والصناعة والتجارة والمالية ، كان يتولى بنفسه تحريكه . وصرح باسمه قائد المنطقة شين تساى — تاو فى ٦ مارس أن هذا الجهاز قد تسلم السلطة من الحزب والجيش فى المقاطعة (6) . وأمرت قيادة المنطقة بافتتاح المدارس فى ٢٠ مارس بافراط فى التنظيم (7) . واجتمع خمسون ألفا من المعلمين والطلاب والعمال فى ١٣ مارس لكى يسمعوا بأن ثمة اجراءات كانت ستتخذ ضد المنازعات فى المدارس والفوضى والديموقراطية الجائرة .

وقلما كانت للعمال حرية التعبير عن أفكارهم كالجامعيين . فلم تكن **القيادة العامة الثانية** للعمال فى ووهان تتظاهر الا وتتعالى من حولها نغمات التأنيب . وهكذا فان الثورة الثقافية المحمومة فى المقاطعات الأخرى ، كانت فى الهوبى تجرى بمقدار .

كانت هناك مقاطعات لم يتردد الجيش فيها بالتأكيد للقيام بدوره لأن الأولوية فيها كانت لمهمات الدفاع أو الأمن وخاصة تلك التى تحاذى الحدود الحساسة : مثل فيتنام والاتحاد السوفييتى والهند . فضلا عن أكثرية هذه المناطق كانت مناطق أقليات قومية ومستقلة استقلالا ذاتيا . لذلك كانت

---

(1) ١٧ فبراير ١٩٦٧ . توجيه من شواين — لاى من أجل مسألة **هونان جيباو** .

(2) شينغشو مدينة صناعية فيها مصانع ضخمة للغزل .

(3) بل ربما كان هنالك معسكر للاعتقال .

(4) انظر **شينكانغشان جريدة** مدرسة المعلمين العليا فى بكين رقم ٥٧ (٢٦ يوليو ١٩٦٧) .

(5) ليو شيين — هسون .

(6) وفقا لراديو هوبى فى ٦ مارس . انظر تحليل أنباء الصين ، رقم ٦٥٥ ، بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٧ ص ٦ .

(7) أمر رقم ٣ عن القائد العسكرى . نفس المصدر .

الثورة الثقافية فيها تتأجل أو تمهل · ومن ثم كانت هناك مقاطعات ، يكون الجيش فيها فى العمليات مثل فوكيان (١) – جبهة بحرية مقابل جيش شيانغ كاى – شيك – أو كذلك فى حالة استنفار مثل كوانغتونغ ، مقاطعة كانتون . ذلك أن هذه المدينة العمالية الكبرى ، ذات الماضى الثورى الطويل ، لم تشارك مشاركة تامة فى الثورة الثقافية . فلم تستطع التنظيمات الثورية ما كان يمكنها أن ترغب فيه من المؤسسات العمالية · فقد تقشفت الثورة الثقافية بصمت ولكن مؤسسات الاشراف العسكرى ، التى أراد المركز الاحتفاظ بها واحتفظ بها حتى الى ما بعد تأسيس اللجنة الثورية بزمن طويل ، قد كبحت جماحها عمليا · ذلك أن : « الاشراف من قبل العسكريين – كما قال شواين لاى للمتمردين نيعظهم بالتعقل – أمر هام جدا وخاصة فى مقاطعة كانتون التى تشكل منطقة واقعة على الحدود على أبواب هونغ – كونغ وماكاو · يجب مساعدة الجيش فى مهمته فى الاشراف (٢) » .

وقد حدث فيها استيلاء على السلطة فى آخر يناير ، قامت به تنظيمات من الحرس الأحمر ، تعززها عناصر قادمة من أماكن أخرى : من شانغهاى وبكين ووهان وهاربين ، ولكنها لم تتحالف مع الأكثرية فى كانتون . وشكل هؤلاء العناصر اتحاد الثورة الثقافية فى كوانغتونغ ، ولكنهم تبنوا تكتيك الابقاء على اللجان فى مكانها · وفى ٢٢ يناير (٣) استدعوا لجنة الحزب وعملوا على تسليمهم الأختام ثم صرفوها الى أعمالها وفى نيتهم جعلها تحت اشرافهم · الا أن تنظيمات أخرى قاتلتهم · وفى ٢٨ فبراير طرد الجيش اتحاد الثورة الثقافية وأقام اشرافه ·

ووجهت حركة احتجاج خطيرة ضد الجيش هجماتها الى «جماعة الاشراف» من جريدة كوانغشوجيباو (٤) . فاستشاطت الأهواء ، ولما كان اضطراب النظام يستفحل عشية افتتاح المعرض الدولى للربيع ، الذى يؤمه أجانب عديدون ، فان شواين – لاى جاء بنفسه يمارس دور الحكم · وتقدم محاميا عن وحدة الثوريين وطلب من المتمردين أن يبيحوا التنظيمات المنافسة ، اذ أعاد الى هذه التنظيمات اعتبارها مقابل تنصلها من بعض زعمائها · وأكد دعمه ل « جماعات الاشراف » العسكرية ومهد السبيل أمام هوانغ يونغ – شنغ وهو جنرال موفد من قبل **الجماعة المركزية للثورة الثقافية** ، لتولى مهام الثورة فى كانتون ·

لكن الحقد على الجيش كان قويا . ففى كانتون تعالت لأول مرة الاحتجاجات التى كانت تقول : « هذا الاشراف العسكرى : انه « سلطات » جديدة · يجب تسلم السلطة عليها » (٥) · وكانت هناك عصبتان تتحدى احداهما الأخرى فى ظل سلطة الجيش وتتحديان كذلك سلطة الجيش ·

---

(١) أشرف الجيش على الثورة الثقافية فى فوكيان منذ ٢٦ يناير . وفى نهاية مارس جاء الى بكين ممثلون عن المتمردين يطالبون بأن يمنحهم الجيش بعض الحريات .

(٢) شواين – لاى : خطبه فى ١٤ ابريل ١٩٦٧ ، نقلا عن ملصقات فى ١٧ .

(٣) من أجل تاريخ الثورة الثقافية فى كانتون ، انظر **اجيسا كيزاى جومبو** رقم ٧٤١ ، طوكيو ، ديسمبر ١٩٦٨ ص ١٣ وماليها .

(٤) **يانغشينغ واماو** القديمة .

(٥) مذكورا فى **اجيا كيزاى جومبو** رقم ٧٤١ ذكر سابقا .

وفي صيف ١٩٦٧ وقعت حوادث خطيرة فقد كان تكوين المؤتمر بطيئا : لم يتم عقده الا فى أكتوبر ونوفمبر فحسب وأخيرا فى ١٢ نوفمبر تم تعيين « جماعة تحضيرية صغيرة الى اللجنة الثورية » ·

كان التحكيم فى نفس المكان استثناء · اذ كان على الأطراف المتنازعة التى يعنيها الأمر ، فى أغلب الحالات ، كما رأينا بالنسبة لهونان ، أن ترسل ممثلين عنها الى بكين (١) . ولم تكن بكين محكمة للتحكيم فحسب وانما كانت مكانا حياديا ، ملاذا · وفى هذا قال وانغ لى : « في بكين ، ليس من الممكن توقيف الناس (٢) » . فان جميع الاتجـاهات كانت تقصـدها لتلتمس فيها العدالة ، وتنشر فيها صحفها ، بأمل اثارة اهتمام الرأى العام بمآسيها الخاصة· وكان بعضها يطلب المساعدة ضد « فاشية السلطات المضادة للثورة ، ولكن بعضا آخر كان يطلبها ضد « فاشية » **المتمردين** :

لم يكن شواين — لاى يحكم على التنظيمات الا وفقا للمستندات · فقد قال ماوتسى ـ تونغ مرارا أن ثمة مكانا لليمين كما يوجد لليسار · ومن جهة أخرى كانت التحكيمات مقبولة لدى المركز · وكتب واطسن يقول ان « الطلاب » عندما وردت اليهم تعليمات بكين الى سيان ، « أذعنوا لها بسرعة مذهلة وراحوا ينتقدون بعضهم بعضا على الأخطاء التى ارتكبوها بالنسبة للخط طيلة الأيام الستين السابقة (٣) » .

ولابد هنـا من التحقق ، فيما يتعلق بما رأيناه من أخطـاء الجيش فى انتفسير ، واحياء فى أعمال التعسف ـ بأن ساحة الجيش كانت تبرأ دائما مما عمل (٤) باستثناء عدد قليل جدا من رؤسائه · ولسوف تنال هذه الملاحظة كذلك مزيدا من الأهمية بعد مسألة ووهان ·

عندما نشب نزاع فى شانتونغ بين الطلاب والعسـكريين قامت القيادة باجراء نقدها الذاتى (٥) ورغما عن اللجنة الثورية أعادت التنظيمات التى كان الجيش يريد الغاءها · وفى زيشوان وقعت حوادث خطيرة فى مطلع مايو وفتح

---

(١) لقد أرسل مجلس شئون الدولة واللجنة العسكرية ، على سـبيل المثـال طائرتين فى ٦ فبراير ١٩٦٧ الى هوهيهوت فى مونغوليا الداخلية لكى تحملا الى بكين ممثلين عن منظمـات متخاصمة لحضور اجتماع مصـالحة يكون المركز هو الحكم فيها .

(٢) وانغ لى ، خطبه فى يومية الشـعب بتـاريخ ١٦ مارس ١٩٦٧ ـ انظر **هونغ ايرهشى** (انـبع من فبراير الاحمر) ، رقم ٦ يونيو ١٩٦٧ .

(٣) أ . واطس «تفادى المعركة الفاصلة» ، **مجلة اقتصاد الشرق الاقصى** ، ٢٥ مايو ١٩٦٧ ص ٤٥١ .

(٤) ومع ذلك حدث استثناء فى شينفهاى فى شهر فبراير . وكانت الحالة الوحيدة التى اعترف فيها القادة انهم كانوا يواجهون انتفاضة مضادة للثورة ، وخاصة سـوايو ، مذكورا فى **هونغ ايرهشى** رقم ٤ تاريخ ٦ يونيو ١٩٦٧ .

(٥) ٢٨ مايو ١٩٦٧ ، نشر النقـد الذاتى فى جريدة **هونقسيه تسـاو ــ فانتـوان** بتـاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦٧ .

الجند النار على جمهور وانهسيين (١) . فان ما جرى ، كان بالتأكيد « لطمة قاسية » للقادة العسكريين اذ عقد اجتماع فى بكين واقترحت اللجنة العسكرية اخراج المفوضين السياسيين فى منطقة شينغتو وبعض الأعوان من وظائفهم . ودافع هسياو هوا عن هذا الحل وطلب منح الثقة للذين كانوا يحلون محلهم لقيـــادة الجيش . رضيت بذلك **جماعة الثورة الثقافية** (٢) . وهــكذا لم يجر تطهير فى الجيش .

مرة أخرى كذلك رجحت سياسة هسياو هوا . الا أنه يجب علينـــا أن تفكر فحسب بما كان يعده النظام العسكرى الذى رأيناه يستقر فى ووهان ، لليوم الذى كان الجيش سيستخدم فيه سلاحه .

(١) انظر **اساهى شيمبون** فى ٧ مايو ١٩٦٧ (طبعة نهارية يابانية) .

(٢) خطب القادة بتاريخ ٧ مايو ١٩٦٧ فى المساء لاعلان قرارات اللجنة المركزية من أجـل زيشوان ـ ملصقات . وقد علق على الحوادث والقرار كونو فى **بكين كونو ايشيمين** ، طوكيو ، ١٩٦٨ ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ذكر سابقا .

الفصل الثامن

الفلاحون أو الثورة الثقافية المعتدلة

لم تكن السياسة الماوية تجاه الفلاحين تدين القضايا التى كان الحزب قد قدمها منذ عام ١٩٦٣(١) ، بل كانت تريد العمل على تطبيقها • ومن هذا الواقع كان في وسعها تدبير المناخ الاجتماعى ، على الأقل ، طالما لم يكن الثوريون يتجهون للبحث عن دعم من كتلة الفلاحين ، وطالما كان الدعائيون يظلون فى المبهم على صعيد التضحيات التى كانت الممارسة ستفرضها على الفلاحين •ـ وعندما توقف استكمال هذين الشرطين سرى الهيجان الى الأرياف • واجتاحت عدوى المخاصمات بين الأتباع ، شيئا فشيئا القرى المحيطة بالمدن الكبرى •

ومن جانب آخر عندما أصبح واضحا بأن انشاء اللجان الثورية فى الكومونات الشعبية ، بعد تأسيسها فى المدن بزمن طويل ، كان يقوم وفق برنامج يتضمن العزوف تماما عن المنافع الفردية ، فان استياء قسم من الفلاحين انقلب باتجاه الفلاحين الفقراء ، الذين كان البرنامج يفضل الاعتماد عليهم للعمل على تطبيق سياسة الغد •

وفى غضون ذلك كانت اللجان الثورية نفسها ماضية فى المناداة بسياسة معتدلة • وأكد المركز بصورة خاصة على أن النظام المقام من أجل الجماعيات الريفية كان سيحافظ عليه ، وكان أى تراجع لن يصير ممكنا • وأدان التساهلات التى تمكنت بفضلها عادات رأسمالية معينة من العودة الى الظهور • وكانت أفكار الثورة الثقافية سوف تضيف فحسب الى القضايا التى لم يقدم لها الحزب دعما كافيا ، اللامركزية والدور السياسى للفلاحين الفقراء والأدنى من المتوسطين، أصحاب الحق المخصصين للسلطة فى دكتاتورية البروليتاريا •

كانت احدى المسائل التى استهلكت من الحبر أكثر من أى مسألة أخرى هى تحقيق المساواة فى الدخول ، من جهة بين الجماعات المشتغلة فى الانتاج الجماعي ، ومن جهة أخرى بين أعضاء تلك الجماعات • ففى اطار الكومونات الشعبية كانت هذه الجماعات تشكل ألوية الانتاج وزمر الانتاج ، كما تقدم •

---

(١) فى التوجيهات على شكل مشروع ، التى درسناها فى الفصل الثانى •

أن الزمرة ، المشكلة من بعض الأسر المتعاونة ، كانت قد أسست على أنها أصغر وحدة فى اتخاذ القرار المستقل ذاتيا ، وكان لابد لهذا النظام من الا يتغير مدة ثلاثين سنة قادمة (١) .

لقد عانى الحزب الشيوعى كثيرا من العنـاء لانقـاص الفوارق فى الدخل التى لم يكن بالامكان تجنبها ، وذلك بصورة خاصة بمحاولته للموازنة بين ألوية الانتاج والارض ووسائل الاستثمار التى كانت توكل اليها • كذلك كان يسعى للتعويض عن التفاوت بين مقتنيـات الألوية بدفعهـا الى الانخراط فى نشاطات جانبية تعويضية ، كانت الجماعية تقدم لها من أجل ذلك وسائل الاستثمار • ولم يكن فى المكنة تصحيح الفوارق الاقليمية بالطبع لأن ما من شىء يمكنه تعديل المعطيات الطبيعية التى تجعل الأراضى فقيرة أو مجدبة ، ولـكن التفاوت بين الجيران كان فى الوسع التعويض عنه فى حدود معينة •

لم يهاجم المسكون بزمام الثورة الثقـافية هذه المحاولات فى المساواة ، ولكنهم وجهوا هجومهم للحلول اللاتقدمية المقـدمة لمسألة الدخول الفردية : النظام الذى يقيم على قاعدة الاسرة ، الكوتا أى الحصة النسبية والجراية ، وحق الحرفى الريفى فى المشروع الخاص ، الترخيص بصفة خاصة بأراض مطروحة للاستصلاح وتنظيم الأسواق الحرة .

ولقد قال أحدالفلاحين، ماشينغ، وهو يتكلم عن «الصراع بينالخطين»(٢) فى لواء الانتـاج ، فى شيتسين ، ان كوادر الحزب الذين يطبقون توجيهات ليو تشاو ــ شى ــ بعد السنوات الصعبة حول ١٩٦١ ــ شجعوا الفلاحين على استصلاح الأراضى التى كانت ستصبح ملكا خاصا لهم . ثم أضاف : «بعـد لواؤنا عشر زمر • ثمان منها رفعت انتاجها بينما انخفض الانتاج فى الزمرتين الباقيتين انخفاضا هائلا على أثر استصلاحات شخصية هامة » • كما روى أن جماعة عمل موفدة من قبللجنة الحزب فى الدائرة ، قد نادت فى ربيع عام١٩٦٢ بنظام الجرايات على قاعدة الاسرة وعلى أساس «نقط عمل» • فاعترض ماشينغ على ذلك قائلا : «ان الأسرة التى توجد فيها أيد عاملة أكثر تنال مقدارا أكثر من الحبوب لا تستطيع أستهلاكه كله • ولكن حيثما تكون اليد العـاملة أقل تكون نقط العمل التى يحصل عليها أقل وبالتالى لا تنـال الاسرة من الحبوب ما يكفى . أفلا ترى عندئذ ظهور التفريق من جديد (٣) ؟ » .

فى أكثر الاجراءات المنادى بهـا : استصلاحات أراض ، مشروع صغير ، اداءات على قاعدة الأسرة ، كان الفلاحون الأغنيـاء عمليـا يحظون بالنصيب

---

(١) مشروع ثان منقح فى « قواعد عمل الكومونات الشعبية الريفية » شهر سبتمبر ١٩٦٢ •

(٢) كانت الحملة الايديولوجية لنشر الافكار الماوية لدى الفـلاحين بأن تذوب المصـالح الشخصية أمام الجماعية تسمى دائما بال «صراع بين الخطين فى الأرياف» وهى مآل الثورة الثقافية فى وسط الفلاحين .

(٣) «الصراع بين الخطين فى لواء انتاج زراعى» **أنباء بكين** ، ١٩٦٩ رقم ٢ بتاريخ ١٣ يناير ١٩٦٩ ص ١٧ ومايليها .

الأوفر . وفيما بعد كتبت جماعة من الثوريين البروليتاريين في مقال عقائدي(١) تقول : كانت مشاريع الزمرة في رأس الحزب «محاولة باطلة للعمل على تقهقر الكومونات الشعبية الى مرحلة الاقتصاد الفلاحي الصغير » · فقد كانت الحالة التي تكونت للأمور تتيح لبعضهم بأن يلعبـوا دورا سـياسيا متميزا · وقال تاو شو نفسه ان ادارة شئون الكومونات من قبل الفـلاحين الأكثر بحبوحة كانت عنصرا في النزاع :

« ان التناقض الرئيسي في القرى الآن هو التنـاقض بين الفلاحين الفقراء والأقل عوزا والشريحة التي تملك سلطات متميزة ·»(٢) ·

كان الرسم التنفيذي للثورة الثقـافية في الوحدات (مرافق الادارة ، مصانع ، كومونات شعبية) مختصرا في كلمـات ثـلاث : « صراع ـ نقد ـ تغيير » (٣) . فقلما حدث هنـاك ، في الأرياف ، تغيير هام . الا أن الاشراف الذي مارسه الفلاحون الفقراء والأقل من المتوسطين في المجـالس الريفية لمنع طبقة متميزة من العودة الى السلطة ، أمكنه أن يكون مؤيدا ·

لم يكن ذلك هو القفزة الى الأمام نحو الشيوعية التي أعلن عنها أحيانا بصورة متيسرة خارج الصين · غير أنه يجب التصور بأن مهمة الثورة الثقافية كانت عسيرة بين الفلاحين بما أنها كانت تريد مكافحة بسط المنافع الاشتراكية التي كانت تؤخذ على ليو تشاو ـ شي بأنه منحها . وكان صغار الـكوادر قد قاموا بالدعاية لليو تشـاو ـ شي في الأرياف . لذلك لم يكن في الوسع الانخراط ضده دون بعض المراعاة · وهذا ما يفسر أن الرجال الذين أدينوا حقيقة كانوا قليلي العدد ·

ان الثورة الثقافية في الأرياف لم تجر ضد الكوادر، وانما ضد عدد قليل من «الملاكين العقاريين ، فلاحين أغنياء ، يمينيين وضد ـ ثوريين · أما الكوادر فكان يجب دفعهم الى تصحيح أخطائهم البيروقراطية ونزعتهم التسلطية · بل يجل القول بأن المقصود بصـفة عامة ، كوادر صغار لم يكونوا ، على أية حال ، أصحاب نفوذ في سياسة الحزب · انهم منفذون يعتمد عليهم للالتحام بالجماهير ولاجتذابها ولتثقيفها · ولكن اضطرابهم أمام انحـلال الحزب قاد عددا كبيرا منهم الى رفض أي التزام · وعندما سيعمل تجديد الحزب على اعداد مؤتمر فيما بعد ، فان الموفدين من الأرياف يكونون فيه تقليديا عديدين ـ وسـوف يكون على الكوادر الدعوة الى مجالس لاختيار ممثلين · ولسـوف يسـتبدل أولئك الذين ، لا يكونون قادرين ، ممن تخور قواهم منهم ، بالفـلاحين الذين رباهم الجيش ورجال الميليشيا ·

ان توجيهـا من المركز صـادرا في ديسمبر ١٩٦٦ هو الذي مد الثورة

---

(١) ثوريون بروليتاريون من اللجنـة العلمية والتكنولوجية للدفاع الوطني · **يومية الشعب** ، أعادت نشره **الصين الجديدة** بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٦٨ رقم ٢١٢٠٦ · (سلسلة باللغة الفرنسية) ·

(٢) كلمات تاو شو في لجنة منطقة كوانغتونغ في فبراير ١٩٦٥ · مذكورة في **اجيا كيزاي جومبو** رقم ٦٩٢ طوكيو ، أغسطس ١٩٦٧ ص ٢ ·

(٣) او «صراع ـ نقد ـ اصلاح» ·

الثقافية الى القرى . فأبطلت العادات القديمة وشددت على الانتاج ولكنها لم تتطرق للسياسة الجماعية ، والخلاصة أنها لم تقرب المسائل الأساسية . ذلك أن عددا من الثوريين الفلاحين ، فى مقاطعة شانسى التى تحمل على أرضها لواء الانتاج النموذجى فى تاشاى ، هم الذين ، فيما بعد ، أبرزوا هذه المسائل الى الوجود فحسب . فلم يكن توجيه ديسمبر يوحى بأى شىء من **الاستيلاء على السلطة** بالنسبة للمالية وللانتاج . وانما كان ينظم شئون الثورة الثقافية بمعناها الدقيق ، فى خطوطها العريضة ، أى الثورة فى الايديولوجية ويدعو الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين الى قيادتها .

كان يتوقع أن الرجال المكلفين بادارة الانتاج كان يمكن استبدالهم بمقتضى اختيار جديد من الجماهير أو تأييدهم من قبلها ، ولكنه لم يكن يكلف **لجان الثورة الثقافية** من الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين بادارة الانتاج .

كان يمكن تجاوز هذا التوجيه وابطال مفعوله بعدد من المزايادات . ولكنه لم يحدث . بل لحق به توجيه آخر فى نفس الموضوع ، بعد عام ، دون تغيير ، فى خطوطه العريضة . ومع ذلك كان هناك بعض الاضطراب حتى لدى الفلاحين . ذلك أن التنظيمات الفعالة كانت قد جندت منهم ، ساعية الى اجتذابهم باتجاه معارك المدن . وكلف الجيش بمهمة فى القطاعات الحساسة تحت شكل تقديم الـ «مساعدة للزراعة» . حتى لقد بدا الوضع فى بعض الأماكن ، مضطربا الى حد أن بعض الجنود دفعوا الى تسليح الميليشيا والى انخراطها فى المنازعات المحلية . الا أن **المركز** أدان هذه السياسة فكانت هذه الادانة مناسبة للنزاع فى الجيش . لكن تدخلاته فى الثورة الثقافية الفلاحية تبدو فى نهاية المطاف أنها كانت محدودة .

ان ماحدث فى الارياف ، بسبب غياب الكوادر والجيش من الساحة ، كان تراخيا نزل بمركزية الانتاج وتخطيط العمل الجماعى والاشراف على الأسواق بل تراخيا فى الأخلاق . فكان على اللجان الثورية ، التى أنشئت مؤخرا فى الأرياف أن تهتم بذلك . وساعدت الميليشيا الجيش على تربية الفلاحين فى فصول يدرس فيها **فكر الرئيس ماوتسى تونج** . وفى هذه الفترة فوجىء العسكريون الذين أرسلوا للقيام بهذا العمل فى مراكز بعيدة بالتأكد من أن الثورة الثقافية كانت تكاد أن تكون غير معروفة ، لدى سامعيهم . لذلك لم تكن مهمتهم سهلة . كان يجب لأول مرة منذ زمن طويل مطالبة الفلاحين بتقديم التضحيات .

ولقد آلت هذه الحركة الى تحذير الكوادر من التعسف والى توطيد نظام جمعيات الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين التى نعرف مبدأها ــ مؤسسات محاذية للحزب ، مكونة من أجل تقدم فى الحياة السياسية ولكنها غير عاملة على تغيير شىء فى جماعية امتلاك وسائل الانتاج والتبادل . وقد كتب ياو وين ــ ايوان فى صيف ١٩٦٨ مقالا قال فيه مايقرب من أن الثورة الثقافية كانت ستتم مهمتها فى الأرياف عندما كانت ستوطد مواقع الاشتراكية (١) . كان ذلك تأكيدا لبرنامجها المعتدل ، فى الوقت الذى كان يخال فيه انهاؤها . فقد شكلت خيبة

---

(١) **هونغشى** رقم ٢ لعام ١٩٦٨ فى **أنباء بكين** رقم ٣٥ عام ١٩٦٨ .

أمل لسلطة قدامى الفلاحين الميسورين المتميزة ، أما ما يتعلق بجمعيات الفلاحين الفقراء فلئن لم تكل اليها سلطة بمحض اختيارها فانها أكدت على كل حال دور هذه الجمعيات فى ادارة المبيعات التعاونية وفى ادارة التربية: التنظيم والاشراف على المدارس فى الريف •

ان النصوص الختامية للثورة الثقافية لا تتـكلم عن الزراعة الا من أجل الانتاج • ولم يذكر فيهـــا أى شىء للتحقق من انتصـــارات سياسية جديدة للاشتراكية فى الأرياف .

ثورة ثقافية معتدلة فى الأرياف :

كانت بعض صـــحف **الحرس الأحمـر** ، فى مطلع عام ١٩٦٧ ، تروى ، بأسلوب **المتمردين** ، كيف جرت شهور الثـورة الاولى فى الحقول المجـــاورة لبكين • وكان رجال **الحرس الاحمر** ، الراغبون فى نشر «ثورتهم» فى المجتمع، على أقرب مايكونون من الفـــلاحين الضاربين فى نطاق المدن • الا أنهم سرعان ما ووجهوا بمنعهم من استثارتهم (١) •

عندئذ أطلقوا العنان للافصـــاح عن مزاجهم • فاذا تركنا ما يتعلق بنفاد الصبر وبمبالغة معينة فى وصف الصراعات ، فان هذه الصـــحف هى وثائق للاستشهاد مفيدة • الا أن المثل قلما يصلح بالتأكيد للبلاد بجملتها • ولا شك فى أن الفلاحين بالنظر الى بعدهم عن المدن الكبرى لم يعرفوا المد والجزر فى تاريخ **الحرس الاحمر** • ولكن تاريخ الكومونات الشـــعبية التى يمـكننا أن نسميها «كومونات الاختبار» ، وهى تلك التى تعاقبت عليهـــا تجـــارب الراديكاليين والمحافظين ، تستحق منا وقفة قصيرة عندها •

قالت احدى تلك الصحف (٢) بادىء ذى بدء أن **جماعات العمل** المكلفين بتنفيذ حركة « الأربع الصالحات » قد انسحبت بعدم انتظام لدى انتشار نبأ اعادة تنظيم لجنة البلدية فى بكين • فاستشـــاط الثـوريون الا أن اخطار لى هسويه ـ فينغ بأن كل معارضة **لجماعات العمل** يمكن أن تؤخذ على أنها معارضة لقيادة الحزب (٣) ، كان خيبة أمل لهم . وبعد ١٢ أغسطس (٤) جرى تفتيش بيوت الفلاحين الأغنياء وبيوت الرجعيين فعثر فيها على أسلحة ومال ، وجزت شعور النساء • ومع ذلك لم يكن الرجعيون قد فقدوا اطمئنانهم اذ أنهم كانوا يقولون : «لا تفاقموا الصراع واعملوا ، والا فلن يكون من الممكن الحصول على أربعمائة ليرة لكل شخص » (٥) .

---

(١) انظر فى هذا الفصل الرابع تعليمات ماوتسى ـ تونغ بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٦٦ وافتتاحية يومية **الشعب** بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٦٦ •

(٢) تونغتسون شامباو رقم بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٦٧ •

(٣) ٢٥يونيو ١٩٦٦ • لى هسويه ـ فينغ ، مســئول جديد من لجنــة الحزب بالنســبة لمدينة بكين بعد عزل بينغ شين •

(٤) بيان ختامى للاجتماع الحادى عشر الموسع للجنة المركزية •

(٥) أربعمائة ليرة من الحبوب • كان سكرتير ورؤساء الألوية يدعون الى تادية مقاييس العمل ويهددون فى نفس الوقت بعدم تقديم الجرايات التى حسمت •

وبعد يوم ١١ سبتمبر حدثت فترة من التوقف على أثر قرار المركز بأن تترك الكومونات وشأنها للقيام بثورتها بنفسها . وعمل المتمردون فى الأرياف على الاستفادة من هذه الحقبة لانشاء اتصالات ثورية . وبعضهم « أداروا ظهورهم للبطاطا ليذهبوا الى المدن » .

وفى ديسمبر جلبت قيادة الثورة الثقافية الى القرى خلخلات جديدة . ولكن مقاومة حركة الفلاحين — كما تقول الجريدة التى ظهرت فى ١٨ فبراير — لاتزال بعد فى الوقت الحالى فى منطقة بكين ، عظيمة وتقدمها لايسير على نسق واحد فى جميع الهسيين . وحيث تحتفظ « السلطات » بالاشراف فانها تقول للفلاحين: « اذا كنتم تريدون نقط عمل فاذهبوا الى العمل لا الى الثورة . واذا لم تأتوا الى العمل فاننا لن نحدد استخدامكم » .

يستنتج من هذا النص أن الكوادر الريفية ، حتى فى منطقة بكين ، كانت تشعر بتشجيع من قرارات المركز المعتدلة وتمسك بالموقف فى يدها . ومما لايزال يؤيد هذا الانطباع هو أن الفلاحين الذين أرادوا القيام بالثورة غادروا قراهم . ولقد سبق لنا أن رأيناهم وهم يفدون الى شانغهاى (١) . وكانت **وينهوى باو**، فى يناير تحتج على الفلاحين الذين يهجرون مراكزهم فى الانتاج ويتدفقون الى المدن ويقدمون مطالب غير معقولة (٢) .

وكان **المركز** يعلم جيدا ان بواعث شخصية لاحصر لها كان يمكنها استثارة نقد الفلاحين للكوادر . وكان يبدو عازما على الا يترك فراغا ثوريا يحل فى القرى . فقرر بادىء ذى بدء أن كوادر الحزب فى التقسيمات الاقيلمية الدنيا على مستوى الهسيين لا يمكن أن تحاكم فى مكان عملها حتى فى حالة ارتكاب جرائم. فان وجه الاتهام الى مسئولين من الكومونات الشعبية ، فلابد من أن ينقل ملفهم الى لجنة الحزب فى الهسيين كان يمكنها « سحب تفويضها » من الكوادر الملاحقين. الا أنهم كانوا سيبقون فى الوظيفة طالما لم تجر محاكمتهم (٣) . ولا شك فى أن صدور الأمر باتباع هذه القاعدة كان بقصد الحيلولة دون تدخل **الحرس الأحمر** عندما كانوا يغيرون على القرى لتلقين الفلاحين كيف يعقدون اجتماعات النقد والمحاكمة العلنية .

عندما اتخذ القرار اشراك القوى العمالية فى الثورة الثقافية بدا من الضرورى تحديد الكيفية التى يساهم الفلاحون بها فى الثورة . عندئذ أصدرت اللجنة المركزية توجيها من عشر نقط (٤) شبيها من حيث شكله بالتوجيه الذى كان يطبق فى المصانع . كذلك كان موقتا مثله . والصق فى الكومونات . ولكن التوجيه المخصص للأرياف لم يكن يساق كتجربة يجب اجراؤها فى بعض الوحدات — الدليل . بل كان عاما وطبق دونما تبديل طوال الثورة الثقافية

---

(١) انظر فصل ٦ .

(٢) **وينهوى باو** ، فى ٢٠ يناير ١٩٦٧ .

(٣) قرار اللجنة المركزية الصادر فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٦ مذكور فى الفصل الرابع .

(٤) نشر فى أساهى شيمبون فى ٢٩ ديسمبر ١٩٦٦ (طبعة يابانية نهارية) : توجيه من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ومن مجلس شئون الدولة بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٦٦ بشأن تنفيذ الثورة الثقافية البروليتارية فى القرى .

كلها ذلك أن الحركة التى كانت تجرى فى ديار الفلاحين تعرضت لقليل جـداً من المزودات .

لقد أوكل هذا التوجيه قيادة الثورة الثقافية للفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين(١) ، عاملين من خلال لجانهم . كذلك كانت أحكام عديدة من النص تبرز سياسة رئيسية : وعلى سبيل المثال لم يكن لأبناء الطبقات المالكة الحق بالدخول فى اعداد **الحرس الأحمر** ، كان الطريق المرسوم لهم هو طريق العودة الى الأرض (٢) . وبالمقابل لم يكن التوجيه يربط الثـورة الثقافيـة بأية صلة بالتنظيم الاجتماعى للأرياف . فالموضوع لم يطرق .

وثمة عدد من الاهتمامات الاقتصادية كان لابد من ادخالها فى الحسبان ، اذ أوصى الفلاحون بالسعى « لتبادل تجاربهم » فى مواسم انعدام الفعالية (٣) . وأخيراً تم تنظيم (٤) دور الطلاب وذلك لاتمام عزل الكومونات فى أثنـاء هـذه المرحلة التى كان الفلاحون الفقراء سيتعلمون فيها الكلام بينما سيبقى الاداريون فى مراكزهم .

لقد أيدت جميع الأحكام التى تلت اهتمام **المركز** بالحفاظ على النظـام والهدوء الاجتماعى فى الوحدات الزراعية التى تمون الصين أثناء الثورة الثقافية والتى كانت تعمل ذلك العام دون ما خطة اجمالية للاقتصاد. بل كان هناك وفقا **لكيودو** Kyodo رأى للجنة المركزية يدعو الى « الدفاع عن مكتسبات **حركة الأربع الصالحات** » ورجت فيه الريفيين الترفع فى ابداء جميع انتقاداتهم ضـد **جماعات العمل** (٥) . ولاشك فى أن رجال **الحرس الأحمر** قد زمجروا عنـدما أبصروا الحماية تبسـط على الاسـم الذى كانوا يمقتونه . ولكن حراثة الربيع وأعمال نقل الأسمدة كان لابد لها من الاستئثار بجهود الفلاحين .

منذ ذلك الحين كان هناك داع هام لاستدعاء الفلاحين الذين كانوا غادروا الى المدن حيث كانوا يتلقنون أسرار **الاستيلاءات على السلطة** . وعلى هذا أبلغت اللجنة الثورية والقيادة العسكرية للمنطقة فى كويشو أولئك الذين كانوا فى دائرة اختصاصهما بالعودة الى القرى (٦) . ولما كانت عدوى « التمرد » قد انتشرت رغم كل شىء ، فى بعض الأماكن فان اللجنة المركزية أمرت بأن تتوقف جميع **الاستيلاءات على السلطة** فى ألوية الانتـاج (٧) أثناء الأعمال الزراعية فى الربيع . فعقدت **يومية الشعب** حول هذا الموضوع افتتاحيتها فى ١٣ مارس .

وخطرت للمركز فكرة الاستفادة من حيوية الجمـاهير المتجددة من أجـل المناقشـات والاجتماعات . فوجهت اللجنـة المركزية رسـالة مفتـوحة(٨) الى

---

(١) النقطة الخامسة .

(٢) النقطة السادسة .

(٣) النقطة السابقة .

(٤) النقطة السابقة .

(٥) وكالة كيودو (٣١ يناير ١٩٦٧) بالنقل من ملصقات فى بكين .

(٦) « أساهى شيمبون شوزا كينكيو شيتسو » ، **موتاكوتو نو شوزين** ، طوكيو ، ١٩٦٧ ص ٦٠ ذكر سابقا .

(٧) المصدر السابق ص ٦٠ بلاغ اللجنة المركزية فى ٧ مارس ١٩٦٧ .

(٨) رسالة الى القرى بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٦٧ . منشورة فى الصحافة .

الكومونات تدعوها فيها إلى عقد مجالس في الحال لكي تناقش فيها الإجراءات الواجب اتخاذها للاعمال في الحقـول . وكانت ترتئي فيها أن يقـوم الجيش بتقـديم مسـاهمته في هـذه الأعمـال . وفي الحـال تلقى الجيش عدداً من التعليمـات : ولم تمض أيام ثلاثة حتى تحـرك الجنـــد « للمســـاعدة في الزراعة » (١) . وعنـدئذ فهم بأن دوره كان مزدوجا ، اذ في ظل ما أشـاعته الثـورة الثقافية من الشعور بالرضي وبفضل تراخي الاشراف من الحزب كان عدد من الفلاحين قد اقتسموا فائضا زراعيا بمناسـبة عيد الربيع (٢) . وفي الحقيقة ناشـد نداء من وزارة الزراعة الـكومونات بعـدم توزيع البـذور على الخاصين وبعدم المســاس برأســمال الكومونات (٣) (أموال التراكم وأموال الانتاج) .

كان على الجيش أن يسهر على الدفاع عن تركة ومدخرات الاقتصاد الجماعي وأن يعمل في نفس الوقت على الحيلولة دون ايقـــاع الصراعات الطبقية الضرر بتنفيذ الأعمال الزراعية . وفي ١٦ مارس منعت في الحقول (٤) جميع المظاهرات الجماهيرية التي لا علاقة لها بالانتاج الزراعي .

الهيجـــان :

كان عدم الانضباط لدى الثوريين في المدن الذين كانوا يتحرقون الى اجتذاب الفلاحين الى جانبهم يجعل عزل الكومونات المجاورة للمدن الكبرى أمرا شـبه وهمي . وهـكذا فان تحالفا من عدد من التنظيمات الثورية وضـع خطـة لمنع الفلاحين من الاحتفال بعيد رأس السنة الصيني . وكان هذا المشروع من حيث هو عمل كفاحي ضدالعادات القديمة والأخلاقالقديمة ، يدخل في مهمة **الحرس الأحمر** ولكنه لم يخرق مبدأ الفصل بين الفئات **Separations des genres** بالنظر الى أن كل قطاع من الادارة أراد أن يؤدي دوره في ذلك : **المتمردون** من الأمن العام بحراسة مدخل الأسواق ، **والمتمردون** من مصالح الجرايات (المقننات) بحجز المواد الغذائية المشتراة من ســـوق الفلاحين ، **والمتمردون** من « المبيعات التعاونية » بالقيـــام « بهجوم مضاد على حركات المضاربة » ، وذلك « بابطال السوق السوداء والتجارة الفلاحية » .

على أن عيد الربيع كان ، تقليديا ، مناسبة للأسواق الموسمية حيث كانت معروضات خاصة كثيرة تقدم أطعمة أو منتجات طائفة الحرفيين . ودعت « لجنة اتحاد المتمردين الثوريين » (٥) منظماتها الى بذل جهد متزايد من التـوغل في الجماهير وقالت لها :

---

(١) تلقى عدد من وحدات الجيش أمرا بالتحرك ، دون انتظار للذهاب لمساعدة الفلاحين. انظر **موناكوتو نو شوزين** ص ٦٠ . ذكر سابقا .

(٢) عيد السنة الجديدة وفق تقويم الصين القديم .

(٣) «دعوة لأعمال الربيع من وزاره الزراعة ومن المتمردين الثوريين في جورا بكين» ـ كان البلاغ المشار اليه في كويشو يرى ان تقوم الميليشيا بحراسة مستودعات الحبوب .

(٤) **موتاكوتو نو شوزين** ص ٦٠ ذكر سابقا .

(٥) العنوان الكامل : « لجنة اتحاد المتمردين الثوريين لادارات المالية والتجارية لسائر البلاد وتنظيمات المتمردين الثوريين» .

« على كل تنظيم ثورى أن يسير جهازا للدعاية وأن يعمل على تنمية حركة .. نافذة بعمق وتتصف بالجماهيرية » (١) .

وعلى الرغم من أنه لم تنقصها المبادرات المتحمسة ، اذ عملت على التحقق من أن كل ما كان سيمنع الفلاحون من عرضه للبيع ، كان موجودا تحت الطلب فى محلات بيع الدولة ، فان مشاريع هذه اللجنة كانت توشك على التمخض عن نزاع لا طائل تحته .

كان أشد **المتمردين** تعصبا لا يقلعون عن السعي وراء تجنيد الأعوان من بروليتاريا الأرياف . فقد كتبت **وينهوى باو** بأن « تنظيمات جماهيرية معينة قد تبنت الأسلوب الفوضوى لتوطيد صفوفها في الريف بحض الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين المنتمين الى تنظيمات أخرى على ضم جهودهم الى جهودها » (٢) . ولقد غدت نقاط الارتباط بين تلك التنظيمات الجماهيرية فى الريف والكومونات الشعبية التى عاد اليها الفلاحون بعد أن تمرسوا فى الكفاح **بالاستيلاءات على السلطة** فى المدن ، بؤرا للهيجان .

عندما أججت على التوالى حركة اليسار المتطرف من أجل توطيد دكتاتورية البروليتاريا وكذلك رد فعل المحافظين على موجة جديدة من **الاستيلاءات على السلطة** المنازعات المحلية ، فان معسكر هؤلاء ومعسكر أولئك على السواء التمس للفلاحين الدخول فى الصراع ، ففي زيشوان جند الاتحاد الذى كان يدعى « الجيش الصناعى » أعوانا من الأرياف لاخماد حركة المتمردين فى المدن . وفى ووهان كانت (حركة) « مليون الفرق » تقدم للواحد منهم ثلاث بنات فى اليوم ليأتى الى المدينة ويتظاهر مع التنظيمات المحافظة . ولكن عددا من المتمردين كان يتصرف بصورة مماثلة ، اذ أن قرار لجنة بكين الثورية بتاريخ أول سبتمبر أبان هو نفسه أن :

« رجال **الحرس الأحمر** ، الذين أساء زعماؤهم قيادتهم ، قد سببوا توقف العمل في المصانع وفى الأرياف ، بعد أن أقنعوا العمال والفلاحين بأن التدخل فى مكان آخر كان أكثر الحاحا من متابعة الانتاج ومن العمل الثورى فى نفس المكان » (٣) .

كان الفلاحون احتياطا عدديا تحرص الأحزاب جميعها على كسبه . فضلا عن أن الذين يحلمون بضمهم الى صفوفهم كانوا يستلهمون ذلك بلا شك من الاستخدام الاستراتيجى الذى صنعه ماوتسى ــ تونغ من القوى الفلاحية أثناء الحرب الثورية :تطويق المدن بالانطلاق من الأرياف . ففى ١٠ يوليو فضحت **جريدة بكين** أولئك الذين كانوا يطبقون بصورة معكوسة أفكار الرئيس ماو فى تطويق المدن . كان شيء ما يجرى فى تلك الفترة ، كان يمكن أن يكون حقيقة

---

(١) « نشرة مستعجلة فى موضوع توطيد الادارة فى أسواق الربيع لعام ١٩٦٧ » **هسينهوا** الجديدة فى بكين بتاريخ ٥ فبراير ١٩٦٧ فى فانتهسين وبنياو (٧ فبراير ١٩٦٧) .

(٢) مذكورا فى هرالد مونته ــ كاس : «الفلاحون التقدميون الماويون» ، فى **مجلة** اقتصاد الشرق الأقصى بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٦٧ ص ٤٨١ .

(٣) مقتطف من القرار الذى تبنته لجنة بكين الثورية فى جلستها الموسعة بتاريخ أول سبتمبر ١٩٦٧ .

خطيرا جدا . وهذا ما دعا شين بو ــ تا الى أن يصرخ قائلا فى خطابه بمناسبة الحوادث فى ووهان وهونان :

«ان تعبئة الفلاحين ليتكسب فى المدن هى جريمة ، جريمة ، جريمة بحق البروليتاريا وبحق الشعب ، وهى من وجهة نظر الفلاحين ، جريمة كذلك بحق أنفسهم .. » (١) .

غير أن الفلاحين الذين اجتذبوا الى ذلك لم يكونوا سوى قلة قليلة من كتلة الفلاحين. فلم تكن هناك أية أزمة خطيرة ولا عاقبة لمآس حلت ولم يحصل توافق لظروف ضرورية ليقود ذلك كله الى انتفاضة فلاحين . بل على العكس جاءت الثورة الثقافية تضيف الى سنوات من السياسة المعتدلة ، تراخيا فى اشراف الكوادر ، فبعض الفلاحين كانوا يقولون لانفسهم أن التغييرات فى الايديولوجية كانت تجلب حياة تتزايد سهولتها .

لم يجمع منفذو استراتيجية تطويق المدن بالأرياف على الأرجح أعدادا هامة . ولكن أخطر ما آلت اليه خطتهم أن الفلاحين قاتلوا فى نهاية الأمر ضد الفلاحين ذلك ان المعسكرين كانا ينهجان نفس النهج .

وكان ذلك أشد خطورة أيضا عندما سعى الطرفان الى كسب الفلاحين المسلحين ، أى الى الميليشيين . فالميليشيا كانت تملك عددا قليلا جدا من السلاح لتوزيعه على أفرادها وكانت هذه الأسلحة محفوظة فى ادارات التعبئة(٢) فى الهسيين التى كانت لديها تعليمات بأن الثورة الثقافية لم تكن تتيح أية ذريعة لاخراجها من مواضعها .

لكن ما حدث هو أن عددا من التنظيمات الرجعية نهبت مستودعات الأسلحة وأن عددا من المسئولين العسكريين مدفوعين بأمر مساعدة اليسار وربما بسبب قلة الجند لديهم ، قرروا تسليح الميليشيا فى دائرة اختصاصهم . وكما قال شين بو ــ تا :

« ان تعبئة الفلاحين باتجاه المناطق المدينية كانت تنطلق بصورة عامة دائما من الأقسام العسكرية وكانت تنظم من قبل الادارات الشعبية للتعبئة » .

وقد تردد الجيش فى شهر أغسطس ، بعد أن أضير جدا فى مسألة ووهان (٣) حول التكتيك الواجب اتباعه وعكست صحافته هذا التردد . فان افتتاحية أول أغسطس للباب الخاص بالميليشيا فى جريدته تلقى اللوم فى ذلك على زعماء الحزب والجيش « الذين وقفوا فى وجه تأصيل فكر سياسى أو تربية سياسية فى الميليشيا » (٤) . ويبدو أن هذا المقال قد وجد من المؤسف أنه لا يمكن ، حيثما كان ، الوثوق بالميليشيا ولكنه لم يدن استخدامها فى الثورة .

---

(١) مقتطف من كلمة القاها الرفيق شين بو ــ تا بتاريخ ٢١ يوليو ١٩٦٧ (جريدة **شينغكانغشان** صادرة فى بكين بتاريخ ٢٦ يونيو ١٩٦٧ .

(٢) أو بصورة ادق « ادارات شعبية للقوى المسلحة » فى **الهسيين** .

(٣) انظر الفصل القادم .

(٤) نقلتها **يومية الشعب** بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٦٧ .

كان أقرب الى التحذير من سوء ما كان فى الوسع استخدامها فيه . فلأفراد الميليشيا من الفلاحين كانوا أداة لينة ، سريعة التأثر بالدعاية المضادة للثورة .

وفى ١٨ أغسطس جندت فجأة ، افتتاحية أخرى مشابهة(١) استخدامهم فقالت انه كان لابد لقيادة القوى المسلحة فى المدن وفى الهسيين (ادارات التعبئة) من أن « تدعم اليسار » تماما كما يفعل جيش التحرير وأضافت أنه كان على الميليشيا أن تطيع طاعة عمياء ـ لعل ذلك تلافيا لنقص النضج السياسى الذى كان يشتكى منه فيما تقدم . وكانت الافتتاحية تلح قائلة : « يجب سلوك طريق الرئيس ماو والاطاعة » .

ومنذئذ خرجت بعض الأسلحة الجديدة من مواضعها . فلم يجرؤ الحراس على اعتراض المتمردين الذين كانوا يأتون للتسلح . وقد أوشكت الصراعات الثورية فى كانتون وفى أنهوى وربما فى أماكن أخرى عديدة ، على أن تصبح معارك منسقة فاضطر **المركز** الى ابطال تعليماته الأخيرة الى الجيش (٢) . وقد وجد الجيش نفسه منقسما بين العسكريين الذين كانوا يريدون تسليح أفراد الميليشيا وأولئك الذين كانوا ، باتفاق مع المركز يرفضون ركوب هذا الخطر الذى لم تكن الثورة الثقافية تبرره .

كان هذا هو الدافع فى تخاصم دام حتى عزل رئيس الأركان بالوكالة يانغ شينغ ـ وو . لكن الأمر المخالف كان قد وصل فى الوقت المناسب لتجنب المضاعفات فى المعارك القاتلة .

فى الوقت الذى بلغت فيه الصراعات أقصى عنفها كان عدد من المنظرين لعملية وضع وسائل الانتاج والتبادل فى الخدمة الجماعية يعدون بهدوء السياسة التى كانت ستصدر عن الثورة الثقافية . وكان اليوم الذى أحرقت فيه المفوضية البريطانية فى بكين هو اليوم الذى نشرت فيه **يومية الشعب** أول مقال كبير فى تنظيم الكومونات ، كانت تقول فيه ان انتظار ميكنة الزراعة من أجل اتمام عملية تحويل وسائل الانتاج والتبادل للخدمة الجماعية ، ضرب من الحماقة اذ « ان الفلاحين لا يستطيعون أن يستخدموا الآلات عندما تكون قاعدة الانتاج هى البيت » (٣) . وهكذا كان يتهيأ موضوع توطيد مواقع الاشتراكية فى الأرياف. ووجب على العسكريين أن يكونوا دعاته .

لقد رأينا أنه منذ منتصف فبراير وجدت الجند فى القرى . وقد روى معلم سياسى أفرز مع جنديين من أجل « دعم اليسار » فى لواء انتاج (٤) . « اننا وصلنا الى هسيبو فى ١١ فبراير بناء على طلب بعض أعضاء الكومونة »

---

(١) افتتاحية القسم الخاص المتعلق بالميليشيا فى **يومية جيش التحرير الشعبى** بتاريخ ١٨ أغسطس . **يومية الشعب** بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٦٧ .

(٢) انظر بصورة خاصة خطبة شيانغ شينغ فى ٥ سبتمبر ١٩٦٧ حول مسألة انهوى . وانظر حول هذا الموضوع الفصل التاسع فى كتابنا هذا .

(٣) الصراع بين الطريقين حول مسألة تحويل وسائل الانتاج والتبادل الزراعية الى الخدمة العامة ، **يومية الشعب** بتاريخ ٢٢ اغسطس ١٩٦٧ وبرقية هسينهوا ١٩٦٧ رقم ٨٢٢٠٢ . (سلسلة باللغة الانجليزية) .

(٤) « كيف يدعم رجال جيش التحرير الشعبى الشوريين البروليتاريين من قرية من قرى الصين الشمالية» ، الصين الجديدة ١٩٦٧ رقم ١٢١٣١٠ (سلسلة باللغة الفرنسية) .

وذكر جندى آخر فى رواية أخرى لوكالة الصين الجديدة (١) : « فحيث ذهبت لم يكن من يعرف القراءة ، فلم يكن فى القرية كلها سوى حامل شهادة الدراسة الابتدائية ، ولم يكن فيهـا راديو ولم يكن الفلاحون فيهـا قد سمعوا بالثـورة الثقافية » (٢) .

فى مثل هذه الأماكن ، التى كان لابد ، مع ذلك من أن تكون كثيرة ، لم يكن ثمة من داع لاحداث الهيجان .

لقد تضمن سجل اعمال الثورة الثقافية فى لانكاو(٣) ، التى انشئت لجنتها الثورية فى وقت مبكر ، منذ ٣٠ أكتوبر ، بالنسبة لهسيين بأجمعه أى لحوالى أربعة آلاف شخص ، نقدا لمـــلاك عقار ومعرضاً وبعض الاجتماعات التى روى فيها الشيوخ للآخرين قصة المآسى الماضية ، وتوزيع مؤلفات ماوتسى ـ تونغ ، فحسب . وحصل كل فلاح على نسخة من « النصوص الثلاثة القديمة » ووزعت اثنتان وستون ألف سلسلة من المؤلفات المختـارة . وعلى الجملة بدا الغليان فى هذه الناحية وقد هبط الى أقصاه بينما كان اهتمام الفلاحين بالأشياء الجديدة متجها نحو فكر ماوتسى ـ تونغ .

وأخيرا فان الثورة الثقافية قد انتهت فيها بتحقيق حلم مهندس زراعى : فقد أقيمت «قيادة موحدة» (٤) من قبل لجنة الهسيين الثورية «لتقود أعمال تحويل الأراضى الملاحية الى حقول للأرز وللقطن » .

الثورة وسلام الأرياف

ان القرار الذى عين أين وكيف كان يجب تسلم السلطة فى الأرياف لم يحدد الا فى ٤ ديسمبر . فقد اتخذ شكل توجيه لم ينشره لصالح الجمهور فى المدن الا عدد قليل من جرائد **الحرس الأحمر** . ولم يكن يتعلق الا بالمناطق الريفية وربمـا كان **المركز** يريد أن يكون ظهـوره مكتوما . ولدى قراءته يدهش المرء للتشابه البعيد بينه وبين توجيه السنة السابقة الذى نشر وطبق على شـكل مشروع . وهو تحقق ، يكفى وحده ، ليشهد انه كان للثورة الثقافية فى الأرياف تاريخ بسيط .

غير أن توجيه ٤ ديسمبر (٥) المؤلف من سبع مواد قدم أمرين جديدين : ضمانات وبرنامجا . فمن جهة أكد للفلاحين أنه لن يكون هناك تغيير اجتماعى فى الأرياف ، حيث قال :

« ليس ثمة من حاجة للتعديل بصورة عامة ، فى نظام الطبقات الثلاث (٦)

---

(١) هسينهوا فى ٢٧ يناير ١٩٦٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) لانكاو ناحية ابطل شـيا ايو ـ لو ـ الوحيـد الذى كان فى عصره سـكرتيرا للجنـة الحزب ـ وقد شكل لمقاطعة هونان أول لجنة ثورية فى **الهسيين** ، **الصين** الجديدة ١٩٦٨ رقم ١٢٢٠٤ . (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٤) **الصين الجديدة** ١٩٦٨رقم ١٠٧٠٠٤ (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٥) « توجيه يتعلق بالثورة الثقافية فى قرى الفلاحين ، هذا الشـتاء والربيع القـادم » اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى ٤ ديسمبر ١٩٦٧ .

(٦) قدامى الفلاحين الفقراء ، قدامى الفلاحين المتوسـطين ، قدامى الفلاحين الأغنياء .

المتبع حاليا فى الكومونات الريفية والذى يتخذ زمر الانتاج قاعدة له ، كما لا حاجة لتغيير نظام قطع الأرض الفردية • وليس من الضرورى أن نجلب لها الأسمدة » (١) .

ومن جهة أخرى يبرز التوجيه ما هى أفعال **الاستيلاء على السلطة** التى يجب القيام بها على مختلف المستويات فى النـواحى (٢) وجمـاعات الانتـاج **الجماعى** فيعين :

« ان النواحى التى كانت تحت اشراف أشخاص يتبعون الخط الرأسمالى يجب أن تعود ، بالاستيلاء على السلطة ، الى أيدى الثوريين البروليتاريين الذين يشـكل الفـلاحون الفقـراء والأقل من المتوسـطين قوتهم الأساسية » (٣) .

محددا على هذا النحو بحالة الهسيين وفيما فوقها ، طرد اللجان الذين كانوا لا يمكن تجنبهم • أما فيما يتعلق بألوية الانتـاج وزمره فانه يسـتبعد بالنسـبة لها **الاستيلاء على** السلطة بعنف بل ينـكر أى تغيير فى الادارة على رأس الزمر :

« ليس من الضرورى الاستيلاء على السلطة فى زمر الانتاج » •

« وبالنسبة للألوية التى يكون من الضرورى فيها الاستيلاء على السلطة يجب الاعتماد على الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين لتحقيق التحالف العظيم والثلاثى ولحل المسألة باختيار جماعة قيادية جديدة » (٤) .

ويفسر هذا البرنامج بواقع أن الكوادر الفلاحين فى غالبيتهم العظمى ، هم طيبون أو أنهم نسبيا طيبون •

يبدو اذن أنه يجب تشجيع الحياة السياسية انطلاقا من مستوى الهسيين ، بينما يجب أن تستخدم جميع الطاقات على المستويات الدنيا للانتاج • أما الضمانات المقدمة ، فيجب ، فى جملتها ، أن تؤمن انقضـاء الشتاء والسـنة القادمة دون شغب ، وأن ثمة شروطا قد اجتمعت والحال هذه تيسر تجديد الحزب ــ دون أن ترد فى التوجيه اشارة الى ذلك • والحقيقة أن الحزب سوف يحتاج الى كوادر ملتئمة الصفوف أو الى **زمر قائدة** غنية بقادمين جدد مقبولين من الجماهير • وقد طلب التوجيه تشـكيل **الزمر القائدة** بعـد أن يتم التحالف فى **الهسـيين** وفى الكومونات لقيادة الثورة الثقافية فى ألوية وزمر الانتاج (٥) • ولسوف يؤخذ ما يمكن من الكوادر بما أن **الاستيلاءات على السلطة** سوف لا تكون فى النهاية عديدة • وأخيرا فان جمعيات الفلاحين الفقراء مدعوة الى ممارسة تأثيرها وبصورة خاصة فى النواحى حيث تبدأ الحياة السياسية •

لقد ضم المركز « والمؤسسات المؤقتة » فى الأقاليم جهودهم بعضـها الى بعض فى ديسمبر للوصول الى انشـاء اللجان الثورية فى مجموع الكومونات

---

(١) مادة ٤ .

(٢) **هسين** ودوائر أكبر .

(٣) مادة ٦ .

(٤) مادة ٥ .

(٥) مادة ٥ .

الشعبية . وأشارت صحف بكين الى أن المسئولية فى هذه العملية كانت تعود الى اللجان الثورية فى الهسيين والنواحى الأخرى أو أنها ، فى غيابها ، مسئولية « الجماعات التحضيرية » الى تلك اللجان الثورية (١) . ففى الأرياف أكثر من مكان آخر ، كان على المتطلبات الثورية العليا أن تحدث تشكيلها من فوق .

وكيفما كان الأمر فقد آن الأوان ، لاعطائهم قوة وعلة الوجود ، توضيح ما كان يمكن لسياسة الثورة الثقافية أن تكون بالنسبة للفلاحين . ان يومية الشعب قد نشرت فى ٢٣ نوفمبر مقالا أساسيا كان يحدد المذهب كما كان لابد من أن يستخدم قاعدة للتعليقات (٢) .

من المحتمل أن هذا المقال كان يعرض التقرير الذى قدمه شين بو ـ تا الى مؤتمر العمل للجنة المركزية (المنعقد من ٢١ الى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٧ . كانت له لهجة المناضل كما يحمل بمن يكافح سياسة الماضى المشئوم ليلهم رجالا جددا عليهم أن يضعوا الثورة . كان يدين التحريفية فى الصين واغتصاب **حركة التربية الاشتراكية** من قبل « خروتشوف الصين » . وكان يدعو البروليتاريا وقدامى الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين الى « اللجوء الى القوى القادرة دكتاتورية البروليتاريا لتوطيد وتنمية نظام الملكية الجماعية للاشتراكية واتخاذ طريق الازدهار المشترك » . وبكلمة واحدة فانه كان لابد للجان الثورة الفلاحية من أن تتشكل فى اندفاع من النقد لجميع مواقف الضعف التى خامرت ليوتشاو ـ شى تجاه الفلاحين .

بيد أن أحكام التوجيه الأشد حذرا ، الصادر فى ٤ ديسمبر قد خففت من حدة الأثر اللاذع لذلك المذهب . ويجب القول من جانب آخر أن تأكيدات هذا التوجيه لم تبرر وحدها. فقد أوحت الصحافة فى الحقيقة بأن سياسة التقويم لعام ١٩٦٠ يجب أن تعزى الى ماوتسى ـ تونغ (٣) وهو ما كان يعنى تماما أنه كان فى الوسع منح الثقة للنظام ليكون سخيا فيما كان يتعلق بطبقات الفلاحين وبالزمر وبقطع الأرض الصغيرة بما أنه كان نظام الرئيس ماو .

ولكن جماعات من الفلاحين انخرطت فى معركة رد الفعل وهو ما لم يفعله الفلاحون على ما يبدو ، حتى الآن لحسابهم الخاص . فهل عارض بعضهم بدخول الفلاحين الفقراء فى تسيير الأمور ؟ أو أن الفلاحين الفقراء قد ارتكبوا خطأ بفرض أنفسهم **باستيلاءات على السلطة** ؟ وعلى كل حال تفجرت الاضطرابات . حتى لقد حدثت فى ضواحى بكين نفسها . وكان « لكومونة العلم الأحمر » وهى تنظيم للواء الانتاج فى تاكو ، شرف الابلاغ اذا جاز لنا القول . وتلقت الأمر بأن تسلم للجيش ، فى ظرف ثلاثة أيام قتلة ثلاثة فلاحين فقراء (٤) .

---

(١) انظر بكين جيهباو ١٥ ديسمبر ١٩٦٨ . الافتتاحية .

(٢) «الصراع بين الخطين فى الأرياف الصينية» مقال مشترك لهيئة تحرير **يومية الشعب ويومية جيش التحرير الشعبى وهونغشى** ، نشر فى **يومية الشعب** فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ، وفى **الصين الجديدة** تحت رقم ١١٢٣١٣ لعام ١٩٦٧ (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٣) أنظر فى هذا الموضوع «رسالة» أنا ـ لويز سترونغ بتاريخ ١٥ يناير ١٩٦٨ .

(٤) بلاغ لجنة بكين الثورية وحامية بكين بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٦٨ . **بكين جيهباو** فى ٢٧ يناير ١٩٦٩ (طبعة المساء) .

لم يكن الجنود المفرزون بمهمة لتقديم « المساعدة للزراعة » كثيرى العدد ، فاذا كان بعضهم قد أرسل الى الريف منذ بداية العام الصينى الجديد ١٩٦٧ فان أكثريتهم لم يكونوا قد جاءوا الا فى الصيف • وخلال عام لم يفعل الكوادر الحائرون شيئا كثيرا للعمل على الاحساس بسلطتهم • وكان عجزهم ملموسا على حد سواء بالنسبة للنظام العام وبالنسبة للاشراف على الانتاج والأسواق وبكلمة بالنسبة للدولة التى كانت تريد العودة الى التخطيط الاقتصادى • على أن أى تخطيط يتطلب الابقاء على الأراضى المطلوبة للزرع فى حالة جاهزة واحصاء البضائع المطروحة للبيع فى الأسواق الجماعية • ولكن « وزارة الزراعة لم تستطع فى هذين العامين الأخيرين – كما قال شواين – لاى فى ٢ فبراير – اجراء ذلك ولم تستطع تقديم مساعدتها » (١) •

وكان التراخى ، فى الأقاليم التى كان خلو السلطة يطول فيها ، ويصيب حتى الأخلاق ، وهكذا فان « الأوهام الاقطاعية قد عادت الى القرى • فهناك مضاربون • ويلعب الناس بالمال علنا • والأرض قسمت • وتوجد أعمال قتل وسرقات ومخربون » (٢) •

كان المناخ لا يتقبل تقبلا جيدا انشاء اللجان الثورية عن طريق المجالس ، الا اذا نصبت السلطة رجالا جسورين •

لقد رأى **المركز** أن هؤلاء الرجال يمكن أن يكونوا ممن كانت لهم مسئوليات فى الميليشيا • وكان يجب عليهم أن يلعبوا دور الجيش فى تحالف اللجان الثورية الثلاثى ، حيث لم يكن فى الوسع ارسال الجنود • وهكذا فان رجال الميليشيا صاروا مسلحين بالأيديولوجية البسيطة «محاربة الأنانية ونقد التحريفية» (٣) أى لوم الفلاحين على فقدانهم للحس الجماعى على نبذ سياسة ليوتشاو – شى فى الريف • وقدمت لهم الصحافة الأمثلة على ذلك وشجعتهم• وأسهبت ، لصالحهم ، فى ضرب المشابهات بين مشاكل الحرب ومشاكل الصراع الثورى •

وبينما كانت اللجان الثورية فى الهسيين تبذل ما فى وسعها مع رجال الميليشيا لكى تبرهن للفلاحين على أن مشروعات ليوتشاو – شى كانت سوف لا تفيد الا الأغنياء ، لأن احياء المنافع الأنانية كان من شأنه أن يعيد الفلاحين الفقراء الى العبودية ، فان بكين كانت ماضية فى دراساتها المذهبية حول مشاكل تحويل وسائل الانتاج والتبادل الى الخدمة الجماعية • وقد كلف الثوريون فى اللجنة العلمية والتكنولوجية للدفاع الوطنى بتقديم تقرير لدحض « نظرية القوى الانتاجية » • وقد تحقق هذا التقرير من أنه ، بعد تجربة الثورات الماضية ،

---

(١) خطبة لشواين – لاى بتاريخ ٢ فبراير فى ممثلى اللجان الثورية لأهم الوزارات والأقسام فى الادارة • ذكر سابقا •

(٢) خطبة لى تيه – شينغ قائد الجيوش المعسكرة فى انهوى ومسئول رئيسى فى اللجنة الثورية الجديدة فى المقاطعة ، نقلا عن راديو انهوى بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٦٨ مذكورا فى مجلة **تحليل أنباء الصين** رقم ٧١٠ ص ٦ ، ٧•

(٣) شعار قدمه لين بياو فى خطبته بتاريخ اول اكتوبر ١٩٦٧ •

« لم تتحقق تنمية القوى الانتاجية الكبرى ، على وجه العموم الا بعد التغيير الذى تم اجراؤه فى علاقات الانتاج » (١) .

ترسيخ أقدام الاشتراكية

كان يجب مكافحة الحجج التى تقول بأن التطرف فى عملية تحويل ملكية وسائل الانتاج والتبادل الى الخدمة الجماعية كان لا يمكنها أن تنجح الا بعد ادخال الميكنة الزراعية الى الكومونات. وقد أكد مذهب تلك الحقبة بأكمله على أن الموارد الضرورية لبناء الاشتراكية لا يمكن توفيرها الا بالملكية الجماعية لوسائل الانتاج والتبادل الواجب اجراؤها . ولم يكن المتمردون يسعون الى الاستنتاج بأن ثمة مكانا لاقامة علاقات انتاج جديدة ، بل انه كان يجب الابقاء على علاقات الثورة الأولى . وبما أنها كانت مهددة فانه يجب تثبيتها . وبعد مضى ستة أشهر كتب ياو وين ـ ايوان قائلا (٢) :

« ذلك أن حركة الثورة الثقافية البروليتاريا الكبرى تستطيع أن تطير من نصر الى نصر فى المناطق المدينية عندما تتوطد مواقع الاشتراكية فى الأرياف فحسب » .

وحيا المتحالفين الجسـورين من الطبقة العمالية وهم قدامى الفـلاحين الفقراء وقدامى الفلاحين المتوسطين من الشريحة الدنيا .

فقد قرر اذن فى أغسطس ١٩٦٨ ، أن الفلاحين الفقراء قد فرضوا أنفسهم فى دورهم كقائدين للجان الثورية وللألوية الانتاج . لكنه بصورة خاصة أكد ان الثورة الثقافية تكتفى بترسيخ أقدام النظام القديم للألوية والكومونات وأخيرا فانه يدلنا على أنه بدا من المهم ، فى وقت معين ، اتمام اللجان الثورية الريفية وتمكين تنظيم الأرياف من الاستقرار قبل اكمال التقدم فى ثورة الطلاب والعمال الثقـافية .

وكان من الممكن الظن بأن هذا الحل يتضمن شيئا من العياء بازاء الفلاحين الذين لم يقوموا بأى نصر ثورى ، الذين لم يكن لديهم الطموح بنيل أى مغنم . وكانت هذه الفرضية سوف تسند بواقع أن النصوص ، فى تلك الفترة نفسها ، قد كرست بصورة مفاجئة بعض الشىء **الدور القيادى للطبقة العمالية** . لكننا اذا أخذنا بعين الاعتبار ان الثورة كانت قد أجريت من قبل فى الأرياف منذ ثمانى سنوات سابقة وأن الأمر الأساسى كان فى أن لا يضحى بها فاننا ندرك على نحو أفضل لماذا لم يتكلم ياو وين ـ ايوان على طموح أعظم من الطموح الى الترسيخ .

لم تكن الصيغة المتبناة لاعطاء مؤسسات الكومونات الشعبية وجهاً بارز المعالم ، أكثر ثورية ، هى شكل تغيير فى هيئة الموظفين على أثر انقلاب يتم ، وانما كانت فى انقاص العدو . فقد أبعد عـدد معين من المسـئولين وحصل الفلاحون ، على الأرجح ، فى التشكيل الجديد الذى تلا ذلك ، على نصيب من

---

(١) « انتصار الكومونة الشعبية وسقوط النظرية الحرفاء حول الظهور المتوقع للكومونة الشعبية » . وقد نشرت **الصين الجديدة** لعام ١٩٦٨ مقتطفات هامة من هذا المقال فى برقيتها تحت رقم ٢١٢٠٦ . (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٢) **هونغشى** رقم ٢ لعام ١٩٦٨ انظر أنبـاء بكين رقم ٣٥ بتـاريخ ٢ سبـتمبر ١٩٦٨ .

التمثيل لم يكونوا قد فازوا به حتى ذلك الحين · وفى هذا كان النهج المتبع مطابقا لتعليمات ٤ ديسمبر ١٩٦٧ التى كانت تريد تجنب الاستيلاءات المقامة على السلطة · وكان ما جرى فى **الهسيين** التابع لهسييانغ هو المثال الذى ضرب للبلاد ، حيث أنقص عدد جماعة القيادة فى اللجنة الثورية ، بعد الاصلاح ، الى ثلث عدد ادارة لجنة الحزب السابقة ـ فضلا عن أن عدد أعضاء اللجنة الثورية كان أقل بمقدار الثلث من عدد اللجنة الشعبية القديمة فى **الهسيين** . وتعميم هذه التجربة كان يسمح بكل تأكيد اقرار أكثرية ماوية فى اللجان الثورية المحلية ، باستبعاد المحافظين · وكانت هذه التجربة خطوة الى الأمام فى الاعداد لهذه الأكثرية من أجل مؤتمر الحزب (١) ·

كذلك يجب أن نقدر بأن الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين قد حصلوا على هذا النحو على حق متزايد فى الكلام · لم تنل جمعياتهم مهمة سياسية محددة · ولكن نظرا لأن الثورة الثقافية أخذت على عاتقها مهمة اصلاح « البنية الفوقية » ، فقد أبقى لهم فى النهاية بالمقابل ، الاشراف على المدارس وتربية أبناء الفلاحين · وعندما أعطى ماوتسى ـ تونغ تعليماته لكى تتولى الطبقة العاملة فى المستقبل أعباء التعليم ، أضاف بأنه :

« فى الأرياف ، يعود الى قدامى الفلاحين الفقراء وقدامى الفلاحين المتوسطين من الشريحة الدنيا ، الاهتمام بالمدارس » (٢) ·

تعلم الفلاحون من الأسلوب الكلاسيكى كيف كانوا يستطيعون تنظيم أنفسهم : فقد قرأوا فى الصحف الأمثلة المطلوب الاقتداء بها · وهكذا نظمت كومونة شوييوان فى لياو نينغ عشرين مدرسة ، عاملة « بصفة أساسية على تحقيق هذا الهدف : أن يكون لكل لواء مدرسة » · وكانت لكل مدرسة « لجنة للثورة فى التعليم ، مؤلفة من ممثلين عن قدامى الفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين وممثلين عن المعلمين وعن الطلاب الثوريين » · وضاعفت الصحافة من ذكر أمثلة المدارس المدارة من قبل الفلاحين الفقراء · فقد علمت يومية الشعب فيما بين ١٨ أكتوبر و ٢ نوفمبر ١٩٦٨ على ابراز مثل كل يوم وأحيانا عدة أمثلة ·

وقد بسط التعليم وقصرت مدة الدوام المدرسى · وأنشئت البرامج على «ميثاق النقاط الثمانى من أجل الزراعة» الذى وضعه الرئيس ماو(٣) . وهو ضرب من التقارير أعد أيام « القفزة الكبيرة الى الأمام » ، يلخص أنفع التجارب لتربية الفلاحين : معرفة التربة ، والأسمدة والرى وانتقاء البذور وحماية النباتات ·

وعلى هذا كانت مدرسة الريف تجد طريق التعليم العملى دون أن يبتعد مع ذلك عن **فكر ماوتسى ـ تونغ** ولكى يؤمن أكبر عدد من التلاميذ فى التقدم بواسطة التعليم كان الفلاحون الفقراء والمتوسطون يصبحون حماة المعرفة ·

---

(١) كان المسلك المتبنى ، فى الجيش الذى لم يكن يمحص ، مختلفا . ان لجان الحزب من الجيش لم ينقص عددها بل على العكس ضخمت باضافة «كوادر جديدة» ·

(٢) تعليمات ماوتسى ـ تونغ مذكورة فى مقال ياو وين ـ ايوان المشار اليه سابقا . هونغتشى ١٩٦٨ رقم ٢ ، فى أنباء بكين ١٩٦٨ رقم ٣٥ بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٦٨ ·

(٣) انظر انباء بكين ١٩٦٩ رقم ٧ بتاريخ ١١ فبراير ١٩٦٩ ·

الفصل التاسع

تيار اليسار المتطرف وبعض الأحزاب التي أوشكت على جعل الثورة الثقافية تنحرف

ان جميع قوى الأمة السياسية وجميع جماعاتها الاجتماعية قد دخلت فى الثورة الثقافية · ولكن كلا منها يحتوى على اتجاهات لا تحترم « النظـــام الثورى » وترعى بؤرا للتهيج والمزاودة · هنا وهناك يهب الثوريون ضد السلطة ويستطيع التوتر أن يقود الى المأساة كما حصل فى ووهان وفى كانتون حيث قهرت الثورة كثيرا · ففى بكين وشانغهاى كذلك استشاطت الجماهير بسرعة فائقة · على أن ثمة حركات حقيقية كانت لعبتها العمل على زيادة التوتر ، وتفنن عدد من الجماعات فى التخلص من الضغوط التى كانت توجيهات **المركز** تريد بها صقل العمل ·

نحن نعلم أنه يوجد لدى الطلاب ميل للفوضى · وقد رأينا قوى كانت تدفع الى تسارع الثورة فى داخل **جماعة الثورة الثقافية المركزية** نفسها · وحذر **المركز** من « أغراضهم التالية » (١) · وكان للجيش كذلك مشاكله فى المزاودة بسبب العسكريين الذين هم ، بوظائفهم الحالية ، على احتكاك مباشر بالثوريين كانوا ينــوون اشراك وحداتهم الى جانبهم · وحيثما كان توجد عنــاصر سريعة الانفعال · تعتقد بأن فرصها سوف لا تنتظر وأنه يخشى من الثورة أن تدوسها أو أنه يجب التضحية بالنفس لانقاذها ·

ان الحركة التى أنجبت اللجان الثورية الأولى الاقليمية كانت تبدو متوقفة · وكان المركز يفرض هنا وهناك وصاية الجيش · فاتهم عدد من المتمردين ضعف **المركز** ، واعتبروا أنه كان يرجع الى تردد الجماهير ، ولئن كانت هذه الجماهير لم تتحول الى الماوية، فقد صمموا على أنه كان يجب اظهار قوة دكتاتورية البروليتاريا فى وجههـا · وأشـــدهم فعالية ، كانوا يريدون ثورة عنيفة ، الهجــوم على

---

(١) أنظر فى هذا الموضوع ماذكرته **هونغشى** بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٦٧ فى الفصل الخامس ·

« السلطات » القديمة · وكانوا يرفعون لواء الصراع ضـــد ليوتشاو ــ شى ويطالبون بتسليمه للجماهير ·

واستحرت الرءوس فى يوليو · وكانت قوى الشارع عندئذ قد ازداد توترها واذا بحادث يقع فى ووهان حيث اختطف ثلاثة من القادة المركزيين ، كانوا موفدين لتكريس « اليسار » الحقيقى ، وكدرهم قادة الثوريين الذين لم يميزوهم · ولم يكن المركزيون قادمين لادانة أولئك القادة الثوريين وانما جاءوا من أجل اعطاء المتمردين حرية العمل اذ كانوا قلما يتجاسرون حتى ذلك الحين على الظهور : كان نظام ووهان يكتم أنفاسهم · فبدأوا عندئذ يتبخترون فى الشوارع · ولكن الجيش تدخل فى ذلك فساعد التنظيمات المحافظة على سحقهم· وأنقذ مبعوثو بكين ببراعة · وهكذا أعيد النظام على أيدى قوى خارجة عن النزاع· الا أن الجماهير أهانت قيادة الجيش ، وأوقفها **المركز** عن العمل ·

كانت المسألة ، بالنسبة **للمتمردين** فى كافة أنحاء الصين ، الذين رأوا اخوتهم يمزقون اربا ، مناسبة للمطالبة بتصفية الحساب ، فرغبوا ، بادىء ذى بدء فى التسليح للدفاع عن أنفسهم · وقالت لهم شيانغ شينغ أنه يجب الاستمرار فى الـكفاح بالاقناع ولكنهم سـوف يملكون كذلك حق « الدفاع عن النفس بالسلاح » · وكتبت الصحف هذا الكلام · وجند عدد من الطـلاب المتطوعين أنفسهم للذهاب فى حملة صليبية الى المقاطعات ···

واتخذت الحركة التى طالبت بتسليم ليوتشاو ــ شى ابعاد حصار حقيقى للشونغنانهاى دام شهرا · فقد وجد قسم كبير من الجماهير نفسه مساقا اليه دون أن يعنى أيضا ان ذلك كان مجابهة حقيقية **للمركز** · وغادر **المركز** عدد من الزعماء الثوريين للوقوف مع الشارع · وحسب أبطال اليسار المتطرف أن موقعا ثوريا جديدا قد نشأ · فأقاموا صلات بين جماعات اعترتها الحمى نفسها · ولم يكن لهم قيادة واحـدة ، شأن**جماعة الثورة الثقافية المركزية** وانما قيـادات **عديدة** : فى تحرير **مجلة هونغشى** وفى قسم الفلسـفة باكاديمية العلوم وربما كذلك فى الأركان العامة للجيش ·

ولم يكتفوا بالأيديولوجية التى كانت ستقود الى تجديد الحزب ولكنهم تحدثوا عن قلب السلطة وعن التطهير فى كل مكان وعن الطـاعة بلا شروط · وقد تبين بعضهم لديهم تياراً ستالينيا · وأعدوا سلسلة جديدة من **الاستيلاءات على السلطة** بدت فى هذه المرة موجهة ضد المركز نفسه · وبعد أن أثارت حنقهم سياسة الدولة الخارجية التى اعتبروها معتدلة جدا تجاه انجلترا فى استغلال اضطرابات هونغ كونغ ، فانهـم انتقلوا عندئذ الى الأفعال فأحدثوا حـريق المفوضية البريطانية فى بكين ·

واذ خسر **المركز** بالانحياز المتطرف من جانب قسم كامل من **جماعة الثورة الثقافية** انتقل الى الطليعة ، فانه دفع لجنة بكين الثورية الى اصـدار الحكم الصارم · اذ توجه عدد من القادة المركزيين بأنفسهم لحضور اجتماع لجنـة البلدية التى اتخذت قرارات أساسية لاعادة النظام فى أنحاء الصين كلها · وتنصلت شيانغ شينغ من حق الرد بالعنف الذى كانت هى نفســها قد جندته وأعطيت الأوامر القاطعة بعدم السماح بأى سلاح وبعدم اقتنائه · ومرة أخرى ارتكز تعديل الوضع على حسن الانضباط فى الجيش ·

ولعل مسألة ووهان قد خدمت الثورة الثقافية لأنها باسراعها بالحوادث عجلت بمجيء الساعة التي تحقق فيها من كانوا ينخدعون بأهدافها من أنهم كانوا في الطريق المسدود • فان مشاريعهم لم تكن تحظي لا بقبــول المركز ولا بدعم واسع من الجماهير الشعبية . وهــكذا فان قواهم وجدت نفســها معزولة • فمن جهــة ثمة طلاب ومثقفــون وكوادر ثوريون كانوا لا يجــدون لتشددهم ما يرضيه • كان لديهم مثل أعلى من انتقاد أو من الهدم ولكن ليس لديهم ، على وجه العموم ، برنامج سياسى • ومن جهة أخرى عسكريون ، كان الجيش يشكل بالنسبة لهم قوة تجديد ، ولكنهم كانوا يريدون قبل كل شيء تطهيره • ولأنهم كانوا يعدون لانقسام الجيش فانهم كانوا ضــحية ضعفهــم الخاص•وأخيرا كان هنــاك أشياع ليوتشاو ــشي الذين كانوا يشكلون شبكة قومية ولكن حركة أفكارهم لم يكن لهآ ما تســتطيع به اجتذاب الجمــاهير • وعلى العكس كانت شعبية الثورة الثقافية تقاس بالمدى الذى كانت تمارسه ضدهم•

لم يكن قادة الثورة الثقافية ، الذين ربما كانوا غير متحدين تمام الاتحاد، يواجهون اذن ، على كل حال ، أى عدو قوى حقيقة على المستوى القومى • وقد أعطاهم هذا التحقق اطمئنانا عندما بدت مســألة ووهان أنها قد انتهت دونما صعوبات كثيرة وأن تنظيم غلاة اليسار وهو أخطر عوامل التهديد قد انحنى لقوة الأمن العام •

ظل الجيش من بين التيارات الثلاثة التى ذكرناها ، أخطرها • الا أن تلك الحــوادث ، بدلا من أن تدخــل فى روعه ما يقنعه بأنه القـــادر على كل شيء ، كانت اذلالا له • مما دفع العسكريين الى حركة تقصيات عميقة • وقد يكون من المبالغة فى البســاطة ان نظن بأن الجيش انساق اليها دون جهد هائل من القادة ، ومن جهة أخرى كانت لحوادث ووهان انعكاسات فى منشوريا وفى شبنكيانغ وفى هونان وفى كانتون خاصة حيث اتخذت مسارا ربما كان أخطر منه فى ووهان لأنه كان أكثر ابهاما • ومع ذلك فقد كان من شأن احدى براعات سياسة التقصى انها كانت ترضى اتجــاهين فى الجيش • وان كان ذلك لدواع مختلفة •

كان المتمردون فى الجيش يرون فيه شروط التطهير الذى كانوا يريدون اجراءه ، وكانت اللجنة العسكرية فى اللجنة المركــزية تعتمد على أن الجنــود كانوا سيجدون فى نقدهــم الذاتى ما يوحى اليهم بالانســحاب من المنازعات السياسية والعودة للانخراط فى دور الجيش المنضبط بأوامر المركز ــ وفيما بعد بالحزب • وبخلاف الاتجاه الأول ، كان الاتجاه الثانى ينادى **بخط الجماهير** فانفجر التناقض الخطير الذى كان يوجد بينهما، رغما عن أن المركز قرر بأن حوادث الصيف لم تكن تشكل دافعا لتطهير الجيش •

الشوط النشيط :

فى مايو من العام الماضى ظهرت الاتجاهات النشيطة لحركة تنتحل اليسار، تقدم نفسها أحيانا فى ملامح اليسار المتطرف ، يسار من حيث الشكل ويمين من حيث المحتــوى .. لم يكن هؤلاء الناس يطلعوننــا على أعمالهم ولا كانوا يسألوننا النصيحة ، راغبين باستبعادنا لكى ينهمكوا بــكل هدوء فى وضــع دسائسهم وراء ظهورنا • لقد أتوا كثيرا من الشر ... بعضهم حاول استغلال

الحوادث لانكار نجاح الثورة الثقافية ومزايا الجماهير الشورية ... وأتوصلوا الى تعميققسم من الجماهير . وفى هذه اللحظة اتخذنا الاحتياطات اللازمة منهم اذ كان يجب ايقاف امتداد الشر . ففصلنا وانغ لى عن كوان فينغ واتصرفنا فيما يتعلق بشى بين ــ يو بصورة مختلفة . لذلك شهدنا تدرجا مع الزمن فى الاجراءات المتعلقة به ، وهو ما خلق مع ذلك مشكلة (١) » .

هكذا عبرت شيانغ شينغ فى مارس عام ١٩٦٨ ، فقد لخصت ، بقصد التبسيط ، قصة ذلك الاتجاه الذى اتخذ ، مدة من الزمن هيئة الظافر ، ولكن المركز ضحى به . انه لتبسيط اذ يصعب الظن أن سياسة المركز كانت مدبرة منذ وقت مبكر . فان شى بين ــ يو ووانغ لى وكوان فينغ كانوا ثلاثتهم أعضاء فى **جماعة الثورة الثقافية المركزية** . وكان موقع الرجال الثلاثة على رأس تحرير مجلة **هونغشى (٢) ويومية الجيش (٣)** يمنحهم ليس فحسب مبادرة عظيمة وانما كذلك شعبية عريضة لدى الجماهير الثورية . وهذه الشعبية هى التى أطارت لبهم فظنوا انهم كانوا يستطيعون القيام بسياستهم مع الجماهير ومع جماعة القيادة على حد سواء . وكان المركز يقظا فى الا يدع المجال لظهور اى انقسام أثناء حقبة طويلة بكاملها من الفراغ السياسى . كذلك فان الراديكاليين المتطرفين قادوا الثورة تماما بقدر ما قادها أولئك الذين أعلنوا فيما بعد الحذر منهم ، والاتفاق معهم . لم يكن أكبر الكبار فى مأمن من كل ضعف بازائهم ، بسبب شعبيتهم الثورية حتى شيانغ شينغ نفسها التى أدانتهم عام ١٩٦٨ ، كانت قد تأثرت بهم فى العام السابق .

وقد لوحظت فى شهرى مايو ويونيو انشقاقات كانت تحدث فى قلب التحالفات التى أتاحت انشاء لجنة بكين الثورية والتى كانت التشكيلات التى دعوناها « مؤتمرات » هى التعبير المحسوس عنها . وكانت انقسامات مشابهة فى الأقاليم بين الثوريين تسبب صعوبات هائلة للزعماء الذين كان المركز يعتمد عليهم للوصول الى تكوين التحالفات ، لذلك حاول المسئول الرئيسى عن شمال شرق الصين ، سونغ جين ــ شيونغ (٤) ، وقد يئس بعض الشىء لاخفاق نصائحه للتنظيمات الثورية ، انتهاج سياسة أكثر حزما بقطع كل معونة عن جماعات الحرس الأحمر . فاذا به يجد نفسه عرضة لانتقادات لاذعة من التكوينات المتطرفة .

كان المركز قد اتخذ ، كتكتيك ، تركيز أعمال النقد فى تجمعات كبيرة يكون هدفها بينغ شين ولو جوى ــ شينغ ولجنة الحزب القديمة فى بكين ، وبكلمة الـ «عبقريات السيئة » الذين كان الثوريون يستطيعون متابعة الهجوم

---

(١) خطب القادة المركزيين بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٦٨ ، ابان اجتماع فى ستاد العمال ببكين، نقلا عن **تونغفانغهون** ، جريدة «جماعة تونغفانغهون» من معهد الجيولوجيا ، رقم خاص بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٦٨ .

(٢) وانغ لى وشى بين ــ يو .

(٣) كوانغ فينغ .

(٤) أن سونغ جين ــ شيونغ ، وهو كادر منضم منذ شهر يناير ، قد احتفظ بلقبه سكرتيرا اول لمكتب اللجنة المركزية من أجل شمال ــ شرق الصين .

عليهم دون أن يسببوا في صفوفهم الخاصة انقسامات جديدة • ولا شك في أنها كانت أجدر سياسة تؤدى الى اتحـاد الثـوريين ذوى الارادة الطيبـة في تحالفات كانت ستنجم عنها حركة لتدعيم الحزب وتجديده •

وعلى العـكس أوصى الراديكاليـون المتطرفون ، بعـد أن تأكدوا من أن تلك التجمعات الكبيرة لم تكن تشحذ روح المعركة ، بتكتيك الاسراع بالعمل في اجتماعات صغيرة على مستوى الوحدات ل « تعميق النقد » و « العمل على تقدم الثورة الثقافية» . وكان الكوادر المعادون هم الذين سيكونون ضحايا هذه الاجتماعات وهم أولئك الذين كان المركز يريد ضـمهم بالجملة الى اللجـان الثورية • وعلى هذا فان أحد متقدمى صفوف ال « تمرد » في الجامعة ، نائب رئيس لجنة بكين الثورية ، وهو شينغ ــ فانغ (١) كتب بأنه كان يجب مضاعفة اجتماعات الصراع الصغيرة •

لقد سبق أن رأينا كيف كانت بعض التفسيرات الحرة لنقد ليوتشاو ــ شى قد قدمت منذ شهر مارس وكيف طالب لين شييه في شهر يونيو بتطبيق دكتاتورية البروليتاريا الاستبدادية (٢) . وظل نقد ليو تشاو ــ شى هوالصعيد الذى جند له أشد اليساريين من رجال السياسة ، « **الحرس الأحمر والمتمردين** في عمل كانوا ينتظرون من ورائه أن يضـطر المركز الى طرد جميع أعضـائه المعتـدلين •

وفى ٣ يونيو حل عدد من متظاهرى معهد الهندسة المعمارية أمام باب شونغنهاى الغربى وأعلنوا أنهم كانوا سيتابعون حركتهم الى أن يقوم ليو تشاو ــ شى بنقد ذاتى علنا • ونصبوا خيمة رفعوا عليها هذا الشعار : « جروا ليو الى الخارج وضـعوه في قفص من القضـبان الحديدية ! » كانوا يسـتعينون ب « دعـم حازم جدا من أكثر من سـبعمائة تنظيم ثورى » ، يتبـع أكثرها قيادة **الحرس الأحمر العامة الثالثة** القديمة • لقد تناوبوا في هذا العمل مدة ٣١ يوما و ٣١ ليلة ثم جاء شى بين ــ يو للقائهم في الخيمة في ٤ يوليو السـاعة الثالثة والنصف صباحا . وكتبوا فيما بعد يقولون انه جاء اليهم يعلمهم بأن بريزيديوم اللجنـة المركزية ورئيس الوزراء شـو كانوا يوافقون على أن يفرض على ليوتشاو ــ شى طأطأة رأسه والاعتراف بأخطائه أمامهم (٣) .

وخطا شى بين ــ يو خطوة حاسمة هلل لها **الحرس الأحمر طربا :**

> ان ما جاء به الينـا الرفيق شى بين ــ يو بقـدومه هـو النفع الذى لا يدانيه شيء والدعم الهائل من اللجنة المركزية ومن جماعتها الصغيرة للثورة الثقافية للصراع من أجل جر ليو الى الخارج (٤) » .

---

(١) شوشينغ ــ فانغ أستاذ البحوث في ادارة الفلسفة والعلوم الاجتماعية بأكاديمية العلوم وسكرتير لجنة الحزب لمعهد الفلسفة وعضو الفرقة المتحدة **للحرس الأحمر** في هذا المعهد وسكرتير عام لادارة لجنة بكين الثورية ورئيس مكتبها السياسى .

(٢) انظر في ذلك الفصل الخامس ، « الثورة على رأس الحزب والقيادة التمردية » .

(٣) انظر جريدة هسين بايئى رقم ١٣ بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٦٧ • ان نقدا ذاتيا خاصا من أجل معهد الهندسة المعمارية كان يمكن أن يبرر بسبب المصلحة الخاصة التى اظهرها ليو تشاو شى **لجماعة العمل** في هذا المعهد .

(٤) المصدر السابق **هسين بايئى** رقم ١٣ تاريخ ١٥ يوليو ١٩٦٧ .

بيد أنه ليس هناك ما يدل بوضــوح على أى نحــو كان **المركز** قد أعطى موافقته وبصورة خاصة شواين ــ لاى ، ومصدر اطمئنان رجال **الحرس الأحمر** أقرب الى أن يكون انضمام شى بين ــ يو اليهم والقيام بقيادة عملهم .

فقد جعل من نفسه ، كعضو فى **جماعة الثورة الثقافية المركزية** ، بطل الصراع منذ انبداية ، ضد ليو تشاو ــ شى • ففى عام ١٩٦٣ كتب مقالا فى معالجة موضوع تاريخى ، كان ، بحسب سنة الثورة الثقافية ، احدى الهجمات الفجائية الأولى على المسئولين عن ارتداد الشيوعيين الذين سجنوا عام ١٩٣٦ (١) وقد فتح النار فى أول ابريل ١٩٦٧ عندما أطلقت اللجنة المركزية حرية النقد ضد مؤلفات ليوتشاو ــ شى (٢) • وكان الشــباب الثــوريون يعجبــون جدا بشى بين ــ يو • ولم يكن فى وسع المركز ، الذى كان دائمــا متحــدا مع طليعة الثورة الثقافية أن يكف بسهولة عن التضامن معه حتى وان كان بعيــدا عنــه بعض الشىء •

حينئذ طلب الى ليوتشاو ــ شى أن يتقدم « فحص أخطاء » آخر ، تكملة للف التحقيق الذى فتح لقضيته من قبل • فكتب فى ٩ يونيو رسالة الى طلاب معهد الهندسة المعمارية ، نشرت فى اعلان حائط بتاريخ ١٢ • ومن هنا كان « جره الى الخارج » •• كان يعبر عن رأيه فى هذه الرسالة بكلمات قليلة حول ما كان يبدو له أنه يعنى الطلاب • فكاد **المتمردون** ورجال **الحرس الأحمــر** يختنقون من الغيظ ، اذ أن ذلك لم يكن نقدا ذاتيا • وأرغت صحف اللجان الثورية فى بكين وشانغهاى وازبدت .

« هذا الطموح الكبير ، رجل الدسائس ، يخيل اليه انه يستطيع نكران جرائمه نكرانا تاما • فهو لا يقــول كلمة واحدة عن نشــاطاته المضادة للثورة منذ عشرات الأيام • ويمسك عن الكلام عن معارضته لدكتــاتورية البروليتــاريا وعن فعــالياته لأحيــاء الرأسمالية ، ويحصره القول بعبارات سخيفة فى أنه اقترف أخطــاء فى الخط وفى الاتجاه مدة خمسين يوما (٣) » •

وحوالى ١٧ يوليو عقد القادة المركزيون مجلسا للتشاور وكانوا يتابعون اجتماعاتهم عندما بلغتهم أنباء ووهان الأولى (٤) • ومع ذلك فما من شىء يدل على انهم عدلوا تكتيكهم تجاه ليو تشاو ــ شى • ولعله حدث تجمع من اليسار ومن المعتدلين ضد أشد اليمينيين من رجال السياســة فى **المكتب السياسى** . فقد صرح لين بياو بأن « الحفنة الصغيرة » كانت تمثل خطرا ب « امكانياتهــا السياسية الهامة (٥) » •

---

(١) اذن ضد ليو تشاو ــ شى والجماعة التى كان يكونها بعض أصدقائه السياسيين • وقد نشر هذا المقال فى **يومية الشعب** بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٦٤ وان كان شى بين ــ يو لم يكن عندئذ مؤرخا مشهورا •

(٢) « وطنية أم خيانة » انظر الفصل الخامس •

(٣) **ينهوى باو** بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٦٧ •

(٤) انظر الفقرة التالية •

(٥) ان كلمات لين بياو المذكورة من قبــل تنظيم جمــاهيرى ثورى فى جيش الجو « الرواد الحمر» لابد من ترديدها فى اجتماع للقادة المركزين فى تلك الأيام • أنظر الصين الجديدة ، برقيات التوزيع بتاريخ ٢٢ يوليو •

وقد تكلم بعضهم عن **الخط الرجعي في الثـورة الثقافيـة** (١) . وهـو ما كان يلفت الانتباه الى أن المركز كان يحلل بعمق آراء العناصر التي كانت مرتبطة به حتى ذلك الحين . ولا شك في أن الأمر قد وصل في ذلك الى لحظة انجاز القرارات الناجمة عن « تيار فبراير المضاد » أعني البـطء الذي كانت الاجراءات معه ممكنة . وحصل أشد الراديكاليين من القادة فضـلا عن ادانة تان شين ـ لين القطعية ، على تحذير لبعض نواب رئيس مجلس شئون الدولة مثل شين يئى ، الذين كانوا يستمرون في الافصاح عن آراء لاذعة .

وهكذا ، بينما كانت حركة اليسار النشيطة تبـدأ بوضع **المركز** موضع الاختبار ، وهو ما كان بالنسبة له أكثر التحديات جدية ، فان المركز كان من جانبه يهتم جاهدا باصلاح يمينه . انجاح لشى بين يو ؟ في الظاهر فحسب . أما وقد تم التحقق الآن من وجود رجعيين في الفريق فانه كان سـيمكن فيما بعد فضح خط اليسار المتطرف في الثورة الثقافية .

فلا شك في أن أول مرة تكتب فيها الصحافة المركزية كلمة « يسار متطرف» كان في ٦ أغسطس، بمناسبة مغادرة سوناما ، ممثل الحزبالشيوعي الياباني الدائم ، للصين نهائيا ، والصحفي في الاكاهاتا : كونو . فقـد تعرض هذان الشخصان من جانب رجال الحرس الأحمر الياباني والصيني في مطار بكين لمعاملة قاسية جدا . الا أن **يومية الشعب** كتبت :

« لقد لاحظنا أن بعض الأشخاص وقد أبطنوا مقاصـد لما بعـد ، قد اتخذوا موقفا يساريا متطرفا حول وجود سوناما في الصين واتهموا حزبنا على عدم طرده من قبل » .

وانتهى المقال الى القول بأن المتطرفين قد أرادوا ايقاع الحزب في فخ بتقديم الأدلة المضادة للصين الى الجماعة المركزية للحزب الشيوعي الياباني المعادي حينئذ للثورة الثقافية .

مسألة ووهان :

في نهـاية الأسـبوع الأول من شـهر يوليو كلف مسئولون عديدون من المركز للقيام بمهمة في مدن الجنوب الغربي من الصين حيث كانت الشقاقات بين التنظيمات الثورية خطيرة وتستثير مواجهات دامية . فتوجه هسيه فو ـ شيه وزير الأمن العام ونائب رئيس الوزراء ووانغ لي عضـو **جمـاعة الثورة الثقافية المركزية** ويولي ـ شين مفوض سياسي لجيش الجو ، يصحبهم رجال من الحرس الأحمر في معهد الملاحة الجوية ، الى شينغتو ثم شـو نغكينغ ، وبعدها الى كونمينيغ في يونان ، ووصلوا بعد ظهر ١٤ يوليو الى ووهان . حيث كان القائد العسكري يبسط سلطة مطلقة وفي المدينة الثلاثية التي تعد ما يقرب من خمسـمائة الف عامل كان على التظلمات **المتمردة** ، التي أكرهت تقريبا على التزام الصمت ، ان تفسح المجال لجمـاعات أكثر طواعية لسـلطة الجيش . وكانت المشاجرات تؤدي الى سـقوط جرحى عديدين كانت جرائد الحائط في بكين تعطى احصائيات عنها . ففي ٢٣ يونيـو وقع أكثر من ثلاثين

---

(١) «الثوريون البروليتاريون يتحدون من أجل الصراع ضد خروشوف الصيني وعملائه» نشر في **الصين الجديدة** بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٦٧ .

قتيلا وأكثر من أربعين في يوم ٢٤ • وأوقف الجيش أثناء شهرى مايو ويونيو (١) أكثر من ثلاثة آلاف شخص •

كان موفدو المركز يحققون في شئون التنظيمات الثورية : تجنيدها للأعوان ، مسلكها ، الأفكار التى كانت تمثلها حقيقة • وقاموا بزيارة للجماعة التى كانت تحظى بتفضيل الجيش فى ووهان والتى كانت تحمل اسما طنانا : « مليون مقدام » (٢) . فحذروا زعماءها من الميل الى العنف . ثم توجهوا ، بالذات صباح يوم ١٩ يونيو ، الى مركز « تنظيمات الحديد والصلب الثلاثة » سانخان Sankan وهو اتحاد عمال كانوا فى قلب متمردى ووهان . وفى اليوم نفسه جمعوا هؤلاء العمال فى الاستاد فألهب الخطباء القادمون من بكين حميتهم الثورية •

وبعد ظهر ذلك اليوم أشاروا لقيادة المنطقة العسكرية بالتوقف وشرحوا للجيش بأنه لم يعرف أن يتبين اين كان موقع « اليسار » فى ووهان . مما يكشف الى أى حد كان المركز قد تركه يمضى . وسلم وانغ لى توجيها صادرا عن شواين – لاى يأمر بدعم قوى سانخان (٣) وأمر بأن ينشر فى المدينة • وفى الحال ، اتهمه من الثوريين أولئك الذين أحسوا بانحد من جموح آمالهم ، بأنه هو صاحب التوجيه •

وفى وقت مبكر جدا من صباح ٢٠ احتل ال « مليون مقدام » وقسم من الجند المطارات المدنية والعسكرية ومحطات السكك الحديدية وأرصفة الميناء وأهم الطرق الحيوية والأبنية الهامة (٤) • وكان الجنود المدفوعون الى ذلك ينتمون الى فرقة مستقلة هى الوحدة ٨٢٠١ ، تلك التى تلقت مهمة الثورة الثقافية فى منطقة ووهان العسكرية بموجب أوامر القيادة المحلية • وقام فوج من هذه الوحدة بتطويق الفندق الذى كان موفدو المركز ينامون فيه • ورفض القائد الأعلى فى ووهان شين تساى – تاو ، التدخل ، معتصما بما تلقاه من تعليمات لتجنب المواجهات بل عمل على اخلاء مراكز الحرس فى مقر الأركان العامة . كذلك ترك قسما من جنوده سيتصيدون المتمردين فى شوارع المدينة .

واقتحم ال « مليون مقدام » حواجز الفندق • فحجز هسييه فو – شيه فى احدى الفرق ، واختطفت رجال من الوحدة ٨٢٠١ وانغ لى وعنف وأصيب كثيرون من رجال الحرس الأحمر معه بجروح .

وأظهرت بكين غضبها • ففى بعد ظهر ذلك اليوم وقفت قوى البحرية المعسكرة فى ووهان ضد شين تساى – تاو • وطلبت وحدة أخرى من الجيش

---

(١) جمع كونو فى صفحتى ١٦١ و ١٦٢ من كتابه المشار اليه جميع الأرقام التى دونها عن ضحايا ووهان قبل شهر يوليو نقلا عن ملصقات بكين •

(٢) **Paiwan Hsiungshih** ، وتدعى أحيانا «مليون من الفرق» •

(٣) هذه القوى كانت تضم **سانخان** (ثلاث «فولاذ») **وسانليين** (ثلاث «حلفاء») **وسانهسين** (ثلاث «جدد») ، وكان بينها طلاب الجامعة الجديدة فى هوبى •

(٤) روت مسألة ووهان صحف كثيرة من جرائد **الحرس الاحمر** وخاصة هونغستى التابعة لتنظيم «العلم الأحمر» من معهد الملاحة الجوية الذى كان كثيرون من أعضائه صحبة وانغ لى (هونغشى رقم ٥٥ بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٦٧) وجريدة ووهان : **ووهان كانغ اير هزو** التابعة لعمال الصلب (رقم ٣٨ ، طبعة هويشو تاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٦٧) •

تحويل وانغ لى اليها وخضعت الوحدة ٨٢٠١ لتعنيفاتها الشديدة ولكن قيادة الجيش التى كانت تحسب الحصول منه على استرداد التوجيه لم تسمح باطلاق سراحه . وعندئذ قامت قوى **سانخان** بهجوم فى المدينة . فاحتلت وهى مزودة بأسلحتها الحربية حيا وأوقفت اللجنة الثورية المؤقتة . ودفع خطر الحرب الأهلية الذى كان يتفاقم ، وحدات أخرى من الجيش للقيام بالضغط لكى يطلق سراح مبعوثى بكين . وفى ٢٢ يوليو انحاز الطيران الى جانبها . وعندما جاء الـ « مليون مقدام » ، لدى معرفته بمخبأ وانغ لى ، يهاجم المعسكر المحتجز فيه عمل قائد المعسكر على تهريبه بطريق الأدغال . وتمكن هسييه فو ـ شيه ووانغ لى من العودة الى بكين فى وقت متأخر بعد الظهر . فأعد لهما فيها استقبال المنتصرين .

وسجل لعودتهما فيلم كان اهداؤه الى الثوريين المنعزلين فى الأقاليم وأعطى عنوانا : بكين تساندكم . وقد أظهر مشهد الوصول الى بكين شيانغ شنغ وهى تمسك هسييه فو ـ شيه ووانغ لى يداعبهما بينما كان وانغ لى يعكز فوق الأسفلت وعيناه مورمتان . ولكن هذا المقطع كانت له ملامح البهجة . يوحى بالاحساس بأن جماعة القيادة الصغيرة ، وهى قليلة العدد على الجملة ، حاضرة بكامل أعضائها تقريبا ، كانت سعيدة بلقاء رفيقيها الغائبين . ولفترة من الوقت لم يكن هناك شيء ذو بال ، وكانت فرحتها معدية .

كان هذا الفيلم يريد فى المقام الأول ، اظهار اتحاد المركز لكنه كان يستهدف كذلك العمل على التعريف بقوة الثورة فى المدن الكبرى لكى يلهم الصبر لمتمردى الأقاليم على ما هم فيه من محن . وهو يظهر ، من بكين . المظاهرات الهائلة ضد شين تساى ـ تاو وكان الموضوع المختار لشانغهاى اجتماعا هاما للقوى المسلحة جرى أثناءه ابلاغ الجند بالأزمة وبالمخاطر التى تم اجتيازها . وتخيرت الوحدات مساعدة الثوريين فى ووهان ، واعتلت ناقلاتها . كما لو كانت ذاهبة الى الحرب ، بينما كان الجمهور فى بحرين من الفرح لهذا الالتزام العظيم من جانب الجيش .

لقد حظى هسييه فو ـ شيه ووانغ لى ، لأغراض الدعاية ، بمعاملة المنتصرين ولكن مغامرتهما بالنسبة للصين بأكملها كانت تتأخر الى الدرجة الثانية خلف محنة المتمردين فى ووهان ، المضطهدين بالأمس ، والمقاتلين اليوم . ولابد لنا من أن ندرك بأن الجيش الذى لعب دورا رجعيا الى ذلك الحد فى ووهان ، يكفر عن ذلك الآن بالاعتراف بشجاعتهم .

وهكذا جعل منها ملحمة . وكان خطأ وانغ لى فى الظن بأنه بطلها . فالأبطال الحقيقيون هم رجال شانخان . وكان الجند فى شانغهاى مستعدين للسفر فى أى وقت لنجدتهم . وأعلن قائد أسطول الشرق فى ٢٥ يوليو قائلا :

« لقد أعطانا قائدنا العظيم ، الرئيس ماو بنادق ومدافع وسفنا وطائرات ، فعلينا اذن بكل عزم سحق الأعداء الطبقيين فى الداخل وفى الخارج .. اننا عازمون بكل صلابة على مساندة الثوريين البروليتاريين فى اقليم ووهان » .

وفى غضون ذلك، أقيمت فى بكين ، منذ ٢١ يوليو منصات كان المتطوعون يتوافدون اليها لاعلان أسمائهم . انهم يهبون « حياتهم عند الحاجة » من أجل الدفاع عن ماوتسى ـ تونغ وعن جماعة الثورة الثقافية • وقد دلت هذه الحركة على أن الشبيبة تقبل باحتمال الحرب الأهلية . ذلك أن المعارك فى ووهان مستمرة • فجماعة ال « مليون مقدام » لم تسلم بأداتها واجتذبت مددا من انفلاحين الى المدينة • وقد سير الجيش ، الذى كانت مركباته وكاميوناته تزحم رجال السانخان بالأمس دورياته الآن فى الشوارع لرد ال «مقدامين» عن الشوارع أو لسحقهم عند الاقتضاء • ولقد أحس العسكريون ، بقسوة ، بهذا التبدل فى التحالف وزمجر النزاع ، على رأس الجيش بين أولئك الذين أرادوا التفكير عن الأخطاء والذين يغفرونها •

واستبدل شين تساو ـ تاو ومفوضه السياسى وانغ جين ـ شونغ وهو أحد الكبار الأقوياء من أعوان تاو شو الذى نعرفه جيدا (١) • فهل يمكن الاكتفاء بهذا ؟ لم يقر المتمردون من الجيش الوقوف عند حد العزل • لذلك كتبوا : « يجب تحطيم » المسئولين تحطيما كاملا على الصعيد السياسى والأيديولوجى كما يجب على صعيد التنظيم (٢) » وذلك يعنى انهم يطالبون بالتطهير •

ان المقال صادر عن طليعة أركان جيش انجو وهذا يعنى أنه قد يكون من يولى ـ شين الذى كان فى ووهان مع موفدى **المركز**• وترددت **يومية الشعب** فى نقله • لعلها خافت من مبادرة القيام بتطهير لم يكن **المركز** قد وافق عليه بعد • فكتبت هيئة التحرير : « لقد طرح علينا هذا المقال مشكلة هامة » •

لكن **المركز** تأخر فى تحديد مذهبه • وأثناء هذا الوقت اكتسبت الحركة من أجل التطهير فى الجيش قوة • وعند ما جاء أخيرا الهاتف بالجواب المنتظر لم يكن فيه ما يتعلق بالتطهير • فخلا عن عزل بعض القادة ، اختار **المركز** أسلوب النقد الذاتى لجميع أولئك الذين تلوثت أيديهم فى المسألة وكان ذلك مختلفا جدا . وسوف يكون عقاب الجند أن يساعدوا الآن بما فى طاقتهم فحسب أولئك الذين كافحوهم بالأمس •

ويجب أن يكون لدينا الجرأة وسعة الفكر الضرورية لكى نحرر الجماهير المخدوعة » (٣) .

وتمت الانتقادات الذاتية فعلا • فقد قام بمقتضياتها المفوض السياسى الجديد فى ووهان باسم جنده (٤) . وبقى العمل على وضع حد للمشاجرات .

---

(١) منذ تكوين **الحرس الاحمر** فى جامعة شينغهوا . انظر الفصل الرابع .

(٢) **يومية الشعب** بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٧ •

(٣) نقطة رقم ٤ من الاعلام المستعجل الصادر عن قيادة الثوريين البروليتاريين فى منطقة ووهان بتاريخ ٣١ يوليو ، نشر فى يومية الشعب بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٦٧ • وقد جاء على اثر رسالة من خمس نقط صادرة اليها من اللجنة المركزية ومجلس شئون الدولة واللجنة العسكرية **وجماعة الثورة الثقافية من اللجنة المركزية** .

(٤) ليونينغ : « لنبق مخلصين لقائدنا الأعلى العظيم الرئيس ماو » ، نشرة انباء هسينهوا بالصينية ، **شينفجيه هسينوين** بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٦٧ ص ١٤ ومايليها .

فناشـدت القيادة العامة للشـوريين البروليتاريين فى ووهان المتمردين لتناسى روح الثأر (١) . فان قادة التنظيمـات الرجعيـة هم وحدهم الذين يجب أن يعاملوا بقسوة .

غير أن وانغ لى ظل فى مواقعه معتبرا دائما أنه يجب القيـام بتغييرات جذرية فى ووهان (٢) . وارتبط به قسم من الأركان العامة ، اذ أراد هذا القسم أن تجرى على نطـاق الجيش كله . ووجب عندئذ أن تحتج يومية الشـعب . فنحتت هذه العبارة :

« اذا كان الرفاق من الجيش قد اقترفوا أخطـاء فانهم سـيظلون طيبين بشرط أن يصححوها . يجب الا ندفع بهـذه الأخطـاء الى مسـتوى من الخطورة السـياسية لا يمـكن علاجه . ويجب الا نمنع الآخرين من القيام بالثورة . » (٣) .

لمـاذا كان من الضرورى أن تصبح الجريدة المركزية واضحة الى هـذه الدرجة ؟ فقد علمنا فيما بعد أن أرفع قائد تنفيذى فى الجيش ، رئيس الأركان العامة ، يانغ شينغ ـ وو كان هو نفسه قد غامر بسمعته فى الاتجاه المتطرف .

ضرب الكلب الذى يكون فى الماء :

ان شهر اغسطس هو شهر الذكريات بالنسبة للثورة الثقافية . ففى عام ١٩٦٦ تمخض عن **تاتزوباو** ماوتسى ـ تونغ واجتماع اللجنة المركزية الموسـع وارتقاء لين بياو الى درجة الـ « خليفة » وتقديم **الحرس الأحمر** للبلاد .

ولقد أضيف الى حركة الالتزامات الطوعية ، نمو العمل من أجل محاكمة علنية لليو تشاو ـ شى . وفى يونيو ويوليو جاء رجال الحرس الأحمر من معهد الهندسة المعمارية فأقاموا فى الشارع المحـاذى للشونغنانهاى من الغرب . وفى اغسطس حذا حذوهم أكثر من خمسمائة تنظيم . وهكذا ازدان هذا الشارع ، الذى كان قبل عام مكان استعراض المواكب المحمومة للاحتفال بعودة ماوتسى ـ تونغ ، بسياسات دائمة تفترشه فى الهواء الطلق . فبات فى حركة دائمة كأنه ممر الى معرض .

لقد نقلت الصحف فى أول أغسطس ، بمناسبة عيد الجيش ، خطبة لين بياو عن الحرب الشعبية . وكانت بصورة غير مباشرة حضـا على النزول الى الجماهير فى الشارع من أجل هجوم أخير ضد الـ «سلطة» . وفى اليوم التالى كانت بكين فى حالة غليان . فأقامت التنظيمات الثورية مئات المنصات فى الشارع الشرقى وأمام باب شونغنانهاى الجنـوبى . وكانت الكاميونات تنقل العمـال والفلاحين من الضواحى ، هاتفين : « يسـقط ليو تشـاو ـ شى » . وكان الشارع رائعا بالألوان : أعلام حمراء موسـومة بصفات التنظيمـات ، اعلانات مرفوعة للهواء ، صور كاريكاتورية لا حصر لهـا . ومن فوق كل منصـة كانت

---

(١) نداء عاجل من قيادة المتمردين العامة ، نقل بالراديو صباح اول اغسطس .

(٢) حديث وانغ لى وباو تينغ ـ شـان فى ٧ اغسـطس عن كراس منشـور فى اكتـوبر فى **هونغشى بينغتوان** فى تينسنين .

(٣) **يومية الشعب** بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٦٧ .

توزع النشرات التى كثيرا ما كانت تستنسخ فى نفس المكان . وكانت الجماعات الأكثر غنى تملك مكبرات للصوت تزعق بنداءاتها . وكان هناك المضربون عن الطعام ، والخطباء الملهمون والمغنون . وكانت التنظيمات تنتدب رقباءها الى أبواب شونغنانهاى التى غدا من العسير الدخول أو الخروج منها . وأخذت بعض الاشاعات تنتشر : « هرب تاو شو واولانفو . انهما مع هولونغ الذى يقود الثورة المضادة بجنود عصاة . » وكانت روح الرعب هذه تدفع الثوريين الى المطالبة بأحكام الاعدام .

كذلك كان يوم ٥ اغسطس يوم الاحتفال بذكرى **التاتزوباو** الذى كان يقول : «لنقصف القيادة العامة .» (١) وقد طالبت التنظيمات الثورية بتسليم ليو تشاو ـ شى لها فى اليوم الرابع منه قبل منتصف الليل . كانت تريد تنظيم تجمع ضخم ضده ، تعتقد أنها نالت عليه الموافقة من لجنة بكين الثورية . وهو ما كان يعنى طرح مشكلة صعبة على **المركز** . ولم يكن هيجان اليسار المتطرف العنيد يفعل الا أن يعمق الهوة بين **المركز** وزعمائه . وكان **المركز** يمكن أن يكون اقرب الى الرغبة فى تقريبهم منه ليزيد فرص اتحاد اليسار . ومن جهة أخرى فانه اذا رأى نفسه ، وقد استثاره ذلك الهيجان مساقا الى التلويح بالسلطة لقمع اليسار المتطرف ، كان سيفقد ثقة قسم كبير من الثوريين . وكان تكتيكه هو أن يتجنب كل شكل لد « مماحكة بالجماهير » التى كانت تضطره الى حماية شخص ليو تشاو ـ شى .

كان قد تجمع حوالى ثلاثمائة الف شخص فى الساعة الواحدة والعشرين فى ميدان تين آن مين الكبير . وتوصلت اللجنة الثورية الى تفريقهم بتكذيب مطالبتها بتسليم ليو فى منتصف الليل . واخطرت الناس بأن موعد اجتماع النقد سيكون فى السادسة من صباح الغد وربما لا يغادر ليو تشاو ـ شى شونغنانهاى وانما كان سينتقد فيه من قبل أنداده ويستطيع الجمهور من تين آن مين متابعة الجلسة بواسطة مكبرات الصوت فى الميدان . وكان ليو نفسه من حيث هو ، سيسمع رد فعل الجماهير بالميكروفونات ومكبرات الصوت .

وفى الساعة المعينة اعتلى شواين ـ لاى وشين بو ـ تا وشيانغ شينغ المنبر فى تين آن مين ، من حيث كانوا يشرفون على الجمهور . وقد تبنت الجماهير حلا يمكنها وفقا له متابعة الصراع ضد ليو وتينغ وتاو شو حتى النهاية . وحصلت جلسة سماع الشهود فى شروط حددتها وحدها جماعة صغيرة من المركز . ولكن القادة الذين كانوا يشكلون هذه الجماعة والذين كانوا حتى ذلك الحين قد ساروا دائما فى موكب قيادة الـ « تمرد » ، بدوا ـ منذ ذلك اليوم ـ منفصلين عن الخطباء الشعبيين الذين ينتمون لليسار المتطرف . وقد حدثت القطيعة بين كبار الحزب الحقيقيين المحركين الأول للثورة واكثرية النشيطين الكبار من **جماعة الثورة الثقافية المركزية** . اذ شعر هؤلاء أنهم دون أدنى شك « معزولون » من قبل الـ « قدماء » فى الحزب ، الذين يبدو أنهم كانوا يظهرون بالنتيجة من التضامن مع ليو تشاو ـ شى أكثر من التضامن مع الثورة .

---

(١) ماوتسى ـ تونغ ، «أول تاتزوباو ارفعه» ، أنظر الفصل الخامس .

كان المتمردون يصرخون أكثر من أي يوم مضى ب «ضرب الكلب فى الماء» . وتصرفت الحكومة وجماعة زعماء الحزب الذين تقلص عـددهم ، بحيث يمـكن ألا تظهر كثيرا خلافاتهم مع اليســـار المتطرف • الا ان أجهـزة الصــحافة والراديو ووكالة الصــين الجـديدة بل والجـرائد المركزية ، كثيرا ما أوحت بالشعور بأنها باعت نفسـها للفعالين . ولم يعد الاعلام الرسمى ابدا ذلك الذى نجده بصورة عامة فى النظام الشيوعى ، فلقد أفلت من احتكار وكان يسـلم أمره لآخرين ، الى دكتاتورية البروليتاريا التى كانت تريد للتنظيمات المتمردة سلطة مطلقة فلو أننا فسرنا سياسة الحكومة بالصحافة ، اذن لخاطرنا بارتكاب خطأ : وهو الاعتقاد بأن السـلطة قد استقرت على أساس يســارية متطرفة وفى مواقع أكثر ثورية مما هى فيه حقيقة .

لم يقدر رجال **الحرس الأحمر** بالمقابل ، على املاء انتصــارهم فى ذكرى قيامهم الرسمى يوم ١٨ أغسطس . فلقد أحدثوا جلبة كبيرة ولكن أية سـلطة لم تدع الى الاجتمــاع الذى كانوا يأملونه . ولم يرتفع من **المركز** ، الآمن من الضوضاء أى صـــوت • بل على العكس فان بعض الأقلام التى كان المركز يقود الأيدى التى تمسك بها ، قد حشرت عددا من مقالات التقييم القاسى فى جرائد كانما كانت ساخطة عليهم فكانت تكتب مثلا : « بخـلاف رجال**الحرس الأحمر** الذين يتصفون بالحمية ولكن لا يتصفون بالتجربة فان الكوادر الثوريين الذين يملكون الاثنتين ، هم كنز البلاد » . وكان المركز فى هـذا الوقت بحـاجة الى ارخاء وثاق الحرس الأحمر فى بكين . وعمل على نشر ما يفيـد بأنه كان يجب على الطلبة أن يتعلموا القيــام بنقـدهم الذاتى وأن يصـلحوا انفســهم**بفـكر ماوتسى ـ تونغ (١)** .

وكان ثمة جيش ، فى الريف يجتاز بعد اخفاقه ، أزمة ثقة فى قادة **المركز** ويوشك أن يلجأ الى المتمردين .. وفى العاصمة سلطة مقيدة بضغط المتطرفين . ولم تكن أخبار كانتون وهانكاو واورومشى تتحدث الا عن الفـوضى التى كانت تدب أو عن أعمال القمع التى كان الجيش يمارسها . ولا سيما فى كانتون (١)

---

(١) يومية الشعب بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٦٧ .

(٢) كانت كانتون ساحة للوغى بين حزبين : « العلم الأحمر » الذى كان « تحالف العمال الثوريين» **والقيادة العامة الثالثة للحرس الأحمر** يشكلان كتيبة وحزب «ألوية الدفاع الأحمر» (كما فى شانغهاى) الذى كان يضم تشكيلات شبه عسكرية بينها «لجنة العمل المتحد» الشهيرة التى كانت ماتزال تعمل • وكان أحد ملامح الموقف الأصلية هو أن فلاحى الضواحى الفقراء والمتوسطين كانوا قد انخرطوا فى الحزب الثانى مع كل تنظيماتهم . فانهم لم يختاروا معسكرهم لأسباب أيديولوجية بل لعلهم كانوا يبحثون عن فرض وجودهم بالقوة ضد أى شكل من أشكال استقلال الثورة كان يمكن أن لايفيدهم • وكان الحزبان قد حصلا على الأسلحة ويعتصمان فى مواقع أستراتيجية . وحفر الفلاحون الخنادق وأقاموا المتاريس ، وفقد الجيش فى ذلك عددا من الرجال . الا انه بدا متسامحا ، وربما لأن الفلاحين كانوا مجندين فى الحــزب السىء : فالكتله «المختارة» كانت ضالة . وبدلا من أن يمنع المعارك بين الحزبين فان الجيش أقـرها بشروط معينة : التحقيق من سـلطة حالة الشـجار الشعبى ، الكف عن ارســال المـدد الى الاشتباكات ، حياد الفلاحين (اتفاق من ٧ بنود بتاريخ ٢٦ يوليو بين التنظيمات الثورية ، وقع بحضور الجيش) . غير ان القائد العسكرى هوانغ يوانغ ـ شينغ منع فى الجيش **المتمردين** =

فان الالتزامات من هذا الجانب وذاك كانت من الخطورة بمكان حتى ان القيادة كانت تمنع المتمردين فى الجيش . كان يجب أن يكون لرءوس الثورة السياسية قوة صبر غير مألوفة ، لكى يثبتوا على طريق تجديد الحزب دون أن تشجعهم بارقة فى التقدم .

لقد طلبوا الى الناس ببساطة ، فى لحظة عسيرة الى هذا الحد المحافظة على برودة العقل وان يفكروا . واذا كانوا بعيدين عن التقليد الحرفى للشعار القائل « كل شىء موجود فى **فكر الرئيس ماو** » الذى كانت الطليعة تسىء استخدامه للمطالبة بالطاعة المطلقة ، فانهم عملوا على الكتابة بوجوب التفكير (١)

ان هسييه فو ـ شيه ، وزير البوليس ، وهو يذيع دون تحفظ الأخبار السيئة ويروى أعمال قمع الماويين فى الريف ، شارحا للثوريين رفع حصار للفلاحين المحرضين فى بعض الأماكن على تطويق المدن ، لم يتكلم عن القوى التى يتولاها : انه يستخلص درسا من الحوادث على المستوى الأخلاقى (٢) . وقال شين بو ـ تا أن الضجة لا يمكن احتمالها وانه لا يستطيع العمل فى بكين وانه مضطر للذهاب الى الريف (٣) . كل الناس بحاجة الى حقبة للملاحظة والتمحيص . وبعد كل شىء لماذا كان تحالف اليساريين الكبير لا يحتمل أن يخرج من التشنج بصورة أسهل مما يخرجون من اطار التنظيمات الثورية ؟

ذلك النداء الى التفكير ينبىء بنوع من تجديد الجماهير الثورية . فقد كتبت جريدة شانتونغ(٤) «على الرفاق الذين ضللوا أن يتخلصوا من حملهم» ، مرددة ، صدفة ، عبارة بوذية . فبجميع ذوى الارادة الطيبة الذين سوف ينضم بعضهم الى بعض الآن وبالحرس الأحمر اذا شاء العزوف عن المجد وبالكوادر الثوريين الحقيقيين « الذين هم كنز البلاد » يمكن معاودة الانطلاق فى الثورة الثقافية .

المركزية المتعددة :

ان عددا معينا من محركى اليسار المتطرف لم يعش سياسيا الى شهر اغسطس . الا انه كان لابد لكى يتمكن المركز من تقليص نفوذهم وازاحتهم ، من أن يقترفوا أخطاء .

= **الثوريين** الذين كان يدعوهم «قنابل تعويق» (فى شهر أغسطس) . انظر بصورة خاصة أوراق كانتون : **كونغان شامباو** أول أغسطس ١٩٦٧ ، **هواشيه هونغشى** رقم ٧ بتاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٦٧ .

أما فى نيكيانغ فان عصبة حقيقية استولت على الاشراف فى الطرق الحديدية فى شهر يوليو (**وينهوى باو** ى ١٠ يناير ١٩٦٨) . وفى سينكيانغ قمعت الحركة المسماة «ثورة مؤقتة لوحدة الانتاج » ، العمال من القيادة العامة الثانية على نفس المنوال الذى أراد تنظيم « مليون مقدام» المدعوم من الجيش ، أن يفعله فى ووهان .

(١) «لاتجب الاجادة فى الصراع فحسب بل الاجادة فى التفكير . ففى جميع الظروف يجب المحافظة على برودة الفعل والقيام بالعمل الايديولوجى والسياسى بكل دقة تجاه الجماهير» **يومية الشعب** بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٦٧ .

(٢) خطب القادة المركزيين بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٦٨ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) افتتاحية **تانسون جيهباو** ، منشورة فى **يومية الشعب** بتاريخ ١٠ اغسطس ١٩٦٧ .

كان أشهرهم من الصحفيين . فبحكم موقعهم فى **جماعة الثورة من اللجنة المركزية** كانوا مكلفين هم أنفسهم بالرقابة . فأساءوا استعمالها عندما أغراهم سنوح فرصة قيادة الجماهير الى هجمات جديدة .
موافقة المركز وبدافع الشغب . فأججوا بعملهم هذا الشقاق المدنى .
يكن يكفى لادانتهم فكان لابد من حكم من القيادة الجماعية ، ولم تكن الظروف تتهيأ لعقد مؤتمر .

هؤلاء الرجال كانوا يخطئون فى تقدير دور اللجان الثورية . كانوا يرون انها يجب أن تكون ، حيثما كان ، حكومات ثورية صغيرة . ففى فكرهم أن اللجان ، الجماعات التحضيرية فى اللجان لو أعطيت جميع المبادرات لأنهت الثورة الثقافية بسرعة . اذ بتحطيمها للمعارضين دون ابطاء وهمزها للفاترين بالسياط كانت ستشكل أنظمة جديدة ، ذات قوة لا ترحم . وفيما وراء ذلك كانوا يتصوررون وجود رابطة ، فى الأيديولوجية ، مع جميع الحركات الثورية بالحرب الشعبية وربما بالثورة التى لا تتوقف .

لم يكونوا يبصرون بأن اللجان الثورية لم تكن حكومات وانما كانت مدارس حكومة . كان الكوادر والجماهير والجنود يتجمعون فيها ليتعلم بعضهم معرفة البعض الآخر بمقدار ما يجتمعون لاقتسام ادارة الشئون المحلية . لا سيما وأن العنصر الرئيسى فى اللجان كان من الكوادر . اذ أن العمل على استقدام الجنود والجماهير للعمل معهم كان لصالحهم . فمن هذه البوتقات سوف يخرج الكوادر الجدد وبالتالى الصالحون للحزب ذلك أن **قانون الايمان** هو أنه لا يوجد الا حزب واحد ، قائد ورسول ، وبرغبتهم فى اطالة الاستقلال الذاتى الذى وجب اعطاؤه لـ « مؤسسات البروليتاريا المؤقتة » كانوا يسيرون ضد **قانون الايمان** ، وبذلك كانوا يمجدون المركزية المتعددة .

ان المنافحين عن الحزب لم يتثبتوا من حقيقة المركزية المتعددة الا فيما بعد بالتأكيد (١) . وقد لا يمكن القول بأن الكلمة كانت قد استخدمت : فلم تكن تعبر عن برنامج مشكل . لقد استعملت لنقد الأمر .

لقد عمل شى بين ــ يو ووانغ لى ولين شييه وكوانغ فينغ وموهسين على منوال مركز منفصل . وأداروا الاعلام بصورة استبدادية . وأنشأوا مع تنظيم يدعى « ٥١٦ » ــ جماعة ١٦ مايو ــ علاقات خاصة لم تكن تتلاءم مع قادة مركزيين . وأضمروا العمل على تسلم المبادرة من **المتمردين** فى مرافق الحكومة دون الرجوع فى ذلك الى المركز وهو ما كان شكلا جديدا مغامرا من الاستيلاء على السلطة . فقد قال فيهم كانغ شينغ فى أول سبتمبر : (٢)

« منذ بعض الوقت .. نشأت جماعات صغيرة .. لاتخضع قط **للمركز** ولا تتطلب أبدا من رئيس الوزراء الاذن بالعمل » .

---

(١) ان ادانة المركزية المتعددة ماثلة فى اوامر **جماعة الثورة الثقافية من اللجنة المركزية** لاول اكتوبر ١٩٦٨ .

(٢) خطب هامة للقادة المركزيين فى اجتماع أول سبتمبر ١٩٦٧ **للجنة الثورية** فى بكين . كلمات كانغ شينغ (مختارات من الخطب ، من منشورات **هونغشى بينغتوان** ، مطبعة هونغشى فى فينتسين أكتوبر ١٩٦٧ ص ٥) .

كانوا يفرضون نظاما يحكم فيه الثوريون كما يريدون. قطاعات السلطة التى تنالها أيديهم : مركزية متعددة بالفعل ، صالحة لتيسر الضغوط على المركز ، فى وقت كان الانقسام يهدده فيه .

كانت قصة تنظيم « ٥١٦ » يمكنها أن تبدأ فى ٣ اغسطس ١٩٦٧ ، اليوم الذى دشنت فيه « وحدة الحرس الأحمر للعاصمة ٥١٦ » (١) ولكن جميع شانئيه قد أكملوا ماضيه بقصة الانتقادات التى وجهت الى شواين ــ لاى منذ شهر يناير . كان هذا الأسلوب لعرض الأمور انطلاقا من معطيات التجربة يرمى الى الافهام بأن أصحاب جميع الهجمات الغادرة التى وجهت الى رئيس الوزراء ، نتيجة نوبة قصيرة جدا ، أثناء الثورة الثقافية ، قد افتضح أمرها وأن ولاءه الثورى لم يكن مما يمكن سبه .

كان عدد من الثوريين الـ « طموحين » قد صمموا على تهديم سلطته لأنه كان يساند أحيانا كثيرة رجالا مولعين بالنظام على حساب مطالب الثوريين المباشرة . ولما كانوا لا يتجاسرون دائما على مهاجمة شواين ــ لاى نفسه فانهم امسكوا بتلابيب المسئولين فى الأقاليم وبرجال من فريق شواين ــ لاى فى بكين وبصورة خاصة بوزير الخارجية شين ابى . وهو الذى كان دائما سليطا على الحرس الأحمر وكان يعلن لهم :

« التمرد ، التمرد على من ؟ على انا ! كيف جرى أنكم لم تذهبوا الى فيتنام لتتمردوا على الأمريكيين ؟ » (٢) فكان بذلك يقدم لهم مرمى رائعا .

كانت المآخذ تعرضه كعامل ، كانسان لا مبال بالصراع بين الطريق البروليتارى والطريق الرأسمالى ، ويقوم بدور دون أن يشاء الاهتداء الى الثورة الثقافية . حتى أن شين ابى قد انتقد علنا فى اجتماعات هامة (٣) الا أن شواين لاى دافع عنه دائما مخاطرا بتفتيت شعبيته الخاصة .

كان العقل المفكر لتنظيم «٥١٦» جماعة من المثقفين متمسكين بالسلطة ، ولعلهم دون وسواس (٤) . فقد حسبوا أن سبر وزير الخارجية سبرا دقيقا كان سيعرى بعض نقاط الضعف . ويمكن لسقوطه أن يضع مسألة اليسار المتطرف بزعزعة مكانة شواين ــ لاى الذى أصبح يلام الآن بكلمات مكشوفة على تسامحه مع الجيش فى ووهان وعلى التأخر فى العمل على انشاء لجان ثورية جديدة .

---

(١) خليط من جماعات أكثرها جند من المثقفين ــ خاصة من كلية المعلمين العليا ــ وكان أهم المحركين لهم من «جماعة السبعة» فى ادارة الفلسفة والعلوم الاجتماعية بأكاديمية العلوم. بينهم شوشينغ ــ فانغ صاحب المقال من أجل « اجتماعات صغيرة للصراع » الذى تعرضنا له ، والذى كان يدعو الى تحميه الثورة فى الوحدات .

(٢) مذكورا فى **هونغشى شامباو** بتاريخ ٨ ابريل ١٩٦٧ ذكر سابقا .

(٣) مثلا فى ٢٤ يناير أمام عشرة آلاف شخص . انظر كونو ، **بكينغ كونو اشينين** ، طوكيو ١٩٦٧ ص ١٧٦ ذكر سابقا .

(٤) قبل ميلاد « ٥١٦ » أضمر الذين أصبحوا فيما بعد المحركين لهذا التنظيم ، اقامة جماعة التقصى فى أجهزة اللجنة المركزية» بالاشتراك مع دار المعلمين العليا وذلك فى مارس ١٩٦٧ . مصدر : « كومونة المتمردين الثوريين فى صناعة الصلب » فى كراسة بتاريخ سبتمبر ١٩٦٧ .

لقد أجج حقد الصراع الخاص ضد شين ايى فى مطلع شهر اغسطس اقتران عدد من المناسبات كان فى أكثرها مستثارة : انطلاقة للعمل الثورى الجديدة للاستيلاء على السلطة فى هونغ كونغ وهى ادارة انكليزية ، التأثير الذى حظى به الدبلوماسيون فى وزارة الخارجية بعد سحبهم من أندونيسيا على أثر الاضطرابات المعادية للصين ، صعود جماعة « ٥١٦ » المفاجىء الذى غطى على المتمردين من معهد الشئون الخارجية . كان المتمردون يزعمون أن لديهم مطاعن جديدة مؤيدة لتهمهم ضده . فتوصلوا الى مجىء شين ايى ليشرح موقفه امامهم . الا أن اجتماعاتهم كانت مشوشة ولجأ النقد فيها الى جميع الأسلحة الغوغائية . وكان من المستحيل تجنب توقيف وزير الخارجية مدة خمسة عشر يوما .

غير أن التقصيات التى قام بها ثوريون آخرون بعد ذلك قادت الى القول بأن وانغ لى قد طمع بوزارة الخارجية أثناء شعورها بحجز وزيرها . فقد جرت ل «بطل» ووهان محادثة عظيمة فى ٧ أغسطس مع متمردى الوزارة ربما كانوا قد دعوه أثناءها باصرار لتسلم السلطة(١) . الا آن تتمة هذه المسألة ظلت غير معروفة فى تفاصيلها حتى آدانة وانغ لى ولكنه من المعروف انها انتهت باحراق السفارة البريطانية(٢) ، فى نهاية أنذار صينى بقى دون جواب ، ولم يتكلم أى خبر صينى عن تلك الشارات . كذلك لم يذكر أى نبأ فيما بعد أنه كان هناك انذار يطالب الثوريين فى هونغ كونغ بحرية العمل . كل شىء انقضى كما لو أن المركز قد وضع على الرف العمل الدبلوماسى الذى أدير فى غياب شين ايى الاجبارى .

كان أسلوب المركز فى اظهار عدم رضاه بما جرى للبعثة الانجليزية الاكتفاء بنشر قائمة بالمحذورات فحسب تتضمن سبع نقاط ، مشروعة من أجل الصراعات ضد البعثات الدبلوماسية الأجنبية (٣) . غير انه حدث رد فعل حاد تجاه تجمعات اليسار المتطرف فأوقف موهسين ولين شيبه (٢) فى الأيام الأخيرة من شهر أغسطس . كذلك أوقف رئيس تحرير **يومية الجيش** (٥) . الأمر الذى يلقى ضوءا مختلجا على طرق تأثير المتطرفين من **الجماعة المركزية** على الجيش . وبعد ادانة تنظيم « ٥١٦ » بصفة شرعية أجريت التفتيشات اللازمة ضده فأدت الى وضع وانغ لى وكوان فينغ وشو شينغ ـ فانغ تحت المراقبة .

---

(١) «خطب هامة للقادة المركزيين فى جلسة أول سبتمبر ١٩٦٧ للجنة الثورية فى بكين» فى طبعة ١٠ سبتمبر ١٩٦٧ من تيتتسين ص ١٠ ذكر سابقا . وبسبب ٧ أغسطس لقب بوانغ با ـ ئى يتضمن معنى الشتيمة .

(٢) فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٧ . برقية من الصين الجديدة تقول فقط : «باشر المتظاهرون الساخطون عملا شديدا ضد مركز القائم بالاعمال البريطانى» . هسينهوا ١٩٦٧ رقم ٠٨٢٢٢٥ ، (سلسلة باللغة الانجليزية) .

(٣) أنظر **اساهى جيانارو** جـ ٩ رقم ٥٢ تاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٧ ص ١٢ ـ ٢٢ منورو تاكوشى ، « سسور تراى نو ياكوواری » .

(٤) لين شيبه ، محرر هونغشى ، موهسين رئيس تحرير **كوانغ مينغ جيهباو** .

(٥) شاو ايى ـ يا رئيس تحرير **يومية جيش التحرير الشعبى** .

بيد أن تسوية قضية شي بين ـ ابو كانت صعبة لأنه كان يحاول اشراك شيانغ شينغ معه أو أن ينجو بنفسه معهما . وعلى الرغم من النصيحة بأن لا ترتبط كثيرا بوانغ لى وكوان فينغ ، فلربما كانت زوجة ماوتسى ـ تونغ متعاطفة بعض الشيء معهما . الا أنها عندما انجلت العاصفة ، اختارت لنفسها، فى نوفمبر ، أن ترتاح .

لعلنا نذكر سلسلة الأفعال التى كان ماوتسى ـ تونغ قد نصح بها عندما كان الأمر يجب أن يعنى نهوضا فى السياسة : نصيحة ، توجيه ، افتتاحية فى الصحف . كان ذلك فى الحقبة التى وجد العمال والفلاحون فيها أنفسهم منجذبين بسرعة الى الثورة بتحريض **الحرس الأحمر** (١) . وأيام مسألة تيار اليسار المتطرف كان ماوتسى ـ تونغ نفسه غائبا ، يقوم برحلة فى الوسط والشرق . فساق شواين لاى وكانغ شينغ النصيحة من خلال خطبهما فى ٣٠ اغسطس ونشرت اللجان الثورية فى بكين وفى شانغهاى عددا من التوجيهات ولم يوقع المركز ، باسمه الرباعى ، الا أمرا يحرم حيازة السلاح (٢) ، أى شيء تكنيكى على الجملة .

كان من الصعب فى غياب ماوتسى ـ تونغ عقد المكتب السياسى لمناقشات كانت ستمتد لتتناول عددا كبيرا من المسائل الحساسة . وقد جاء التوجيه الرئيسى من لجنة بكين الثورية فى أول سبتمبر . اذ وسعت اطارها الى مشاكل (٣) أخرى عديدة والى احزاب أخرى عديدة غير « ٥١٦ » الذى ألغته . وكانت تأنيبا الى أكثر راديكالية بالنسبة لليسار المتطرف منها بالنسبة للجماهير التائهة . فهل كان صحيحا أنها ارادت طرح الحرب الأهلية ، راضية لدى الحاجة بخطر الضربات التى كانت تهدد الأقليات ؟ لتسلم بأن كثيرا من التنظيمات كانت تستطيع استرداد قواها على حين لم يكن لتنظيم « ٥١٦ » كذلك .

وهناك مقال ظهر كذلك فقد كتب ياو وين ـ يوان ضد « كتابين لتاو شو » (٤) . فأشار فى هذا المحضر التحقيقى غير المباشر الى أن وراء « ٥١٦ » مسئولين مازالوا حتى الآن لم يكشفوا للعيان . وكانت **جماعة الثورة الثقافية من اللجنة المركزية** قد تشكلت فى الحقبة التى كان يتولى فيها تاو شو الدعاية ، فضلا عن أنه كان قد اختار قسما من فريقهالذى كانت تجب تصفيته اليوم . فأدرك المطلعون أن الذين جاءوا الى السلطة مع تاوشو سوف يوضعون فى الغربال .

وهكذا تخلصت جميع هيئات التحرير فى الصحف الكبرى وفى مجلة هونغشى دفعة واحدة من العصاة الذين كانوا غالب الأحيان يمزجون مقالاتهم

---

(١) انظر فى هذا الفصل الرابع .

(٢) أمر من اللجنة المركزية ومجلس شئون الدولة وجماعة الثورة الثقافية واللجنة العسكرية . وقد تكلمت شيانغ شينغ عنه ابان الاستقبال الثالث لوفدى الانهوى بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٦٧ .

(٣) سبق لنا أن تكلمنا عن اعتدال الأجور (فصل سادس) وعن التوقف فى توزيع الأسلحة على الثوريين (فصل ثامن) .

(٤) **يومية الشعب** بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٦٧ .

النارية بما كان يمليه عليهم المركز المعتدل . وباعدت مجلة **هونغشي** ما بين اعدادها . وتركزت جميع جهود التحرير فى **يومية الشعب** .

وعلى حين كانت الأزمة تبدو انها قد نخرت فى أعماق الثورة الثقافية فان المركز مع ذلك ، أعلن باطمئنان لم يسبق له مثيل بأنه تم الفوز بالثورة .

الأزمة فى الجيش :

حتى مسألة ووهان كانت الاجراءات التى تحد من انخراط الجيش فى الثورة الثقافية ، فى جملتها ، فعالة . فباستثناء عدد ضئيل من الوحدات المعينة ، كان الأمر الى الجنود بعدم التدخل . اذ ثمة حادث مبتذل قد أول لهم التحفظ الذى كان يطلب منهم مراعاته . فقد توقفت عن السير ذات يوم من أيام اغسطس سيارة فى حى منعزل من أحياء بكين . فطلبت السائقة التى كانت تتكلم الصينية جيدا ، من جنديين مرا بها مساعدتها فى دفع السيارة . الا أنهما أعلنا باصرار أنهما لا يفهمان ما تقول : عندئذ جاء بعض الناس من الجوار فقدموا المساعدة اللازمة لسيرها ، وقالوا تفسيرا للموقف بكلمات قليلة : « انها لمسألة فى منتهى البساطة ، فان لديهم أمرا بالبقاء بعيدا ، عن التدخل . فليس هناك الا أن يطلب من الشعب . » .

ومنذ رسالة ووهان تعالت أصوات نافدة الصبر تطالب بالتغيير . فقد امكن أن نقرأ فى تعليق للصين الجديدة فى ٢ أغسطس (١) ما يلى : « ان الأمر الكبير الجديد هو أن الجيش قد شارك فى الثورة الثقافية فى وسط مدنى » . وعلى منوال المتطرفين من **الجماعة المركزية للثورة الثقافية** ، أصم اشياع العمل فى الجيش عن سماع تهدئات المركز ، الذى قرر العفو الشامل بالنسبة للجيش ولم يستبدل الا عددا قليلا من القادة المسئولين .

وفى ١٦ اغسطس عمل **المركز** على نشر الوثائق التى استخدمت فى ادانة بينغ ته ــ هويه ، ذى النزعة العسكرية واليمينى ، وذلك فى عام ١٩٥٩ . وكان لا بد من أن يكون لهذا التنبيه معنى . واذ كان يمكن اعطاؤه تفسيرات عديدة فقد كل واحد الافادة منه لصالحه .

وقد دعت **يومية الجيش** الى شن صليبية ضد جميع أصدقاء بينغ ته ــ هويه ولوجوى ــ شينغ القدامى (٢) ، الا أنه قد سبق لنا أن رأينا مع من كانت تمشى ــ وانتهى رئيس تحريرها فى التوقيف . وبدورها أفصحت المجلة العقائدية **هونغشي** عن رأيها ، مكررة تلك اللعبة المألوفة لدينا وهى أن يكتب مقال للرد على مقال آخر ويقوم صوت أقوى بسحق الهجاء الأضعف . فكتب احد كتاب الافتتاحية أن كوادر الجيش الذين تأثروا بذوى النزعة اليمينية وذوى النزعة العسكرية قد أصلحوا انفسهم جميعا (٣) . فعلى من يحسن

(١) فى تعليق مرافق لمقتطفات من مؤلفات ماوتسى ــ تونغ العسكرية ، طبعة الصحف فى أول أغسطس (عيد الجيش) .

(٢) يومية جيش التحرير الشعبى ١٦ اغسطس ١٩٦٧ افتتاحية حول نشر قرار اجتماع لوشان . انظر هسينهوا ١٩٦٧ رقم ٨١٦٣. (سلسلة باللغة الانجليزية) .

(٣) افتتاحية **هونغشي** حول دور جيش التحرير الشعبى فى الثورة الثقافية . انظر هسينهوا ١٩٦٧ (سلسلة باللغة الانجليزية) .

الاصغاء أن يدرك أن يومية الجيش كانت على خطأ باعطاء الاشارة للتطهير فى الجيش .

لكن الموقف ، عندما تتعارض نشرتان ، على هذا المستوى من النفوذ ، فى موضوع كهذا ، يكون خطيرا . فقد سبق لنا أن رأينا تردد هيئة أركان القيادة فى تجنيد الميليشيا المسلحة فى الثورة الثقافية ثم انحيازها الى جانب قيادات المناطق التى عبأتها (١) . وكان هذا يجرى بتاريخ ١٨ أغسطس أى فى الأسبوع نفسه . وكان يبدو حتما ، ان لهيئة الأركان فائدة عظيمة بالقيام بثورة ثقافية نشيطة بالجيش وفى الجيش . والحقيقة أن رئيسها قد عقد اجتماعا مع العناصر المتمردة على أعلى مستوى فى القيادة . وعلم الصينيون من الصحف يوم ٢٤ أغسطس أن المتمردين البروليتاريين من أجهزة هيئة الأركان قد تسلحوا بفكر « ضرب الكلب الموجود فى الماء » (٢) وذلك « فى ظل قيادة لجنة الحزب لهيئة الأركان العامة المشكلة خول يانغ شينغ ــ وو » .

كان تفكير المركز مختلفا جدا اذ من المرجح أنه كان يريد بالرجوع الى بينغ ته ــ هواى الاشارة على أنه كان يجب عزل العسكريين الذين كانوا يفضلون أحكام الجيش على أحكام الحزب ، من وظائفهم . وكان أول الضحايا هسياو هوا الذى كان ينافح عن جيش بسيط وقوى وانما على شىء من الشموخ . فاختفى ، بتواريه عن المسرح ، أول أولئك الذين كانوا ، بين العسكريين ، مهيئين للحلول مكان المارشالات ــ أولئك الذين كان يمكن تسميتهم « الجنرالات الكبار » ، وتبعه يانغ شينغ ــ وو بعد مضى ستة شهور . غير أنه اذا جاز الظن بأن طموح هذا هو الذى ضيعه فان هسياو هوا كان ضحية أفكاره فى طبيعة العسكريين ، المخالفة للآراء المطروحة وحول انعزال الجيش .

منذ ذلك الوقت أوحى لين بياو بالانطباع بأنه لم يكن يحتفظ بمعاونيه . الا أنه يجب التسليم انه ، فى هذه الحالة ، قد اختار تكتيكا هو : « تدمير موقع على اليمين عندما يكون مدفوعا من اليسار » ، بما أنه كان يستهدف العودة الى خط الجماهير . فبعزل هسياو هوا اطاح برأس جماعة الثورة الثقافية الصغيرة فى الجيش ، التى أعيد ترتيبها تماما (٣) . ونصبت فيها ايه شون ، زوجة لين بياو . ولاستعادة السيطرة فى الاشراف على جيش الجو اصطف قائده الى جانبها ، ذلك أن الطيران كان يطرح مشكلة فى الحقيقة ، تشغل البال ، منذ اليوم الذى اختطف فيه مفوضه السياسى أيو لى ــ شين فى ووهان فى مغامرة وانغ لى نفسها . فقد كان يشاركه عواطفه ويطالب بتطهير « الجيش من الحفنة الصغيرة » .

---

(١) انظر فى هذا الموضوع الفصل الثامن : «الفلاحون» .

(٢) «اشادة السلطة المطلقة للرئيس ماو بأعظم حمية ، اشادة السلطة المطلقة لفكر الرئيس ماو بأعظم حمية» . مقال **ليومية الشعب ولكوانغمينغ جيهباو** بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٦٧ .

(٣) ملصقات بتاريخ ٩ سبتمبر فى بكين . نصب على رأس الجماعة الجديد ووفا ــ هسين رئيس هيئة أركان حرب جيش الجو وشيو هوى ــ تسو رئيس الادارة العامة للامداد والتموين وشيانغ هسيو ــ شوان المفوض السياسى العام للبحرية وايه شون .

يبقى العمل على الدفع باطمئنان الى التبرؤ من هذا الشعار السيء ، اذ لم يكن لقد بينغ ته ـ هواى ، كما رأينا جيداً ، يصل الى هذا الغرض . وأعلن شواين ـ لاى وشيانغ فى سبتمبر أنه كان هناك خطأ فى الدعاية ، وهو « الامساك بتلابيب حفنة صغيرة فى الجيش » (١) .

ولكن كيف كان فى الوسع معاكسة اغراض رئيس هيئة أركان الحرب ، الذى كان يريد جر الجيش الى « ضرب الكلب فى الماء » ؟ وجرت محاولة ذلك باضفاء شكل احتفالى مهيب على أعمال النقد الذاتى ، وربط الضباط بجماهير الجنود . ونظمت دورات **التدريب على دراسة فكر ماوتسى ـ تونغ** فى الجيش على جميع المستويات . وقد ألحت الصحف التى كانت تعبر عن ارادة **المركز** الى حد جعل من الضرورى « تنظيم ـ هذه الدورات ـ بمساهمة المقاتلين » (٢) ـ أى الجنود . وبعد هذه الاجتماعات التى كانت تختم بالنقد وبالنقد الذاتى كان يصبح من الصعب على المتحمسين للتطهير توقيف الأشخاص المعينين بين أولئك الذين يأتون لتناول القربان بفعل نكران لأخطائهم .

لقد اهمل جيش لوجوى ـ شينغ استعمال النظام الذى يتحدث الرجال بفضله مع رؤسائهم فى لجان الحزب . فقد أسبغ الطابع البروليتارى على هذه اللجان . وقبلت الخلايا السرية واللجان فى الكتيبة جنوداً فى حلقاتهم للدرس (٣) . وهنا يجب أن نتذكر ان لجان الحزب فى الجيش لم تنتقد . وكان أعضاؤها الذين يجلسون فى مقاعد اللجان الثورية يسقطون فى هذا الانحراف المائل فى خلط قيادة (مع الشعب) بقرار (من أجل الشعب) . وعودة الجنود الى تشكيلات الحزب تحيى رؤية بسيطة لدور الجيش الاجتماعى والسياسى فى البلاد ، الذى تتنافى معه جميع المنافسات من أجل السلطة .

لم تكن الرغبة فى الاتحاد التى ترتكز على هذه السياسة مما سيوجب العمل على الظن بأنها قد طبقت بمرونة . بل كانت صارمة تجاه كوادر العسكريين ومشاريع المتطرفين، الذين يمارسون سلطتهم حتى فى هيئة الأركان العامة وكانوا لا يتركون كثيراً للاختيار فى كيفية التصرف . فان العزل دون التطهير كان يقتضى العزل حقيقة . وهكذا صادق المركز على عزل قادة

---

(١) كلفت شيانغ شينغ بأن تكون أول من ينتقد هذا الشعار كما تنتقد التطهير فى الجيش. وقد كان سبب ذلك أنها كانت كذلك أول من صرح بأنه كان فى مقدور الثوريين حق « الدفاع عن النفس بالسلاح » . خطبة ٢٠ يوليو ، وافتتاحية **وينهوى باو** فى ٢٣ التى تذكر شيانغ شينغ . أثبتت حوادث المقاطعات فى شهر اغسطس خطورة هذه الصيغة . فاستردت شيانغ شينغ هذا الحق وأحيت القاعدة القديمة بالكفاح بالاقناع فى الدفاع كما فى الهجوم . قامت بذلك فى خطبتها بتاريخ ٥ سبتمبر فى ممثلين عن الانهوى حيث أدانت بها كذلك فكرة «الحفنة الصغيرة فى الجيش» . واعتبرت هذه الخطبة هامة جدا بحيث وزعت لها تسجيلات على الثوريين فى كافة أنحاء الصين . وصرح شواين ـ لاى فى ١٧ سبتمبر الى رجال **الحرس الاحمر** من الـ «مؤتمر الاحمر» فى بكين أنه وقع خطأ بعد ٢٠ يوليو ارتكبته الدعاية بشأن الـ «حفنة الصغيرة فى الجيش» .

(٢) افتتاحية **يومية جيش التحرير الشعبى** بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ ، **الصين الجديدة** لعام ١٩٦٧ رقم ١٢١٢٠٩ (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٣) **يومية الشعب** بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ .

عسكريين معينين من مناصبهم ، تولوا قيادات فى بكين و ووهان ولانشو وشينفتو وهو ههوت • ثم عقد مؤتمر فى بكين أثناء النصف الثانى من سبتمبر ، ضم ممثلين عن سبع عشرة منطقة عسكرية . وبفضل عدد معين من أعمال النقد الذاتى سيوثق هذا المؤتمر وحدة جيش التحرير الشعبى ويوطد دعمه للرئيس ماوتسى ـ تونغ .

اللجان الثورية فى الرهان :

منذ تكوين اللجان الثورية الأولى ، التى انبثقت فى اندفاع لم يدم طويلا فى مطلع العام ، نشأت لجنة اقليمية جديدة واحدة كانت هى لجنة شنينغهاى فى شهر أغسطس (١) • ثم ظهرت لجنتان آخريان ، متأخرتان فى الشهور الأخيرة من عام ١٩٦٧ احداهما فى مونغوليا الداخلية والأخرى فى تيتسين (٢) الا أن ذلك لم يكن نجاحا واسع النطاق . لذلك كان ركود هذه الحركة التى علق المركز عليها قيمة كبيرة ، موضوعا لاهتمام المسئولين فى القمة وباعثا للهياج بالنسبة للمتطرفين .

كانت ال « مؤسسة » فى نظر قسم من اليسار المتطرف قد أصبحت فاسدة . وبعد أن نبذ بعضهم حتى الأفكار التى كانت تلهم عددا من الآخرين بالمركزية المتعددة ، كانوا يعتبرون أن اللجان الثورية قد سقطت فى أيدى «بورجوازيين مغتصبين» (٣) • وقد اعترفت شينانغ شينغ بهذا الاتجاه فى خطابها الشهير بتاريخ ٥ سبتمبر فى موفدى الانهوى (٤) •

قالت أن الأمر كان يبلغ بالمستائين حتى المطالبة باعادة تنظيم جميع اللجان الثورية التى كان المركز قد قبل بها .

لعل أحد الأسباب التى عاقت تقدم تكوين اللجان أن الجماهير التى كانت فى فترة معينة مشغوفة بالسياسة قد ابتعدت قليلا عنها • ذلك أن تأصل الشقاقات بين الجماعات الثورية ـ التى تكاد أن تكون دائما هى نفسها ـ وتدنى مستوى « مؤتمرات بكين » والافراط فى أعمال العنف أثناء الصيف فى أقاليم الصين تقريبا ، كل ذلك كان يحدث تراخيا فى رجل الشارع . ولم تكن التنظيمات الثورية تزيد فى تجنيد الأعوان ورغما عن سماع الناس بأسمائها كثيرا ، فانها لم تكن ممثلة ، للجماهير تمثيلا كافيا ، لكى تقدم للجان الثورية دعما متوازنا .

---

(١) ١٢ أغسطس ١٩٦٧ . وشينغهاى بلاد جبلية متاخمة للتيبت ولسنكيانغ وتشكل اقليما للعبور قليلة السكان جدا . ولم يبعث تكوين لجنتها احساسا بأنه حدث ثورى بمقدار ماكان تعميدا باسم جديد لمؤسسة ترمى الى تأمين الاشراف على مقاطعة استراتيجية .

(٢) مونغوليا الداخلية فى أول نوفمبر ١٩٦٧ • تيتنسين فى ٦ ديسمبر ١٩٦٧ .

(٣) وفقا لوثيقة شينغوولين فى يناير ١٩٦٨ أنه لو كان الحزب المجدد قد جاء عن مؤتمر لصار بالضرورة «حزبا اصلاحيا بورجوازيا فى خدمة البورجوازيين المغتصبين للجان الثورية» ـ مذكورا فى : جون جينينغ John Gittings « قوة الطالب فى الصين » ، **مجلة اقتصاد الشرق الأقصى** بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٦٨ ص ٦٤٩ .

(٤) انظر الملاحظة المتعلقة بشعار الامساك بتلابيب الحفنة الصغيرة فى الجيش فى الفقرة السابقة .

لقد قدم هسييه فو ـ شيه صورة للتنظيمات الثورية العمالية فى بكين فى خطابه بتاريخ ١٦ أكتوبر . فقال لأعضاء « مؤتمر العمال » انه كان يجب أن يجمعوا عشر الـ ١٫٠٠٠٫٠٠٠ عامل من كتلة العمال . فأجاب المؤتمرون بأنهم كانوا يمثلون ١٧٫٠٠٠ منها . وقال ان جماعتين تحضيريتين متنافستين كانتا ، فى الطرق الحديدية والمعادن ومصانع النسيج ، تعملان لمؤتمرين مختلفين وبخاصة أدان الـ « تنظيمات السرية أو نصف ـ العلنية » ، التى تتجاوز حدود المهن وتخرج عن اطار المشاريع : « من المستحيل أن تدعموا سرا هذا النمط من الأمور (١) . وتنظيمات كتنظيم سينكيانغ الذى أعطى رئيسه لنفسه اسم (هو خلل ـ و ـ شغب) (٢) ! هل يمكنها أن تكون ماركسية بمثل هذا الصنف من الرجال ؟ » .

غير أن التعليمات التى أعطاها ماوتسى ـ تونغ بعد رحلته فى وسط الصين وشرقها كانت قد أخذت تنتشر . كانت صارمة وتكاد تقول : سيكون لدينا معيار بسيط جدا فكل من سيهاجم جاره سوف يتحمل فى ذلك جميع النتائج . » (٣) ولكنها كانت متفائلة . وكان لصوت الرئيس دائما سلطة سحرية فى بعث الثقة والتهدئة : لا ينبغى النظر الى تبادل الكلمات بعين الجد . فاذا جرت معارك من الامام ، ثمة كواليس يجرى من الخلف ، « وأولئك الذين يكونون فى الكواليس .. يكون لديهم ما يجب أن يقولوه .. فاختلال النظام ما هو الا وقتيا ويمكن تحويله الى شىء حسن (٤) . فيجب اعطاء الكلام للافراد : والسماء لن تنهار اذا ما تركنا الأفراد يتكلمون (٥) .. وليس شيئا ، أحيانا ، اذا تركنا الأمور تنفجر (٦) » .

كانت هذه التعليمات تستشف ، فيما وراء ازمة المركزية المتعددة ، الدور الذى كان يجب أن تلعبه الجماهير بعد أن تتم الثورة . لذلك كانت تضيف الى ذلك أنه : « يجب أن تتحول تدريجا جميع مظاهر الحركة ، وأن يشدد على الانتقال من الكم الى الكيف . » (٧) حتى اذا ما تم تأمين الدور الراجح لمركز واحد ـ مركز ماو والمقربين منه ـ ضد المركزية السياسية المتعددة ، يجب ارجاع المبادرة فى الاصلاح والنقد والادارة الى الجماهير .

وفى نفس الوقت شجعت الحركة التى كانت تمنح العمال الدور الأول بين الجماهير . فقادت الى الاعتراف بـ « دور الطبقة العاملة القائد » فى أغسطس

---

(١) خطبة لهسسييه فو ـ شيه بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٩٦٧ نقل فى بكينغ كونغجين بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٦٧ .

(٢) هولان ـ شوانغ ، المصدر السابق ص ٤ .

(٣) بند رقم ١ من « تعليمات ماوتسى ـ تونغ الأخيرة المنشورة فى ٧ بنود فى جريدة الحرس الاحمر «صاعقة هاربين» بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٦٧ . وقد عمل الرئيس فى هذه التعليمات أيضا على التعريف بأنه لم يكن أى خلاف خطير فى رأيه يشق الطبقة العاملة (بند ٦) ، انظر فى ذلك الفصل السادس :العمال .

(٤) نفس المصدر بند رقم ٣ .

(٥) نفس المصدر بند رقم ٥ .

(٦) نفس المصدر بند رقم ٢ .

(٧) نفس المصدر بند رقم ١ .

١٩٦٨ وكانت تساعد على التأكيد بأنه ما ان كانت سلطة اصدار القرار ستعود للحزب حتى يغدو لابد للادارة بمعناها الدقيق (أى الرقابة والتسيير) من ان تعود الى الجماهير . وكانت الناحية الأصلية فيها هي ان العمال ورثوا قيادة الجماهير . وهذه هي القضية التى دافعت عنها لجنة كويشــوى الثورية . وكانت مفاجأة أن نعرف ان هذه المقاطعة تفتح الطريق على هذا الصعيد ، فى حين أنها مقاطعة نامية (١) . وكيفمــا كان الأمر فان هســييه فو ــ شيه قد أوصى فى خطبته التى سبق ذكرها (٢) « باتباع مثل كويبانغ وتعليمات تينتسين السبع والثلاثين » .

وجرت محاولة القيام بعملية للتغلب على امتنــاع الجمــاهير ولتحطيم الطوق الذى كانوا يحجزون به مســاعدتهم عن القــوى التى كانت فيما بعــد تفرض سلطتها الخاصة المنكرة . وأعلن المركز بقرار مؤرخ فى ١٧ أكتوبر (٣) ، ان جميع التنظيمات التى كانت تتجــاوز حدود المشروعات وتنتقــل بين المهن ســوف تلغى . وكان ينبغى العمــل على اعادة تجمعــات الثــوريين الى اطار « الوحدات » ، المصانع ، المكاتب ، الكومونات الشعبية .

كان على الجنود المختارين فى مهام للثورة الثقافيــة أن يجمعوا العمــال والفلاحين ، وأن يعقدوا لهم اجتماعات وجلسات للدراســة من أجل مكافحة الاتجاهات التشيعية . ورغما عن أن هــذه المهمة كانت جديدة الا أنهــا كانت أسهل من تلك التى طلب فيها اليهم أيام الأمر بـ « تدعيم اليسار » . اذ لم يعد على الجيش الآن ، حقيقة ، أن يختار بين الأحزاب . كان عليــه مجرد جمع الناس كلهم فى كل مجموعة عمل مدنية والحيلولة دون الصلات الخطرة خارج المجموعات . ذلك أن الـ « تحالفات » كانت ستجرى على هذا النحو . وقرع الجنود التنبيه لذلك فوجدوا صدى له من جانب الكوادر القدامى .

كل شىء كان يمكن أن يرتب لو لم تكن النوبات ماتزال تهز الجيش بعد . وكان قد وجب استخلاص الدرس من الأخطاء : طلب الحساب من يانغ شينغ ــ وو على معنى الأعمال الانتقامية وعلى الموافقــة على تســليح الميليشيا وعلى موقفه على رأس المتمردين من هيئــة أركان الحرب العــامة للقيــام بتطهير فى الجيش (٤) . فتظاهر يانغ شينغ ــ وو بطأطأة الرأس ولكنه كتب فى يوميــة الجيش مقالا (٥) هجوميا بعض الشىء لصالح عبــادة الشخصية . نشره تحت

---

(١) ان قصة الثورة الثقافية فى كويشو كلها هى قصة فريق من الكوادر الجدد ، استبدلوا فى المقاطعة بعد تطهير عام ١٩٦٥ وقصة ادارة الطبقة العمالية .

(٢) ١٦ أكتوبر ١٩٦٧ .

(٣) نفس القرار الذى ذكر فى الفصل الثامن : «الفلاحون» (قرار من أربعة بنود بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٦٧) كان يتعلق بعدم التجاوز وبسياسة الكوادر وبالثورة الثقافية فى الأرياف . وقد شرح فى أساهى جيانارو جـ ٩ رقم ٥٢ بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٧ ص ١٨ ومايليها . ــ تاكوشى مينورو «شوونراى نو باكووارى» .

(٤) فى أثناء مؤتمر لقادة المركز ــ ربما للمكتب السياسى ــ عقد فى ٢٠ أكتوبر لتبنى الخط الذى يجب اتباعه بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاما على ثورة أكتوبر .

(٥) «توطيد السلطة المطلقة للقائد العظيم ، الرئيس ماو بأعظم حمية وسلطة فكر ماوتسى ــ تونغ العظيم المطلقة» الصين الجديدة رقم ١١٠٣٠٩ بتاريخ ٣ أكتوبر ١٩٦٧ (سلسلة باللغة الفرنسية) .

عنوان البرقية نفسها بتاريخ ٢٤ اغسطس ، التى نقلت التزامه الجلى (١) . كان ذلك اظهار كثير من عزة النفس . وما يثير الفضول أن مقالا آخر (٢) لم يوقع نشر فى عدد يومية الجيش نفسه فكانت تجيب بذلك على يانغ شينغ — وو دون أن ترد عليه مباشرة ، وتقول ان الطاعة المطلقة لم تكن سوى المبدأ المنتقد نفسه الذى كان قد أخذ على « خروتشوف الصين » ، وأن الأمر باتباع ال « وحدة » لم يكن باعثا كافيا للعمل على أخماد روح النقد . فكيف يمكن تفسير هذين المقالين المتضاربين فى نفس الجريدة ، فى حين ان الأول كان قد سلم من قبل رئيس هيئة أركان الحرب نفسه ؟

لم يكن لهيئة أركان الحرب أن تحسب انها هاتف يهتف بالحق المنتظر أو انها حكم بين الأمور . والجيش نفسه لم يتعلم ما يكفى : فقد قررت يومية الشعب هذه النقطة دون حوار . وكتبت فى ٩ نوفمبر افتتاحية (٣) قالت فيها انه يجب أخيرا « رفع وعى الجيش السياسى حقيقة .. يجب حذف أى نوع من الايديولوجية غير البروليتارية فى الجيش سواء أكانت من اليمين أم من اليسار » .

كان اتمام تكوين اللجان الثورية مدار الاهتمام الرئيسى من جانب المسئولين التنفيذيين • فالتقدم كان ولا يزال غير واضح للعيان بعد ولكن شبكة من السلطة كانت قد أصبحت موجودة من خلال الجماعات التحضيرية ولجان الاشراف العسكرى . الا أنها كانت تكاد تكون بأكملها فى مجال تأثير الجيش الذى دبر لها قادة عديدون وكان يشرف على المواصلات بينها• وكانت الطريقة التى يسلكها الجيش فى اللجان الثورية موضوع مراقبة — ينفذها الجيش نفسه مع ذلك وفقا للنهج الصينى . وكانت كتل الجيش من صف الضباط والجنود ، المدعوة ، بدورات الدراسة ، للاختلاط بالقادة تشرف على استقامتهم الثورية . فقد طالب القائد المساعد لحامية بكين فى مؤتمر للقوى المسلحة بأن « تحقق — الوحدات — بوجدان ، فى الشروط التى كانت الفرقة تنفذ فيها توجيهات الحزب » (٤) .

يبدو جيدا أن لجان الحزب فى الجيش قد أكملت حينئذ برصيد من ممثلى كتلة الجنود . وكان احتمال عقد مؤتمر للحزب قد صار يلوح فى الأفق. وثمة عمل تحضيرى كان يجب القيام به لحمل جميع أقسام القاعدة على ايفاد مندوبين الى المؤتمر من معتنقى الأفكار الماوية . وكانت الصيغة التى تمت الموافقة عليها بالنسبة للجماعات الفلاحية ، كما رأينا ، هى العمل على تطهير لجان الهيسيين . وفى الجيش لم يجر التطهير ، فكانت الطريقة ، على العكس،

---

(١) أنظر ملاحظة حول ذلك فى الفقرة السابقة .

(٢) حول «رقية الحلقة الذهبية» — اشارة الى الفرد السائح — نقلته **الصين الجديدة** بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٦٧ .

(٣) «القيام بعمل تربوى جيد فى الموقف الحاضر» وكان يفهم من النص أن المقصود هو تربية الجيش ، افتتاحية ٩ نوفمبر ١٩٦٧ . انظر أنباء بكين ١٩٦٧ رقم ٧ تاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ ص ٧ و ٨ .

(٤) صحف بكين بتاريخ ١٧ يناير ١٩٦٨ .

هي توسيع اللجان بدخول ثوريين بروليتاريين فيها الى جانب الأعضاء المنتخبين (١) . ولم يكن قبولهم ، حينئذ الا مؤقتا ولكنه ساهم في اظهار ولاء الجند في وقت كان عدد من قادتهم قد ابتلوا فيه بالسياسة .

العربة الخامسة :

لقد شرع المركز في توحيد الثوريين بال « تحالف » وفي ارجاع الجيش الى دوره في « خدمة الشعب » . وكان يعد لنفسه بعد ذلك مهمة جسيمة : هي اعادة وضع الجبهة الثورية المتحدة والجيش بيد الحزب . وكان لابد لهذه المشكلة من الحل لقطف ثمار الثورة الثقافية .

غير أنه يجب الاقرار بأن معطيات مواتية معينة كانت تبسط حلها . فمن جهة كانت العقيدة حتما فوق التنازع اذ كانت هي **فكر ماوتسي ـ تونغ** . ومن جهة أخرى لم تكن هناك مصالح اقتصادية متحالفة لممارسة ضغط سياسي . وأخيرا ثمة مسألة ثانوية ولكنها هامة بسبب الحرب على تخوم الصين وهي أنه كان من المسلم به منذئذ بأن متطلبات الدفاع المنتشر (على مدى الصين كلها)، على الطريقة الفيتنامية كانت مفضلة على متطلبات التنمية الاقتصادية .

ان التكتيك الذي طبقه القادة الثوريون منذ شهر سبتمبر قد أعطى نتائجه . فالقوتان المنظمتان اللتان كانتا سيمكنهما كسب الثورة الثقافية وهي اشباع اليسار المتطرف والجيش ، كان كل منهما مشطورا الى قسمين . فاليسار المتطرف كان مقطوع الرأس وكانت **الجماعة المركزية** بعد أن بترت تشكل جزءا ملتصقا بالمركز أكثر من أي وقت فلم يعد لقاعدة اليسار المتطرف الجياشة بعدئذ ضامنون بجانبه . أما الجيش فلم يتعرض من جانبه للمبضع ولكن المركز قد استجمع في جميع الوحدات التي كان في مكنة تأثيره السياسي بلوغها ، قوى كانت موالية له . وكان لابد من تنظيم دورات لدراسة فكر ماوتسي ـ تونغ حيثما كان في الجيش ، للضباط والرجال مجتمعين . وقد أمكن أن تفضي في سبع مناطق عسكرية على الأقل (٢) الى مؤتمرات كبرى قبل الأول من مايو ١٩٦٨ .

كان ذلك يشكل عملا يمكننا أن نقول أنه أفقي ، وما لبث أن تتمم بعمل آخر عمودي في أسلحة جيش التحرير الشعبي اذ عقدت « مؤتمرات » ، أثناء الشتاء بطوله ، للفعالين في فكر ماوتسي ـ تونغ (٣) بالنسبة للطيران والبحرية

---

(١) لقد لوحظ ، حين استقبل ماوتسي ـ تونغ ولين بياو المشتركين في فصول من جيش البر والجو في منطقة بكين في اجتماع عقد بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٦٧ ، ان لجنة الحزب في جيش الجو كانت حاضرة بأكملها ، **موسعة بحضور ممثلين للثوريين من الجماهير** .

(٢) نسينغهاي (أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٦٧) ، شانتونغ (آخر ١٩٦٧) هيلو نغكيانغ (ديسمبر ١٩٦٧ ويناير ١٩٦٨) كوانغتونغ (مارس ١٩٦٨) ، مقاطعات الشرق معا في آن واحد نقطة التقاء في نانكين ابريل ١٩٦٨ .

(٣) مصالح النقل والامداد في جيش التحرير الشعبي ، مدفعية رقم ٢ ، بحرية وجيش الجو في سلسلة أولى ، مدفعية ، سكك حديدية ، هندسة ، نقل ، سلاح كيميائي ، معهد المفوضية السياسية التابع لجيش التحرير الشعبي .. وأخيرا في أثناء سلسلة ثانية انتهت في ٧ مارس ١٩٦٨ .

والمدفعية والهندسة وجميع الادارات ، وأخيرا كان على الثوريين فى هيئة أركان الحرب العامة ، الذين تميزوا بعض الشىء مع يانغ شينغ ـ وو فى ٢٣ اغسطس بتمجيدهم للتطهير فى الجيش ، أن يتلقوا نظاما من المحاضرات مكثفا بنوع خاص (١) .

لقد كان الجيش فى آخر الأمر حتى الآن ، وهو الذى تقوم وحدته بوظيفتها ولم تنتقد فضلا عن أنها كلفت بمهام فى الثورة الثقافية ، مؤيدا دائما تقريبا من قبل المركز فى مبادراته . فهو بتكوينه خاضع للحزب ولكن الحزب فقد نفوذه وأولئك الذين يريدون الحلول مكانه ، **الحرس الأحمر** لا يحسنون التغلب على شقاقاتهم . واذا كان الجيش بعيدا عن بكين فى المقاطعات حيث كان، على أثر عدد من الظروف ، يتمتع بتفويض واسع المدى فان التوقع بأن يضع نفسه فى خدمة جماعات ثورية غير متحدة ، يكون أكثر مما يجب . وقد اتهمه الثوريون المستاءون بأنه انساق فى خدمة نفسه · الا أن القادة المركزيين يعرفون جانب الحقيقة الذى ينطوى عليه هذا الاتهام . على أن تلك الفترة كانت هى الفترة التى تتأسس فيها اللجان الثورية من الجيل الثانى . فمنذ قرابة العام وأكبر قسم من البلاد ينتظر أن يتم له تكوين لجان أكثر اتحادا من الاولى . لذا يجب اتخاذ الاجراءات اللازمة حتى لا تصاب تلك التى ستنشأ بتشويه دائم بتأثير الجيش .

فيما بين ٢٤ و ٢٧ مارس ١٩٦٨ سقط يانغ شينغ ـ وو . فوجهت الى رئيس هيئة أركان الحرب العامة جميع أنواع الاتهامات بعد سقوطه . وأخذ عليه بصورة خاصة انه تصرف من وراء الكواليس عندما كان قادة اليسار المتطرف مثل وانغ لى وكوانغ فينغ يقومون بمناوراتهم وأنه قد تعاون مع شى بين ـ يو (٢) · والخلاصة قيل انه كانَ متحزبا معهم · وكان مسعاه غير الماهر الذى قام به فى أواخر أغسطس والذى كان يقود كأفعالهم الى احراج المركز يدعم الثقة بهذا الحكم . الا أن ثمة مأخذين يبرزان من الانتقادات الأخرى ، بل أكثر من المأخذ السابق ، وكانا يسريان على فترة سقوطه . الأول أنه كان يريد اقامة سلطته الشخصية أكثر من سلطة ماوتسى ـ تونغ والثانى أنه كان يمارس السياسة الـ « تجزئوية » . ولا شك فى أن هذين المأخذين متلازمان .

ان وجود زمرة فى الجيش تجمع العسكريين الذين أرادوا التطهير ثم انكفأت الى التآمر عندما نما فى كل مكان هجوم دورات الدراسة السلمى ،

---

(١) فى فبراير ١٩٦٨ كان الثوريون البروليتاريون فى مرافق هيئة أركان الحرب العامة قد وصلوا الى مؤتمرهم الثالث منذ شهر اغسطس وكان حول « بناء الحزب » ودام أكثر من ثلاثين يوما .

(٢) « وكان المأزق Manche الخامس لثورتنا الثقافية هو كشف القناع عن المضادين للثورة يانغ شينغ ـ وو ، يولى ـ شين وفو شونغ ـ بى . وهؤلاء كانوا من وراء ستار حماة وانغ لى وكوانغ فينغ وشى بين ـ يو» كما قال شين بو ـ تا فى ٢٧ مارس · وقالت شيانغ شينغ : « فى نوفمبر انتقدت شى ـ بين ـ يو دون الاشارة اليه بالاسم .. لقد كان يتعاون مع يانغ شينغ ـ وو » . انظر تونغفانفهون بمعهد الجيولوجيا تاريخ ٢٩ مارس ١٩٦٨ ذكر سابقا .

يبدو أمرا قريبا من الحقيقة . فقد أقر مقال ليومية الشعب بتاريخ ٢١ مارس أنه كان يوجد اتجاهان متنازعان حول مهام الجيش الثورية : الأول كان ينحصر في النقد وحده ، والثاني النقد ولكن مع تأمين المهام ، فالاتجاه الثاني كان وحده معقولا . ولا شك في أن ما يجب ادراكه هو أن فريقا من الجنود كان يروم ألا يكون على القادة العسكريين المحليين الخضوع للجان الثورية بل على العكس أن يكون في وسعهم اصدار التعليمات اليها بل وأن يقسوا عليها باللوم .

لم ينتظر القادة المركزيون لكي يشرحوا للجماهير تنحية يانغ شينغ ـ وو وبعض القادة العسكريين الآخرين من مناصبهم . وكما عبر عن ذلك شين بو ـ تا فقد كانت هي المجابهة الخامسة في الثورة الثقافية (١) . في لغتنا الثورية ، نقول الـ «عربة الخامسة» . كان باعثها مسألة محلية ، بمناسبة لجنة بكين .

كانت لجنة بكين الثورية تلك قد صارت في غير زمنها . فالتنظيمات التي كانت متمثلة فيها ترجع بتاريخها الى حقبة سابقة على زمن الـ « تحالف الكبير » ولم يوافق عدد كبير منها على التحالف مع خصومه حتى في داخل الـ « وحدات » التي كانت تلك التنظيمات منبثقة عنها . فضلا عن أن هذه التنظيمات أمست صدى لحركة من النقد كانت تنصب المتمردين في الأرياف ضد الجيش . وكان المشايعون القدامى للتطهير في الجيش يتعاطفون ، بصورة طبيعية مع التنظيمات الراديكالية .

لقد جازف قائد حامية بكين (٢) ، نائب رئيس اللجنة الثورية ، عضو **الجماعة المركزية** للثورة الثقافية ، بنفسه في التعاون مع المتمردين الذين لا يصغون لدروس المركز فاستحق الاتهام بالعمل خفية عنه . ووقعت حوادث عديدة (٣) دعت فريق القيادة ، للانتهاء منها الى انزال العقوبة بثلاثة رجال منهم رئيس هيئة أركان الحرب العام يانغ شينغ ـ وو (٤) .

طالما كان التطهير يتلو التطهير فانه كان يغدو من الصعب ترتيب جماعة من الشخصيات الممثلة للمركز في القمة . فان المدانين الثلاثة الآخرين كانوا قد رافقوا ماوتسي ـ تونغ و « أركان حربه » حتى مطلع مارس ، في الاحتفالات التي كانت تخدم العمل على تعريف البلاد بقادتها الحقيقيين . وحل مارشالات

---

(١) شين بو ـ تا يذكر بخمس هجمات : الاولى ضد بينغ شين ، لوجوي ـ شينغ ولوتينغ ـ ايي ، والثانية ضد ليوتشاو ـ شي وتينغ هسياو ـ بينغ وتاوشو ، والثالثة ضد تان شن ـ لين والرابعة ضد كوانغ فينغ ووانغ لي وشي بين ـ ايو والخامسة ضد يانغ شينغ ـ وو ، ايو لي ـ شين وفو شونغ ـ بي ، انظر تونغفا نفهونغ تاريخ ٢٩ مارس ١٩٦٨ ذكر سابقا .

(٢) فوشونغ ـ بي .

(٣) حجز فو شونغ ـ بي رسالة موجهة الى المركز من منظمات الحرس الأحمر في الجامعات التي كان نزاعها يهدد وجود لجنة بكين الثورية واعتدى على دائرة **الجماعة المركزية** للثورة الثقافية بالعمل على ادخال كاميونات من المحتمل انها كانت مكلفة بنقل الأرشيف .

(٤) يانغ شينغ ـ وو ، فو شونغ ـ بي والمفوض السياسي لجيش الجو ، الذي كان مع وانغ لي في ووهان وايو لي ـ شين .

اللجنة العسكرية محلهم (١) فى الحال · اذ كانت مرتبتهم تبرر ذلك بلا شك ، الا أنه كان لابد من أن يكون لهذا الاستبدال مغزاه السياسى . والى مكان الـ « عقداء الشباب » كان جنود قدامى ، دعائم نظام الحزب طيلة عشرين عاما ، يعودون الى مقدمة المسرح . فالاتجاه الذى كان يستبده اليهم الرأى العام بالطبع هو حماية أنظمة المقاطعات ، تلك الأنظمة نفسها التى اتهمها المتمردون العنيدون بتهيئة مراكز جديدة من الـ « سلطات » للعسكريين . وقد أقرت فكرة السلطات المحلية القاسية بل والأقرب الى أن تكون محافظة التى كان سيمكن الثورة الثقافية ، على الدوام ، من العمل — على فشلها لو كان الزمن ما زال فى عام ١٩٦٧ .

وبدا فى أثناء ذلك من الضرورى تسوية العلاقات بين اللجان الثورية والجيش . ففى وقت الأزمات قد يخول الجيش حق الاشراف دائما ، أما فى الوقت العادى فان العسكريين الموجودين بمهمة فى الثورة الثقافية كان يجب ان يخضعوا لأوامر اللجان الثورية على جميع المستويات (٢) .

على أن اتباع يانغ شينغ — وو لم يسلموا دون احداث بعض التشنجات . فقد حدثت حالات ، وبصورة خاصة فى الانهوى وفى نانكين ، حيث كان الجنود الذين يحسبون انفسهم « نماذج فى دعم اليسار » يطمحون فى فرض انفسهم بأساليب مختلفة على سائر الجيش (٣) . لذلك اهتم المركز ، ليس دون حق على ما يبدو بالأثر الذى كان يمكن أن يكون لاهانة جديدة توجه للجيش ، لدى بعض الثوريين الذين أصبحوا لا يتدبرون شئونه (٤) · وأفضل علاج بدا لذلك كان فى تنظيف الجيش مما كان يجعله عرضه للانتقاد . وهكذا قاد الأمر الى التطهير بينما أدين مبدأ التطهير زمنا طويلا . ولهذا ثمة سرية تاسعة ضربت مثلا لذلك واستطاع كل فرد ملاحظة انها كانت تمارس « حركات صغيرة محدودة من التصحيح فى الأسلوب » (٥) .

لم يكن هذا التطهير بالطبع موجها ضد أولئك الذين كان يانغ شينغ — وو سيجعلهم هدفا له . فقد كانت السلطة السياسية تؤكد اشرافه على الجيش. ومنذ بعض الوقت كان يشرح أنه يجب اعادة ارسال العسكريين بصورة دوريه

---

(١) ظهروا لاجل الجلسة الختامية لمؤتمر النشيطين من معتنقى **فكر ماوتسى — تونغ** فى ست ادارات كبرى من الجيش بتاريخ ٧ مارس وكان هذا المؤتمر الظاهرة السابعة من نوعه منذ ٢٨ يناير . وبدا الفريق المركزى أنه يتكون عندئذ من ماوتسى — تونغ ، لين بياو ، شواين — لاى ، شين بو — تا ، كانغ شينغ ، شيانغ شينغ ، ياو وين — ايوان ، لى فو — شوم والمارشالات الخمسة القدامى أنه شيين — اينغ ، هسو هسيانغ — شيين ، نييه جونغ — شين ، لوبو — شينغ وشين ايى .

(٣) انظر **يومية الشعب** بتاريخ ٤ أبريل ١٩٦٨ ، مقال فى الدعم المقدم للجان الثورية من قبل الدوائر العسكرية فى كويشو

(٢) أنظر **تحليل أنباء الصين** رقم ٧١٠ بتاريخ ٣١ مايو ١٩٦٨ ص ٦ و ٧ وربما كذلك فى كونمينغ وفى نانهينغ .

(٤) نشرت بكينغ جيهباو فى عدد خاص مساء ٢٢ أبريل ١٩٦٨ افتتاحية تهديد وتنديد بأولئك الذين كانوا يسعون الى انقسام الجيش أو الى تحريض الثوريين عليه .

(٥) انظر وكالة الصين الجديدة برقية بتاريخ ١٢ مايو ١٩٦٨ .

بمهمة لمساعدة اليسار بحيث لا تلعب نشوة مسئولياتهم الجديدة فى الادارة برءوسهم • ألم يلح بعضهم على انشاء نظام جديد وألا يكون على يقظة الجماهير (١) . ففى الأساس كان المقصود هو اقتلاع الجذور الأخيرة للافكار التى أشاعت الخوف من المركزية المتعددة .

واذ أحيا المركز سلطته على الجيش وبذل الجيش جهدا ليستحق من جديد امتيازاته فان جوانب هامة من التقدم كانت تجرى باتجاه ارجاع النظام الكلاسيكى بحسب الايديولوجية . وهكذا وجه المتطرفون الأواخر حقدهم ضد الجيش الذى أصبح فى نظرهم أداة للنظام . فلن يبقى لهم بعدئذ حلفاء من أجل تمرد جديد • ولذلك قيل ان جماعة من الطلاب شهدت الاحتفالات بانشاء اللجنة الثورية فى كيانغسى ، بثياب الحداد .

---

(١) شرحت صحف المركز فى ١٤ فبراير بأن فصول الدراسة فى الجيش ، يجب أن تقيد فى اعادة ارسال العسكريين بصفة دورية بمهمة لمساعدة اليسار لأن بعضهم كانوا اذ يكلفون بمسئوليات و المؤسسات المؤقتة ، ينسون خدمة الجماهير وتربية الجماهير ويفضلون عليها قيما نظامية .

الفصل العاشر

نصر معقول

كان ماوتسي ـ تونغ يدير الثورة الثقافية محاطا بهيئة أركان حرب قليلة العدد جدا . وكان أولئك الذين يعطون الاشارات الهادية للثوريين المتفرقين فى أنحاء الصين ، يشكلون فقط جماعة قليلة العدد من رفاقه . كانوا يستخدمون الصحافة والراديو والهوائيات الخفيفة التابعة **لجماعة الثورة الثقافية من اللجنة المركزية** . وكانت خطبة مقتضبة يلقيها أحد القادة وتنقلها بعض صحف **الحرس الأحمر** ظلت صامدة ، تصبح منهلا يستوحى منه . كما كانت بعض كلمات ماوتسي ـ تونغ أو ملاحظة يبديها ، تنقل للثورة على أنها «آخر توجيه» يصدر عنه . وبالتذكير ببعض المبادىء كان فى وسعه أن يغير موقفا بقلب نظام فى الحال وبتعديل نقطة تطبيق ذات قيمة لدى الجماهير الثورية .

كانت الصحافة المركزية تتلقف الموضوع بعد ذلك فتسهب فى توضيحه وتغذيه بالأمثلة . وتبحث فى البلاد وفى التاريخ عن النماذج لتعليم التطبيق العملى على نحو افضل للفكرة التى تأخذ فى توافق الظروف أهمية رئيسية .

فبالاتصال الثورى وبواسطة الصحافة أزال المركز أعمالا سياسية كافحت قوى متباعدة وأقام للثورة الثقافية علامات تمنعها من الانجراف . وبواسطة أعمال مشابهة كان يمضى ، منذ ذلك الحين فى طريق اعادة بناء الاشتراكية على المنوال الصينى .

بيد أن هيئة أركان الحرب الصغيرة لم تكن وحدها فى مواجهة الثوريين للاحتفاظ بالاشراف على بلاد بمثل هذا الاتساع ، فمن أجل توجيه سير الثورة ومنع سوء التصرف الذى كان يمكن قيام المثاليين العنيفين به ، والسائرين بها حتى النهاية من متطرفى اليسار والمقاتلين المؤمنين بالمهمة الوحيدة للجيش ، كان قد اقتضى الأمر اشراك أجهزة قوية . فحتى بعد تفكك الحزب فان المركز صان جهاز الحكومة والجيش ، على الرغم من أن كلا منهما بسبب مشاكلهما الخاصة فى الثورة الثقافية ، كان قد تعرض لأزمات خطيرة . وبالمقابل فانهما بتغلبهما على هذه المشاكل قربا نهاية الحركة .

ان الجيش بعد أن أعيد تسلم زمامه ، منضبطا أمام اللجنة العسكرية ،

قد عبىء بأكمله لكى يحيق بتحرره الثورى الخاص ويسمو به . وكان مجلس شئون الدولة الذى استرد قوته بعد **الاستيلاءات على السلطة** ، يريد التمكن من الاعتماد على شكل هرمى من اللجان الثورية يعمل على تنسيق مهام الادارة فى المقاطعات . وظلت هذه الشبكة ناقصة مدة طويلة جدا . واخيرا فانها ستقام فى ربيع ١٩٦٨ عندما يحظى انشاؤها بالأولية على كل عمل .

وهكذا فان اللجان الثورية ، نبتت من شهر يناير الى شهر اغسطس كالفطور . لم تكن لها مناقب القيام مقام الحزب ، ولكنها وقد اعترف بها ك « مؤسسات مؤقتة » ، فرضت نفسها بديلا لسلطة الحكومة . واذ كونت فى ظل حماية الجيش فانها حظيت بهيكل من الكوادر الذين التأم شملهم . وكان هذا كله كثيرا بالنسبة لأولئك الذين ما زالوا يحسبون انهم الثوريون الحقيقيون ، مجادلين فى شخصية الكوادر الذين التأم شملهم ، منتقدين الدولة . فان صفوف **الحرس الأحمر** هى التي لا تزال تظهر ال « تمرد » ففى نظرهم أن سياسة ال « تحالف » غير ناجحة . فماذا يجب العمل بالجماعات المحتجة .

لا ينبغي تقليلها . فقد عارض ماوتسى ــ تونغ فى اذابة عدد من التنظيمات للعمل بسهولة أكثر على اقامة ال «تحالفات الكبيرة» . فحتى اليسار المتطرف يصبح مفيدا عندما يسهر على أن يمنح القوى المحافظة من ابتلاع الثورة . ذلك أن ماوتسى ــ تونغ يعتقد بقيمة المعارضة بصفة عامة . فلتتدبر اللجان الثورية الأمر اذن مع المعارضة !

غير أن الصراعات بين الطلاب كادت تعمل على اختلال التوازن فى اللجنة الثورية فى بكين . فالمشاجرات بين رجال **الحرس الأحمر** كانت مشينة . لم تكن تجرى فى الشارع ولكن جميع الناس كانوا يتحدثون عنها . انها دمل فى الثورة الثقافية كان يجب مداواته جيدا .

وكان الحل فى هذا التعليم وهو أن كل قوة عدائية يمكن أن تنقسم . فيجب العثور على المتمردين الجيدين فى الجماعات النزاعة الى المغامرة وفى التنظيمات غير الخاضعة ، ودفعهم للتصرف ضد الآخرين . وهذا هو التطبيق للمبدأ الماوى بأن « ينقسم الواحد الى اثنين » . وقد انقضى شطر طويل من العام فى تقسيم **الحرس الأحمر** فى بكين الى اثنين . ولم يحل دخول الفلسفة فى الجدال دون الاغرام بالمشاجرات .

ان اتمام تشكيل اللجان الثورية الاقليمية يلفت الانتباه الى الانتقال الى مرحلة جديدة . كان أمر الساعة هو «الصراع ، النقد ، الاصلاح» . لماذا صراع ونقد عندما يبدو أن كلاهما يملأ دور الآخر؟ فباستثناء الطلاب بدت الصراعات وكأنها قد انتهت . ففى ثورة بورجوازية كان الأمر سيقتصر على الاصلاح وكانت اللجان المتكونة ستصبح قوة سياسية . ولكن الثورة الثقافية تعمل للحزب . ومهمة الساعة هى تنقية الدم فى هذا الحزب . لذلك وجب نقد أعضائه واحدا ، واحدا على ضوء سلوكه فى الثورة لمعرفة ما اذا كان هؤلاء الأعضاء يستحقون أن يثبتوا فى الحزب .

انها لحقبة فريدة تلك التى تعايشت فيها اللجان الثورية ولجان الحزب التي استعادت دورا سياسيا وفصول دراسة فكر ماوتسى ــ تونغ التى

ستشكل وكائز الحزب الجديد . فمن الواضح للعيان أن ميكانيكية مركبة كانت ماضية للوصول الى مؤتمر للحزب . الا أن المطلوب فهمه هو ما يعول عليه أكثر فى نظر أولئك الذين أرادوا الثورة الثقافية : أصلاح المؤسسة Establishment أو اختبار الـ « مقاومة » ؟

على أنه اذا أردنا أن نجعل من الممكن حدوث ثورة فى العادات السياسية ، فيجب الذهاب حتى القاعدة . فمن الذى يصبح عضوا فى الحزب وكيف يصبح المرء عضوا فيه ؟ ان التنظيمات الثورية ستجلب دماء جديدة ولكن أعضاءها يدخلون الامتحان كذلك . وال « صراع والنقد » لا يوفران أحدا . اذ أن هذا الأمر اليوم الذى كان حتى ذلك الحين ينادى الى المعركة فانه بعدئذ يدعو الى الاصطفاء .

وثمة ضرب من النقد ، من النوع نفسه ، جرت ممارسته بازاء طوائف الشعب . كانت نتيجة ماآلت اليه المناقشات فيه أن العمال هم «القوة الرئيسية فى الثورة » . وحتى ذلك الحين لم تكن أصوات المركز قد قالت مثل هذا . انها امتدحت الطلاب الذين أطلقوا أول هجوم للثورة بجسارة لا مثيل لها . وقالت ان الكوادر الثورية كانت أثمن كنز فى البلاد . فهل استحق العمال ، رغما عن اغراء منافعهم النقابية ، هذا المقدار من الثورة الثقافية ؟ حقيقة أن درس اضراب شانفهاى هو أكثرمانتذكر . وفى نهاية ثورة بروليتارية تسلم القيادة للطبقة الكادحة .. وفى صفوف هذه الطبقة أظهر العمال أكثر من أى فئات أخرى ، وعيا سياسيا .

كل منا يعرف كيف دعى العمال ، فى تلك الفترة ، فى اغسطس ١٩٦٨ ، الى دخول الجامعات لاصلاح النظام المدرسى والتعليمى . فتوقفت أمامهم صراعات الطلبة التى لم تكن تنتهى . وبدت النتيجة أعجوبة . ولكن دخول «الشغيلة» فرض الاحترام وحتى على الصعيد النظرى ، كان استدعاء العمال هو الحل المطلوب لتناقض الطلاب الرئيسى : كيف يكون المرء طالبا ــ متمتعا بالامتيازات بدءا من امتياز المعرفة ــ وثوريا ــ على الدوام فى خدمة الشعب ، أى غير متميز ؟ فيما مضى ظن بعض الطلاب انه كان يجب عليهم الكف عن دراساتهم والانخراط فى الجماهير . وهكذا كان يقدم اليهم حل آخر بالعمل على مجىء العمال الى وسط المربين .

اضف الى ذلك أن الصين ، على الصعيد العملى تملك قليلا من الكوادر وقليلا من الفنيين . وليس من الممكن تكوين آخرين دون مهلة . فعلى الموجودين منهم أن يفهموا انه يجب عليهم ألا يعتصموا وراء معرفتهم بل أن ينزلوا الى الوسط الأقل ثقافة منهم وأن يعملوا على خلق الطاقات واحداث أثر للمضاعفة . وعندما أقامت أخيرا الأقاليم جميعها لجانها الثورية فان أهداف تربية الجماهير والالتزام التام بالخدمة الجماعية عادت تحتل المقام الأول . وكتب ماوتسى ــ تونغ فى هذا الموضوع منذ سبتمبر ١٩٦٨ .

سارت الصين فى طريقها الى اصلاح حزبها الشيوعى ولكن مع تأكيدها على أن الاهم ليس اصلاح البنى .

« فى مسألة تثوير أجهزة الدولة ، ان الطريق الجوهرى هو طريق العلاقات مع الجماهير . ولا حاجة هناك لتعليق أهمية على البنى البيروقراطية» . (١)

ان المعول عليه ، اطلاقا ، هو تلك الشعلة من المصلحة الحية فى الأمور العامة التى أوقدتها الثورة الثقافية حيثما كان فى الجماهير والتى ماتزال الجماهير لا تعرف كيف تصونها . والمهم هو أن تبتغى هذه الجماهير رؤية الصين بأكملها ومايجب تحقيقه بصفة مشتركة حتى تعتقد اعتقادا كافيا فى رسالتها لكى تعرف انتقاد أولئك الذين يحكمونها . واذا كانت الجماهير مازالت لم تنجذب بعد انجذابا كافيا هذه المرة ، فيجب اعادة الثورة الثقافية. اذ قلما تهم المنظمات فى الأساس . وقلما يهم التطرف فى بعض الأفكار بل يجب عدم خنق النقد وانما على العكس حماية الشعلة الصغيرة الحية . وكيف العمل والحالة هذه لنقلها الى ذلك التركيب الهائل ، الذى يكون عليه مؤتمر الحزب ؟

اتمام حل سياسى

دل القادة أنفسهم فى فبراير ١٩٦٨ على أن الثورة الثقافية لم تعد تضع بنفس أسلوب العام السابق . وكان لابد للثوريين ، أولئك الذين يعيشون على الشهرة التى اكتسبوها بنقدهم لليوتشاو ــ شى وهسياو بينغ ، من الفهم بأن ثمة عملا آخر يجب القيام به فى العمق · اذ ليس مما يسمح به اعتبار المراكز المكتسبة فى الثورة كأنما هى انتصارات شخصية . فقد بقى القيام بتشكيل الجاحد الأكبر ، ألا وهو اعادة حزب ، دولة ، بعناصر لانختارها ، ومن هنا وجوب اعادة اخضاع الكوادر لمبادىء جديدة ، عليهم أن يتلاءموا معها . اذ كما قال شواين ــ لاى (٢) :

« ترجع معركة الخط الحالى الى الصراع بين الشىء العام والشئون الخاصة .. صراع بين معنى الحزب ومعنى العصبة . لذلك فان استخدام معايير عام ١٩٦٦ ومطلع عام ١٩٦٧ كمعايير حالية ، أمر خاطىء .. ألم يقل الرئيس ماو لعدد من القدامى ان المرء يجب ألا يعيش على ما اكتسبه وأنه يجب أن يكون لنفسه مزايا جديدة ؟ وفى هذه الحالات ، انكم ، أنتم جميعا ، يامن تنتمون للعصب الثورية البروليتارية ، مادمتم فى منظماتكم ، وليس وراءكم من تاريخ الثورة سوى ثمانية عشر شهرا ، فان العيش على ماكتسبتموه ، مسألة أضعف من أن تخطر على البال أيضا » .

ان النبرة هنا جد مختلفة عن النبرة فى عام ١٩٦٧ . ثم يضيف شواين ــ لاى أنه آن الأوان لأن يفسح الثوريون مكانا بجانبهم للكوادر الذين لايخشون التعرض للظهور :

---

(١) ماوتسى ــ تونغ ، فى التوجيهات نفسها التى أشير اليها قبل قليل . وقد أذيعت فى نوفمبر ١٩٦٧ .

(٢) خطبة شواين ــ لاى فى ٢ فبراير ١٩٦٨ أمام ممثلين عن مختلف لجان الوزارات . ذكر سابقا .

« علينا أن نتمكن من المجيء بعدد من الكوادر قادرين على التقدم الى الأمام ، الى التعرض لنقد الجماهير .. فتلك هى شروط التفاهم الثلاثى» . (١)

ان هذه التعليمات تتعلق بالعمل فى الاقليم ، بقدر ماتتعلق بقطاعات بكين وشانغهاى المتباطئة . والحقيقة أن الحركة تستغرق كثيرا من الوقت لكى تتحقق فى مدن الأقاليم وفى المراكز . فان الصحافة المركزية مثلا اضطرت الى الانتظار حتى ٢٧ يناير لكى تتمكن من الاشارة الى قيام لجنة ثورية لـ «وحدة» فى الانهوى ، وهى أول لجنة تتشكل فى هذا الاقليم الشرقى (٢) . ولكن عندما بدأت السياسة المرسومة تفهم على وجه أفضل بذل عدد من القادة الاقليميين جهدا لتطبيقها . وكان المقصود هو الحصول من الثوريين على شىء من التسامح بالنسبة للكوادر المنضمة . لذلك استحقت الجماعة التحضيرية فى لجنة نانشانغ الثورية شرف القيام بالتحليل اللازم لقرار ينشىء الخط الواجب اتباعه . وهكذا حيث وجدت مشاكل لكوادر مازالت لم تسو جيدا بعد ، وجب العمل على أن يأتى الى الثورة أكبر عدد من أولئك الذين اقترفوا أخطاء . أما الكوادر المترفعون فقد وجب اقناعهم بالمناقشة الدءوبة : الا أن معرفة أفضل الحالات التى نجح فيها اندماج الكوادر والثوريين (٣) ، ستعمل على قبولهم .

وأخيرا فان عددا من اللجان الثورية قامت على رأس بعض المقاطعات التى كانت على الدوام موضوع اهتمام المركز . فمن يناير الى مايو (٤) كان عددها ثلاثا كل شهر وحصلت مقاطعتا كانتون وكوانغتونغ على لجنتيهما فى ٢١ فبراير وزودت مقاطعتا نانكين وكيانغسو بلجنتيهما فى ٢٣ مارس . ورغما عن أن أمنية المركز بأن يتم تتويج جميع المقاطعات والمدن الكبرى بلجانها الثورية فى أول مايو ، لم تتحقق عندما ظهرت لجنة زيشوان فى ٣١ مايو ، فانه لم يبق منها ما يجب تشكيله سوى خمس لجان (٥) ، كانت جميعها تتعلق بأقاليم على الحدود ، كان الجيش فيها فى حالة استنفار .

بيد أن شواين — لاى لفت الانتباه الى بعض النقاط . فان الثورة الثقافية ، فى المقام الأول ، لم تكن كاملة . عندما كان المقصود هو نقد ليوتشاو — شى وتينغ هسياو — بينغ على سياسة الكومونات الشعبية والسياسة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) برقية من وكالة **هسينهوا** نشرت فى **شينجيه هسينوين** بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٦٨ (سلسلة باللغة الصينية) .

(٣) تصميم الجماعة التحضيرية فى لجنة نانشانغ الثورية فى اجتماعها الموسع بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٦٨ ، نشرته الصحافة المركزية .

(٤) كيانغسى (٥ يناير ١٩٦٨) كانسو (٢٤ يناير ١٩٦٨) ، هونان (٢٧ يناير ١٩٦٨) ، هوبى (٢ فبراير ١٩٦٨) ، هيوبى (٥ فبراير ١٩٦٨) ، كوانغتونغ (٢١ فبراير ١٩٦٨) ، كيرين (٦ مارس ١٩٦٨) ، كيانغسو (٢٣ مارس ١٩٦٨) ، شيكيانغ (٢٤ مارس ١٩٦٨) ، هنان (٨ ابريل ١٩٦٨) ، نينغهسيا (١٠ ابريل ١٩٦٨) ، انهوى (١٨ ابريل ١٩٦٨) ، شينسى (٢ مايو ١٩٦٨) ، لياونينغ (١٠ مايو ١٩٦٨) ، زيشوان (٣١ مايو ١٩٦٨) .

(٥) يونان ، فوكيان كوانغسى ، سينكيانغ والتيبت .

الخارجية ، فقد هب عدد من الثوريين المتطوعين فى كل مكان ، بل أكثر عددا مما كان يقتضى الأمر . واليوم اذ يجب التشبث بتبسيط البيروقراطية نجد هذا المشروع بعيدا عن أن يصبح شعبيا كذلك لهذا فلابد للثوريين من الذهاب للجلوس الى جانب الكوادر والنظر عن كثب فى طبيعة العمل الذى يؤدونه .

فماذا يحدث فى الواقع ؟ «ان المديرين ورؤساء المصالح لم يكونوا قد تحرروا ، بحصر المعنى » (١) اى جاهروا بأيمانهم ثم اعيدوا الى العمل بأفكار جديدة . انهم رجعوا فقط الى أماكنهم لكى تستمر الادارة فى سيرها . ولم يمسسهم بعد تأثير الجماهير الأعظم .

ومن جهة اخرى فان الثورة الثقافية قد اعطت مواقع فى المسئولية السياسية لرجال من نمط واحد :

« يجب ان يسطع النور لكى تستطيعوا كشف السيئين ، اذا وجد منهم بيننا ــ الكفوف السوداء ، الجماعات ذات التأثير الخفى . وهذا لايعنى انه قد غرر بالجماهير على وجه العموم ولكنها تتمسك بأقلية من متقدمى صفوفها ، عليهم هم انفسهم أن يساقوا الى التسلح بالوعى . فاذا كانوا ثوريين فيجب التمييز بين جيدين وسيئين . ويجب أن نعزلهم بأنفسنا . ان مرض العصر هو المرض التالى : اخفاء الانسان لعيوبه ، والا يلزم نفسه بأى مطلب » (٢) .

فهل يمكن الهجوم على زعماء المنظمات الثورية الذين يرفضون واجب التحالف ، أولئك الذين يستبعدون الكوادر او على الثوريين الآخرين الذين يرفضون التحالف المخلص الضرورى للعمل على اقامة حزب واحد من البروليتاريين ؟ نعم ، اذ انهم ، كما يقول كانغ شينغ ، يتصيدون بمثالية ذاتية : انهم ينسبون النتيجة المطلوب بلوغها ولايريدون النظر الا الى بواعثهم . (٣) لذلك كانت طريقة الصراع ضدهم منذئذ هى العمل على تقسيم قواهم من الداخل :

«ان التحالف ، الاتحاد يأتيان من الصراع حتى الانشقاق ، ليتشكل عندئذ تحالف جديد على أساس من فكر ماوتسى ــ تونغ . فهذا هو ديالكتيك الثورة الثقافية . » (٤) .

على أن شيانغ شينغ قدمت نصائح عملية لتعليم تنفيذ هذه الطريقة : ابعاد العناصر غير المرغوب فيها ، وضع المثقفين فى مراكز المسئولية ، تقريب أولئك الذين اظهروا مزاياهم فى الثورة الثقافية ، بعضهم من بعض . ومن ثم يجب التفكير فى مزج الأجيال (٥) .

---

(١) خطبة شواين ــ لاى بتاريخ ٢ فبراير ١٩٦٨ . انظر الملاحظة السابقة فى نفس الفقرة .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) خطبة شانغ شون ــ شياو وقادة عديدين فى ممثلين ثوريين من الانهوى قدموا الى بكين للتعلم من تجارب شانغهاى . ذكر سابقا .

(٤) جريدة **الحرس الاحمر هونغشى** بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٦٧ : «تحيا كومونة بكين الشعبية» .

(٥) فى نهاية خطابه بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٦٨ شرح شواين ــ لاى تعليمات شيانغ شينغ فى نوفمبر ١٩٦٧ انظر خطب القادة المركزيين فى اجتماع ٢٧ مارس ١٩٦٨ ذكر سابقا .

وقد أعطت هذه الطريقة نتائجها . اذ علمنا أن بعض العصب فى الجيش قد انتهت الى حل نفسها وبصورة خاصة عصبة من تلك العصب التى كان لها ارتباط بالثوريين البروليتاريين فى هيئة الأركان العامة (١) . وبذلك وجد أتباع يانغ شينغ ـ وو أنفسهم مضعفين حتى قبل سقوط رئيس هيئة أركان الحرب . الا أن **الحرس الأحمر** الطلاب بدوا أشد صلابة . حقيقة أن بعض النجاحات قد لوحظت ، فى جامعة الشعب ، ولكن اتباع لين شيبه ووانغ لى القدامى ، قابلوا ، فى أماكن عديدة ، جميع المحاولات التى وجهت اليهم لتحويلهم ، بتلاحم متين .

ففى بئيتا ، التى كانت الجامعة النموذجية للثورة الثقافية ، ألحت لجنة بكين الثورية على نييه يوان ـ تسو بوجوب اتمام التحالف واخراجه الى الوجود . فهل تبينت أنها كانت بدورها ، مضللة ، بعد أن رأت تكرار الفشل بالاقناع ؟ اذ يبدو أنها عدلت عن منع جماعتها من استخدام قبضات أيديهم كذلك . فأدى ذلك الى وقوع معارك فى المعسكر جرحت نييه نفسها أثناءها ، بضربة سكين فى ٢٩ مارس . وبوقوعها ضحية استطاعت أن تعود بطلة من جديد . وحافظ القادة المركزيون على دعمهم لها . ولكن ذلك اقتضى العمل على ادخال ستمائة رجل من الجند الى جامعة بكين . ولم تمنع هذه الاجراءات من معاودة المعارك بين الطلبة فى نهاية ابريل . عندما حصنت كل من جماعتى **هسينبئيتا وشينكانغشان** بناية احتمت فيهالتتبادلا الهجوم من السطوح بتراشق الحجارة والأجر بعرادات ضخمة (٢) . وعبثا استدعى حراسهما ، المسلحون بالرماح المهدبة بترافات حمراء ، الفلاحين المتمردين من الحروب الثورية ، وعبثا رمزوا الاخلاص الى ماوتسى ـ تونغ فان الجمهور هجا هذا الافساد للثورة الثقافية ونتيجة لذلك فقدت المنظمات الطلابية بعد قليل امتيازاتها السياسية .

وهكذا كان لنهاية **الحرس الأحمر** تاريخ رسمى .

« اعتبارا من ٢٧ يوليو ١٩٦٨ . كانت دفعات قوية من مجندى الطبقة العاملة تلج الأماكن التى يشرف عليها منذ تاريخ طويل المسئولون المنخرطون فى الطريق الرأسمالى ، تلك الأماكن التى يتجمع فيها المثقفون بتركيز قوى . » (٣) .

واستدعى عدد من العمال الى بئيتا فى بداية الأمر ثم الى جامعة شينغهوا كذلك فى عشرة الأيام الأخيرة من شهر يوليو . وفى شهر اغسطس صاروا يوجدون فى أكثرية مدارس بكين العليا . وكانت جماعاتهم تسمى « فرق الدعاية لفكر ماوتسى ـ تونغ » (٤) .

---

(١) تنظيم شينغكانغشان من معهد الدراسات العليا للدفاع الوطنى ـ نقلا عن جريدة كومونة تونغفانغهون معهد الالات فى بكين بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٦٧ .

(٢) روت ملصقات بكين هذه الأحداث التى وقعت فى ٢٩ مارس . وذكرت برقية صادرة من بكين احداث ٢٦ ابريل . وبالنسبة لأسماء منظمات **الحرس الأحمر** بجامعة بئينا انظر الفصل الرابع .

(٣) **انباء بكين** رقم خاص بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٦٩ ص ٢١ .

(٤) انظر **اجيا كيزاى جومبو** رقم ٧٣٦ طوكيو نوفمبر ١٩٦٨ .

كان الرئيس ماو سيعمل على استدعاء ممثلين (١) عن أشهر منظمات **الحرس الأحمر** فى بكين ، بعد ظهر يوم ٢٧ يوليو ، وسوف يخطرهم بنفسه أنه لن يكون لتشكيلاتهم مبادرة فى العمل السياسى (٢) كأنها ستصبح مفصولة عن الثورة الا أنه يجمل بها ، فى الوقت الحاضر . القبول باشراف الجيش عليها ..
وبعد انقضاء عشرة أيام استشهدت شيانغ شينغ بتعليمات الرئيس ماو ، الصادرة فى ٢٧ يوليو ، التى كانت الطبقة العاملة ، بمقتضاها ، ستلعب الدور الرئيسى فى مرحلة « صراع ـ نقد ـ اصلاح » . وهكذا فان الطلاب ، كما رأينا ذلك فى ظروف أخرى، عانوا صعوبة فى تمثل المعنى البروليتارى . وما انبلغوا آخر رمق فى المقاومة حتى انتزع منهم احتكار الجامعة لدمجهم ببروليتاريين حقيقيين .

وبينما كان دخول العمال ينبىء بميلاد نظام جديد فى عالم الطلاب المتميز فان عدداً معيناً من هؤلاء الطلاب كانوا يسيرون فى طريقهم الى المساحات الواسعة من أراضى الاستصلاح ليتعلموا معرفة حقائق بناء الاشتراكية .

لقد كانت هناك فى الواقع ، من قبل ، بعد تحييد تيار اليسار المتطرف ، جماعات من شباب بكين ومثقفيها تنطلق الى مونغوليا الداخلية اذ لم يكن انهاء الثورة الثقافية بمعسكرات على حدود الستبس ، بل وربما بحياة معبدى الطرق ، بلاء كله ، ولكنه كان خاتمة قاسية بالنسبة لأولئك الذين حلموا بأيام باهرة فى العمل السياسى . اننا لا نستطيع تخيل حالتهم الا من خلال هذه الجملة لرئيس اللجنة الثورية فى مونغوليا الداخلية ، وقائد المنطقة العسكرية كذلك :

> « لقد نظمنا فى الشهور الأخيرة نشاطات توفر للثوريين فرص الحياة والعمل والدراسة مع جيش التحرير الشعبى .. فكان لذلك تأثير عميق على تصورهم للعالم . » (٣) .

وبعد الانطلاقات فى شتاء عام ١٩٦٨ حدثت اذن انطلاقات جديدة عندما تبدل نظام التعليم العالى .

كانت الأوساط الثقافية تواصل حركة تطهير (٤) . كما بدت الصحافة

---

(١) ممثلون عن **هسينبئيتا** وبخاصة نييه يوان ـ تسو وعن **شينغكالنغشان** من شينغهوا وبخاصة كواى تا ـ فو وعن «العلم الاحمر» من معهد الملاحة الجوية .

(٢) يوم ٢٧ وفقا لما ذكرته جريدة **سينغتو** من هونغ كونغ ـ ويوم ٢٨ وفقا لجريدة **الحرس الاحمر** فى بكين .

(٣) « عمل أيديولوجى وسط الثوريين البروليتاريين » **يومية الشعب** بتاريخ ١٥ يناير ١٩٦٨ء . الصين الجديدة لعام ١٩٦٨ رقم ١٧٠٥ . (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٤) ثمة مسألة أحدثت اندفاع دوامات هامة هى مؤتمر الفنانين العمال والفلاحين والجنود» فى تينستين ، الذى كان يقوم بتمثيل مسرحيات هجائية فى اجتماعات غير عامة . وكانت أكثرها مثارا للضجة تسمى : « مجنون القرن العشرين » ، وقد أوحت بعض تعليقات الصحف بما لاتردد فيه أن المسرحية ، تشنع من خلال عنوانها على الرئيس ماو نفسه . مما أدى الى سلسلة من التحقيقات واللاحقات اعتبارا من شهر نوفمبر . وقد قال رئيس اللجنة الثورية فى مونغوليا الداخلية ، الذى اشترك فى تنفيذ هذا التطهير مثلما اشترك فى اقتداء الحرس الأحمر وربما للاسباب نفسها، ما يلى، «على أثر خطبة الرفيقة شيانغ شينغ فى نوفمبر الماضى=

حركتها . ولكن التطهير الأساسى بالطبع كان هو الذى سوف ينال ليو تشاو ـ شي وتينغ هسياو ـ بينغ وبعض الآخرين . فقد عقدت اللجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الثامن اجتماعها الثانى عشر الموسع فى أكتوبر ١٩٦٨ وصدقت على « تقرير التحقيق فى جرائم ليو شاو ـ شى ، المارق ، الخائن ، الغادر بالطبقة العاملة » . وتبنى المجلس بالاجماع القرار بطرد ليو تشاو ـ شى نهائيا من الحزب وتجريده من جميع وظائفه و « الاستمرار على فضح الجرائم التى ارتكبها هو وأذنابه بخيانة الحزب والأمة » . وأخيرا ذكر ليو بالاسم، وأخرجت شياطينه ، بل أخذ يؤدى خدمة اذ ظل باعثا على تطهيرات آتية .

من الطبيعى أن تكون الثورة الثقافية عندما انهت برنامجها السياسى قد كنست أولئك الذين هبت لمحاربة أفكارهم . كما انه من الطبيعى أن يكون أولئك الذين أرادوا الدفاع عنهم ، مثل تان شين ـ لين ، قد أسقطوا . فان الثورة كانت تعارض تصورا لحزب بآخر وكان يجب فى نهاية الأمر على أصحاب الحظ الخاسر أن يبعدوا . وبالمقابل فانه لا يبدو ، بالنسبة للآخرين أن أى تطهير منظم قد حدث .

الا أن عددا من رجال اليمين ، الذين كانوا يؤكدون أسلوبهم المحافظ فى النظر الى الأمور وكانوا من الأول الى الآخر على نقيض مع ماوتسى ـ تونغ فى مسائل جوهرية ، مثل شين ـ ايون ـ وربما مثل شين ايى ـ خسروا من اهميتهم ولكنهم حافظوا على مراتب عالية . كانوا ينحنون للمركزية الديموقراطية . ولم يتآمروا ليجلبوا سيادة فريق خاص أو ارتقاء حركة أفكار خاصة الى السلطة .

لقد حذفت الثورة من صفوفها كثيرا من الرجال شاهدنا تاريخهم ولكنها بعد منتصف عام ١٩٦٧ لم تزعج منهم احدا ظل أمينا لفكرة الحزب . ان أولئك الذين افترستهم الثورة الثقافية هم أولئك سواء من اليمين أو اليسار أو من الماويين أنفسهم الشديدى الحماسة ، الذين هددوا الحزب بآن كان كل منهم يمثل جماعة خاصة شديدة الاستقلال وقوية : بينغ شين ، تاو شو ، هولونغ، شى بين ـ ايو ـ يانغ شانغ ـ وو .

ما هو الجديد فى المجتمع ؟

اكد المتمردون ، فى كل مكان ، منذ بداية الثورة الثقافية أن ما يجب عمله هو الـ « هدم » : هدم الأمور الأربعة العتاق ، تحطيم السلطات ، محو كل أثر تركته البنية الفوقية . وقد مرغوا فى الوحل اولئك الذين كانوا يلومونهم على عدم تقديم أى شيء للبناء . وطيلة عامين أدانوا أكثر المحاولات المحلية للتنظيم التى كانت تبدو منطلقة من فكرة الاصلاح ، على انها مناورات .

الا أن مجلة هونغشى ، عندما صدرت فى أول سبتمبر ١٩٦٨ بافتتاحية

= بدأت مياه الأدب والفن الهادئة تتحرك ... » وقد تحدث شيانغ شينغ فى ٧ أو ١٠ نوفمبر ١٩٦٨ . وفى أقوى الاحتمالات أن تكون تلك التحقيقات هى التى أودت نهائيا بسمعة شى بين ـ ايو (أنظر الفصل التاسع) ـ وقد نشرت تصريحات تينغ هاى ـ شينغ فى الصحافة المركزية فى نهاية مارس ١٩٦٨ .

جاء فيها : « ان الهدم يأتى فى المقام الأول ، وهو بالطبع يحمل البناء »(١) كانت تشير الى تغيير هام . وقد راعت فى أسلوب القول به خلفية متأصلة ضد الـ « بناء » ولكن المعنى واضح تماما بأن مرحلة الهدم ترتبط ارتباطا وثيقا بعدئذ بمرحلة جديدة . وقد طمئن الثوريون على أن عملهم سوف يواصل – وهو ما يعنى بأن أفكار الغد هى التى تكونت فى الصراع – ولكنهم صاروا يعلمون بأن أشكال الصراع السياسى قد تبدلت .

عندما يعترف بأن «الطبقة العاملة يجب أن تمارس قيادتها فى كل شىء» ، لا يبقى ثمة سبب لأن تطلب منها القيادة للمعركة السياسية . ان مقاليد القيادة قد ألقيت من جديد بيد المركز واذا طلبت المبادرات فانما سوف تطلب بعدئذ من أجل التغيير فى المجتمع أكثر منها من أجل الهجوم على مواقع الخصم السياسى . يجب الادراك اذن بأن العمال قد أصبحوا الآن « القوة الرئيسية » بالدور المنتظر منهم فى المرحلة اللاحقة التى ستكون مرحلة اجتماعية .

واذا ما وضعنا جانبا جميع الاعتبارات حول درجة وعى العمال السياسى . وهى اعتبارات لها أهميتها ، كما سبق أن رأينا .. فان دورهم تفسره فكرتان : احداهما هى تبسيط البيروقراطية والأخرى تشكل جزءا من الأفكار الماوية عن النمو . الأولى صادرة عن البديهية التى ترى ، اجراء الثورة فى علاقات الانتاج بأولئك الذين ينتجون أفضل من اجرائها بالذين يقومون بالادارة . أما الثانية فتقتضى الارادة فى انجاز «ثورة صناعية بروليتارية» (٢) ، سوف تيسر أمرها الثورة الثقافية . وقد شرح شواين – لاى الفكرة الأولى عندما قال :

« يبدأ الناس بالثورة فى الأفكار ، يغتصب الثوريون السياسيون السلطة من أتباع الخط البورجوازى . حسنا ، اننا نحن الثوريين الاقتصاديين ، نبدل الأنظمة الاقتصادية ! فالنظام الاقتصادى ليس مسألة سلطة ولكنه مسألة علاقات عمل .. فى جميع هذه المجالات يجب القيام بالثورة بالنظر الى أن المركزية هى ضرورة التبسيط»(٣)

ولفتت مجلة هونغشى الانتباه ، فى تعليق لها ، الى الفكرة الثانية التى بات من المسلم به أنها تعزى الى ماوتسى – تونغ نفسه :

« أين وصل المهندسون والفنيون فى المصانع ؟.. علينا أن نعير اهتماما خاصا لاعادة تربية حملة الشهادات .. لكى يصنعوا هيئة واحدة مع العمال والفلاحين » (٤) .

---

(١) افتتاحية مشتركة فى **هونغشى** و**يومية الشعب** و**يومية الجيش** بتاريخ أول سبتمبر ١٩٦٨ انظر **أنباء بكين** لعام ١٩٦٨ رقم ٢٧ تاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٦٨ .

(٢) لقد استخدمت عبارة «ثورة صناعية بروليتارية» فى التقرير التحقيقى عن المعهد الميكانيكى فى شانغهاى ونشر مع تعليق هيئة تحرير **هونغشى** فى **يومية الشعب** بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٦٨ .

(٣) خطبة شواين – لاى بتاريخ ٢ فبراير ١٩٦٨ فى ممثلى مختلف لجان الوزارات ذكر سابقا .

(٤) تعليق هيئة تحرير **هونغشى** ، نشر فى **يومية الشعب** بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٦٨ ، وقالت عنه شيانغ شينغ : «هذا التعليق يتحدث باسم مرشدنا العظيم ، الرئيس ماو» انظر أنباء بكين لعام ١٩٦٨ رقم ٢٧ فى ١٦ سبتمبر ١٩٦٨ ص ٨ بالنسبة لكلمة شيانغ شينغ و ص ١٣ بالنسبة لتعليق هيئة التحرير .

وهكذا فان الصراع ضد النزعة البيروقراطية وتبسيط الادارة هما الموضوعان الأساسيان فى بناء اللجان الثورية • فبدلا من الادارة الزائدة عن اللزوم التى كان الحزب يرعاها وكانت الجماهير تعتبرها طفيلية ، يجب أن تساس الـ « وحدات » من قبل « الشغيلة » الذين يكرسون جزءا من وقتهم للشئون العامة :

« المطلوب هو أن يظل الموظف مجرد فرد مع كونه موظفا •• يجب تعميق اصلاح عمل الأجهزة القديمة والعمل الادارى •• ان الفريق القائد قليل العدد مع قلة من الموظفين • فقد وضع حدا لتضخم الأجهزة ولعبء المستخدمين الثقيل وهو يمنع ظهور النزعة البيروقراطية » (١) •

كان الحزب ، قبل الثورة الثقافية يبرر تثاقل الجهاز البيروقراطى بالتعقيد المتزايد فى المجتمع الاقتصادى وبضرورة انقسام العمل • لذلك وجب الرجوع فى هذا الأمر الى تعاليم ماوتسى ـ تونغ لعام ١٩٤٢ فى اقتصاد الوسائل وأستيداع الجميع ، والوحدة فى العمل والمساواة التامة فى الأعباء ، واغفال كل ما يشبه التكنوقراطية (٢) •

ان انضباط العمل هو بين أيدى «الشغيلة» أنفسهم • ولقد رأينا الأزمات التى تعرض لها هذا الانضباط وكان أخطرها فى المناجم فى شهر فبراير ١٩٦٨• لذلك دعى الى عقد عدد من مؤتمرات «الشغيلة» فى الفروع الصناعية المختلفة ، وطلب من المشتركين فيها أن يفكروا بأنفسهم فى وسائل تحسين انتظام العمل والمردود • وعلى هذا تم انعقاد مؤتمر المناجم فى ٢٢ مايو بجوار بكين فاتخذ ذلك القرار بتطوير أشكال التسيير الذاتى ، ودور العمال القدامى فى الانتاج (٣) •

و « بحسب حاجات الثورة الصناعية البروليتارية وانطلاقا من الانتاج » نودى من أجل التعليم بالمبدأ الذى يريد :

« وضع مواد دراسية بحسب الحاجات ، تعليم بحسب ضرورة العمل الجارى وسد النواقص » (٤) •

ان الصلة بين الجامعة والصناعة ، بين الجامعة والزراعة ليست مقصورة على الباحثين • فللعمل على اندماج المدارس العليا ، اندماجا أعمق فى نمو البلاد سوف يجىء اليها العمال والفلاحون الذين يتميزون بمواهبهم لمبادلة معارفهم التكنيكية باستكمالات من العلوم • ثم يعودون الى « وحداتهم » لكى يعملوا على اشراكها بعلمهم • وبهذا الذهاب والاياب اللذين يغنيان الاوساط حيث يكون تقدم المعرفة أنفع الامور ، يجتاز النظام قفزة الى الامام • وسوف لا تكون هذه القفزة بمضاعفة الانتاج مرات ثلاثا وانما سوف تتكون مصانع وكومونات شعبية

---

(١) « اللجنة الثورية ، انها لحسن » افتتاحية مشتركة فى هونغشى ويومية الشعب ويومية الجيش بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٦٨ •

(٢) انظر مقال يونغ شونغ ـ تونغ ، يومية الشعب فى ٣١ أكتوبر ١٩٦٨ وكذلك اجيا كيزاى جومبو رقم ٧٣٩ طوكيو ، ديسمبر ١٩٦٨ ص ١٧ ومايليها •

(٣) مؤتمر دعى للانعقاد فى منجم موشينغشيان الذى كان مسرحا لحوادث دامية فى شهر فبراير • ذكر فى يومية الشعب بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٦٨ •

(٤) هونغشى رقم ٣ لعام ١٩٦٨ ، أنباء بكين لعام ١٩٦٨ رقم ٣٧ تاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٦٨

«من التجديدات والاختراعات» مفيدة من أجل الانتاج . واذا أصبحت الثورة الثقافية قريبة من انتهائها فقد تشبثت بوضع خطوط أولية لاصلاح التعليم ، ورسم صورة لميادين عمل الخبراء والعمال والفلاحين .

لذلك اتجه جوهر المصلحة الى الجامعات التكنيكية والعلمية بموجب توجيه أخير من ماوتسى ــ تونغ يقول :

«يجب المحافظة على الجامعات ، وهى ما أفهم بها بصورة رئيسية، الجامعات التكنيكية والعلمية . الا أنه ينبغى انقاص مدة الدروس وايصال الثورة الى التعليم ووضع السياسة البروليتارية فى مركز القيادة واقتباس الطريق المتبع فى مصنع الآلات الميكانيكية فى شانغهاى الذى يشكل هيئة موظفيه الفنية بالانطلاق من عماله . ويجب أن يصطفى الطلاب من بين العمال والفلاحين المجربين ثم يردون الى الانتاج بعد سنوات من الدراسة » (١) .

وتوضيحا لهذا التوجيه فتحت مجلة هونغشى أعمدتها للبحث فى وضع المصنع والمعهد اللذين ضرب الرئيس ماو مثلهما فدرست مسائل البرامج ومدة الدروس وهيئة المستخدمين تفصيلا . ورئى أنه لا بد من أسقاط الحواجز التى كانت موجودة فيما مضى بين دروس الاساس ، الدروس التكنيكية الاصلية والدروس المتخصصة . كما يجب أن تحدد مدة الدراسة فى الجامعات التكنيكية والعلمية بسنتين أو ثلاث . وتشكيل «هيئة معلمين بروليتاريين» يكون دورهم الرئيسى ، وقتهم كله ، العمل على :

« تنظيم التمازج العضوى بين المدارس والمصانع ومؤسسات البحث العلمى ومساعدة الطلاب على رفع معارفهم العملية الى مستوى النظرية لكى يوجهوها من جديد نحو الممارسة . والطلاب الذين يمتلكون خبرة عملية يمكنهم اعطاء بعض الدروس واجراء تبادل فى التجارب . ولا بد لرجال هيئة التعليم الحالية من أن يتوجهوا بأنفسهم الى وسط العمال والفلاحين ، جماعات وفى فترات ، وأن ينخرطوا فى طريق الاندماج معهم (٢) » .

وماذا بالنسبة للزراعة ؟ ان الحقول أبعد عن الجامعات من المصانع . وهل يكفى هذا الجهد المبذول باتجاه التعلم التكنيكى الذى كان ينقص الـ « قفزة الى الأمام » عام ١٩٥٨ ، لجلب تقدم الانتاج الزراعى ، الذى تحتاج اليه الصين ؟ حقيقة ان الحقول سوف تنتج أكثر من الحبوب بانتقاء الانواع وخاصة بتنويع السماد . ولكن ما يجب أن يطلب من الفلاحين فى الوقت الحاضر ما يزال بعد منحصرا بمزيد من العمل لاعداد التربة : حفر عدد أكبر من الآبار وعدد أكبر من الأقنية ، وانشاء عدد أكبر من المصاطب . وهذا هو اذن مثل تاشاى (٣) الذى يجب اقتفاء أثره .

وكما فعل أهل تاشاى فان الفلاحين الفقراء والمتوسطين ينقطعون لهذا

---

(١) المصدر السابق ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٧ .

(٣) انظر فى هذا الفصل الثانى : « الحزب » .

العمل بل ان بعضهم يطرحون قيدهم كمأجورين · انهم على الأقل يعدلون عن ذلك النوع من التعرفة التى تجعل أداء محسوبا يطابق نمطا من العمل معينا · فيقولون ان الفلاحين معبئون للقيام بحملات أعمال كالجنود للقيام بعدد من العمليات · عندئذ يمكن اقتسام العمل فى كل زمرة وكل رجل يصرح فيما بعد بما عمل . وبالاستناد الى هذه الشهادة وبحسب رأى الجميع تقتسم الزمر ماسوف يمكنها توزيعه(١) وسوف يتم هذا المثل من المسئولية فى العمل الاندفاع الجديد نحو التقدم التكنيكى الذى وعد به العمال والفلاحين بنظام جديد للتعليم·

انها لخطوة نحو تبسيط البيروقراطية وتنظيم العمل بالعمال واصلاح التعليم واصلاح الاجور · ويجب اتخاذ جميع هذه الاجراءات كبرنامج لأنها لم تكن قد نالت بعد مايثبتها بتنفيذ معمم · الا أنها على كل حال قد دونت فى البرنامج المنظور لدى عدد من الكومونات الشعبية ومن ال «وحدات» · وأخيرا فان التأكيد الذى يجب ، وفقا له ، على العمال ، فى الصين ، أن يسدوا مكان المثقفين فى دورهم التقليدى هو حدث اجتماعى له دوى عظيم ·

تحليل المؤسسات المؤقتة

كانت الادارة المحلية والاقليمية ترتكز قبل الثورة الثقافية على سلسلتين من اللجان : لجان الحزب ولجان الشعب · وعلى الرغم من أن الايحاء السياسى جاء خاصة من الاولى الا أن الثانية كانت تحافظ على واقع ال « جبهة المتحدة » حول الحزب الشيوعى · وكانت قيادة الحزب والدولة تحيطهما فى الظاهر باعتبار متساو · اذ كانت تعرف مايمكن جلبه من ثبات السياسيين المحليين · حتى لقد تمكن ف·س تيويس ، من القول فى دراسة لهيئة موظفى الحزب الشيوعى الصينى صادرة فى عام ١٩٦٧ انه «فى السنوات العشر الماضية أظهرت بكين ثقة واسعة بهؤلاء الموظفين الاقليميين..»(٢) ولكن الثورة الثقافية كشفت عجز كوادر الحزب عن الاختيار بين طاعة الجهاز القديم والانضمام الى قيادة فكر ماوتسى ـ تونغ · ان الهزة التى عانتها اللجان عندئذ جعلتها تبتعد عن الادارة · فكلف المركز اللجان الثورية بالعمل مكانها ·

كانت اللجان الثورية تبدو كأنها تولت سلطة لجان الحزب ولكنها كانت بأسلوب تكوينها أقرب شبها الى لجان الشعب بما أنها تقبلت ممثلين عن الجماهير· فقد كتبت **هونغشى (٣)** ، المجلة العقائدية تصفها بأنها « تتمتع بأعظم قدر من التمثيل الثورى شاهده الناس منذ التحرير» · ولما كانت هذه المجلة تؤكد من جديد ، بكلمة واحدة ، ان تلك اللجان «تتزود بسلطة دكتاتورية البروليتاريا» فان التفسير الذى كان يمكن للجان الثورية الانتقال ، وفقا له ، من الصفة المؤقتة الى الدائمة نال اعتماده · وعلى هذا أقر عدد من المراقبين الثقاة أنه كان سيمكنها البقاء قائمة ، مدة طويلة من الزمن ، فى آن واحد مقام نمطى اللجان التى كانت موجودة فيما مضى (٤) .

---

(١) تبنى الفلاحون فى ضواحى تينتسين خاصة ، قرارا فى هذا الاتجاه ·

(٢) فريدريك · س · تيويس : **هيئة موظفى الحزب الاقليميين فى بر الصين** ، ١٩٥٦ — ١٩٦٦ جامعة كولومبيا ، نيويورك ١٩٦٧ ص ٦٣ ·

(٣) **هونغشى** ١٥ أكتوبر ١٩٦٨ .

(٤) انظر خاصة الطبعة اليابانية فى ١٦ اكتوبر من **ماينيشى شيمبون** ، **طوكيو** .

ومع ذلك فان عددا من لجان الحزب ، هنا وهنـــاك ما زالت تتعايش مع اللجـان الثـورية المقـابلة بل وتصطلح • وقد استشهد على ذلك بحـالة لواء تاشاى (١) كما ضرب لذلك مثل هام بمعهد الجيولوجيا الذى أنشأ منذ نوفمبر ١٩٦٧ «لجنة مؤقتة للحزب» واجتمعت لجنته الثـــورية فى جلسة خاصة ، فى الحقيقة ، لاحياء تنظيم الحزب فى المعهد (٢) . وهكذا استطاع الحزب الجديد أن يتشكل دون أن يكون صرح القديم قد دك فى كل مكان •

ولكن لجان الحزب اذ كان ثمة تصحيح يجرى فى صفوفها ــ تحدث عنه لين بياو فى تقريره الى المؤتمر التاســع (٣) ــ لم يكن فى وســعها القيام بدور قائد • لذلك كانت تتعايش فى الظل مع اللجان الثورية ، أثناء ماكانت مؤسسة أخرى مؤقتة لا تزال تلعب دورا مختفيا : هى فصول **دراسة فكر ماوتسى-تونغ**• فقد كانت تلك الفصول تضم اناسا من الحزب ومن الجماهير ، غالبــا بقيادة العسكريين ، على منوال التحالف الثلاثى الذى كان يجمع يومذاك هذه العناصر الثلاثة فى اللجان الثورية . الا أن هــذه الفصــول لم يكن لهــا دور تلعبــه فى القيادتين الادارية والسياسية • وانما كان يجب أن تكون جلسات الحزب الجديد الأساسية اذ أن الممثلين فى المؤتمر (٤) كانوا سيعينون من مجالسها .

ان اللجان الثورية قد فرضت نفسها اذن حتى نهاية الثورة الثقافية كأجهزة محلية وحيدة تتمتع بسلطة قيادية • فهل كانت تملك سلطة كبيرة ؟ كان لديها بالتأكيد تفويض واسع من المركز فى الشـئون الاقليمية • وكانت قوية لانها كانت مؤسسة على مبدأ القيـــادة الموحدة • ولا شك فى أننا نتذكر كيف كان المبدأ يطبق عندما يقل عــدد الحزب وما هو الدور الذى يؤديه الجيش فى هذه الظروف(٥) فلا ينبغى اذن أن نفاجأ بالعثور على أعداد هامة من الجند فى اللجان الثورية • فيما مضى ، أيام الكفاح ضد الكومينتانغ ، كانت جماعة صغيرة من الشيوعيين فى القواعد تنقل أفكارها الى السوفييتات بواسطة الجيش• أما الآن فان الحزب ، وقد تقلص نتيجة الاختبارات التى فرضها على نفسه ، تماسك من حول قادة مخلصين لماوتسى ــ تونغ وعمل على اســماع آرائه للجماهير بواسطة القيادة الموحدة •

لقد جرى تشبيه اللجان الثورية ، بصورة خاصة بلجان الحزب وذلك ، على وجه العموم ، لتوضيح المكان الجديد الذى أفسح للجيش فى السلطة • اذ أن جميع اللجان الثورية على رأس الاقاليم والبلديات الكبرى المستقلة ، باستثناء

---

(١) انظر **اجيا كيزام جومبو** رقم ٧٢٢ طوكيو ، يونيو ١٩٦٨ •

(٢) فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ نقلا عن الصحافة الرسمية فى بكين •

(٣) « حيث لم يكن تصحيح صفوفنا الطبقية قد بدأ بعد أو يكاد يبدأ ، يجب تولى هذه المهمة بعزم والقيام بها بالتلاؤم مع سياسة الحزب ، وحيث يكون قد بلغ نهايته يجب كـذلك تولى المهام الأخرى وفقا لتوجيهات الرئيس ماو المتعلقة بالمراحل المختلفة لصراع ــ نقـد ــ اصلاح» انباء بكين رقم خاص بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٦٩ ص ٢٢ •

(٤) نجد شرحا وافيا لدور فصول الدراسة فى « كاكومى جنكاى نى ميرو كوكا كيكو كابيكاكو تو هوكو» ، **اجيا كييزاى جومبو** رقم ٧٢٢ طوكيو ، يونيو ١٩٦٨ •

(٥) انظر الفصل الأول « أفكار ماوتسى تونغ التى قامت عليها الثورة الثقافية » •

ثلاث لجان فقط(١) ، كان يرأسها ، في الحقيقة ، قائد عسكرى أو مفوض سياسى لدى الجيوش · بل كان الامتياز الممنوح للجنود يبدو متجاوزا للحد عندما لا يكون قادة الجند فى الحامية المحلية هم القادة المعينون وانما قادة الجند المعسكرون فى المنطقة(٢) · ولعله من المحتمل أن يكون قد طلب الى الجيش ، فى حالات من هذا النوع ، فرض نظام محلى ·

لكنه اذا كان صحيحا أننا نجد جنرالا أو عدة جنرالات فى صف قادة الأول فى جميع اللجان الثورية ، فلا بد من أن نلاحظ أنه يوجد دائما الى جانبهم على الأقل كادر للسكرتيرية من لجنة الحزب القديمة · وهو أمر على جانب من الاهمية لأنه يوحى بأن أرشيف لجنة الحزب الثمين قد احتفظ به بين أيد مختصة · فلم تكن أيدى الجماهير قد طالت اذن الملفات التى تحتوى على جميع المعلومات السرية عن الكوادر الذين يجب اعادة استخدامهم ، وبددتها · ولقد أمكن ، فى كافة الاحوال ، ضم أحد السكرتيريين المكلفين بحراستها الى الثورة الثقافية ·

ان الحزب الشيوعى يصرف ، منذ زمن طويل ، عناية خاصة لاستمرارية الفرق التى تشرف على الحياة فى الأقاليم · ذلك أن :

« القادة فى القمة ، وهم متأثرون لامراء باعتقاد عميق فى قدرة التمذهب ، يعترفون ، على ما يبدو ، بأن ثمة وسائل أخرى تكون كذلك مؤثرة ، ان لم تكن أكثر فعالية ، لتطبيق السياسة الموضوعة ، فى حالات التوتر ، ولتحقيق الاشراف ·»(٣) كما قال فريدريك تيويس ·

« ولم تجر تبديلات فى هيئة الموظفين على نطاق واسع الا فى مواقف نوعية كانت تستلزم عملا جذريا ، كما حصل فى كويشو عام ١٩٦٥ »(٤) ·

على أن الثورة الثقافية لا تبدو قد غيرت أساس هذه السياسة · فان جميع الوثائق الضرورية لتخصيص الكوادر قد حفظت بعناية فائقة · حتى لقد أبعدت بقدر الامكان عن اطلاع من كانوا قد يأتون من الثوريين ·

لقد اندمج ممثلو الجماهير ، بالطبع ، بممثلى الحزب فى اللجان الثورية· ففى مونغوليا الداخلية يوجد بين نواب الرئيس سائق كاميون (٥) ، وفى

---

(١) هذه الاستثناءات هى : هوبى ، شينسى وبلدية تينتسين ·

(٢) تلك حال انهوى ، شيكيانغ ، هونان نينغهسيا . انظر «عهد الجيش» ، فى مجلة **تحليل انباء الصين عدد ٧٠٧** تاريخ ١٠ مايو ١٩٦٨ ·

(٣) **«هيئة موظفى الحزب الاقليميين فى بر الصين»** من ١٩٥٦ – ١٩٦٦ ص ٦٣ · ذكر سابقا ·

(٤) أدى تطهير كويشو عام ١٩٦٥ الى منح هذه المقاطعة ادارة جديدة ، كانت ما تزال قليلة المشاركة فى المنافع المحلية وشديدة التشبث بالادارة الايديولوجية · وبهذا يجيب بلا شك تفسير دور الزعامة الذى لعبته هذه المقاطعة فى الثورة الثقافية ، وهو دور لم يكن وضعها الجغرافى وحالة نموها يبرزانه بحد ذاتهما ·

(٥) «اوكونو جينزاى وا هاغوكوموجيداى» ، **جمين شوغوكو** ، بكين ، مارس ١٩٦٨ ص ٣٠ وما يليها ·

كوانغتونغ ، عامل فى مشروع ميكانيكى وفى شـانسى بطل عمـل فلاح .. (١) ويتعلم أعضاء الحزب اقتسام العمل السـياسى مع المرءوسين حيث تتاح ميادين العمل للأعضاء • بل أكثر من هذا فان الدعاية تلح على أعضـاء اللجان الثورية وحتى على أعلى القـادة بالذهاب الى القـاعدة وبأن يشـاركوا الجماهير فى اهتماماتها (٢) . ولا شك فى أنهم سوف يختلطون كذلك فى مؤسسـات الحزب المتجدد بممثلى الجماهير الذين يكونون قد تدربوا فى الحزب •

هكذا أمنت اللجان الثورية العمل فى فترة غيـاب لجان الحزب وشكلت بوتقة لانصهار الكوادر بالجنود ، بالجماهير ، انصهار أفضل • ولـكنها لم تبد أنها قد أعدت لتصبح مؤسسة دائمة • فقـد أدخلها لين بياو ، فى تقريره الى المؤتمر التاسـع ، فى مرحلة « صراع ــ نقد ــ اصلاح » من الثورة الثقافية ولم يذكرها لما بعد ذلك •

اعادة بناء الحزب

أن للثورات الشـعبية دائمـا أغانيها • لذا ألف رجال الحرس الاحمر أغانيهم كما ألفت مكاتب الدعاية أغانيها • فاختار الشعب منها اذ أنه يغنى دائما ما يؤثر . وكانت أكثرها انتشارا بلاشك «الشرق الأحمر» وأنشودة الربان (٣) وتسابيح للثورة الثقافية التى كانت لأزمتها العاطفية حمية جياشة نحو ماوتسى ــ تونغ • الا أن احدى الأغانى التى كانت من أكثرها انتشـارا فى تغنى الثوريين ألفت ببساطة بالاستناد الى أول فقرة واردة فى **الكتاب الاحمر الصغير** التى كانت تقول : «نواة القوة التى تقود قضيتنا هى الحزب الشيوعى الصينى» •

وهكذا كانت الاغانى تمجد دور الحزب القائد من البداية الى النهـاية ، حتى عندما كان المسئولون فيه يتساقطون تحت هجمات **المتمردين** التى لاترحم •

وفى أول يناير ١٩٦٨ أعلنت الصحف المركزية نبأ اعادة بناء الحزب فى افتتاحياتها • وتناولت هذه الافتتاحيات بحدة موضوعات «قيادة الحزب» معلنة عن تعديل فيها كان لابد من أن يقود الى :

« تغيير اتحاد الشبيبة الشـيوعية والحرس الأحمر ومختلف التنظيمات الثورية الجماهيرية على الصعيدين الأيديولوجى والتنظيمى على حد سواء .» .

وعلى الجملة كان يجب معالجـة الحزب المريض بالتحريفية والتنظيمات المريضة بميولها اليسارية المتطرفة على نفس المنوال • وبخاصـة كان ينبغى أخـذ ما كان يوجد من حسن فى جميع التشـكيلات السياسية وتأمين جميع

---

(١) شين يونغ ــ كوبى ، زعيم تاشاى .

(٢) ان أكثرية أعضاء اللجنة الثورية فى كويشو لا يبتعدون عن مهنهم (**الصين الجـديدة** ، كويشو ، ٢٩ مارس ١٩٦٨) • وفى هيلونغكيانغ يتكفل نصف أعضاء المكتب الدائم للجنة الثورية بالعمل فى الـ (وحدات) الاساسية بينما يؤمن النصف الثانى مهام اللجنة (**الصين الجـديدة** فى ٢٩ فبراير ١٩٦٨) .

(٣) « للسفر الى أعالى البحار يجب الاعتماد على الربان » .

المســـاهمات التى كان يحتاج اليهـــا الحزب • كذلك أمكن أن نقرأ فى تلك الافتتاحية (١) قولها :

« علينا ، فى أثناء العام الجديد •• أن نصلح مؤسسات الحزب وأن نعدلها ، يجب التســـليم بدخول عدد معين الى داخل الحزب من تلك العناصر المتقدمة فى صفوف البروليتاريا التى تميزت فىالثورة الثقافية الكبرى وأن نمنعه على المرتدين والعملاء السريين كما نمنع دخوله على المسئولين المنخرطين فى الطريق الرأسمالى والذين يرفضـــون بعناد أن ينصلحوا » •

كان أعضاء الحزب القدماء من ذوى المناصب التى جعلتهم مرموقين مايزالون يجتازون سلسلة من الاختبارات . فقد منعوا بادىء ذى بدء من الممارسة ــ اذا جاز القول ، أى أوقفوا دون طرد من الحزب ــ واضطروا للرضوخ الى امتحان حول مشاكل حياتهم المهنية والخاصة (٢) • وكان هذا الامتحان يتقصى حتى أسس الأفكار الشخصية . وكان فى وسع أولئك الذين يجتازونه الرجوع الى العمل فى مكان وظيفتهم ولكنهم لم يكونوا بعد « محررين » . والفحص ليس سوى اختبار فردى **وابراء للساحة** يوجب رضى جماعيا بعده • كذلك كان لابد للكادر ، الذى كان يرغب فى اســـتعادة انتدابه من أن ينصـــاع للظهور أمام الجماهير ، للقيـــام ، بمســـاعدتها ، بتحليل (٣) البواعث التى أفضت به الى الوقوع فى الخطأ أو قريبا جدا من الخطأ .

وعندما كانت الجماهير ترضى عن هذا التحليل ، الذى غالبا ما كان نقدا ذاتيا ــ يتمم دائما بنقد القادة الـ « بورجوازيين » فى الحزب ــ كان يصبح فى وسع الكادر الـ « محرر » أخيرا أن يعود الى تولى وظائفه •

وبقدر ما يمكن أن نتبين من ذلك ، فان الهدف من تلك الطقوس لم يكن اقامة عدد معين من الدعاوى وانما كانت أقرب الى ضم أكبر عدد ممكن الى حركة من الأفكار متحـــدة • ان طريقـــة الذهاب والاياب ، الفحص العميق للذات فى التشـــبع العلنى لموضـــوعات النقد الثـــورى تتلخص بكلمة هى : تولى سوكاو Tuli Ssukao وتفيد بأن المعنى بالأمر قد تعلم التفكير بنفســـه : ولا شـــك فى أننا سوف نتأثر لأنه كان يعانى ضغطا نفسيا هائلا ، لكن تحوله الى الطريق الصواب ، اذا اختار الانضمام ، لم يكن فى وسعه أن يكون مجرد شكل ، اذ كان يمكن ألا يقبل • فكان لا بد من أن يقترن بحركة شخصية وأن يكون محاطا بالأدلة .

ومع ذلك لم يكن الـــكوادر الذين لم يحـــالفهم النجاح فى اجتياز هذه

---

(١) افتتاحية العام الجديد فى **يومية الشعب** ، **هونغشى ويومية جيش التحرير الشعبى** : «لنواجه الانتصار التام فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى» ، **الصين الجديدة** لعـــام ١٩٦٧ رقم ١٢٣١٠١ (سلسلة باللغة الفرنسية) .

(٢) شانغكانغ ــ نجو فى هيكوتارو اندو ، «بونكاكو سانينمه نو كاداى» دراسة رائعة عن الكوادر الذين أوقفوا . انظر أساهى جيانارو جـ ٩ رقم ٥٢ تاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٩ ص ١٣ وما يليها .

(٣) ليانغهسيانغ .

الاختبارات وأولئك الذين امتنعوا عن الدخول فيها ، مهددين على العموم بجزاء أخطر من الطرد من الحزب . وقد تكفل لين بياو نفسه ، باستثناء أولئك الذين اقترفوا جرائم الحق العام فى أن :

« جميع العناصر السيئة والمتهمة والمكتشفة أثناء حركتنا من أجل تصحيح صفوفنا الطبقية ، سوف تعامل وفقا للسياسة . فلا عقوبة بالموت ولا توقيف ، فى أكثر الحالات » (١) . كما صرح ياو وين ــ يوان كذلك قائلا :

« بازاء رجال باد فكرهم الثورى وسقطوا ، يجب النصح بالاستقالة من الحزب » (٢) .

ان **تصحيح الصفوف الطبقية** ، الذى نوهت عنه الفقرة الأولى كان بالطبع حركة أوسع من تطهير الحزب وحده . كان يمتد الى التنظيمات الثورية وقد نفذ بنفس الطريقة . ولكن ما يجذبنا فى هذه التنظيمات هو ادماج أعضائها فى الحزب أكثر من تصحيحها . ذلك أنه :

« يجب علينا أن نمتص الى الحزب دما بروليتاريا جديدا ، فى المقام الأول ، العناصر المتقدمة ، التى تتمتع بين عمال الصناعة ، بوعى شيوعى ، ثم أن نختار ، لمراكز القيادة فى الحزب ، أفضل الشيوعيين الذين يطبقون بتصميم خط الرئيس ماو البروليتارى الثورى » .

كما قالت اللجنة المركزية فى ائتلافها الجديد ، فى نهاية اجتماعها الثانى عشر الموسع (٣) . أن الـ « دم الجديد » سيؤخذ اذن من التنظيمات الثورية ، وفى المقام الأول من بين عمال الصناعة .

« وهكذا ــ كما قال ياو وين ــ يوان ــ ستتشكل بالتدريج نواة قيادية ، واضعة فى التطبيق ، باصرار ، الخط الثورى البروليتارى . » (٤) .

ولم يكن بعد فى وسع النواة ، التى كان يتحدث عنها ، أن تصبح هى الحزب وانما نواة للقيادة الموحدة ، فى خدمة الحزب .

ولقد قامت المجالس ، التى اجتمعت لتتويج فصول الدراسة ودعيت باجتماعات الفعالين فى تأييد فكر ماوتسي ــ تونغ ــ أو « مؤتمرات الشعب الثورية » بتوفير الفرصة لانتقاء العناصر المتقدمة . وسارت شانغهاى فى هذه الحركة فى المقدمة (٥) فكانت تجمع فى ذلك بين تصحيح التنظيمات الثورية

---

(١) تقرير الى مؤتمر الحزب الشيوعى الصينى التاسع ، **انباء بكين** ، عدد خاص ٢٨٤ ابريل ١٩٦٩ ص ٢٢ .

(٢) افتتاحية أول أكتوبر ١٩٦٨ فى **يومية الشعب وهونغشى ويومية الجيش** .

(٣) بيان ٣١ أكتوبر ١٩٦٨ . **أنباء بكين** لعام ١٩٦٨ رقم ٤٤ .

(٤) ياو وين ــ يوان ، هونغشى عدد ٢ لعام ١٩٦٨ . **أنباء بكين** ١٩٦٨ رقم ٣٥ .

(٥) «كيبو زينتايكاى هى ازوجيا نى» ، **اساهى شيمبون** (طبعة اليابانية النهارية) فى ١٥ مارس ١٩٦٨ ــ لقد أشار قادة الثورة الى تقدم شانغهاى دون أن يخلو ذلك من استثارة لأنانية أهل بكين ، لدى التجمع الكبير الذى جرى فى ٢٧ مارس فى استاد العمال لنقد يانغ شينغ ــ وو .

وتعيين الممثلين الى مؤتمر الحزب الكبير (١) . وجاءت ال « عناصر المتقدمة من البروليتاريا » فى شانغهاى من العمال بصفة رئيسية . فأشاع هذا التقدم من جانبها تفاؤلا شديدا بوعيهم السياسى فى الساعة التى كان الطلاب فيها فى بكين قلما يعرضون غير مخاصماتهم . وعمل هذا التحقق بالاضافة الى قضايا أخرى على تثبيت « الدور القائد للطبقة العمالية » .

كانت التسمية الى المؤتمر تساوى القبول فى الحزب . والثوريون الذين استفادوا من ذلك قضوا بلا شك تدريبا جديرا بالبرهان على الصلاح قبل استدعاء المؤتمر . على حين ندب آخرون فى منظمات الحزب القديمة المحلية دون أن يكون لديهم بصفة خاصة التوكيل بالتمثيل . وهكذا كان الحزب يعد حقنته من الدم الجديد ، ولكن المشـــهد الرئيسى كان يجرى عندئذ فى بكين حيث يعقد ألف وخمسمائة واثنا عشر مندوبا جلسات التجديد العظمى .

جرى الاحتفال بافتتاح المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى فى أول أبريل ١٩٦٩ فى بكين . فاستمع لتقرير لين بياو ثم انتخب اللجنة المركزية الجديدة وعدل لوائح الحزب . الا أن انتخاب اللجنة المركزية كان يتسم بمغزى سياسى هام . اذ أنه يضع بصورة صريحة نهاية للحقبة الثورية . فطيلة عامين استبعد الأعضاء القياديون فى القمة من بين صفوفهم أعضـــاء قدر بأنهم غير جديرين للمشاركة فى الثورة ، وكان الدور السياسى الذى قامت به الجمـاعة المركزية للثورة الثقافية ، استثنائيا . فأرجع المؤتمر التاسع للمؤسسة العليا بتمامها ثم عاد فوضع فى مكان أعضائها فى القيادة الأيديولوجية أو الادارية ، الأعضاء الذين شاركوا ، بصورة وقتية ، فى **المركز** .

كان تأليف اللجنة المركزية الجديدة لابد وأن يعمل ، بصورة أفضل، على التعريف بمقر السلطة حينئذ . الا أن فحصها لا يأتى فى الواقع ، بتوضيحات كبيرة اللهم الا أن أولئك الذين يساهمون فيها هم ، اجمالا من الوجوه الجديدة .

لعـل المجلس الذى كان يتواجد فيه جميع الأقوياء من أصـحاب المقامات الرفيعة فى الحزب الذين كانوا يديرون جهازه فى الأقاليم وفى الوزارات ، يكون متخلصا من روح التفاهم والتضامن القديمة . فان ثلث أعضاء اللجنة المركزية القديمة فحسب قد أعيد انتخابه . ومن المحتمل أن يكون الأعضاء الجدد قد تم اختيارهم على ضوء موقفهم أثناء الثورة الثقافية . فقد جرى اعداد قوائم المرشحين فى لجان علقت من الأهمية على التقرير الذى قدم اليها عن الأحداث المحلية أكثر من أية اعتبارات أخرى . وتركت الأصول التى اتبعت ، والمبادة بيد المندوبين الاقليميين ، ولم يكن فى وسع جماعة القيادة الصغيرة فى بكين أن تملى مع ذلك اختيار أعضاء جهاز بذلك العدد الضخم ، كاللجنة المركزية .

لا شـك اذن فى أن ممثلى اللجـان الثورية الاقليمية الى المؤتمر وممثلى التنظيمات الذين كانوا يرافقونهم ، كانوا متأثرين بمعنى النظام المحلى فى نهاية الثورة الثقافية . ومن المحتمل أنهم اختاروا لتمثيلهم فى اللجنة المركزية ، الرجال الذين فرضوا أنفسهم فى آن واحد بفعاليتهم فى المقاطعة وباخلاصهم للمركز . وبهذا يفسر عدد من العسكريين الهام الذى تجاوز تمثيله فى الجهاز المركزى من

---

(١) انظر تحليل فصول دراسة فكر ماوتسى ـ تونغ فى الفقرة السابقة .

نسبة ٣٦٪ الى ٤٥٪ كذلك زاد ، فى موازاته ، النصيب الممنوح لكوادر الادارة الكبار. ولفهم هذه الزيادة يجب التفكير بالدور الذى أدته وزارات البلاد ومرافقها العامة بالابقاء على الصين حية أثناء الحقبة المضطربة الطويلة . وهكذا كان الخاسرون فى هذا التسابق الأخير هم كوادر الحزب اذن بصورة خاصة . فقد أفسحوا المكان للثوريين من الجماهير .

تفرض اللوائح الجديدة التى أقرها المؤتمر ، على الحزب أن يعمل على الاتحاد بصورة أفضل مع الجماهير من أجل اختيار أعضائه وتنفيذ عمله . ولا شك فى أنه يوجد فيها التأكيد من جديد على قيادة الحزب للجيش وأجهزة السلطة والدولة وتنظيمات الجماهير الثورية (اذ تشترط اللوائح انه يجب على تنظيمات العمال والفلاحين الفقراء والأقل من المتوسطين **والحرس الأحمر** أن تخضع لقيادة الحزب) (١) . ولكن المرشحين لعضوية الحزب لا يمكن قبولهم الا بتحقيق عنهم لدى الجماهير (٢) . والحزب هو صاحب المبادرة فى الحملات ولكنه لا يستطيع تنفيذها الا بممثلى الجماهير . والقيادة الموحدة ، التى تضم ممثلين للجماهير فيمن يكلفهم الحزب للعمل باسمه . سوف يعاد تشكيلها فى كل مرة يوفد الحزب فرقا منه مكلفة بأعباء تطبيق سياسته (٣) . وبكلمة فان مشاركة الشعب سوف تكون منظورة فى الحقل التنفيذى .

أضف الى ذلك اتخاذ الاحتياطات لكى يشعر أعضاء الحزب انهم أكثر حرية فى مناقشة القيادة وأنهم أحرار فى التحفظ على السياسة التى كان يمكن أن ينكروها ، وأن يعملوا على ايصال انتقاداتهم الى المستويات العليا (٤) .

« انه لمن الضرورى خلق جو سياسى تتوفر فيه ، فى آن واحد المركزية والديموقراطية ، النظام والحرية ، وحدة المشيئة فى نفس الوقت الذى يحظى فيه كل واحد بسهولة التفكير والنشاط الشخصيين » (٥) .

كذلك تشدد اللوائح على ضرورة الحفاظ على الانفتاح حتى لا يلغى العزوف الفردى ، الفعل المنعكس الذى يجعل المرء دائما يكون رأيه بنفسه .

وثمة تناقضات تظل تهدد بالطبع باخطارها . فالروح الفردية يمكنها أن تتمرد على الانضباط . أفلم تكن الثورة الثقافية نفسها « تمردا » ؟ والقيادة الموحدة يمكنها كذلك ، فى الممارسة ، أن تعيد وضع الخضوع لقيادة الحزب موضع الاتهام . لكن واضعى اللوائح يعتمدون على المناقشة لحل التناقضات . وهذا ما يشير اليه لين بياو فى تقريره حين يشرح كيف أن المشروع تزود بمقترحات القاعدة ثم أعيد بعد ذلك الى القاعدة للمناقشة (٦) . أفلا تصبح تلك نتيجة

---

(١) مادة ٥ .

(٢) مادة ٢ .

(٣) مادة ٧ .

(٤) مادة ٥ .

(٥) مادة ٥ .

(٦) لقد أخذ المشروع الذى صدر عن الجلسة الثانية عشرة الموسعة فى اعتباره آلاف المقترحات التى جاءت من القاعدة ومن ثم اعيد طرحه للمناقشة على الجماهير الثورية والحزب والجيش قبل أن يوضع بين أيدى المؤتمر . **انباء بكين** رقم خاص بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٦٩ انظر ص ٣٦ .

هائلة اذا كانت الثورة الثقافية جددت بالفعل الحوار فى كل مكان ، وعلى نحو خاص ذلك الذى يجب أن ينشأ بين الحزب والجماهير ؟

كان الحزب القديم قد وضع جهازه فوق القيم الأخرى • أما اليوم فالأصوات تطالب بأن ترد السيادة للأيديولوجية الحية ، وتؤكد أن « العناصر المتقدمة من البروليتاريا » هى التى ستخدم هذه الأيديولوجية بعد الآن • فالثــورة الثقافية قد فتحت أبواب الحزب لأعضاء عديدين لم يعانوا من نمط التكوين القديم • وهم يأخذون حذرهم من « الثــورة » ولا شك فى انهم يشــدون اليهم أناسا يشــبهونهم •

لقد طلب اليهم المؤتمر التاسع بأن يكونوا «يقظين من محترفى المناصب» وأن يتتلمذوا على أيدى الجماهير • ذلك أن « الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هى حركة توطيــد للحزب ، ذات اتساع وذات عمق لا مثيــل لها فى تاريخ حزبنا » (١) كما قال لين بياو فى شرحه لها .

(١) « تقرير الى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى » انباء بكين بتــاريخ ٢٨ ابريل ١٩٦٦ ص ٢٥ •

خاتمة

هل كانت ثورة حقا ؟ ليس من الممكن انكار ذلك ٠ فقد قادها ماوتسى ـ تونغ وقلة من المقربين اليه ، كانوا مقتنعين انه لم يكن فى وسع الحزب أن يتجدد دون عمل القوى الشعبية ٠

فما ان أثيرت الحركة حتى غدت فيما بعد قوية الى حد توشك على أن تصبح ثورة أخرى كان يمكنها أن تودى بالحزب الشيوعى ٠ فمن ينساير الى سبتمبر ١٩٦٧ قلبت فصائل الثوريين مشاريع السلطة رأسا على عقب ٠ وظهر عدد من الطموحين ، سعوا الى السطو على الثورة ٠ وانتفخت الأهواء أكثر مما أمل فيها الزعماء لايقـاظ الجماهير ٠ وعلى كل حال ، حصلت هذه الرعشـة التى حركت المصلحة السياسية ، على حريات كاملة فى المدن لمدة من الزمن : حرية الصحافة والاجتماع والتسيير الذاتى لوحدات الانتاج ٠

وجعل المركز روح الحزب تنتصر على جميع الاتجاهات الفوضوية وهى عملية لعب فيها الجيش دورا لا غنى عنه ٠ الا أن المواقع السياسية الجديدة التى احتلها أثارت المخاوف من انشاء نظام عسكرى ٠ حال ما كان هناك من روابط خاصة بين الحزب الشيوعى الصينى والجيش دون ذلك ٠

وهكذا فان الشعار اليومى الذى يجب على الطبقة العاملة اتخاذه : « القيادة فى كل شىء » قرر أنه كان لابد للجيش من أن يعيد الى الآخرين المسئوليات التى لا تخصه ٠ ولكن تحقيق لا مركزية الدولة أسهل كثيرا من اقامة الاشراف على سلطة سياسية يجب أن تكون مركزية ٠ ذلك أن مباشرة الثورة الثقافية كان من أجل اقامة هذا الاشراف بواسطة **خط الجماهير** ٠ وفى نهاية الأمر كان الابقاء على التنظيمات الشعبية المنبثقة عن الثورة أهم من نظام اللجان الثورية .

لقد شتت عدد قليل من التنظيمات الثورية ، وكان ماوتسى ـ تونغ يسهر على صيانة الحمية السياسية من الزلل ، فى كل مكان بزغت فيه ، لكى يعطى للحزب المتجدد ، قادته الذين يستحقهم ٠

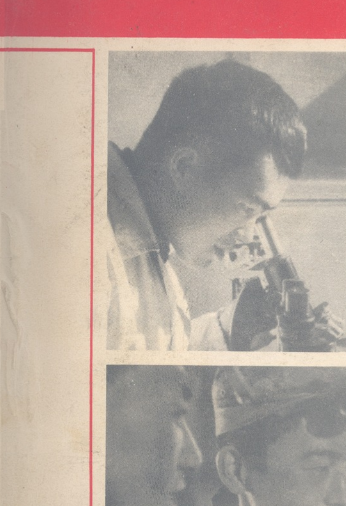
كانت الصعوبة مدة طويلة من الزمن هى اثارة الفعل الضرورى ليقظة وعى سياسى ، مع حماية الشـوريين فى غضون ذلك من الاغواء الذى ينتزعون اليه الا وهو اللذة فى استهلاك الثورة ٠ كانت شيانغ شينغ تقول : « انه لأمر سهل

جدا ، يريد المرء أن يعض الدراقة فيأخذ منها قضمة ، ولكن ما ان يأكلها حتى يفقدها ! » ومع بذل الجهد في اثارة شهية الصينيين لأكل الدراق أراد زعماء الثورة ابقاء جميع الثمار على الشجرة ٠

ان أعمال العنف التي ذكرتها الصحافة الغربية قد أخفت غالب الأحيان ـ الجهود التي كانت تقوم بها من جانب آخر الدعاية الثورية لتجنب الجماهير العودة بسرعة الى اللامبالاة ٠ وكان اهتمام الزعماء أن يجتذبوا أكبر عدد الى صراع ، كانوا يعتمدون عليه من أجل تحالف جديد ٠ ولقد رأينا تفسيره فيما تقدم في هذه العبارات :

« التحالف ، الاتحاد يأتيان من الصراع حتى الانشقاق ، ليشكل عندئذ تحالف جديد على أساس من فكر ماوتسي ـ تونغ ٠ فهذا هو ديالكتيك الثورة الثقافية »

فهرس





الثمن ٥٥ قرشا



